# بيزنطة: مدينة الحضارة والنظم
## (دراسات وبحوث)

تأليف

أ.د. طارق منصور

أستاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة عين شمس



# بيزنطة: مدينة الحضارة والنظم

## (دراسات وبحوث)

تأليف

أ.د. طارق منصور

أستاذ تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب - جامعة عين شمس




٢٠١٥ م

الناشر: دار الفكر العربي

العنوان: ٩٤ شارع عباس العقاد، مدينة نصر، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

هاتف: ٠٠٢٠٢٢٢٧٥٢٩٨٤ - ٠٠٢٠٢٢٢٧٥٢٧٩٤

فاكس : ٠٠٢٠٢٢٢٧٥٢٧٣٥

الموقع الإليكتروني: http://darelfikrelarabi.com



**بطاقة الإيداع بدار الكتب المصرية**

المؤلف: أ. د. طارق منصور

العنوان: بيزنطة: مدينة الحضارة والنظم (دراسات وبحوث)

I- التاريخ البيزنطى - الحضارة البيزنطية

II- أوروبا العصور الوسطى

١- طارق منصور ٢- العنوان

تصنيف ديوي: 940.1 ، 949.5'02-dc 21

الطبعة: الأولى

سنة الطبع: ٢٠١٥م

رقم الإيداع المحلي: ٧٨٥٢

رقم الإيداع الدولى:

**طبع في جمهورية مصر العربية**

٢٠١٥ م

لوحة الغلاف: مقطع مصور من قباب كاتدرائية هاجيا صوفيا بالقسطنطينية.

# الإهـداء

## إلـى روح أمـي الطاهـرة

# الفهـــرس


| الفصل | ص |
|---|---|
| **إهداء**........................................................ | أ |
| **مقدمة**........................................................ | ح |
| **الفصل الأول:** القسطنطينية في الكتابات الصليبية ١٠٩٦-١٢٠٤م........................................................ | ١-٥٦ |
| **الفصل الثاني:** المآدب الإمبراطورية في عهد الإمبراطور ليو السادس الحكيم (٨٨٦-٩١٢م)........................................................ | ٥٧-١١٨ |
| **الفصل الثالث:** الوظائف والألقاب البيزنطية بين المفهوم العربي والواقع البيزنطي........................................................ | ١١٩-١٨٠ |
| **الفصل الرابع:** الحرس الإمبراطوري البيزنطي (من القرن السابع-القرن التاسع الميلادي)........................................................ | ١٨١-٢٣٠ |
| **الفصل الخامس:** النار الإغريقية: قراءة جديدة في ضوء المصادر البيزنطية والإسلامية........................................................ | ٢٣١-٢٦٧ |
| **الفصل السادس:** معاهدتا ٩٠٧ و ٩١١ م بين البيزنطيين والروس: إثنتان أم واحدة؟........................................................ | ٢٦٩- ٢٩٦ |
| **قائمة المصادر والمراجع**........................................................ | ٢٩٧- ٣٢٤ |



# مقدمة

"...لم يحدث مطلقاً-منذ بداية العالم-أن رأت العين أو غنم قوم مثل هـذه الغنيمـة الضخمة الغالية العظيمة، بل لم يحدث ذلك زمن الإسكندر أو شارلمان، لا قبلهما ولا بعدهما؛ ولا أظن-أنا شخصيا-أنه توفر في أغنى مدن العالم الأربعين من الثروة الهائلة ما توفر فـي القسطنطينية وما عثروا عليه بها؛ إذ يقول البيزنطيون إن ثلثي كنوز العـالم موجـودة فـي القسطنطينية، أما الثلث الآخر فموزع في بقية أنحاء العالم..." ؛"...فإن ذكر لك أحد جزءاً من مئة عما في كنائسها وقصورها من ثروة وجمال وعظمة، بدا لك كأنه يروي أكذوبـة، ولـن تصدق ذلك..." (روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٢٣، ١٣٢)

بيزنطة...المدينة التي عشقها قسطنطين الكبير، فقرر أن يبني على أطلالها واحدة من أعظم مدن التاريخ، فخرجت علينا في ثوبها الجديد، بعد أن خلعت عباءتها الرومانية، واتشحت بالأرجوان الملكي، ورويدا رويدا حملت روما الجديدة اسم مؤسسها، فعرفتها البشرية باسم القسطنطينية. ومنذ ذاك الوقت، بعد أن ازداد جمالها، ونمت مفاتنها، وبدا تمنعها على روادها، لم يطق الأعداء عليها صبرا بعد أن أرخت ستائر العشق حول بدنها، بحدائقها الغناء، ومتنزهاتها الخضراء، وأديرتها الزاهدة، وكنائسها الباهرة، وقصورها المتلألئة، وحماماتها الفريدة، وأسواقها العامرة، وموانئها الزاخرة، وقنواتها السارية، وأحيائها الراقية، وأعمدتها الشاهقة، وتماثيلها المرمرية الناصعة، وأبوابها ذات السباع والوحوش الكاسرة... فلم يدر جيرانها من أين لها كل هذا، فجاؤها صبيحة كل يوم من كل حدب وصوب، غير أنهم عادوا بخفي حنين بعد أن لمسوا مناعتها ومواطن قوتها.

بيزنطة...كل من وطئت قدماه أرضها وقف مشدوها أمام عظمتها، التي لا يزال التاريخ يحفظ لنا برهانه عليها، ولن أنسى كيف فتنتني هذه المدينة بسحرها وجمالها عندما زرتها منذ عشر سنوات، حيث درت في شوارعها وطفت على أبنيتها بعد أن تبدل بها الحال وحملت إسما رابعا يشير إلى دخول الإسلام إليها "استانبول"، إنها المدينة التي شاخت وهرمت ومع هذا لا تزال فاتنة.

من هنا وجدت نفسي أغوص في صحائفها وأنقب بين أطلالها لعلي أعرف من أين لها كل هذا الطغيان والجبروت الذي صاحبه جمال أخاذ خطف أبصار جيرانها الذين اعتبرتهم دوما برابرة. وبعد رحلة في قلب وعقل هذه المدينة عبر خمسة وعشرين عاما من

**الدراسة الثالثة:** وهي بعنوان "الوظائف والألقاب البيزنطية بين المفهوم العربي والواقع البيزنطي"، وهي دراسة تعنى بكيفية فهم واستيعاب المسلمين لمسميات الوظائف والألقاب البيزنطية، وتكشف لنا عن نظام بيروقراطي معقد في الإدارة البيزنطية له قواعده الراسخة التي ميزت الإدارة البيزنطية في عصرها الأوسط. وقد نشرت هذه الدراسة في إصدار خاص لحولية التاريخ الإسلامي والوسيط، عدد ٣(٢٠١١). وجدير بالذكر أن جزءاً من هذه الدراسة تم تنقيحه وزيادته ونشره بالإنجليزية ضمن أعمال المؤتمر الدولي عن بيزنطة والعرب، والذي عقد بمدينة تسالونيك عام ٢٠١١م.

**الدراسة الرابعة:** وهي بعنوان "الحرس الإمبراطوري البيزنطي من القرن السابع-القرن التاسع الميلادي"، وهي تلقي الضوء على الفرق العسكرية المرابطة سواء في القسطنطينية أم ضواحيها وهدفها حماية وأمن المدينة ومليكها. وقد نشرت هذه الدراسة ضمن كتاب تكريمي لـ ا.د. زبيدة عطا، قمت بتحريره ونشره بالقاهرة عام ٢٠١٤م تحت عنوان "العصور الوسطى: تاريخ وحضارة".

**الدراسة الخامسة:** وهي بعنوان "النار الإغريقية: قراءة جديدة في ضوء المصادر البيزنطية والإسلامية"، وهذه الدراسة تحاول استقراء كافة النصوص البيزنطية والإسلامية وتحليلها للإجابة على بعض الإشكاليات التاريخية المتعلقة بكيفية تكوين النار الإغريقية وتاريخها وطرق زرقها، وهي السلاح الذي ضمن لبيزنطة تفوقاً بحرياً طيلة قرون عدة، إلى أن اكتشف المسلمون طريقة صنع هذه النيران فتبدل الحال على سطح المتوسط. وقد نشر هذا البحث في حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، عدد ٥(٢٠٠٤).

**الدراسة السادسة:** وهي بعنوان "معاهدتا ٩٠٧ و ٩١١م بين البيزنطيين والروس: اثنتان أم واحدة؟"، وتعنى هذه الدراسة بجانب من الجوانب الحضارية البيزنطية وهو التجارة الخارجية، حيث تقوم على تحليل معاهدتين تجاريتين عقدتهما بيزنطة مع الروس على أثر الضغط الروسي العسكري عليها آنذاك. وقد نشرت هذه الدراسة في مجلة المؤرخ المصري، عدد ٢٤(٢٠٠١).

وتجدر الإشارة أنه بالرغم من توافر معلومات وأراء تاريخية محدودة لمؤرخين محدثين جديرة بالإضافة إلى بعض من تلك الدراسات، إلا أنني آثرت ألا أضيف شيئاً لها حتى تتطابق مع نشر من قبل، اللهم إلا في حالات قليلة للغاية.

# الفصل الأول

# القسطنطينية في الكتابات الصليبية

## ١٠٩٦-١٢٠٤م

## دراسة تحليلية للروايات الصليبية عن مدينة قسطنطين

اعتاد المؤرخون المحدثون لفترة طويلة النظر إلى حقبة الحروب الصليبية من الزاوية السياسية، الأمر الذي أفرز مئات الدراسات التي تعالج شتى الجوانب السياسية للحركة الصليبية، سواء في أوروبا أو في الشرق العربي. وإلى جانب هذه الدراسات، التي شكلت الخط الرئيسي في رؤية المؤرخين للحركة الصليبية، ظهرت مجموعة من الدراسات الحديثة بالإنجليزية والفرنسية والألمانية والعربية تعالج جوانب حضارية في تاريخ هذه الحركة. وبقي للمهتمين بتاريخ العلاقات البيزنطية الأوربية أن يعيدوا فحص الروايات الصليبية والبيزنطية والعربية لإعادة صياغة هذه العلاقات.

وتأتي هذه الدراسة لترصد أهم المعالم الدينية والمدنية لمدينة قسطنطين[1] التي لفتت أنظار الكتاب الصليبيين[2] وكتبوا عنها بنوع من العجب أو الانبهار، والتي تعتبر دون شك أبرز معالم المدينة في الفترة من القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر الميلادي. وتطرح هذه الدراسة عدة أسئلة مهمة تودي بالباحث إلى الغوص في الأيديولوجية الصليبية لفهم سبب الاختلاف بين كاتب صليبي وآخر في رؤيته الحضارية للمدينة، ولماذا نجد كاتباً

---

[1] أتقدم بخالص الشكر والتقدير لـ أ.د. ليلى عبد الجواد على ملاحظاتها القيمة. وتجدر الإشارة إلى أن هناك دراسة باللغة العربية قدمتها الباحثة نجلاء مصطفى شيحة، بعنوان "مدينة القسطنطينية في القرن العاشر الميلادي"، رسالة ماجستير غير منشورة، (كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩٩)، وهي عبارة عن موسوعة تاريخية لهذه المدينة في تلك الحقبة.

[2] سوف تقتصر هذه الدراسة على الكتاب الصليبيين الذين، إما زاروا المدينة بالفعل أو كتبوا عنها؛ وبهذا سنتخطى رهط من الكتاب الصليبيين، الذين أرخوا للحملات الصليبية، لاسيما من الأولى إلى الرابعة، غير أنهم لم يتعرضوا للحديث عن المدينة.

مثل وليم الصوري[1] William of Tyre أو أودو الدويلي[2] Odo of Deuil يكتبا روايـات شبه مقتضبة عنها، على عكس بعض كُتاب الحملة الصليبية الرابعة[3] من الـصليبيين الـذين فصلوا الحديث عن بعض منشأتها المدنية والدينية بنوع من الانبهار، سواء عن عمد أو غيـر عمد. ويحاول الباحث التعرف على أسباب الكتابة التاريخية عند كل كاتب صليبي عن هـذه المنشآت أو تلك، أو عدم كتابته أيضاً؛ وإذا ما كان لوضعه الاجتماعي أو السياسي أو الـديني دور في هذا أم لا. ونود أن نؤكد على أن هذا الفصل لا يهدف إلى تقديم دراسة وصفية لمعالم

---

[1] ولد وليم الصوري في مدينة بيت المقدس عام ١١٢٨م تقريبا، كواحد من أبناء الجيل الثاني الصليبي الجديد في الشرق. تلقى تعليمه الأول في بيت المقدس، غير أنه عند بلوغه سافر إلى باريس، كعبة العلـم آنـذاك فـي الغرب، ودرس بها كما درس ببولونيا. وبعد عودته في عام ١١٦٣م إلى فلسطين أصـبح رئيـسا لشمامـسة كنيسة صور عام ١١٦٧م. وفي عام ١١٦٨م أرسله الملك عموري في بعثة دبلوماسـية إلـى الإمبراطـور البيزنطي مانويل كومنينوس؛ كما ذهب في بعثة أيضا إلى روما. وبعد عودته أصبح وصـيا علـى بلـدوين الرابع، الذي صار ملكاً على بيت المقدس فيما بعد عام ١١٧٣م. وقد أصبح وليم رئيساً لأساقفة صور في عام ١١٧٥م. وقد توفي عام ١١٨٦م. انظر: السيد الباز العريني، مؤرخو الحروب الـصليبية (القـاهرة ١٩٦٢)، ص ٩٩-١٥٢؛ August C. Krey, "William of Tyre," *Speculum* 16(1941), 149-66.

[2] كان أودو الدويلي راهباً في دير سان دينيس St. Denis، وقد أتي مـن دويـل Deuil، الواقعـة فـي وادي مونتمورينسي Montmorency. وفي عام ١١٤٧م التحق بالملك لويس السابع، ملك فرنـسا، فـي الحملـة الصليبية الثانية على الشرق. انظـر: Odo of Deuil, *De profectione Ludovici VII in Orientem*, ed. and Eng. trans. V. G. Berry (New York 1948), xiv-xv.

[3] عن الحملة الصليبية الرابعة انظر الدراسات الحديثة التالية: هانس ماير، تاريخ الحروب الـصليبية، ترجمـة وتعليق عماد الدين غانم، منشورات مجمع الفاتح للجامعات (طرابلس ١٩٩٠)، ٢٧٧-٣٠٠؛ ميـشيل بـالار، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر- القرن الرابع عشر، ترجمـة بـشير الـسباعي (القاهرة، ٢٠٠٣)، ص ٢٠٢-٢١٨؛ سعيد عاشور، الحركة الـصليبية، ج٢ (القـاهرة ١٩٦٣)، ص ٩٢٩-٩٤٠؛ اسمت غنيم، الحملة الصليبية الرابعة ومسئولية انحرافها ضد القسطنطينية (الإسكندرية ١٩٨٢)؛ عادل زيتون، العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العـصور الوسـطى (دمـشق ١٩٨٠)؛ ص ٢٩٤-٣١٣؛ ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية للملكة اللاتينيـة فـي القـسطنطينية، رسـالة ماجستير غير منشورة، (كليـة الآداب، جامعـة القـاهرة، ١٩٨٠)، ص ١-٥١؛ E. Pears, *The Fall of Constantinople being the Story of the Fourth Crusade* (New York 1975); J. Jill, *Byzantium and the Papacy 1198-1400* (New Jersey 1979), 9-47; D. E. Quller and T. F. Madden, *The Fourth Crusade: the Conquest of Constantinople* (Philadelphia, 1997); J. Harris, *Byzantium and the Crusades* (London 2003), 145-163.

المدينة-كما يظن البعض- فقد سبقنا في هذا المضمار عشرات من خيرة الأساتذة الأوروبيين وقلة قليلة من المؤرخين العرب.[1]

لقد مارست مدينة القسطنطينية، على الأقل منذ عهد شارلمان، سحراً على الغرب الأوربي، لا يقل عما كان لمدينة بيت المقدس عندهم.[2] فقد كانوا ينظرون إليها على أنها مدينة الذهب،[3] أو بالمعنى الحديث مدينة المال والجمال؛ فأتاها التجار والرحالة والحجاج من كل فج عميق.[4] ويتأكد ثراء هذه المدينة من كلمات روبرت كلاري، وهو من مؤرخي الحملة الصليبية الرابعة، عندما يقول: "...لم يحدث مطلقاً-منذ بداية العالم-أن رأت العين أو غنم قوم مثل هذه الغنيمة الضخمة الغالية العظيمة، بل لم يحدث ذلك زمن الاسكندر أو شارلمان، لا قبلهما ولا بعدهما؛ ولا أظن-أنا شخصيا-أنه توفر في أغنى مدن العالم الأربعين من الثروة الهائلة ما توفر في القسطنطينية وما عثروا عليه بها؛ إذ يقول اليونانيون [البيزنطيون] إن ثلثي كنوز العالم موجودة في القسطنطينية، أما الثلث الآخر فموزع في بقية أنحاء العالم..."[5] وفي موضع آخر يقول: "...فإن ذكر لك أحد جزءاً من مئة عما في كنائسها وقصورها من ثروة وجمال وعظمة، بدا لك كأنه يروي أكذوبة، ولن تصدق ذلك..."[6] لقد كانت المدينة تتمتع بكثير من

---

[1] هناك عدد من الدراسات المهمة عن القسطنطينية: R. Guilland, *Études de topographie de Constantinople byzantine* (Amsterdam 1969); R. Janin, *Constantinople byzantine* (Paris 1950); Idem, *Les églises et les monastères des grands centres byzantins* (Paris 1971), 298-341; G. Majeska, "The Body of St. Theophano the Empress and the Convent of St. Constantine," *BSL* 38(1977), 14-21; C. Mango, *Studies on Constantinople* (Aldershot 1993).

[2] E. M. Langille, "La Constantinople de Guillaume de Tyr", *Byz* LXIII(1993), 178.

[3] لقد حدا هذا بالمؤرخ الفرنسي ميشيل كابلان إلى أن يعنون أحد كتبه باسم:
M. Kaplan, *Tout l'or de Byzance* (Paris 1991).

[4] انظر الكتاب المهم الذي قدمه سيجَار عن الرحالة الغربيين إلى القسطنطينية، والذي يؤكد فيه هذه الحقيقة.
K.Ciggaar, *Western Travellers to Constantinople, the West and Byzantium, 962-1204: Cultural and Political Relations* (Leiden 1996), 45-77.

[5] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية على أيدي الصليبيين، ترجمة وتقديم حسن حبشي (القاهرة ١٩٦٤)، ص ١٢٣؛ Robert of Clari, *The Conquest of Constantinople,* Eng. trans. E. H. McNeal (Toronto, London 1936), repr. 1996, 101.
تتردد نفس العبارات أيضاً في رواية الراهب المجهول من شمال تَرراجون Tarragon عن القسطنطينية في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، والذي كتب معتمدا على روايات البيزنطيين الشفهية له عند زيارته للمدينة. انظر: K. Ciggaar, "Une description de Constantinople dans le *Tarragonensis* 55", *REB* 53(1995), 119, 120, 121, 122.

[6] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٣٢؛ *Robert of Clari,* 112.

المعالم والمفاتن بصورة يصعب على المرء وصفها. وكان البيزنطيون أنفسهم يدركون جيداً مدى مفاتن عاصمتهم وإشعاعها الثقافي؛[1] كما أن حجم المدينة الكبير كان شيئاً عظيماً عند هؤلاء الرحالة، فنرى ستفن النوفوجوردي يشبه الدخول إلى القسطنطينية بالدخول إلى غابة عظيمة، وأن المرء لابد له من مرشد جيد حتى يتمكن من أخذ جولة بها؛[2] بل إن روبرت كلاري وفلهاردوان يقارنان بينها وبين بعض مدن فرنسا أو الفلاندرز.[3]

وبالإضافة إلى هذا يمكن القول أنها كانت مدينة الغفران أيضا لكل حاج مسيحي يذهب إليها بحثاً عن الخلاص، فعلى الرغم من أن مدينتي روما وبيت المقدس كانتا تحتويان على الكثير من الكنائس المهمة ورفات القديسين إلا أنهما لا يعتبرا شيئاً يذكر في هذا المضمار إذا ما قورنا بما حوته مدينة القسطنطينية من الكنائس والأديرة[4] وآثار القديسين. فقد كانت كنيسة آيا صوفيا،[5] التي أعاد بناءها الإمبراطور جستنيان ( ٥٢٧-٥٦٥م) في القرن السادس الميلادي، واحدة من عجائب العالم، وكانت تحوي أكبر وأهم مجموعة من آثار القديسين والمعروفة باسم "آلام المسيح" Passion؛ ونظراً لأهمية كنيسة آيا صوفيا فقد أمّها كل زوار القسطنطينية الأجانب تقريباً، حيث أدهشتهم بروعتها وكنوزها وقدسيتها وذخائرها

---

1 Ciggaar, *Western Travellers*, 46.

2 Stephen of Novgorod, *The "Wonderer" of Stephen of Novgorod*, in *Russian Travelers to Constantinople in the Fourteenth and Fifteenth Centuries*, Eng. trans. G. Majeska (Washington D. C. 1984), 44.

3 R. Macrides, "Constantinople: the Crusaders' Gaze", in (ed.) R. Macrides, *Travel in the Byzantine World, Papers from the Thirty-fourth Symposium of Byzantine Studies, Birmingham, April 2000* (Aldershot 2002), 195-196.

4 عن كنائس القسطنطينية انظر الدراسات المهمة التالية: J. Ebersolt et A. Thiers, *Les églises de Constantinople* (Paris 1913); idem, *Sainte-Sophie de Constantinople, étude de topographie d'après les cérémonies* (Paris 1910); C. Mango and J. Parker, "A Twelfth Century Description of St. Sophia", *DOP* 14(1960), 233-245;Ciggaar,*Une description de Constantinople dans le Tarragonensis*, 117-140.

5 أنشأ الإمبراطور قسطنطين العظيم هذه الكنيسة مع إنشائه لمدينة القسطنطينية، وكان مبنى متواضعا يختلف عن الذي شيده جستنيان في القرن السادس الميلادي. وقد احترقت مرتين واحدة في القرن الخامس الميلادي والثانية في القرن السادس الميلادي، إلى أن أعاد جستنيان بنائها بالفخامة التي عليها حتى الآن. وكان يربط بينها وبين القصر الإمبراطوري رواق خشبي، يرتاده الإمبراطور وحاشيته عند الذهاب إليها للصلاة أو الاحتفالات. انظر: أومان، ش.، الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة مصطفى طه بدر (القاهرة ١٩٥٣)، ص ١٢٣؛ A. Cameron, "Procopius and the Church of St. Sophia", *The Harvard Theological Review* 58(Cambridge, Mass.1965), 161-163.

انظر أيضا اللوحات رقم ١، ٢، ٣، ٤.

المقدسة؛ وكذلك كنيسة القصر الإمبراطوري الصغيرة المعروفة باسم كنيسة عذراء فاروس. كما كانت كنيسة الرسل المقدسين[1] Holy Apostles واحدة من مفاتن القسطنطينية،[2] حيث كانت تحوي رفات سبعة من القديسين، على حد قول روبرت كلاري.[3] وهذا الأمر الأخير كان يضفي على المدينة جاذبية فريدة،[4] خاصة لأولي القلوب الرقيقة، من الذين يبحثون عن رضا الرب وطهارة النفس.

ولا غرو، فقد كان العصر الوسيط عصر الإيمان. فهاهم صليبيو الحملة الثانية، وعلى رأسهم مليكهم لويس السابع، عند احتفالهم بذكرى القديس دِنيس St. Denis في القسطنطينية أرسل إليهم الإمبراطور البيزنطي مجموعة منتقاة من رجال الاكليروس، كان أغلبهم من الخصيان ذوي الأصوات الرخيمة، الذين بهروا الفرنجة، ليس بملابسهم الفخمة الموشاة بالذهب، الرائعة الألوان فحسب، بل بغنائهم الديني العذب الذي رقت له قلوبهم؛ كما أدخلوا عليهم البهجة بأسلوبهم الرشيق وتصفيقهم الرقيق وانحناءاتهم.[5] وهكذا، كان حال البعض ممن يدلفون إلى المدينة إما لزيارة معالمها، أو للتعبد فيها بإخلاص.[6]

وجدير بالذكر أنه كان بالقسطنطينية ما يمكن أن نطلق عليه اليوم اسم "دليل المسافر"، وهو عبارة عن قائمة بكنائس العاصمة البيزنطية الأكثر أهمية وذخائرها المقدسة؛ وكان يحوي بعض القصص الخارقة المتصلة برفات القديسين والأيقونات الموجودة في تلك الكنائس. وقد ترجم هذا الدليل إلى اللاتينية وشاع في الغرب الأوربي أوائل القرن الثاني عشر الميلادي، على ما يبدو للمرة الأولى تحت اسم *anonymus Mercati* ، ربما بواسطة حاج انجليزي.[7] وقد سار على نهجه الأسقف الأيسلندي نيقولاس Nicholas من ثينجيرار Thingeyrar، ووليم من مالمسبيري William of Malmesbury، الذي أدمج قائمة برفات القديسين الموجودة في القسطنطينية في كتابه تاريخ ملوك إنجلترا، وغيرهم.[8] وقد دفعت هذه الأهمية الدينية للقسطنطينية أحد الكتاب المعاصرين للحملة الصليبية الرابعة ويدعى

---

[1] انظر اللوحة رقم ٥.

[2] Ciggaar, *Western Travellers*, 48.

[3] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص١٢٩؛ *Robert of Clari*, 107-108.

[4] Ciggaar, *Western Travellers*, 47.

[5] Odo of Deuil, *De profectione* , 69.Cf. also Ciggaar, *Western Travellers*, 50-51.

[6] Odo of Deuil, *De profectione* , 67.

[7] نشر روايته اللاتينية ك سيجّار، K. Ciggaar, "Une description de Constantinople traduite par un pèlerine anglais du XII^e siècle," *REB* 34(1976), 211-267.

[8] Ciggaar, *Western Travellers*, 48.

جونتر الباريسي Gunther of Pairis [1] إلى أن يخصص كثيراً من سطور مصنفه "تـاريخ القسطنطينية" للحديث عن الذخائر الدينية المقدسة وآثار القديسين والشهداء.[2] الأمر الذي جعل كتابه يحتل مكانة تالية، من الناحية التاريخية، بعد فلهاردوان[3] Villehardouin وروبـرت كلاري Robert of Clari،[4] ممن كتبوا عن أحداث هذه الحملة وعاصروها.



---

[1] كان جونتر الباريسي أحد الرهبان الألمان البندكتيين من دير باريس بالألزاس، ولد نحو عام ١١٥٠م من الـذين كتبوا عن الحملة الصليبية الرابعة على القسطنطينية من واقع شهود عيـان. انظـر: Gunther of Pairis, *The Capture of Constantinople, The Hystoria Constantinopolitana*, ed. and trans. A. J. Andrea (Philadelphia 1997), 130-131.

[2] انظر بصفة خاصة الفصلين التاسع عشر والخامس والعشرين من مؤلفه.

[3] كان جودفري فلهاردوان من أسرة فرنسية نبيلة، عرفت باسم "فلهاردوان" نسبة إلى قلعة بهذا الاسم فـي إقليـم تروي في شمبانيا بفرنسا. ونظرا لأن أباه كان نبيلا إقطاعيا فقد نشأ جودفري نبيلا أيضا. ومن المحتمـل أنـه ولد فيما بين ١١٥٠-١١٥٤م أو ربما ١١٦٠م. اشترك جودفري فلهاردوان في الحملة الصليبية الرابعة، كأحد اتباع الكونت ثيبوت، كونت شمبانيا؛ وقد أرخ لها كشاهد عيان، مما أعطى أهمية كبيرة لعمله التاريخي عـن "فتح القسطنطينية". وكان فلهاردوان ذا مكانة عند سيده ثيبوت، أهلتـه لتـولي بعـض المهـام الدبلوماسـية والسياسية؛ كما أهلته لتولي بعض المفاوضات مع البنادقة عند إكري، وكذلك ليكون ضمن الوفـد المفـاوض للإمبراطور البيزنطي اسحق كومنينوس. لمزيد من التفاصيل عن جودفري فلهـاردوان ومكانتـه التاريخيـة ضمن مؤرخي الحروب الصليبية انظر: فلهاردوان، فتح القسطنطينية، ترجمة وتعليق حـسن حبـشي (جـدة، ١٤٠٣هـ)، ص ١١-١٥؛ بيريل سمالي، المؤرخون في العصور الوسطى، ترجمة قاسم عبده قاسم (القاهرة، ١٩٨٤)، ص ١٤٨-١٥١.

[4] لا توجد معلومات كافية عن روبرت كلاري، برغم أنه كان أحد المشتركين في الحملة الصليبية الرابعة علـى القسطنطينية ١٢٠٤م، وشهد بنفسه سقوط المدينة في أيديهم. ولعل مرجع ندرة المعلومات عن روبرت كلاري ترجع إلى أنه كان من أبناء الطبقة الشعبية المشاركة في الحملة، ومن ثم لم يرق إلى المكانة التي قـد تؤهلـه للعناية الجديرة به. وقد أسهم كلاري في الحملة تحت لواء بطرس داميان Pierre d'Amiens. وقـد نعـت روبرت بكلاري نسبة إلى الناحية التي جاء منها وهي ناحية Clery les Pernois ، بل إنه سمى نفسه بهـذا الاسم في مذكراته عن الحملة. كانت هذه الإقطاعية الصغيرة في حوزة أبيه جيلو Gilo مـن قبـل، إذ كـان فَصَلاً إقطاعياً لبطرس داميان، ولم تكن فصيلته بالتي ترقى به إلى المكان الأعلى. لمزيد من التفاصيل انظر: روبـرت كـلاري، فـتح القـسطنطينية، ص ٢٣-٢٤؛ *Robert of Clari*, 3-7; Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze*, 198.

وقد بلغت المدينة درجة من الرقي الحضاري جعلت بعض الصليبيين ينظرون إلى معالمها على أنها من العجائب، فها هو فوشيه الشارتري Fulcher of Chartres [1] يبدي انبهاره صراحة بالمدينة وحجمها وآثارها وثراءها عندما قال:

"أواه! يا لها القسطنطينية من مدينة نبيلة وجميلة! كم بها من الأديرة والقصور التي شيدت بمهارة فائقة! وكم من الأعمال الباهرة تصافح البصر في شوارع المدينة وأحيائها! سيكون أمرا مضجراً أن نعدد الثروات كافة الموجودة هناك من كل نوع؛ من ذهب وفضة، وأنواع كثيرة من العباءات، والذخائر المقدسة. ففي كل فصل من فصول السنة يُحضر التجار الذين يفدون كثيرا عن طريق البحر إلى هذا المكان جميع ما يحتاج إليه الإنسان..." [2]

أما روبرت كلاري فيرى في كنيسة سان ماري، والهيبودروم والأعمدة التي تزين ساحة المدينة عجائب لم يرها من قبل.[3] بل أن الصليبيين استبد بهم الإعجاب بروائع المدينة وعجبوا كل العجب لمنظر كاتدرائية آيا صوفيا، وما حوته من كنوز.[4] ويشير فلهاردوان أيضاً، وهو من مؤرخي الحملة الصليبية الرابعة، إلى الانبهار الصليبي بهذه المدينة عندما يقول أن الذين لم يروا القسطنطينية من قبل "أخذوا يملئون أبصارهم منها، إذ لم يخطر ببالهم أبداً أن يكون في العالم بلد كهذا البلد في روعته وعظمته..."[5]

---

[1] كان فوشيه الشارتري واحداً من رجال الدين الذين اشتركوا في الحملة الصليبية الأولى، فقد كان القس الخاص ببلدوين الأول حاكم الرها من عام ١٠٩٨-١١٠٠م، وأول ملك صليبي لبيت المقدس من عام ١١٠٠-١١١٨م. واستقر فوشيه أو فوشيه من شارتر كما يذكر عن نفسه، بالقدس منذ نهاية عام ١١٠٠ وحتى عام ١١٢٧م على أدنى تقدير. ويميز كتاب فوشيه الشارتري، ليس أنه شاهد عيان فحسب، بل لأنه فصل علاقات مملكة بيت المقدس بجيرانها المسلمين بمصر والشام، مما أدى لاعتماد وليم الصوري عليه بصورة جزئية. بيد أن رائحة العداء في كتابه تفوح منه، حيث ينعتهم بأفظع الألفاظ التي هم منها براء. والتاريخ الذي كتبه فوشيه هو المؤلف الوحيد الذي كتبه مستوطن فرنجي محلي يغطي كل الفترة التكوينية الباكرة التي أعقبت الحملة الصليبية الأولى. لمزيد من التفاصيل عنه انظر: فوشيه الشارتري، الاستيطان الصليبي في فلسطين: تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ترجمة ودراسة وتعليق قاسم عبده قاسم (القاهرة ٢٠٠١)، ص ٢٣-٧١.

[2] Fulcher of Chartres, *A History of the Expedition to Jerusalem 1095-1127*, ed. H. S. Fink, Eng. trans. F. R. Ryan (Knoxville 1969), 79.

انظر أيضا: فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ص ٩٦-٩٧.

[3] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٣٠-١٣٣؛ *Robert of Clari*, 109-112.

[4] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٢٦؛ *Robert of Clari*, 105.

[5] Villehardouin, *The Conquest of Constantinople*, in: Joinville & Vellehardouin, *Chronicles of the Crusades*, Eng. trans. M.R.B.Shaw (Penguin books n.d.), 58-59.

وبالرغم من هذا فإن صليبيي الحملة الأولى المعسكرين أمام أسوار القسطنطينية، بأمر الإمبراطور البيزنطي، لفترات طويلة بلغت في بعض الأحيان أربعة عشر يوما، لم تُتح لهم الفرصة لمشاهدة المدينة ومعالمها عندما كانوا يخلدون للراحة، باستثناء قلة قليلة منهم،[١] وهو ما يشير إليه فوشيه الشارتري عند حديثه عن الحملة الصليبية الأولى.[٢] أما صليبيو الحملة الرابعة فقد كانوا أكثر حظاً من سابقيهم، بحيث ما أن انطلقوا في المدينة حتى أخذوا "...في مشاهدة ضخامة المدينة وقصورها وأديرتها وكنائسها الجميلة وما حفلت به من الروائع العظيمة، واستبد بهم العجب منها غاية الاستبداد، وعجبوا أشد العجب لمنظر كنيسة القديسة صوفيا وما فيها من كنوز..."[٣]

لقد تمتعت هذه المدينة بهيبة شديدة في عيون الأوربيين المعاصرين لها،[٤] مما دفع كتاب الحقبة الصليبية للإشادة بمظاهرها الجمالية بانبهار، كما سبق القول، من أمثال وليم الصوري، الذي ذهب إليها في بعثة دبلوماسية عام ١١٦٨م،[٥] وقدم بعض التفاصيل المهمة عنها،[٦] وفوشيه الشارتري، وأودو الدويلي، الذي رافق الملك لويس السابع، ملك فرنسا، إلى الشرق وزار المدينة، وأشاد بجمالها، وفُتن بجمال صوت المنشدين فيها،[٧] وقصر قسطنطين،[٨] وقصر البلاشيرن؛[٩] وفلهاردوان،[١٠] وروبرت كلاري، وجونتر الباريسي، السابق الإشارة إليهم. وبالإضافة إلى الكتاب الصليبيين هناك البعض من غير الصليبيين وعاشوا في الحقبة الصليبية، تحدثوا عن مظاهر المدنية في المدينة وطبوغرافيتها وآثارها من أمثال

---

انظر أيضا: فلهاردوان، فتح القسطنطينية، ص ٨٩.

[1] Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze*, 194.

[2] Fulcher of Chartres, *A History of the Expedition to Jerusalem*, 78.

انظر أيضا: فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ص ٩٦.

[3] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٢٦؛ *Robert of Clari*, 105.

[4] Ciggaar, *Western Travellers*, 47.

[5] انظر: وليم الصوري، ج٤، ص ١٠٠-١٠٢؛ William Archbishop of Tyre, *A History of Deeds Done Beyond the Sea*, Eng. trans. E. W. Babcock and A.C. Krey, II (New York 1943), 348-349.

[6] Ebersolt, *Constantinoiple byzantine*, 32-33.

[7] Ciggaar, *Western Travellers*, 51.

[8] يطلق عليه أيضاً اسم القصر الكبير أو القصر المقدس. انظر: Janin, *Constantinople byzantine*, 107.

[9] أنشأ الإمبراطور مارقيان وزوجته بولخيريا هذا القصر في البلاشيرن للراحة أو التقاعد به. انظر: Janin, *Constantinople byzantine*, 124.

[10] J. Ebersolt, *Constantinoiple byzantine et les voyageurs du levant* (Paris 1918), 38-40.

بنيامين التطيلي، والادريسي، وأنطونيوس، أسقف نوفجورود، الذي زار المدينة نحو عام ١٢٠٠م،[1] ووليم من مالمسبيُري، الذي كتب عمله عنها نحو عام ١١٣٥م وغيرهم.[2]

ويبدو أن هذا الانبهار العالمي بالقسطنطينية جعل هذه المدينة مدينة كوزموبوليتية، يؤمها الزائرون من كل أنحاء العالم؛ وهذا أدى بدوره إلى توافد غالبية الأجناس عليها، إلى درجة جعلت يوستاثيوس التسالونيكي يقول: "يا إلهي! يا لهذه الملابس العجيبة! ويا لذلك الكم من اللغات الغريبة! إني اشعر وكأن كافة الأجناس من شتى الأنحاء ماثلة هنا، فذلك الكوماني أعرفه جد المعرفة، وباتت رؤيته لا تدهشني، أما هذان الرجلان الصربي والمجياري، فهما من رعايانا، كما أعرف ذلك الرجل فهو من سلالة الأتراك المتسمين جميعا بالبدانة المفرطة، وكذلك هذا الأرمني الذي يكشف بدهاء عينيه وبحاجبيه الملتصقين عما يدور في أعماق نفسه من خبث ودهاء، وأعرف ذلك الهندي، ذا البشرة الداكنة، وذلك الحبشي ذا البشرة الحالكة السواد، وأعرف أيضا ذلك الفرنجي المتغطرس ذا الطلعة البهية، أما ذلك الأخير الذي يليهم فمن الجنس الإيطالي المتغطرس، الذي أتعرف عليه بمجرد رؤيته... بيد أن هناك أناسا لا أعرف هويتهم، فلهجتهم الغريبة وهيئتهم العجيبة تبعث على الدهشة، وتدفع المرء إلى إطالة النظر فيهم، أولئك أتوا من أقاصي الأرض من حيث لا يتوقع المرء".[3] وقد راح يوحنا تزيتزس يسوق سبع تحيات بسبع لغات أجنبية مختلفة، مؤكدا على أنه قد أصبح من الضروري الإلمام بها في بيزنطة.[4]

على أية حال، هاهو فوشيه الشارتري، أحد كتاب الحملة الصليبية الأولى الذين كتبوا عن القسطنطينية، لا يُفصل الحديث عن المدينة ومعالمها، بل يبد انبهاره بها فقط، مثله مثل باقي الصليبيين؛ ولعل تفسير هذا يكمن ببساطة شديدة في أنه كان ضمن زمرة أعضاء الحملة الصليبية الأولى[5] القابعين خارج أسوار القسطنطينية، بأمر الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس

---

[1] Ebersolt, *Constantinoiple byzantine*, 33-36.

[2] Ciggaar, *Une description de Constantinopl*, 244: Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze*, 193.

[3] نقلا عن: عبد العزيز رمضان، العلاقات البيزنطية اللاتينية في عهد الإمبراطور مانويل الأول كومنينوس ١١٤٣-١١٨٠م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠٠٠، ص ١٠٤.

[4] A. Každan & A. Epstein, *Change in the Byzantine Culture in the 11th Century* (London 1985), 259-260.

[5] عن الحملة الصليبية الأولى انظر الدراسات الحديثة التالية: قاسم عبده قاسم، الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية دراسة عن الحملة الأولى ١٠٩٥-١٠٩٩م (القاهرة ١٩٨٣)؛ سعيد عاشور، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى (القاهرة ١٩٧٦)، ص ٧-٢٢٧؛ علية الجنزوري، الحروب

كومنينوس، خوفا من عبثهم بالمدينة ونهبها. ويقول فوشيه الشارتري صراحة: "...لم يكن بمقدورنا دخول المدينة، لأن الإمبراطور لم يسمح بهذا، إذ كان يخشى أن ننتهز الفرصة ونتآمر للإضرار به...ولم يكن مسموحا إلا لخمسة أو ستة أفراد بالدخول إلى المدينة مرة كل ساعة. وهكذا، بينما كان البعض منا يخرج منها، كان الآخرون يدخلون إليها للصلاة في الكنائس".[1] وبهذا لم تتأت الفرصة لفوشيه الشارتري للتجول في المدينة بحرية والتحقق من معالمها، إلا لمدة ساعة فقط، وهو الأمر الذي لا يتيح له زيارة معالم المدينة الرئيسية على الأقل، خاصة إذا كان راجلاً، والتي لو كان قد زارها لكتب عنها، أو على الأقل كتب عن كنيسة آيا صوفيا وكنيسة الرسل المقدسين والقصور الإمبراطورية، وهي أبرز المعالم التي لفتت انتباه بعض الكتاب الصليبيين الآخرين.

وتجدر الإشارة إلى أن المؤلف المجهول[2] لكتاب "أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس" يشير إلى حجم التخريب الذي ألحقه الصليبيون بقصور وكنائس القسطنطينية عشية الحملة الصليبية الأولى. فقد خربوا الكنائس، وخلعوا الرصاص عن أسقفها وباعوه للبيزنطيين، وأضرموا النار في قصور المدينة وبيوتها؛ الأمر الذي استشاط له الإمبراطور ألكسيوس كومنينوس غضبا.[3]

---

الصليبية:المقدمات السياسية (القاهرة، ١٩٩٩)، ص ٢٤٥-٢٩٦؛ هـ. ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ص ٢٣-٩٥؛ س. رنسمان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، ج١ (بيروت ١٩٨١)، ص ١٣٥-٤٨٣؛ ميشيل بالار، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني، ص ٤٥-٩٦؛ Harris, *Byzantium and the Crusades*, 53-93.

[1] Fulcher of Chartres, *A History of the Expedition to Jerusalem*, 78.
انظر أيضا: فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ص ٩٦.

[2] كان المؤلف المجهول أحد شهود العيان للحملة الصليبية الأولى. ويبدو أنه كان ينتمي إلى أسرة نورمانية استقرت في جزيرة صقلية بعد غزو النورمان لها، وانضم إلى الفرقة الصقلية تحت قيادة بوهيموند النورماندي، الذي كان ابنا غير شرعي صقلي-نورماني آخر، أي أن بوهيموند كان سيده. ويعتبر كتابه المسمى "أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس" رواية شاهد عيان على أحداث الحملة الصليبية الأولى. ويبدو أن الكاتب بدأ في كتابة مذكراته أثناء تواجده مع الصليبيين في أنطاكية. ومن المحتمل أن يكون قد مات عام ١٠٩٩م، عقب انتصار الصليبيين عند عسقلان. انظر: سمالي، المؤرخون في العصور الوسطى، ص ١٣٧-١٤٢.

[3] *Gesta Francorum et aliorum Hierosolimitanorum*, ed. & Eng. trans. R. Hill (London 1962), 3.
انظر أيضا: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة وتعليق حسن حبشي (القاهرة ١٩٥٨)، ص١٩ .

على أية حال، هذا عن صورة القسطنطينية في عيون كتاب الحملة الصليبية الأولى، أما أودو الدويلي، الذي كان برفقة سيده لويس السابع ملك فرنسا، في الحملة الصليبية الثانية،[1] فقد أتيحت له فرصة لزيارة المدينة كأحد أعضاء حاشية الملك الفرنسي عند وصولهم إليها، وإقامتهم بها في أحد القصور الإمبراطورية شمال غرب المدينة.[2] وكتب عن بعض معالمها من وجهة نظره الخاصة. ولا شك أن الموقف السياسي الذي تعرض له الفرنجة في هذه الحملة اختلف عن الذي تعرض له الألمان، الذين ذاق سيدهم كونراد المذلة والهوان في آسيا الصغرى، كان عاملاً مؤثراً على كتابات أودو الدويلي عن العاصمة البيزنطية. فنجده يقول: "إن المرء لا يستطيع فهم اليونانيين [البيزنطيين] دون أن يكون لديه خبرة بهم أو دون حصوله على إلهام نبوي".[3] وفي موضع آخر يضيف آخر مثلاً من الانيادة[4] يقول: "أخشى من اليونانيين، حتى عندما يحملون الهدايا"؛[5] ثم يقول عن القسطنطينية: "إن المدينة تسلب ضيوفها أيضاً، كما لو كانوا أعداءً لها".[6] ولنستعرض أولا روايته عن القسطنطينية، نتبعها بعد ذلك بمناقشة أسباب خروج روايته بالشكل الذي سنعرضه.

يبدو أن أودو الدويلي لم يختلف عن بقية الصليبيين عند رؤيتهم لمدينة القسطنطينية للمرة الأولى، عندما لفت نظره جمالها وثرائها، حيث تحدث عن طبوغرافية المدينة فقال: "القسطنطينية، مجد اليونانيين، ذائعة الصيت التي لم تزل غنية بالأملاك، تبدو مثلثة الشكل

---

[1] عن تفاصيل الحملة الصليبية الثانية انظر أيضاً: وليم الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، ج٣ (القاهرة ١٩٩٤)، ص ٢٢٩-٣٧٥؛ ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ص ١٤٣-١٦٠؛ رنسمان، س. ، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، ج٢ (بيروت ١٩٦٨)، ص ٣٩٧-٦٤٨؛ ميشيل بالار، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني، ص ١٨٣-١٩١؛ السيد الباز العريني، الشرق الأوسط والحروب الصليبية، ج١ (القاهرة ١٩٦٣)، ص ٥٤٤-٥٧٤؛ سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص ٦٢١-٦٤٤.

[2] Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze,* 194.

[3] Odo of Deuil, *De profectione*, 69.

[4] عن تأثير فرجيليوس على الثقافة الأوربية ورؤيتها للبيزنطيين [اليونانيين] انظر: M. Carrier, *L'image du Grec selon les chroniqueurs des croisades: perceptions et reactions face au cérémonial byzantin 1096 à 1204,* Unpublished MA. thesis, University of Sherbrooke (June 2000), 40-44. See also: www.callisto.si.usherb.ca/~croisade/Byzance.htm

[5] Odo of Deuil, *De profectione* ,27.

[6] Odo of Deuil, *De profectione* , 75.

كشراع سفينة. وفي داخل هذا المثلث تقع سانتا صوفيا وقصر قسطنطين، الذي يحتوي على كنيسة مبجلة بفضل ما تحويه من آثار مقدسة جدا".[1]

- وهكذا، يبدو أن أول ما لفت نظره في المدينة كان كنيسة آيا صوفيا والقصور الملكية. غير أنه يُفصل الحديث بعد ذلك عن قصر البلاشيرن، الذي يقول عنه أنه على الرغم من أن أساساته تمتد على أراض منخفضة، إلا أنه يكتسب سمواً من خلال عمارته الممتازة وبهائه، وبسبب ما يقع حوله من ثلاثة جوانب فإنه يبعث في سكانه البهجة الشديدة بوقوعه على البحر والحقول والمدينة. وما يقع خارجه جماله فائق، أما ما يقع داخله فيفوق جماله الوصف. فهو مزين في كافة أرجائه بالذهب بشكل متقن، وتشكيلة عظيمة من الألوان؛ وأرضيته مصنوعة من الرخام، ومعبدة بمهارة فائقة. ويضيف أودو الدويلي قائلا: "...ولا أعرف إذا ما كان الفن الرائع أم المواد الثمينة جداً هما اللذان يهبانه هذا الجمال الشديد والقيمة العالية"؛[2] ثم يضيف معلومة مهمة عن هذا القصر عندما يذكر أن هذا القصر هو المبنى الوحيد الذي كان يعلو فوق الأسوار.[3] وقبل أن نمضي مع رواية أودو الدويلي يلوح سؤال في الأفق: لماذا فصل أودو الحديث عن قصر البلاشيرن دون غيرة من القصور الإمبراطورية في المدينة؟

ومن الملاحظ على معظم الكتاب الصليبيين الذين زاروا أو كتبوا عن القسطنطينية أنهم يصفون بعض معالمها وصفاً عاماً، وفي مواضع أخري يصفونها وصفا دقيقا، مما يوحي بزيارتهم لها شخصياً والوقوف عند التفاصيل الدقيقة لهذا المَعْلم أو ذاك. ومن أصحاب الفئة الأخيرة أودو الدويلي، الذي كان لرفقته لسيده لويس السابع الفضل في هذا، حيث كتب عن الأماكن التي زارها لويس السابع وأودو بطبيعة الحال؛ ووصفه لقصر البلاشيرن يوحي بأن الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنينوس خصص ذلك القصر لإقامة لويس السابع وحاشيته، فما كان لأودو الدويلي أن يدخل القصر البيزنطي إلا برفقة سيده لويس السابع. ولعل قصر البلاشيرن هو المَعْلم الوحيد الذي تحدث عنه بالشكل الذي عرضناه، دون بقية معالم المدينة، التي أوجز الحديث عنها. خلاصة القول أن تحركات أودو كانت طبقا لتحركات سيده لويس السابع، ووصفه يتسم بالإسهاب أو الاقتضاب طبقاً لمواقع زيارات سيده.

---

[1] Odo of Deuil, *De profectione*, 63.
[2] Odo of Deuil, *De profectione* , 65.
[3] Odo of Deuil, *De profectione*, 49.

ومما يحسب لأودو الدويلي أنه أشار بين ثنايا كتابه عن "رحلة لويس السابع إلى الشرق" إلى سوق الصيارفة الذي كان يقع قبالة القصر الإمبراطوري في القسطنطينية، وكان معدل سعر تغيير العملة آنذاك مناسباً تماماً لهم، حيث كان أقل من دينارين مقابل واحد ستامينا[1] stamina وماركاً واحداً لكل ثلاثين ستامينا (=ثلاثة صولدات). ويفهم من روايته أيضاً أن هذا المعدل لم يكن ثابتاً في شتى أنحاء بيزنطة، فقد اختلف معدل تغيير العملة خارج القسطنطينية عن داخلها. فقد دفعوا خمسة أو ستة دنانير مقابل ستامينا واحدة، وماركاً واحداً لكل اثنا عشر صولدي، بعد رحيلهم عن القسطنطينية بمسيرة ثلاثة أيام.[2]

وهكذا، قدم أودو معلومات مهمة عن الحالة الاقتصادية في بيزنطة، عن دون قصد منه بطبيعة الحال، وهي تدل على مدى الاضطراب في العملة البيزنطية آنذاك.وينتقل أودو الدويلي بعد ذلك للحديث عن أسوار المدينة[3] والحقول التي تحيط بها، والتي كانت تزخر بالحدائق، التي تزود المواطنين جميعاً بكل أنواع الفواكه،[4] حيث يقول: "تقف أمام المدينة حلقة ممتدة ومؤثرة من الأسوار التي تشتمل على أنواع مختلفة من الحيل وتحتوي على قنوات مائية وبرك. وتوجد بداخلها أيضاً تجاويف معينة وكهوف ومزودة بملاجئ للحيوانات في

---

[1] الاستامينا مصطلح شعبي استخدمه البيزنطيون للإشارة إلى العملة، لاسيما العملة النحاسية التي كانت متداولة آنذاك، والتي من المحتمل أن مانويل كومنينوس قام بسكها، على أثر الصعوبات المالية التي مرت بعهده. انظر: Odo of Deuil, *De profectione* , 40, n. 1, 41.

[2] Odo of Deuil, *De profectione* , 41, 67.

[3] كانت القسطنطينية محاطة بعدد من الأسوار البرية والبحرية لحمايتها، تعود إلى عدد من الأباطرة. وكانت الأسوار البرية ثلاثية ومزودة بعدد من الأبراج الشاهقة وخندق مائي؛ ويقع على بعد ٤٠ ميلا غرب القسطنطينية سور انستاسيوس الطويل. عن أسوار القسطنطينية انظر: A. Van Millingen, *Byzantine Constantinople, the Walls of the City and Adjoining Historical Sites* (London 1899); G. Baker, *The Walls of Constantinople* (New York n.d.). M. Whitby, "The Long Walls of Constantinople," *Byz* 55(1985), 560-583; Janin, *Constantinople byzantin,* 245-282.

انظر أيضا: ابن خردذابه، المسالك والممالك (بغداد د.ت.)، ص ١٠٤-١٠٥؛ الزهري، كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق (القاهرة د.ت.)، ص ٧٣-٧٤؛ قدامة بن جعفر، نبذ من كتاب الخراج، ملحق على كتاب المسالك والممالك (بغداد د.ت.)، ص ٢٥٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣ (بيروت ١٩٨٤)، ص ٩٨؛ طارق منصور، الجيش في الإمبراطورية البيزنطية، رسالة ماجستير غير منشورة، (كلية الآداب، جامعة بنها، ١٩٩٣)، ص ٢١٥-٢١٧.

[4] عن حدائق القسطنطينية انظر الدراسات التالية: A. Littlewood, "Gardens of the Palaces", in *Byzantine Court Culture from 829 to 1204,* ed. H. Maguire (Washington, D.C. 1997), 13-38; H. Maguire, "Gardens and Parks of Constantinople", *DOP* 54(2000), 251-264.

موقع من الغابات"؛[1] ثم يعاود الحديث بقوله "...والضلع الثالث من المدينة المثلثة، محصن بالأبراج والأسوار المزدوجة التي تمتد لما يقرب من ميلين من البحر إلى القصر. وهذا الجزء من الأسوار ليس قويا للغاية، وليس به أبراج شاهقة.[2] ويشير إلى أن مصدر قوة المدينة يكمن في أنها تضع ثقتها في حجم سكانها وفي فترة السلام الطويلة التي تنعم بها.[3] ولعله بهذا يقصد الجزء الشمالي من الأسوار، الذي يربط مابين الأسوار البحرية شرق المدينة، والأسوار البرية غربها.

وإذا كان أودو الدويلي قد تناول قصر البلاشيرن والأسوار من واقع رؤيته الخاصة، فإنه ينفرد برواية مهمة تشير إلى مساكن فقراء القسطنطينية، وإلى أي مدى تنتشر بها الجرائم واللصوص والمجرمين، الذين يعيشون هناك دون قانون يردعهم. وفي هذا الصدد يقول:"أن المدينة نفسها قذرة ونتنة، وفي العديد من الأماكن التي يضربها الظلام الدائم، نظرا لأن بنايات الأغنياء تلقي بظلالها علي الشوارع،[4] تاركة هذه الأماكن القذرة المظلمة للفقراء والرحالة، تقع هناك جرائم قتل وسرقات وجرائم أخرى، ممن تحب حياة الظلام. وعلاوة على ذلك، نظرا لأن الناس يعيشون بشكل فوضوي في المدينة، التي لها أسيادها من الأثرياء، بقدر ما فيها من الفقراء واللصوص، فإن المجرم لا يعرف الخوف ولا الحياء، لأن الجريمة هناك ليس لها قانون يُعاقب بها فاعلها ولا ترى النور أبداً."[5] وهو بهذا يقدم دليلاً على التناقض ما بين رؤية الأجانب للقسطنطينية وهم خارجها، وبين حقيقة الوضع الداخلي لها، والمعلوم لسكانها.[6]

---

1 Odo of Deuil, *De profectione*, 49.

2 يشير أودو إلى أن أسقف لانجر Langres أشار على لويس السابع بالاستيلاء على المدينة، مستغلين ضعف أسوارها، التي انهار جزء كبير منها أمام أعينهم. مشيرا إلى أنه لو تم الاستيلاء على هذه المدينة فلا حاجة لفتح غيرها. فالقسطنطينية مسيحية اسما فقط، وليس فعليا. وقد قدم مبررات غير ذلك منها سلوك البيزنطيين نحو الحملة الصليبية الأولى ومسألة المدن. وهذا يشير إلى أن فكرة استيلاء الصليبيين على القسطنطينية كانت مبكرة عن الحملة الصليبية الرابعة، وأن فكرة خيانة بيزنطة للقضية الصليبية كانت ماثلة في أذهانهم. انظر: Odo of Deuil, *De profectione* , 69 ff.

3 انظر الخريطة الملحقة بالبحث Odo of Deuil, *De profectione* , 65.

4 عن شوارع القسطنطينية انظر: A. Berger, "Streets and Public Spaces in Constantinople", *DOP* 54(2000), 161-172.

5 Odo of Deuil, *De profectione*, 65.

6 Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze*, 196.

أما كنائس المدينة فيبدو أنه لم تُتح فرصة لأودو الدويلي ليتجول بها كيفما شاء، فقد أشار إلى كنيسة آيا صوفيا فقط، أما بقية الكنائس فقد قال عنها أنها ليست مساوية لآيا صوفيا في الحجم، غير أنها تساويها في الجمال، الذي يُدهش المرء لجمالها وآثارها المقدسة.[1] غير أنه يوما ما زار برفقة سيده والإمبراطور البيزنطي بعض الأضرحة، التي يبدو أنها لم تثره للكتابة عنها.[2]

بيد أن أهمية رواية أودو الدويلي عن القسطنطينية لا تقف عند حد وصفه لبعض معالم المدينة، بل تمتد لتشمل رؤية خاصة للمراسم الإمبراطورية فيها، وهو بهذا يعطي مزيداً من الضوء حول هذا الأمر،[3] الذي سيقدم وليم الصوري تفاصيلاً مهمة عنه. فيذكر أودو أن من عادات البيزنطيين أن تظل حاشية الملك كلها واقفة بينما سادتهم قعود. ويستطيع المرء أن يرى الشباب واقفين ثابتين، برؤوس محنية ونظراتهم متجهة بتركيز وهدوء صوب سادتهم، وجاهزون لإطاعة أوامرهم. وهم ليست لديهم عباءات، غير أن لهم ثياب حريرية ثمينة، قصيرة، ذات أكمام ضيقة، ومخيطة بإحكام من كل الجوانب؛[4] لذلك فهم يتحركون دائما دون إعاقة، كما يفعل الرياضيون. والجماعة الفقيرة منهم يجهزون أنفسهم بثياب كتلك القصيرة، لكن من نوع أرخص.[5] ويستمر أودو الدويلي في تسجيل مشاهداته على المراسم الإمبراطورية البيزنطية عند استقبال الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنينوس للملك لويس السابع عام ١١٤٧م في القصر الإمبراطوري. فيقول أودو الدويلي: "...عندما اقتربنا من القسطنطينية خرج كل النبلاء [البيزنطيين] والرجال الأثرياء، ورجال الدين وسكانها لمقابلة الملك [لويس السابع] واستقبلوه بشرف يليق به، وطلبوا منه بتواضع أن يمثل أمام الإمبراطور وأن يلبي رغبة الإمبراطور أن يراه ويتحدث معه..." وقد استجاب لويس السابع لطلب الإمبراطور،

---

1 Odo of Deuil, *De profectione* , 65, 67.

2 Odo of Deuil, *De profectione*, 67; I. Cinnamus, *Epitome Historiarum*, ed. I. Bekker, *CSHB*, II (Bonn 1836), 17. Cf. also Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze*, 194.

3 انظر: Odo of Deuil, *De profectione*, 27, 59, 61; Carrier, *L'image du Grec*, 133-136, 192, 193.

4 تتطابق هذه الملابس مع رداء الاسكارامنجيون البيزنطي. انظر: N. Kondakov, "Les costumes orientaux à la cour byzantine", *Byz* I(1924), 13; Carrier, *L'image du Grec*, 134.

5 Odo of Deuil, *De profectione*, 27.

حيث دخل إليه في عدد قليل من رجاله، واستقبلوا استقبالاً إمبراطورياً في رواق القصر.[١] ويشير أودو إلى أن الإمبراطور البيزنطي استقبل ملك فرنسا بالأحضان والقبلات، ودلفا إلى الداخل، حيث كان هناك كرسيان موضوعان لهما، ومن ثم جلسا سوياً.[٢]وكان يحيط بهما رجالهما، حيث بدأت محادثاتهما وقام المترجم بممارسة عمله. وبعد انتهاء المحادثات بين الطرفين افترقا كما لو كانا أخوين، واصطحب النبلاء الملك لويس السابع إلى الخارج، إلى القصر الذي أعد لإقامته.[٣] وهكذا، على الرغم من أن أودو الدويلي أراد في روايته أن يعلي من شأن سيده، الذي قبل دعوة الإمبراطور للقائه شفقة به،[٤]ولم يشر إلى أن سيده جلس على كرسي أقل من الكرسي الإمبراطوري، قدم تفاصيل مهمة عن مراسم استقبال الملوك الأجانب في القسطنطينية، والبرامج الترفيهية التي كانت تعد لهم؛ وتعكس لنا كلماته أن الإمبراطور البيزنطي كان يستقبل الملوك الأجانب وهو قابع في قصره، وليس خارجه؛ وهو الأمر الذي سنراه أيضاً مع عموري الأول، ملك بيت المقدس.

على أية حال، ننتقل الآن إلى مشاهدات وليم الصوري عن القسطنطينية، التي أشار فيها عدة مرات إلى القصور الإمبراطورية، لاسيما قصر البلاشيرن، أو القصور الخاصة المنتشرة على ساحل البسفور،[٥]والتي تمتد بطوله إلى مسافة ستة أو سبعة أميال.[٦] وينبغي التنويه هنا إلى أهمية رواية وليم الصوري، لأنها رواية شاهد عيان، حيث سبق وأن زارها

---

[1] يقول أودو أن العاهلين كانا متقاربين في السن تقريباً، ولا يفرقهما إلا اختلاف الزي والعادات. انظر: Odo of Deuil, *De profectione*, 59.

[2] كان من التقاليد البيزنطية أن يكون كرسي الضيف أقصر قامة من كرسي الإمبراطور، وهذا ما أكدته رواية وليم الصوري، عندما استقبل الإمبراطور مانويل كومنينوس الملك عموري، ملك بيت المقدس بالقصر الإمبراطوري. انظر: وليم الصوري، الحروب الصليبية، تحقيق حسن حبشي، ج٤ (القاهرة ١٩٩٥)، ص١٤١-١٤٢. ويقول يوحنا كيناموس أن لويس السابع حضر إلى الإمبراطور، الذي كان جالساً على عرشه الذهبي السامق، وسمح للويس السابع بالجلوس إلى جواره على كرسي اقل من كرسي العرش الإمبراطوري. انظر: *Cinnamus*, II, 17.

[3] Odo of Deuil, *De profectione*, 59, 61.

[4] Odo of Deuil, *De profectione*, 59.

[5] William of Tyre, *Deeds*, I, 125.
انظر أيضا: وليم الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة وتعليق حسن حبشي، ج١ (القاهرة ١٩٩١)،ص ١٥٧.

[6] وليم الصوري، ج١، ص ١٦١. كانت هناك عدة قصور إمبراطورية في المدينة غير القصر الإمبراطوري وقصر البلاشيرن. عنها انظر:
Janin, *Constantinople byzantine*, 123-144.

في عام ١١٦٨م ضمن سفارة دبلوماسية صليبية أوفدها عموري الأول، ملك بيت المقدس، إلى الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنينوس؛[1] كما كان ضمن أعضاء الوفد المصاحب للملك عموري الأول، ملك بيت المقدس، عند زيارته للمدينة في العاشر من مارس عام ١١٧١م، وهي الزيارة التي استمرت أكثر من أربعة شهور.[2]

يشير وليم الصوري إلى طبوغرافية المدينة حيث يذكر أنها تقع جنوب بحر بُنطس (البحر الأسود) بنحو ثلاثين ميلا. كما يشير إلى مضيق الهلليسبونيت أو البروبونتس كما كان يسمي أيضاً.[3] ويذكر أن هذه المدينة عبارة عن مثلث غير متساوي الأضلاع، التي يمتد أولها من تلك الزاوية الواقعة بين البحر وبين الهلليسبونيت، حيث توجد كنيسة سان جورج، المعروفة باسم مانجانا، ويمتد هذا الضلع بامتداد الميناء إلى القصر الجديد المسمى البلاشيرن. أما الضلع الثاني فيمتد على طول البسفور عند دير سان جورج وحتى البوابة الذهبية. أما الضلع الأخير فيمتد بطول الإقليم من البوابة الذهبية وحتى قصر البلاشيرن، الموجود عنده نهر تغزر مياهه شتاء وتقل صيفا ويصب في الميناء، ويقع عليه جسر.[4] وبهذا يتفق وليم الصوري مع أودو الدويلي في ملاحظتيهما أن القسطنطينية مثلثة الشكل، غير متساوية الأضلاع. ويصف وليم الصوري قصر البلاشيرن بأنه محصن بالأسوار والأبراج ووسائل الدفاع اللازمة له،[5] وأنه مقسم من الداخل إلى عدة أجنحة وغرف؛ ويستشف من كلامه أنه

---

[1] وليم الصوري، الحروب الصليبية، ص ١٠٠؛ Carrier, *L'image du Grec*, 115.

[2] محمود سعيد عمران، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل الأول ١١٤٣-١١٨٠م (القاهرة ١٩٨٥)، ص ٣٢٢. كانت زيارة عموري إلى القسطنطينية تستهدف التباحث مع الإمبراطور مانويل كومنينوس حول المساعدات التي يحتاجها الصليبيون في فلسطين ضد جيرانهم المسلمين، لاسيما مصر على وجه الخصوص. انظر، نفس المرجع، ص ٣٢١-٣٢٢.

[3] يتتبع وليم الصوري هنا أصل تسمية البروبونتس أو الهيللسبونيت. انظر: وليم الصوري، ج١، ص ١٥٨-١٥٩؛ انظر أيضا: William of Tyre, *Deeds*, I, 125-127.

[4] وليم الصوري، ج١، ص١٥٩-١٦٠؛ William of Tyre, *Deeds*, I, 127. Cf. also Langille, *La Constantinople de Guillaume de Tyr*, 181.
عن موقع القسطنطينية الجغرافي انظر: Janin, *Constantinople byzantine*, 7-14.

[5] وليم الصوري، ج١، ص١٦٠؛ William of Tyre, *Deeds*, I, 127.

كانت تقع بالقرب منه عدة دور مخصصة لإقامة أعضاء الوفود الرسمية.[١] ويشير وليم الصوري إلى أنه عند هذا القصر كانت تقع كنيسة الشهيدين قوزماس وداميانوس.[٢]

ويتحدث وليم الصوري أيضاً عن القصر الإمبراطوري، الذي كان يقع على شاطئ البحر مواجهاً الشرق، وكان له رصيفا عجيبا من الرخام الرائع يصله بالبحر. وكانت السلالم المؤدية إلى الماء وتماثيل الأسود والأعمدة منحوتة كلها من الرخام، وتضفي على القصر روعة ملكية. ويشير إلى أن هذا المدخل كان مخصصاً للإمبراطور فقط، عندما يريد الصعود إلى القسم العلوي من القصر.[٣] وفي الطابق الثاني من القصر الإمبراطوري كانت توجد عدة حجرات وأجنحة، منها ما هو مخصص للاجتماعات الإمبراطورية، حيث اجتمع فيه الإمبراطور مانويل كومنينوس مع الملك عموري الأول، عند زيارة الأخير للقسطنطينية، وكانت تسدل ستائر غاية في الفخامة والدقة وروعة النقوش والزخارف لحجبهما عن باقي أعضاء الوفد الواقفين بالخارج. وفي قاعة الاجتماعات هذه كان الإمبراطور يجلس على عرشه الذهبي الفخم مرتديا ملابسة الإمبراطورية؛ كما كانت بعض هذه الأجنحة مخصصة لإقامة الملوك الوافدين على الإمبراطور.[٤]

ويقدم وليم الصوري تفاصيلاً مهمة عن مراسم زيارة الملك عموري الأول للقسطنطينية واستقبال الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنينوس له في القصر الإمبراطوري.[٥] فقد تم استقبال عموري الأول عند وصوله إلى المرفأ الإمبراطوري، حيث صعد، دون غيره، من المدخل المخصص للإمبراطور، وهذه ملاحظة مهمة تحسب لوليم الصوري؛[٦] ثم مضى رجال القصر البيزنطي به هو وحاشيته وساروا بهم في أبهاء متنوعة وحجرات مختلفة الأنواع حتى انتهوا إلى الطابق العلوي من القصر، حيث كان الإمبراطور مع كبار نبلائه،

---

[1] وليم الصوري، ج٤، ص ١٤٤-١٤٥؛ William of Tyre, *Deeds*, II, 382.

[2] وليم الصوري، ج١، ص ١٦٢.

[3] وليم الصوري، ج٤، ص ١٤١؛ William of Tyre, *Deeds*, II, 379.

[4] وليم الصوري، ج٤، ص ١٤٢؛ William of Tyre, *Deeds*, II, 379-380. Cf. also Langille, *La Constantinople de Guillaume de Tyr*, 183-185.

[5] انظر مناقشة هذا الموضوع في: Langille, *La Constantinople de Guillaume de Tyr*, 186-192; Carrier, *L'image du Grec*, 115-120, 190-191; S. Runciman, "The Visit of Amalric I to Constantinople in 1171", in (eds.) B. Z. Kedar, R. C. Smail, and H. E. Mayer, *Outremer: Studies in the History of the Crusading Kingdom of Jerusalem* (Jerusalem 1982), 153-158.

[6] Janin, *Constantinople byzantine*, 121.

وقد أسدلت الستائر على قاعة الاجتماعات الإمبراطورية. أما كبار الشخصيات فوقفوا خارج هذه القاعة في استقبال الملك عموري الأول، ثم ساروا به إلى ما وراء السجوف. ويلفت وليم الصوري النظر هنا إلى أن البيزنطيين فعلوا هذا من أجل أن تظل هيبة الإمبراطور محفوظة، وأن يظل جلاله قائماً في أعين الوافدين عليه. وعند وصول عموري الأول قام الإمبراطـور مانويل كومنينوس بتحيته تحية تليق به. وما كاد الملك عموري الأول يـدخل القاعـة حتـى رفعت الستائر، وبدا الإمبراطور وهو جالس على عرشه المذهب الفخم.[1]

وقد أدى الإمبراطور التحية لعموري في رقة بالغة تلفها مظاهر التحية المألوفة في البلاط البيزنطي، وعبر بالإشارة تعبيراً واضحاً عن سعادته بلقاء عمـوري الأول ورجالـه. وكان قد أمر خدم القصر وموظفيه بإعداد أجنحة خاصة، غاية في الروعة، للملك ورفاقه. ثم أذن للجميع بالانصراف للراحة، بعد أن حدد لهم ساعة اللقاء التالي.[2]وكان الوفد الصليبي يعقد اجتماعات يومية مع البيزنطيين تارة ومع الإمبراطور مانويل كومنينوس تارة أخـرى، فـي ساعات محددة للمحادثات. وفي هذه الأثناء أغدق الإمبراطور البيزنطي الهدايا التي تتناسـب وعظمته على ضيوفه، بالإضافة إلى سؤاله الدائم عنهم وعن مـدى راحـتهم فـي إقـامتهم بالقصر. ووصل الأمر أن الإمبراطور أمر بفتح الأماكن الخاصة في القصر لهم، بمـا فيهـا حجراته، إذا طلبوا ذلك.

ولم يفت وليم الصوري الإشارة إلى الذخائر المقدسة بالقصر، والتي كانت محفوظة به منذ زمن بعيد في غرف خاصة، أمثال ذخائر القديسين، آثار السيد المـسيح، كالـصليب والمسامير والحربة، والإسفنجة، وقصبة الغاب، والتاج الشوكي، والثوب الكتاني، والخفـين؛ وكذلك آثار الأباطرة الأوائل أمثال الإمبراطور قسطنطين وثيودوسـيوس وجـستنيان الأول، المحفوظة في الخزائن بغرف القصر الإمبراطوري المقدسة.[3]

وكان الإمبراطور يدعو الملك وحاشيته بين حين وآخر ليروحوا عن أنفسهم بشتى أنواع التسلية اللائقة بهم، حيث زاروا الهيبودروم، وشاهدوا عروضاً موسيقية وفنية، وزاروا أعمدة المدينة وأقواس النصر.[1]

وبعد هذه المدة من الإقامة في القصر الإمبراطوري أمر الإمبراطور بنقل إقامتهم إلى قصر البلاشيرن، ربما كنوع من التغيير أو إظهار جمال القصور البيزنطية أمام الزوار الصليبيين. وصدرت الأوامر بتوفير أماكن تتوفر بها الراحة وتليق بنزلاء الإمبراطور، على أن يراعى في هذه الأماكن ألا تبعد كثيراً عن القصر. وقد كان الملك عموري الأول يتحرك في المدينة مصحوباً بحراسة إمبراطورية خاصة به، حيث زار آثار المدينة من كنائس وأديرة، والتي لا تحصى على حد قول وليم الصوري، وشاهد أقواس النصر والأعمدة التذكارية؛ وكان يقوم بالشرح له مرشدون بيزنطيون من كبار النبلاء؛[2]ثم انتقل الملك عموري الأول بعد ذلك لزيارة مدخل البسفور من جهة البحر الأسود، لرغبته الخاصة في التعرف على المكان؛[3]وعاد بعد ذلك لإتمام المفاوضات مع الإمبراطور مانويل كومنينوس. وبعد انتهاء الزيارة وإتمام المفوضات بين الطرفين استأذن الملك عموري الأول الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنينوس بالرحيل للعودة إلى بيت المقدس. وهنا أغدق عليهم الإمبراطور من كرمه ثانية بسخاء لدرجة أن قال عنها وليم الصوري: "وأغدق الإمبراطور عليه وعلى من معه من كرمه ما يفوق كل ما كان أغدقه عليهم من قبل وما يعجز اللسان عن إيفائه حقه من الثناء، فقد وصله الإمبراطور بأثقال من الذهب وأحمال من الملابس الحريرية وكثير من السلع الأجنبية الصنع؛ كما نال من معه-حتى أصغرهم مكانة-هدايا لا حصر لها".[4]وعندما وجد النبلاء البيزنطيون ما فعله الإمبراطور مع أعضاء الوفد الصليبي ومليكهم، بدأوا في تقديم الهدايا الثمينة، الدقيقة الصنع إليهم أيضاً.[5]

على هذا النحو، انتهت مراسم استقبال الملك عموري الأول بالقسطنطينية، والتي يظهر من وصف وليم الصوري لها، أن الملك عموري الأول أُستقبل في القسطنطينية بحفاوة

---

[1] وليم الصوري، ج٤، ص١٤٤؛ William of Tyre, *Deeds*, II, 381-382. Cf. also Langille, *La Constantinople de Guillaume de Tyr*, 196-197.

[2] Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze*, 208.

[3] Langille, *La Constantinople de Guillaume de Tyr*, 192-193.

[4] وليم الصوري، ج٤، ص١٤٤-١٤٦.

[5] وليم الصوري، ج٤، ص١٤٦.

بالغة، أكثر من تلك التي قوبل بها لويس السابع ملك فرنسا هناك، ووصل الحد أن أغدق عليه الإمبراطور من الهدايا الثمينة ما لم يكن متوقعاً؛ وقد أعد له وحاشيته برنامجاً ترفيهياً شاملاً. وإذا كانت رواية وليم الصوري عن مراسم الاستقبال في البلاط البيزنطي تتفق في خطوطها العامة مع رواية أودو الدويلي إلا أنه من الواضح أن الإمبراطور البيزنطي كان يتعامل من ضيوفه من منطلق أنه ذا اليد العليا.

ولعل اختلاف درجة الحفاوة البيزنطية الإمبراطورية فيما بين لويس السابع، ملك فرنسا، وعموري الأول، ملك بيت المقدس، له دوافعه الوجيهة. فلويس السابع لم يأت إلى بيزنطة زائراً أو لمقابلة الإمبراطور، بل عابراً بها في طريقه إلى الأراضي المقدسة، ومعسكراً بقواته أمامها لحين وصول بقية القوات الصليبية المرافقة له؛ وقد طلب الإمبراطور البيزنطي لقاءه، مثلما كانوا يفعلون مع قادة الحملات الصليبية، لترتيب الأمور معه. كما أن لويس السابع كان معنياً بشيء واحد فقط ألا وهو أورشليم، واضعاً في حسبانه المصير الذي آل إليه كونراد، ملك ألمانيا. أما عموري الأول، ملك بيت المقدس، فكان من الطبيعي أن يستقبله نفس الإمبراطور بحفاوة بالغة، أولا: لأن عموري الأول جاء في زيارة رسمية إلى القسطنطينية، استمرت عدة أشهر. ثانياً: لأن المصالح المشتركة بين الطرفين، البيزنطي والصليبي، جمعتهما على مصلحة واحدة، وهي اتخاذ التدابير العسكرية المشتركة ضد مصر. ثالثاً: حرص بيزنطة على مصالحها في بلاد الشام، لاسيما مع الممالك الصليبية، أدى كل هذا للحفاوة البيزنطية البالغة بالملك عموري الأول، ملك بيت المقدس، أكثر من لويس السابع، ملك فرنسا.

وهكذا، على الرغم من أن وليم الصوري زار المدينة عام ١١٦٨م، إلا أنه لم يسهب الحديث عن معالمها لاسيما كنيسة آيا صوفيا، كما يتوقع المرء، بل جاءت روايته مقتضبة، ولم تخرج عن وصفه لمراسم استقبال الملك عموري الأول في القسطنطينية، عند ذهابه إليها ثانية معه عام ١١٧١م. وهذا ربما يشير إلى أن زيارة وليم الصوري الأولى إلى المدينة كانت إما قصيرة الأمد أو لم يكن لها برنامجاً ترفيهياً سياحياً معد سلفاً من قبل الإدارة الإمبراطورية بالقسطنطينية، كما كان متبعاً مع السفراء الأجانب الوافدين إليها، وعندما زارها مع الملك عموري الأول، ملك بيت المقدس، كان ملزماً بتحركات سيده في المدينة. بيد أن أهم ما في رواية وليم الصوري هو وصفه المراسم الإمبراطورية داخل القصر الإمبراطوري البيزنطي في عصر آل كومنينوس، كشاهد عيان.

وإذا ما انتقلنا إلى أهم الكتاب الصليبيين الذين تناولوا القسطنطينية في كتاباتهم، وهم صليبيو الحملة الرابعة، التي غيرت مسارها من مصر إلى القسطنطينية، والذين جعلوا القسطنطينية مشاعاً لهم عقب دخولهم إليها، مما أثر على رؤاهم لها وكتابتهم عنها. فقد أفاض روبرت كلاري وجونتر الباريسي وفلهاردوان الحديث عن معالمها الدينية والمدنية، الأمر الذي يحدو بالباحث إلى التريث أمام هذه الروايات، التي تطرح أسئلة عدة تأتي في موضعها. ولنبدأ بالحديث عن رواية روبرت كلاري، والتي يميزها عن غيرها أن صاحبها قدم رواية عن العاصمة البيزنطية أكثر تفصيلاً من غيره من الكتاب الصليبيين أمثال فوشيه الشارتري، وأودو الدويلي، وفلهاردوان، وجونتر الباريسي الذين كتبوا بصورة عامة عن القصور والكنائس والأديرة والذخائر المقدسة؛ وهو في المقابل يبدو كما لو كان يقدم لنا تفاصيل "جولة موجهه".[1] وبالإضافة إلى هذا كان كلاري من عامة فرسان هذه الحملة، أو بكلمات أخرى كان من أبناء الطبقة الشعبية المشاركة في الحملة، وليس من خاصتهم، حيث عمل تحت لواء سيده بطرس داميان Pierre d'Amiens[2] مما أثر في رؤيته للمدينة.

لقد اهتم روبرت كلاري بوصف المنشآت المدنية[3] ومنها القصور الإمبراطورية الرئيسية في القسطنطينية، مبرزا جمالها الخلاب وثراءها الفاحش لقرائه؛ فيقول عن القصر الكبير أو قصر بوكليون Boukoleon:[4] "أنه كان قصراً غنياً جداً"، ثم يبدأ في وصف القصر على النحو التالي: "كان في هذا القصر الذي احتله الماركيز خمسمائة قاعة متصلة بعضها ببعض، ومبنية جميعها بالفسيفساء المذهبة، وفيه ثلاثون كنيسة ما بين صغيرة وكبيرة، تعرف

---

[1] Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze*, 197.

[2] طارق منصور، دراسة نقدية تحليلية لمصادر تاريخ الدولة البيزنطية في عصرها الأخير، (القاهرة ٢٠٠٥)، ص ٦٤.

[3] عن مواقع المنشآت المدنية والدينية الواردة في البحث انظر الخريطة الملحقة به.

[4] انظر اللوحة رقم ١٢. سمي هذا القصر الإمبراطوري باسم قصر بوكليون نسبة إلى مرفأ القصر المسمى بذلك الاسم حيث نصب تمثالا ضخما لثور يقاتل أسدا. وهذا القصر عبارة عن مجموعة من المباني المتجاورة، شيدت بأيدي أباطرة مختلفين. وقد ظل هو القصر الإمبراطوري الذي تدار دفة الحكم منه، ربما حتى عصر آل كومنينوس، الذين فضلوا الإقامة في قصر البلاشيرن. انظر: س. رنسمان، الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد (القاهرة ١٩٦١)، ص ٢٢٦-٢٢٧؛ Guilland, *Constantinople byzantine*,249-293; Janin, *Constantinople Byzantine*, 120-121; P. Magdalino, "Manuel Komnenos and the Great Palace," *BMGS* 4(1978), 101-114.

إحداها بالكنيسة المقدسة، وكانت غنية جدا ورائعة..."[1] وينتقل بعد ذلك إلى وصف الكنيسة المقدسة بقصر بوكليون، مبرزاً جمالها وثرائها الفاحش، وما حوته من الذخائر والمقدسات الدينية.

ويتحدث روبرت كلاري أيضاً عن قصر البلاشيرن، الذي كان يضم بين جوانبه عشرون كنيسة، وما لا يقل عن مائتين أو ثلاثمائة قاعة، متصلة ببعضها البعض، ومصنوعة كلها من الفسيفساء المذهبة. وقد بلغ هذا القصر من الفخامة والروعة حدا يعجز كل فرد عن وصفه، أو أن يروي ثراءه وفخامته. وكان هذا القصر يحوي ثروات باهظة استولى عليها الصليبيون، حيث عثروا على تيجان الأباطرة البيزنطيين السابقين، وعلى حلي ذهبية ثمينة، وأقمشة حريرية غالية؛ كما عثروا على الأثواب الإمبراطورية الغالية والأحجار الكريمة النفيسة، وعلى كثير من الكنوز العظيمة. وأقر روبرت كلاري بأنه لا يستطيع أحد أن يقدر كميات الذهب والفضة الضخمة التي كانت بتلك القصور الإمبراطورية، وفي أماكن أخرى من القسطنطينية.[2]

وإلى جانب القصور الملكية يتحدث روبرت كلاري عن الهيبودروم،[3] حيث يقول عنه: "وبناحية أخرى من المدينة منظر عجيب آخر، إذ يوجد على مقربة من قصر بوكليون ساحة فسيحة تسمى بالملعب الإمبراطوري، وتبلغ رمية ونصف رمية قوس طولا، ورمية واحدة عرضا.[4] وكان يحيط بهذا المكان ثلاثون أو أربعون صفاً من المقاعد، يجلس عليها اليونانيون [البيزنطيون] لمشاهدة اللعب، تعلوها مقصورة كبيرة شديدة الأناقة والفخامة، حيث يجلس الإمبراطور وعلية القوم ونساؤهم، إذا عقدت حلقات اللعب.[5] فإذا كان هناك طرفان

---

[1] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٢٤؛ *Robert of Clari,* 102-103.

[2] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٢٦؛ *Robert of Clari,* 105. Cf. also Carrier, *L'image du Grec,* 111-112.

[3] انظر اللوحة رقم ٦.

[4] كانت ساحة مضمار الخيل (الهيبودروم) تبلغ ٦٤٠ ذراعاً طولاً في ١٦٠ ذراعاً عرضاً. انظر: أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص ٢٠. لمزيد من التفاصيل عن الهيبودروم انظر: Guilland, *Constantinople byzantine,* 396 ff.; Janin, *Constantinople byzantine,* 177-191.

[5] كان يؤدي إلى هذه المقصورة الإمبراطورية دهليز طويل يربط بينها وبين القصر الإمبراطوري، ويقع أمام باب الهيبودروم، يسير فيه الإمبراطور البيزنطي وحاشيته من القصر إلى المقصورة الملكية التي تطل على مضمار الخيل. وكانت مساحة هذا الدهليز تبلغ مائة خطوة في عرض خمسين خطوة، وعلى الجانبين من الدهليز أسرّة موضوعة عليها فرش من ديباج ومضربات ووسائد، وعليها قوم من السودان متنصرة، بأيديهم

يلعبان في وقت واحد راهن الإمبراطور والإمبراطورة كل منهما الآخر، على أن النصر سيكون في هذا الجانب أو ذاك، وكذلك يفعل جميع من يشاهدون اللعب." ويشير بعد ذلك روبرت كلاري إلى ارتفاع أسوار هذا المضمار، وقدرها بخمسة عشر قدما، وعرضها بعشرة أقدام؛ كما قدم وصفا للمناظر المنحوتة على هذه الجدران من رجال ونساء وجياد وثيران وجمال ودببه وأسود وحيوانات عديدة أخرى، وجميعها قد صنعت من النحاس الأحمر، والتي يشير كلاري إلى أنه كانت لها قوة سحرية في الماضي، إلا أنها بطلت في عهده؛[1] وهذا يشير بدوره إلى اعتقاد البيزنطيين في قوتها السحرية آنذاك؛ بل إن عبارات كلاري، من ناحية ثانية، تشير إلى أنه ظن أن هذا السحر كان يمد هذه التماثيل أو التصاوير بالقوة اللازمة لتشارك في الألعاب. وتجدر الإشارة إلى أن المعلومة الأخيرة لكلاري عن تماثيل الهيبودروم لا تقدم شيئاً جديداً للمؤرخين، مقارنة بالمعلومات المتوافرة عنها.[2]

ويتحدث روبرت كلاري أيضاً عن بعض التماثيل التي كانت تزين المدينة، ومنها تمثالان لامرأتين مصنوعان من النحاس، غاية في الروعة والجمال، كانا يقعان في طرف من أطراف المدينة أمام سوق الصيارفة، شديد الزحام، ويبلغ ارتفاع الواحد منهما عشرون قدما. وقد كان مكتوبا على أحد هذين التمثالين، الذي يمد يده صوب الغرب، "سيأتي من الغرب أولئك الذين سيستولون على القسطنطينية"، أما يد التمثال الآخر فمبسوطة صوب مرذولة ومكتوب عليها "هذا هو المكان الذي سيرمونهم فيه".[3] وهذا المكان الذي يقع فيه هذان التمثالان ويجلس فيه البائعون وأمامهم أكوام من البيزنطات والأحجار الكريمة، يتطابق مع ميدان

---

أترسة ملبسة ذهباً، ورماح عليها ذهب. انظر: ابن رسته، الأعلاق النفيسة (ليدن، ١٨٩١)، ص ١٢٠. وبطبيعة الحال أقيم هذا الدهليز لدواعي أمنية بحتة، أو لضمان سلامة الإمبراطور وحاشيته، إذا ما وقع حادث أو ثورة في الهيبودروم، كما حدث في ثورة نيقا عام ٥٣٢م.

[1] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٣٠؛ *Robert of Clari*, 109-110

لمزيد من التفاصيل عن مضمار الخيل انظر: نجلاء مصطفى، مدينة القسطنطينية، ص ٩٣-٩٧؛ ليلى عبد الجواد، القسطنطينية في ضوء كتابات الرحالة والجغرافيين المسلمين، المؤرخ المصري، عدد٤(١٩٨٩) ص ١٢٠-١٢٤؛ A. Vogt, "L'hippodrome de Constantinople", *Byz* 10(1935), 471-488.

[2] Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze*, 207.

عن تماثيل الهيبودروم انظر: S. G. Bassett, "The Antiquities in the Hippodrome of Constantinople", *DOP* 45(1991), 87-96.

[3] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٣١؛ *Robert of Clari*, 110

قسطنطين، حيث كان مقراً لحوانيت الصيارفة وصائغي الفضة.[1]ويشير نيقتاس الخونياتي إلى أن هذا التمثال كان للربة أثينا، وكان يبلغ ارتفاعه ثلاثون قدما، وتمتد ذراعه اليمنى إلى الجنوب، غير أن الذين لا يعلمون شيئاً مطلقاً عن اتجاهات البوصلة ظنوا أن التمثال كان يشير بذراعه نحو الغرب. وقد حطم السكان هذا التمثال في عام ١٢٠٣م ظناً منهم أنهم بهذا يتجنبون خطر القوات الصليبية المعسكرة هناك.[2]

كما يشير أيضاً إلى تمثال موضوع فوق أحد الأعمدة الرخامية قبالة كنيسة آيا صوفيا، مصنوع من نحاس لإمبراطور يمتطي جواداً نحاسياً كبيراً، ومثبتاً على قاعدة مسطحة مساحتها خمسة عشر قدما طولاً وعرضاً أيضاً، مثبتة بدورها فوق عمود يواجه كنيسة آيا صوفيا، مصنوع من الرخام المكفت بالنحاس الأصفر، ومثبت بأشرطة قوية من الحديد، يبلغ قطره قدر استدارة أذرع ثلاثة رجال، وارتفاعه ثلاثمائة قدم. وكان يشير تمثال ذلك الإمبراطور بإصبعه نحو بلاد المسلمين، ونقشت عليه كتابة مفادها أن ذلك الإمبراطور أقسم ألا يهادن المسلمين أبداً، كما أمسك بالأخرى كرة من الذهب عليها صليب. وقد أُخْبِر روبرت كلاري أن هذا الإمبراطور هو الإمبراطور هرقل (٦١٠-٦٤١م).[3]وتعتقد المؤرخة الانجليزية روث ماكريديس أن الخطأ الذي انزلق إليه كلاري في نسبته هذا التمثال لهرقل، مثله مثل بعض الرحالة والجغرافيين المسلمين، الذين زاروا المدينة، ويذكرون نفس صفات هذا التمثال غير أنهم ينسبونه إلى قسطنطين[4]وليس هرقل،[5]إنما راجع إلى البيزنطيين أنفسهم وإلى معلوماتهم المغلوطة؛ وأن هذا التمثال هو للإمبراطور جستنيان.[6]وهكذا، فإن الرواية التي زُوِدَ بها كلاري في القسطنطينية عن هذا التمثال غير صحيحة.

---

[1] Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze,* 206.

[2] Niketas Choniates, *O the City of Byzantium, Annals of Niketas Choniates*, Eng. trans. H. Magoulias (Detroit 1984), 305-306.

[3] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٢٨؛ *Robert of Clari,* 107.

[4] تحطم تمثال قسطنطين، المرتفع فوق قمة عموده عام ١١٠٦م. حول هذا التمثال انظر: C. Mango, "Constantine's Column", in *Studies on Constantinople* (Aldershot 1993), no. III, 1-7.

[5] الهروي، كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق جانين سورديل (دمشق، ١٩٥٣)، ص ٤٩؛ ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرايب (القاهرة، ١٨٥٩)، ص ٧٧؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد (بيروت، د.ت.)، ص ٤٠٧.

[6] Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze,* 200- 201.

كانت القسطنطينية على عهد جستنيان تزينها سبعة أعمدة، بقي منها ثلاثة وفقد أربعة. عن هذا الموضوع وعن تمثال جستنيان انظر: C. Mango, "The Columns of Justinian and his Successors", in

أما عن الأعمدة التي كانت تزين المدينة فقد شاهد روبرت كلاري بعضها، وكتب عنها بإعجاب، حيث اعتبرها عجيبة كبيرة. ومن هذه الأعمدة التي رآها عمود كان يقع قبالة كنيسة آيا صوفيا مصنوع من الرخام المكفت بالنحاس الأصفر، والمربوط بأشرطة قوية من الحديد، ويبلغ قطره قدر استدارة أذرع ثلاثة رجال وارتفاعه ثلاثمائة قدم. وكان يقع أعلاه قاعدة منبسطة من الحجر طولها خمسة عشر قدما وكذلك كان عرضها؛ ومنصب فوقها تمثال جستنيان، السابق الإشارة إليه.[1] كما أشار روبرت كلاري إلى عمودين آخرين، أطلق عليهما اسم أعمدة النساك. وقد كان قطر كل منهما امتداد ثلاثة أذرع رجال، ولا يقل ارتفاع كل منهما عن ثلاثمائة قدم،[2]أو ثلاثمائة وستون قدماً.[3] وقد اعتاد النساك أن يعيشوا فوق قمة هذين العمودين في قلايات صغيرة موجودة بها، وبالعمودين أبواب يستطيع المرء الصعود من خلالها إلى القمة. وقد نُحت على العمودين بعض المناظر التي يدعي روبرت كلاري، نقلاً عن البيزنطيين، أنها تشير إلى الأحداث التي وقعت بالقسطنطينية على مدى تاريخها، والتي لم يستطع أهلها فهمها، وإذ ذاك كان الناس يهرعون إلى هناك ويمعنون النظر فيما يرون، فيطالعون ويفهمون لأول مرة خبر ما جرى، ومنها غزو الصليبيين لها عام ١٢٠٤م؛ بل يذهب إلى القول أنه كتب على هذين العمودين عبارة تقول "إن قوماً قصار الشعور ذوو سيوف حديدية سيأتون من الغرب لغزو القسطنطينية".[4]وهذان العمودان هما عمود ثيودوسيوس الكبير، الذي يقع في ميدان ثيودوسيوس (ميدان الثيرانForum Tauri)، والآخر هو عمود أركاديوس، الذي يقع في ميدان اكسروفولوس Xeropholos.[5]



---

*Studies on Constantinople, Variorum* (Aldershot 1993), no. X, 1-20; Idem, "Justinian's Equestrian Statue", *The Art Bulletin,* XLI (New York 1959), 1-16. repr. also in *Studies on Constantinople, Variorum* (Aldershot 1993), no. XI.

يشير أحد المصادر بالتفصيل إلى التماثيل التي كانت تقع عند كنيسة آيا صوفيا. انظر: *Constantinople in the Early Eight Century: The Parastasies Syntomoi Chronikai,* ed. and trans. A. Cameron & J. Herrin in con. with Alan Cameron, R. Cormack and C. Roueché, *Coulombia Studies in the Classical Tradition,* X (Leiden 1984), 70, 72.

[1] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٢٨؛ *Robert of Clari,* 107.

[2] أي حوالي خمسون متراً، والارتفاع يبلغ على الأقل مائة متر. انظر: Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 176, n. 283.

[3] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٤٨؛ *Robert of Clari,* 124.

[4] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٣١-١٣٢، ١٤٨؛ *Robert of Clari,* 110-111, 124.

[5] Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 176, n. 282; Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze,* 204.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن روبرت كلاري يشير في موضع آخر من كتابه إلى حادثة مقتل مُرزوفليوس Murzuphlus رمياً من فوق أحد هذين العمودين، حيث اقترح دوج البندقية عقاب مُرزوفليوس بهذه الطريقة، والتي وافق عليها كل البارونات.[1] وبهذا يتفق روبرت كلاري مع فلهاردوان في روايتيهما عن مقتل مُرزوفليوس،[2] الذي يشير إليه جونتر الباريسي أيضاً. وفي الوقت الذي يسهب روبرت كلاري في الحديث عن النقوش الموجودة على بدن العمود، يشير فلهاردوان إليها فقط، مع تفسيره بأن إحدى النبوءات القديمة كانت تقول أن أحد أباطرة القسطنطينية سيلقى حتفه من فوق أحد هذه الأعمدة، وقد تحققت هذه النبوءة بموت مُرزوفليوس.[3]

وأخيراً يسجل روبرت كلاري مشاهداته عن بوابات القسطنطينية ورؤيته الخاصة لها، وبالتحديد لبوابتين من بواباتها وهما البوابة الذهبية،[4] وبوابة أُطلَق عليها اسم العباءة الذهبية. ويشير روبرت كلاري إلى أن البوابة الأولى كانت مخصصة للأغراض الإمبراطورية، أي لدخول أو خروج الإمبراطور لاسيما إذا كان خارجا للحرب. وإذا عاد من حربه خرجت جموع الشعب لاستقباله، وحينئذ تفتح البوابة لتدخل منها العربة الإمبراطورية المذهبة، ذات العجلات الأربع، حيث زودت بعرش للإمبراطور يحوطه أربعة أعمدة تحمل مظلة يستظل بها العرش، الذي يبدو وكأنه صنع كله من الذهب، ويجلس الإمبراطور على

---

[1] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٤٨-١٤٩؛ *Robert of Clari*, 124.

[2] اغتصب مُرزوفليوس الحكم في القسطنطينية من الإمبراطور البيزنطي الكسيوس الرابع، بعد أن دبر مؤامرة ضده، عشية الغزو الصليبي لها عام ١٢٠٣-١٢٠٤م. وقد أودع الكسيوس السجن فترة من الوقت ثم اغتاله في نهاية المطاف أعلن موته والحداد عليه بعد ذلك. وقد تمكن من الفرار من المدينة بعد أن هزم من الصليبيين. انظر: فلهاردوان، فتح القسطنطينية، ص ١١٧-١٢٠؛ اسمت غنيم، الحملة الصليبية الرابعة، ص ٩٦.

[3] Villehardouin, *The Conquest of Constantinople*, 108-109.
انظر أيضا: فلهاردوان، فتح القسطنطينية، ص ١٤٦-١٤٨.

[4] هذه البوابة شيدها الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير ٣٧٩-٣٩٥م، تخليدا لذكرى انتصاره على غريمه مكسيموس عام ٣٨٨م. لمزيد من التفاصيل عن بوابات القسطنطينية انظر: Van Millingen, *Byzantine Constantinople*, 59-73.

هذا العرش لابساً تاجه الإمبراطوري.[1] ولم يفت روبرت كلاري أن يسجل أن هذه البوابة كان يقع عليها تمثالين نحاسين لاثنين من الفيلة، يتسمان بالضخامة وعجب المنظر.[2]

أما البوابة الثانية، بوابة العباءة الذهبية، فيقول أنها كانت تقع عليها كـرة أرضـية ذهبية عليها رقية يقول البيزنطيون إنه لن تقع صاعقة بالمدينة طالما هي قائمة فـي مكانهـا. وعلى هذه الكرة أيقونة من النحاس قد تدثرت بعباءة ذهبية، وقد مدت ذراعيها نحو الأمـام، وكتب عليها: "من يعيش في القسطنطينية عاماً، يستطيع أن تكون له عبـاءة ذهبيـة كـالتي أرتديها".[3]

أما عن المنشآت الدينية فلم يتحدث روبرت كلاري سوى عن أربع فقط من الكنائس بالقسطنطينية وهى الكنيسة المقدسة بقصر البوكليون، وكنيسة آيا صوفيا، وكنيـسة الرسـل المقدسين، وكنيسة القديسة مريم، مركزا على إبراز ثراء وفخامة كل هذه الكنائس، وما حوته من مقدسات وذخائر دينية، تهفو إليها قلوب المسيحيين الأتقياء. ويبدأ روبرت كلاري بوصف الكنيسة المقدسة حيث يقول عنها أنها: "... كانت غنية جداً ورائعة، حتى إنه لم يكن بها مـن مفصلة باب أو شريط مما يصنع عادة من الحديد إلا وقد صب كله من الفضة، ولم يكن بهـا من عمود لم يصنع من الشب أو الرخام السماقي أو غير ذلك من الأحجار الكريمة الأخرى، وكانت أرض هذه الكنيسة من الرخام الأبيض الذي يحاكي البللور في نعومة الملمس وصفاء اللون، وبلغت تلك الكنيسة من فاحش الثراء والروعة حداً يعجز أي امرئ عن تصويرها لك بما حوت من جمال وفخامة".[4]

وهنا ينتقل روبرت كلاري إلى وصف الذخائر الدينية المقدسة في هـذه الكنيـسة، حيث يقول: "...وتضم بين جنباتها كثيراً من الآثار المقدسة الجليلة، حتى لقد عثـر الـبعض على قطعتين من صليب الصلبوت في حجم ساق الرجل، ويبلغ طولهما ثلاثة أقدام، كذلك وجد

---

[1] لم تكن البوابة الذهبية هي الوحيدة فقط المخصصة لخروج أو عودة الإمبراطور البيزنطي من القتال، كما أشار كلاري، بل كان الإمبراطور يستخدم أحيانا بوابة أدريانوبوليس، التي تقع شمال البوابة الذهبية وتفـتح علـى الميزي، الذي يمر بميدان ثيودوسيوس، حيث كان يعتبر الطريق الذي يمر منه الإمبراطور حينـذاك طريقـا للنصر. انظر: C. Mango, "The Triumphal Way of Constantinople and the Golden Gate", *DOP* 54(2000), 174.

[2] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٢٩-١٣٠؛ *Robert of Clari,* 108-109.

[3] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٢٩؛ *Robert of Clari,* 108.

[4] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٢٤؛ *Robert of Clari,* 103.

بها بعض حديد الحربة التي ضرب بها سيدنا في جنبه، كما وجدوا مسمارين من المسامير التي دقت بها كفاه وقدماه، وعثر أحدهم على قارورة بلورية فيها بعضا من دمه، ووجد غيره في هذه الكنيسة القميص الذي كان يرتديه، والذي نزعوه عنه حينما ساقوه إلى جبل كَلفاري Calvary؛ كما عثروا على التاج المبارك الذي توجوه به، والذي صنع من عيدان القصب، ذات الشوك القاطع، كأنه أسنة الخناجر.

ووجد أحدهم بها جزءاً من ثوب سيدتنا العذراء، ورأس سيدي القديس يوحنا المعمدان، وكثيراً غير هذا من المخلفات والآثار المقدسة الكريمة، التي لا أستطيع تعدادها لك وإخبارك بها في صدق تام.

على أنه كان لا يزال بهذه الكنيسة أثر مقدس آخر...وهو عبارة عن وعاءين ثمينين من الذهب معلقين في وسطها ويتدليان من سلسلتين من الفضة الثقيلة، وفي أحد هذين الوعاءين قطعة من الآجر، وفي الأخرى قطعة من القماش...".[١]وينتقل روبرت كلاري ليقص على القارئ مصدر هذين الأثرين المقدسين. وكان بهذه الكنيسة أثر آخر هو أيقونة للقديس ديمتريوس، المرسومة على لوحة، وكانت هذه الصورة تنضح بالزيت الكثير، الذي لم يكن في الاستطاعة محوه بالسرعة التي يتدفق بها من الصورة.[٢]

وجدير بالذكر أن كلاري يعود إلى موضوع الذخائر المقدسة ثانية عند حديثه عن كنيسة الرسل المقدسين عندما يقول: " ...وهي تضم بين جوانبها رفات سبعة من الرسل؛ وبها أيضا العمود الرخامي الذي أوثقوا إليه صليب سيدنا المسيح قبل رفعه على الصليب. ويقال إنه في هذا المكان يرقد الإمبراطور قسطنطين وهيلينا وكثير من الأباطرة سواهما".[٣]

وينتقل روبرت كلاري إلى الحديث عن كاتدرائية آيا صوفيا، ويصفها على النحو التالي: "سانت صوفيا يقصد بها في اليونانية الثالوث المقدس في الفرنسية..."[٤]وهنا يخطيء روبرت كلاري في هذا التفسير[٥]لأن الاسم يتكون من كلمتين يونانيتين الأولى هجيا ἅγια وينطقها البعض آيا إنما تعني "المقدسة" في حالة وقوعها صفة، و"القديسة" في حالة وقوعها

---

[1] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٢٤-١٢٥؛ *Robert of Clari*, 103-104.

[2] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٢٦؛ *Robert of Clari*, 105.

[3] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٢٩؛ *Robert of Clari*, 107-108.

[4] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٢٧؛ *Robert of Clari*, 106.

[5] Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze*, 200.

اسما، أما صوفيا σοφία فتعني "الحكمة".[1]ومن ثم فتعرف الكنيسة باسم كنيسة الحكمة المقدسة، ويطلق عليها البعض مجازاً اسم "كنيسة القديسة صوفيا St. Sophia.

ويضيف روبرت كلاري أنها مستديرة البناء وبها قباب دائرة حولها محمولة على أعمدة ضخمة رائعة جدا، وليس بها من عمود إلا وهو مصنوع من الشب أو من الرخام السماقي أو غير ذلك من الأحجار الثمينة،[2]وليس بها عمود إلا وله قدرة على الشفاء. وليس بهذه الكنيسة من باب أو مفصلة أو شريط أو شيء آخر مما يصنع من الحديد إلا وهو مصنوع كله من الفضة. ويشير أيضاً إلى أن مذبح الكنيسة الرئيسي ثمين جداً لا يقدر بمال وإن غلا، لأن مائدته-التي أمر أحد الأباطرة بصنعها- كانت من الذهب والأحجار النفيسة المفتته المخلوطة ببعضها البعض؛ ويبلغ طول هذه المائدة أربعة عشر قدما. وتوجد حول المذبح أعمدة فضية تسند عرشا قائما على الهيكل وهو أشبه ببرج كنيسة مستدق الطرف، وقد صب كله من الفضة الخالصة مما يعجز أي فرد عن تقدير المال الذي يقدر به. أما المكان الذي يرتلون فيه الإنجيل فكان رائعاً جداً، بالغ الجمال، حتى أنه لا يمكن وصف كيف صنع.[3]

ويضيف روبرت كلاري أنه كان بكنيسة آيا صوفيا من الداخل مائة شمعدان، ليس فيها واحد إلا وهو معلق إلى سلسلة فضية ضخمة تبلغ قطر ذراع الرجل، ولكل شمعدان خمسة وعشرون مصباحا أو أكثر، ولا يقل ثمن الشمعدان عن مائتي مارك فضي. ويشير أيضا إلى أنه علقت على حلقة باب الكنيسة الأعظم، المصنوع كله من الفضة، أنبوبة لا يعرف أحد كون مادتها، في حجم مزمار الرعاة، له قدرة على شفاء المرضي، وتخليصهم من الآلام.[4]

أما كنيسة الرسل المقدسين فقد أشار روبرت كلاري إلى أنها تقع في أحد أحياء المدينة، وأن التسمية كانت تعني كنيسة الرسل السبعة، وهو خطأ يحسب عليه؛[5]ناجم عن سوء سمعه ومن ثم فهمه للكلمة اليونانية *panseptoi* ، والتي تشبه في سماعها الرقم سبعه *sept* في الفرنسية.[6]ويسترسل حديثه عنها بقوله: "...يقال إنها أعظم وأروع من كنيسة القديسة

---

[1] Liddell and Scott, *An Intermediate Greek- English Lexicon* (Oxford 1986), 5, 737.

[2] انظر اللوحة رقم ٤.

[3] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٢٧؛ *Robert of Clari,* 106.

[4] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٢٨؛ *Robert of Clari,* 106-107.

[5] Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze,* 200.

[6] Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze,* 202.

صوفيا، ولا يستطيع أحد أن يقدر لك ثروة هذه الكنيسة أو يصور لك فخامتهــا"؛ ثــم ينتقــل لوصف الذخائر المقدسة بها والإشارة إلى قبري الإمبراطور قسطنطين الكبير وأمه هيلينا.[١]

ويختم روبرت كلاري حديثه عن كنائس المدينة بحديثه المقتضب عن كنيسة القديسة مريم، وكانت واحدة من العجائب على حد تعبيره. ويقول أن كنيسة القديسة مــريم، قديــسة البلاشيرن، كانت تحتفظ بالحنوط الذي كفن به السيد المسيح، والتي لا يعرفون أيــن ذهبــت عقب دخول الصليبيين للمدينة.[٢]

وتعتبر واحدة من محاسن روايته تكمن فــي اهتمامــه، دون غيــره مــن الكتــاب الصليبيين، بالإشارة إلى الأيقونات، مثل أيقونة القديس ديمتريوس وأيقونات السيدة العــذراء؛ الأمر الذي يعكس بدوره إحدى اهتمامات البيزنطيين ومعتقداتهم.[٣]

وهكذا أنهى روبرت كلاري حديثه عن أربع فقط من كنائس القسطنطينية، غير أنــه أشار إلى أحد الأديرة، دون ذكر اسمه، ولم يبرز من معالم ذلك الدير غير أن الإمبراطــور مانويل كومنينوس دفن فيه؛ وأنه يحوي اللوحة الرخامية التي أرقدوا عليها المــسيح حينمــا أنزلوه من على الصليب؛[٤]وهذا الدير هو دير المسيح البانتوقراتور.[٥]

ومن الملاحظ هنا على روبرت كلاري أنه لــم يــسهب فــي وصــف القــصور الإمبراطورية، بل كل ما أكد عليه هو ثراءها الفاحش والكنوز والثروات التي تحويها. وهــذا يدفعنا لأن نضع علامة استفهام حول عدم تفصيله الحديث عنها. لكن ربما تكمن الإجابة فــي أن روبرت كلاري كواحد من عامة الفرسان وليس خاصتهم لم يكن مــسموحاً لــه بزيــارة القصور الإمبراطورية، التي استولى عليها السادة، وربما لو كان سيده بطرس داميــان قــد استولى على أحد هذه القصور لكان روبرت قد أسهب في وصفها، هذا من ناحية. ومن ناحية أخري، سنجد أنه يسهب في وصف بعض المنشآت المدنية العامة، كبوابات المدينة والأعمــدة والتماثيل، وذلك لأن رؤيتها كان مباحاً لكل من يتجول بالمدينة. كما أن النزعة الدينية عنــد روبرت كلاري، التي تبدو في حرصه الشديد على وصــف الــذخائر المقدســة الموجــودة

---

[1] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٢٩؛ *Robert of Clari*, 107-108.

[2] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٣٣؛ *Robert of Clari*, 112.

[3] Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze*, 208-209.

[4] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٣٣؛ *Robert of Clari*, 112.

[5] Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 172, n. 238.

عن موقع هذا الدير انظر الخريطة الملحقة بالبحث، وكذلك اللوحة رقم ٧.

بالكنائس، تشير إلى الوازع الديني عنده، كواحد من العامة؛ خاصة وأنه أخذ معه بعض الذخائر المقدسة من القسطنطينية عند عودته إلى فرنسا.[1] وهناك افتراض آخر ألا وهو محاولة فرسان الحملة الصليبية الرابعة، ممن كتبوا عنها، إبراز إلى أي مدى تمكن الصليبيون من فتح مدينة المال والجمال، وتحويل كنيستها المارقة إلى تابع للكنيسة الكاثوليكية في روما، أي للبابوية.[2] وبهذا لا يكون البابا محقا في توقيع قرار الحرمان على زعماء هذه الحملة، جزاء تحويل مسارها وغزوهم للقسطنطينية بدلا من غزو مصر.[3]

بيد أن هناك عبارة وردت عند روبرت كلاري يفهم منها أنه لم ير الكنائس الأربع كلها، وذلك عندما يقول عن كنيسة الرسل المقدسين: "...يُقال إنها أعظم وأروع من كنيسة القديسة صوفيا..."، وهذا يفيد إما أنه لم يزر كنيسة الرسل المقدسين، أو أنه رآها بنفسه وسأل المرشدين المصاحبين له عنها من اللاتين المقيمين بها،[4] فأجابوه بتلك الرواية المقتضبة المأخوذة بالطبع عن البيزنطيين؛ على الرغم من أنها تلي كنيسة آيا صوفيا في الأهمية.[5] وهذا الأمر ينطبق على كنيسة القديسة مريم أيضاً. وعلى العكس نجده يسهب في الحديث عن كنيسة آيا صوفيا، مما يفيد أنه رآها بنفسه وتفحصها، وذلك ببساطة شديدة لأنها أبرز وأبهى

---

[1] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ٢٩.

[2] يظهر من أحد الخطابات البابوية المرسلة في ١٣ نوفمبر ١٢٠٤م إلى رجال الدين المصاحبين للجيش الصليبي بالقسطنطينية أن البابا،"... الذي له السيادة على مملكة الإنسان، كان مبتهجا لتحول إمبراطورية البيزنطيين [حرفيا اليونانيين] من الفخر إلى المذلة، ومن العصيان إلى الطاعة، ومن المنشقين إلى الكاثوليكيين". انظر نص الخطاب في: A. J. Andrea with contributions by B. E. Whalen, *Contemporary Sources for the Fourth Crusade* (Leiden 2000), 115-126. Cf. also Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 16.

[3] وصل قرار الحرمان الكنسي إلى زعماء الحملة الصليبية الرابعة وهم أما مدينة زارا؛ ومع هذا ضربوا به عرض الحائط، ولم يرحموا المدينة من الأسر. بيد أن الصليبيين راسلوا البابا وتمكنوا من رفع قرار الحرمان عنهم، قبل الوصول إلى القسطنطينية. انظر: روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ٤٨-٥٠؛ *Robert of Clari*, 44-45.

[4] كان اللاتين من الأمالفيين والبيازنة والبنادقة والفرنجة والألمان المقيمين في القسطنطينية، على علم كاف بمحتويات المدينة ومعالمها وذخائرها نقلاً عن البيزنطيين أنفسهم، وربما كانوا يعملون مرشدين لذويهم عند زيارتهم للقسطنطينية. انظر: Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze*, 211.

[5] تحتل هذه الكنيسة مكانة مهمة بين البيزنطيين لأنها منذ أن نشأت في عهد قسطنطين العظيم، اُتخذت مدفنا لمعظم الأباطرة، كما أنها كانت تحوي عددا من رفات القديسين، والذخائر المقدسة الأخرى. انظر: أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ص ٢٤.

معلم من معالم القسطنطينية، ولا يمكن لأي زائر جاء إلى المدينة أن يمضي دون زيارتها. ويبدو أن الاحتمال الأخير هو الصحيح، لأن كلمات كلاري في أكثر من موضع تشير إلى أنه اعتمد على رواية البيزنطيين (اليونانيين) في كثير من معلوماته، حتى لتبدو روايته بيزنطية (يونانية) الطابع.[1] وهذه النقطة الأخيرة تشير إلى وجود أدلاء أو مرشدين في القسطنطينية، سواء من اللاتين المقيمين بها أو البيزنطيين، لاصطحاب الرحالة أو الزائرين في جولتهم بها، حيث نجد الكاتب المجهول من شمال ترّاجون، الذي كتب وصفه للقسطنطينية أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، يعتمد على رواية البيزنطيين في معلوماته عن معالم المدينة، التي ذهب إليها ليدرس اليونانية ويجمع الكتب؛ لذلك جاءت روايته متشابهه مع رواية روبرت كلاري،[2] ولا يَفْرِقها عنها سوى أنها تخلو من العداء للبيزنطيين.[3] أما الأديرة فلم يتحدث كلاري عنها، اللهم إلا إشارته المقتضبة لأحد أديرة المدينة، ليبرز في روايته أن الإمبراطور مانويل، نصير اللاتين، مدفون به؛ على الرغم من أن المدينة وضواحيها كانت تزخر بمئات الأديرة والكنائس.[4] فيذكر ابن رسته[5] (القرن ١٠م) أن تعداد ما فيها من الكنائس أربع وعشرون

---

[1] Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze,* 200-201.

[2] انظر: Ciggaar, *Une description de Constantinople dans le Tarragonensis*, 119-128.

[3] Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze,* 210-211.

[4] يقدم هارون بن يحيي رواية مهمة عن هذه الأديرة وعددها ونظمها، حيث يقول: "إن حوالي قسطنطينية ديرات الرهبان، وعلى باب قسطنطينية دير يدعى دير ساطرا ينزله خمسمائة راهب. وهذا النهر الذي يدخل المدينة ينقسم ثلاثة أقسام يجرى في وسطه، وعلى فرسخ مما يلي الشمال من المدينة دير يقال له مونس فيه ألف راهب، ومما يلي شرقي قسطنطينية منها على أربعة فراسخ ، موضع فيه أربعة ديرات فيها اثنا عشر ألف راهب أحدها مونس والثاني فسادر والثالث قوقياى، والرابع دير مريم، ومما يلي غربي المدينة ديران فيهما ستة آلاف راهب، ثم تخرج فتصير في صحراء ملساء فيها مزارع وقرى اثنتى عشرة مرحلة حتى تنتهي إلى مدينة يقال لها سلوقية وهى مدينة عظيمة كبيرة مما يلي مشرق المدينة الجبل وغربيها البحر ولها أربعة أنهار تسقيها وفيها دير يقال له مرقس فيه اثنا عشر ألف راهب". انظر: ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص١٢٧. انظر أيضاً، نجلاء مصطفى، القسطنطينية، ص ١٤٩-١٥٧، ١٨٧-١٩٦؛ ليلى عبد الجواد، القسطنطينية في ضوء كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين، مجلة المؤرخ المصري، عدد ٣(١٩٨٩)، ص ١٨٤-١٩٠؛ طارق منصور، هارون بن يحيي مصدر من مصادر التاريخ البيزنطي، حولية كلية التربية للبنات بالطائف، عدد ٦(١٤٢٥-١٤٢٦هـ)، ص ٥١.

[5] الأعلاق النفيسة، ص ١٣١.

(ألف) كنيسة وكنيسة أخرى؛ ويضيف ابن بطوطة[1](القرن ١٤م) أن كنائس القسطنطينية لا تحصى. ويذكر ابن الفقيه الهمذاني[2](القرن٩-١٠م) أن في القسطنطينية "مائتان وعشرون دير للراهبات". ويؤكد هذه الكثرة العددية روبرت كلاري[3]بقوله: "...والظن عندي أنه لا يوجد أحد ما على وجه البسيطة يستطيع أن يعدد جميع أديرة المدينة، لكثرتها وكثرة من بها من الرهبان والراهبات، إلى جانب الكنائس الأخرى التي في خارجها؛ وقد قدر من بها من القساوسة والرهبان وغيرهم بثلاثين ألفاً"؛ وهو ما يؤكده فلهاردوان أيضاً.[4]وهكذا، من المحتمل أن هذه الكثرة العددية للكنائس والأديرة إلى درجة يصعب معها إحصاؤها، تعتبر واحدة من أسباب اقتضاب رواية روبرت كلاري عنها. ويمكن إضافة أن افتقار الأديرة إلى البهاء والجمال الموجود في الكنائس العامة كان سبباً في عدم إقبال المؤرخين الصليبيين على الكتابة عنها بالتفصيل، لاسيما وأنهم جاءوا إليها غزاة وليس حجاجاً. وأخيراً من المحتمل أن استيلاء السادة النبلاء على أغنى القصور وأثرى الكنائس والأديرة الواقعة في القسطنطينية دون الفقراء من عامة فرسان الحملة،[5]كان سبباً في خروج رواية روبرت كلاري بهذا الشكل، واكتفائه بتسجيل ما سمعه أو رآه عن هذه الكنائس والأديرة، التي آلت إلى سادته من قادة الحملة.

---

[1] تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (بيروت د.ت.)، ص ٣٣٦. وقد أشار ابن بطوطة أيضا إلى بعض الأديرة الواقعة بالمدينة. انظر، نفس المصدر، ص ٢٣٥.

[2] مختصر كتاب البلدان (ليدن ١٣٠٢هـ)، ص ١٥٠.

[3] فتح القسطنطينية، ص ١٣٢؛ *Robert of Clari*, 112.

[4] فلهاردوان، فتح القسطنطينية، ص ٨٩؛ Villehardouin, *The Conquest of Constantinople*, 59.

[5] روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١٢٢-١٢٣؛ *Robert of Clari*, 100-102.
لقد اتفق نبلاء وسادة الحملة الصليبية على تقسيم أحسن دور المدينة فيما بينهم، دون أن يصل ذلك إلى عامة الصليبيين أو صغار الفرسان، حيث استولوا على القصور والكنائس والأديرة الثرية؛ فقد استولى بونيفاس دي مونتفرات، على سبيل المثال، على قصر بوكليون الإمبراطوري، وعلى كنيسة آيا صوفيا وبيوت البطريرك، وهكذا فعل باقي النبلاء؛ ولعل هذا ما أدى إلى اندفاع عامة الصليبيين إلى نهب المدينة، وتناسيهم القسم الذي أقسموه أما قوادهم، على الآثار المقدسة بعدم نهب الكنائس أو الأديرة بالمدينة.( Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 16.) بل إن فلهاردوان يذكر أن القادة الصليبيين أمروا أعضاء الحملة بعدم المساس بأي من الغنائم إلى أن يعاد توزيعها عليهم طبقا للرتب؛ وهو الأمر الذي أخلوا به جميعا الكبير منهم قبل الصغير. راجع: فلهاردوان، فتح القسطنطينية، ١٢٩-١٣٠؛
Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 16.

وأخيراً ينبغي الإقرار بأن رواية كلاري عن معالم القسطنطينية تعتبر الأكثر تفصيلاً من غيره من الكتاب الصليبيين، على الرغم من بعض الأخطاء التي انزلق إليها كلاري واعتماده على روايات شفهية بيزنطية في كثير من الأحيان، جعلت وصفه للمدينة أشبه برواية مشتركة بينه وبين أهل المدينة.

على أية حال، ننتقل الآن إلى رواية جونتر الباريسي، كأحد معاصري الحملة الصليبية الرابعة،[1] لنتفحص ما كتبه عن المدينة. كان جونتر الباريسي أحد الرهبان الألمان البندكتيين من دير باريس بالألزاس،[2] ولد نحو عام ١١٥٠م؛ وقد وضع أربعة أعمال باللاتينية،[3] ثلاثة منها تاريخية والرابع ديني.[4] ومن هذه الكتب الأربعة ترك جونتر الباريسي كتاباً عن الغزو الصليبي لمدينة القسطنطينية، انتهى من كتابة الفصول الأربعة والعشرين الأولى منه قبل عام ١٢٠٥م، أما الفصل الخامس والعشرون فيبدو أنه كتب وأضيف إلى كتابه بعد ذلك التاريخ إما في عام ١٢٠٧م أو ١٢٠٨م.[5] ولا نعرف على وجه التحديد لماذا أقدم جونتر على كتابة هذا المصنف التاريخي. غير أنه من المحتمل أنه كتبه بتكليف من أبوت مارتين Abbot Martin،[6] رئيس دير باريس، الذي شارك الصليبيين في حملتهم،[1] وكان شاهد

---

[1] لا يمدنا جونتر إلا بالنذر اليسير عن حياته وكيف دخل الدير. وقد أمكن التوصل إلى بعض الإشارات التي تلقي الضوء على حياته، فقد ولد نحو منتصف القرن ١٢ م في وادي الراين الأعلى جنوب شرقي ألمانيا، في منطقة تقع قرب بازل. وربما كان ينتمي إلى إحدى اسر الفرسان الصغيرة، المعروفة بولائها لأسرة الهوهنشتاوفن؛ ولا يبدو أنه تدرب ليصبح محاربا البتة. ويبدو من مؤلفاته أنه تعلم جيدا، ودرس الآداب الكلاسيكية اللاتينية، وكان عارفا باللغة اليونانية، بحكم كونه راهبا، وأنه كان معلما في إحدى المدارس الكاتدرائية، التي يبدو أنها كانت تقع في أرض الراين. انظر:

Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 4-6.

[2] يشير في الفصل الخامس والعشرين من كتابه "تاريخ القسطنطينية" إلى أنه كان راهباً في دير باريس.

Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 130-131.

[3] هذه الأعمال هي *Historia Iherosolimitana, Ligurinus, Hystoria Constantinopolitana* and *De oratione ieiunio et eleemosyna.*

[4] Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 3.

[5] Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 11.

[6] كان لقب أبوتAbbot يعطى لمن يرأس اثنى عشر راهباً أو أكثر. وهو مشتق من الكلمة السريانية أبا Abba التي تعود إلى الكلمة العبرية Ab، والتي تعني أب. وكانت في بلاد الشام ومصر تعطى كلقب شرفي أو للاحترام، ثم صارت تمنح لأي راهب كبير السن. ومن الشرق انتقل اللقب إلى الغرب ليستخدم للإشارة إلى رئيس الدير. انظر:

http://www.catholicencyclopedia.com/a/abbot

عيان على أفعالهم، ولا شك أنه كان المصدر الشفهي لجونتر الباريسي عن هذا الحدث، والبطل أيضاً في هذا العمل نصف الملحمي.[2] ويبدو أن هدف أبوت مارتين من تكليف جونتر بوضع هذا الكتاب كان لتبرير مسألة قيامه بسرقة آثار القديسين والذخائر المقدسة من كنائس بيزنطية إبان الغزو الصليبي للمدينة، وهي العملية التي تتنافى مع وضعه الديني؛ حيث نلمس من عبارات جونتر محاولاته تبرير فعلة أبوت مارتين واعتبار أن غرضه مما قام به كان غرضا نبيلا وساميا،[3] وأنه لم يفكر في لمس الغنائم غير الدينية بيديه المقدستين؛[4] خاصة وأن البابا أدان عمليات النهب التي قام بها البنادقة والصليبيون لكنائس القسطنطينية.[5] لقد اعترف أبوت مارتين صراحة في مستهل الفصل التاسع عشر من كتاب جونتر أنه "بعد قيام الصليبيين بعمليات النهب والسلب في المدينة بسرعة، على أنها غنيمة تخصهم، بدأ يفكر في كيفية الحصول على ما يخصه من الغنيمة، خشية أن يخرج خالي الوفاض، في حين صار كل فرد ثرياً، ومن ثم عزم على إطلاق يديه المقدستين للسلب. وهكذا، بدأ يخطط في كيفية الحصول على نصيبه من آثار القديسين، التي كان يعلم أنها كانت هناك بكمية عظيمة".[6] ويبدو أن هذا العمل الذي قام به أبوت مارتين أبهج اللاتين عامة، حيث نستشف من عبارات أوتو من سان بلازين St. Blasien ، نحو عام ١٢٠٩م، والمكمل لكتاب أوتو الفريزي، ما يؤكد ذلك، حيث يقول: "...وهكذا، حُملت ثروات اليونان إلى أراض غربية عديدة، خاصة حُلي تلك الكنيسة الكبيرة التي بناها جستنيان منذ زمن، على شرف آيا صوفيا، وشُحنت بكميات عظيمة من الذهب وآثار القديسين، التي تبز بها هذه المدينة الشرق كله. وحملت هذه الذخائر بدرجة كبيرة إلى البندقية، وزخرت المناطق والمدن الأخرى بهذه الرفات والذخائر بدرجة عظيمة. وبالإضافة إلى هذا هناك أبوت بندكتي يدعى مارتين، من دير باريس، الذي يقع في الألزاس،

---

[1] أرسل البابا أمرا بابويا لمجموعة من رجال الدين للمشاركة في الحملة، ويبدو أن مارتين، رئيس دير باريس، كان من ضمنهم، على حد زعم جونتر الباريسي. Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 21 ff.

[2] Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 14.

[3] Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 17.

يختلف هذا الرأي عما ذهب إليه ا.د. حسن حبشي، حيث يرى أن هدف جونتر من تأليف الكتاب كان دراسة الآثار المقدسة والمخلفات الدينية للشهداء والقديسين مما استحضره معه من القسطنطينية. انظر: روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ٢٣.

[4] Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 109.

[5] Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 16.

[6] Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 109.

ذهب في هذه الحملة، وشارك في العصف بالقسطنطينية، وحمل معه في عودته إلى وطنه جزءاً كبيراً جداً من الصليب واهب الحياة وآثار سيدنا المسيح الأخرى، علاوة على الكثير من رفات القديسين، المزينة بالذهب، والفضة، والأحجار الكريمة..."[1]

على أية حال، يشير جونتر الباريسي إلى أن مدينة القسطنطينية مدينة عظيمة ورائعة،[2] وبطبيعة الحال يؤكد على الثراء الذي كانت تتمتع به، حيث يذكر أن الصليبيين، على الرغم من أنه كان محرماً عليهم نهب المدينة قبل إتمام الاستيلاء عليها، تحت تهديد عقوبة الموت،[3] قد اكتشفوا هنا وهناك ثروة عظيمة جداً من الذهب والفضة، وكثيراً من الملابس

---

[1] Otto of St. Blasien, *Ad librum VII chronici Ottonis Frisingensis Episcopi continuatae historiae appendix*, XXI, *MGH*, 331f. Cf. also Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 15.

[2] Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 94.
يشير جونتر الباريسي إلى أن القسطنطينية عندما أنشأت لم تكن بهذا الجمال والروعة التي عليها زمن الحملة الصليبية الرابعة، بل كانت مثلها مثل أية مدينة في ذلك الوقت؛ ويشير إلى أن اليونانيين كانوا يطلقون عليها اسم "بيزنطة"، وهو الاسم الذي صارت تحمله العملة الذهبية التي تسك هناك، والتي يطلقون عليها اسم "بيزنط". كما يضيف أنا تبوأت هذه المكانة بفضل رؤية للإمبراطور قسطنطين. انظر: Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 99. ثم ينتقل جونتر للحديث عن هذه الرؤية وكيف كان لها تأثير في روعة وجمال المدينة. انظر: Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 101-102. ويضيف أن قسطنطين أحضر البناءين والنجارين وأمر بتشييد المدينة وتحصينها بالأسوار والأبراج، وزينها بالكنائس والمنشآت الأخرى حتى أصبحت بالجمال التي هي عليه، وجاءت كنسخة من مدينة روما، على حد قول أبنائها. لذا فإن المدينة تسمى أحيانا "روما الثانية"، والأرض المتصلة بها كثيرا ما يطلق عليها اسم "رومانيا". بيد أن قسطنطين أمر أن تحمل المدينة اسمه، فصارت تعرف باليونانية باسم قسطنطينوبوليس، أي مدينة قسطنطين. انظر: Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 102.

[3] يذكر روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١١٠، أن القادة الصليبيين "استقدموا جميع رجال الجيش وجعلوهم يقسمون على الآثار المقدسة قسما يجلبون بمقتضاه إلى المعسكر مباشرة كل ما يقع في أيديهم من الأسلاب والغنائم سواء أكانت فضة أم ذهبا، وكذلك الأقمشة الجديدة إذا بلغت قيمتها خمس سوسات أو أكثر ولم يستثنوا من ذلك غير الآلات والمأكل، وألا يستعملوا العنف مع أية امرأة أو يجردوها من أي لباس ترتديه، ومن يمسك متهما بذلك سيكون جزاؤه القتل، كذلك جعلوهم يقسمون على الآثار المقدسة ألا يتعرضون لراهب أو قس أو كاهن بسوء دفاعا عن النفس، وألا يقتحموا كنيسة أو ديرا". كان الهدف من هذا القسم فقط توحيد صفوف الصليبيين في القتال ضد البيزنطيين وألا ينشغلوا بجمع الغنيمة، وأخيرا حتى يضمن أمراء الحملة مصادر الثراء بين أيديهم. وقد كان الأمراء الصليبيون في طليعة الذين استولوا على القصور والكنائس والأديرة بعد ذلك، دون عامة الفرسان الصليبيين وفقرائهم، دون أن يولوا أي اعتبار لهذا القسم، ومن ثم تبعهم باقي الجند في أعمال العنف والسلب والنهب.

والمجوهرات الرائعة، وكثيراً جداً من البضائع التجارية القيمة، وكميات عظيمة جداً من أدوات الطعام، والسلع المختلفة الأنواع التي كانت تزخر بها المنازل. ومن ثم تحول كل فرد من الصليبيين ليصبح ثرياً بين عشية وغداها.[1]

ويشير جونتر الباريسي أيضاً إلى طبوغرافية المدينة، حيث يقول أنها مثلثة الشكل، يمتد كل جانب من جوانبها نحو ميل كبير أو أكثر.[2] وعلى الرغم من اتفاقه مع وليم الصوري وأودو الدويلي حول شكل المدينة المثلث، إلا أنه أضاف معلومة مهمة حول طول كل ضلع من أضلاع ذلك المثلث الجغرافي. بيد أن المعلومات التي يقدمها جونتر الباريسي ذات القيمة التاريخية المهمة عن المدينة إنما تتمثل في ثلاثة أشياء رئيسية هي: حديثه عن أسوار المدينة، ثم حديثه عن الأعمدة التي تزينها، وأخيراً حديثه عن ذخائرها الدينية المقدسة؛ والشيء الأخير يكاد ينفرد بتفاصيله جونتر الباريسي عن غيره.

وفيما يتعلق بالمنشآت العامة، فقد تحدث جونتر الباريسي عن أسوار المدينة[3] وأبراجها فقد أشار إلى أن الجانب البري من القسطنطينية متصل بسور هائل وحائط قوي، له أبراج منيعة عالية على طول محيط المدينة، وكل برج قريب من الآخر لدرجة أنه يمكن لصبي ذو سبع سنوات أن يرمي تفاحة من برج لأخر.[4] أما جانب الهلليسبونيت، ويقصد البحري، الذي يفصل الجانب الأسيوي عن الأوربي، فهناك أسوار شاهقة ذات سمك مدهش، مزودة بأبراج قريبة من بعضها البعض، وقد ارتفعت إلى مثل هذا الارتفاع الشاهق حتى يدب الرعب في كل من يلقي بنظره إلى قمتها.[5] وهنا يحسب لجونتر ملاحظته الذكية حول سُمك

---

[1] Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 107.

[2] Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 99.

[3] انظر اللوحات أرقام ٩-١٠، ١١.

[4] تجدر الإشارة إلى أن هذه الأسوار تهدمت في الزلزال الشديد والمخيف الذي ضرب مدينة القسطنطينية يوم السادس والعشرين من شهر أكتوبر عام ٧٤٠م. وقد هدم هذا الزلزال العديد من الكنائس والأديرة ومات فيه كثير من السكان. كما سقط تمثال قسطنطين العظيم، الذي كان مثبتا فوق بوابة أتالوس، وتمثال اتالوس نفسه، وتمثال أركاديوس المثبت فوق عمود اكسرولوفوس، وتمثال ثيودوسيوس الكبير المثبت فوق البوابة الذهبية، ولم تعد هناك سوى كنيسة واحدة في كثير من المدن والقرى الواقعة في تراقيا، ونيقوميديا في بيثينيا، وبراينيتوس، ونيقية. *The Chronicle of Theophanes Confessor*, Eng. trans. C. Mango and R. Scott (Oxford 1997), 572.

بيد أن ليو الثالث الأيسوري وقسطنطين الخامس قاما بترميم وتجديد هذه الأسوار، وإليهما تعود الكثير من النقوش الموجودة على هذه الأسوار. *Parastasies Syntomoi Chronikai*, 59,170.

[5] Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 99.

الأسوار البحرية، والتي كانت تتطلب هذا السُمك لخروج قواعـدها مـن شـاطئ الـدردنيل مباشرة، وبهذا تتمكن من مقاومة ملوحة مياه البحر؛ أما عن ارتفاع الأسوار الشاهق وقـرب الأبراج من بعضها البعض، فقد كان شيئا يدهش كل من يمر بجوار المدينة أو يدخلها.

ومن معالم القسطنطينية الأخرى التي سجلها جونتر، نقـلا عـن أبـوت مـارتين، مشاهداته وملاحظاته عن الأعمدة التي كانت تزين المدينة، حيث يقول عن عمود ثيودوسيوس الكبير: "هناك شيء يستحق القول عن ذلك الهرم،[1] الذي أُلقي من فوقه ذلك الرجل،[2] والـذي يطلق عليه الكثيرون مسمى عمود. وقد شيد من الأحجار الضخمة المرتبطة بشدة مع حديـد متشابك؛ ويرتفع من قاعدة سميكة جداً، ومستدق بشكل تدريجي إلى نقطة على ارتفاع هائـل؛ ويذكرون (أي البيزنطيون) أن أحد النساك كان مختبئا على قمته..."[3] وهكذا، إذا كان جونتر قد اتفق مع روبرت كلاري وفلهاردوان في حديثهما عن عمـود ثيودوسـيوس، إلا أن جـونتر وكلاري قدما معلومات تكمل بعضها البعض، ولم يلتقيا سوى عند حديثهما عـن المنحوتـات التي صورت على العمود، وما دار حولها من أساطير ومعتقدات عند البيـزنطيين. بيـد أن جونتر يضيف على رواية كلاري في هذا الموضع أن البيزنطيين بعد أن قارنوا مـا علـى العمود من أحداث مصورة وبين ما وقع لهم، وأدركوا أن المنحوتات الموجودة على العمـود إنما تشير إلى الغزو الصليبي للمدينة، قاموا بتحطيم هذه الصور المنحوته علـى العمـودين بالأحجار والمطارق الحديدية، وشوهوها بدرجة عظيمة، معتقدين أنهم بهذه الطريقة يـردون على الصليبيين طالع الشؤم.[4]

---

تشير المصادر البيزنطية إلى أن الأسوار البحرية كانت مهملة حتى عهد الإمبراطـور تيبريـوس أبـسيمار (٦٩٨-٧٠٥م)، حيث أصلح ورمم هذه الأسوار. *The Parastasies Syntomoi Chronikai*, 59.

[1] جونتر هو الوحيد بين الكُتاب الصليبيين الذي يُطلق على هذا العمود مصطلح هرم، وهو خاطئ في هذا لأنـه يقصد عمود ثيودوسيوس، الذي سبق الحديث عنه، نقـلا عـن روبـرت كـلاري. Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 116, n. 282.

[2] يقصد هنا مُرزوفليوس الذي خان الإمبراطور البيزنطي وحلفاؤه من الصليبيين في القسطنطينية، عندما نـصب نفسه إمبراطوراً على بيزنطة، بعد أن شنق الإمبراطور وأباه؛ فحكم عليه الملك الـصليبي بلـدوين ورفاقـه بالموت رميا من فوق قمة ذلك العمود. انظر: كـلاري، فـتح القـسطنطينية، ص ١٠١-١٠٢، ١٠٦-١٠٩، ١١١-١٢١، ١٤٧-١٤٩.

[3] Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 116-117.

[4] Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 117; Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gaze*, 206.

أما عن المعالم الدينية في القسطنطينية فقد أشار جونتر الباريسي إلى إحدى كنائس القسطنطينية، دون أن يذكر اسمها، بل أشار إلى أنها كانت كنيسة مبجلة بسبب أن أم الإمبراطور مانويل كومنينوس (١١٤٣-١١٨٠م) اتخذت قبراً رائعاً فيها؛ كما أن البيزنطيين قد حفظوا فيها كنزاً كبيراً من المال، جمعوه من الريف المحيط بها، وحفظوا بها آثاراً ثمينة أحضرها البيزنطيون من الكنائس والأديرة المجاورة إلى هذه الكنيسة؛[1] وهذه الكنيسة هي كنيسة دير المسيح البانتوقراتور.[2]

أخيرا نأتي إلى أهم ما سجله جونتر الباريسي عن القسطنطينية وهو أهميتها الدينية العالية بين المسيحيين، نظراً لما حوته من الآثار المقدسة ورفات القديسين، والتي قال عنها أبوت مارتين أنها كانت هناك بكميات عظيمة.[3] ويقدم جونتر الباريسي تقريراً فريداً بأهم ذخائر المدينة المقدسة ورفات القديسين، التي كانوا يعتقدون فيها، ومن أهم هذه الآثار المقدسة والذخائر الدينية بقايا دماء للسيد المسيح محفوظة في وعاء مقدس، وأجزاء خشبية من الصليب المقدس، الذي صلب عليه السيد المسيح، وجزء معتبر من جمجمة القديس يوحنا المعمدان، وذراع للقديس جيمس الرسول، وأثار للشهيد كريستوفر، والشهيد جورج، والشهيد ثيودور، وجزء من المنضدة التي تناول عليها السيد المسيح العشاء الأخير، وأثر من المكان الذي أسر فيه السيد المسيح، وغير ذلك من الآثار الدينية المقدسة، والتي كانت محفوظة جميعها في كنيسة دير المسيح البانتوقراتور.[4] وهكذا يمكن القول أن جونتر الباريسي انفرد بتقديم معلومات قيمة دون غيرة عن أسوار القسطنطينية، وعن عمود ثيودوسيوس، وبعض الإشارات إلى كنيسة دير المسيح البانتوقراتور، وأخيراً خصص فصلاً من كتابه للحديث عن

---

[1] Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 109.

[2] Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 172, n. 238.

انظر اللوحة رقم ٨.

[3] Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 109.

[4] انظر: Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 125-126.

انظر أيضاً: ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ص ٢٨٧. تجدر الإشارة إلى أن هذه الآثار الدينية المقدسة قام أبوت مارتين بسرقتها، وحملها معه إلى الأراضي المقدسة ثم منها إلى البندقية ثم أخيراً أودعها دير باريس بالألزاس. انظر: Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 118-123.

وقد طاقت شهرتها الآفاق، لدرجة أن الكاردينال بليو الباراتي أصدر مرسوما باسم البابا أوربان السادس يحث على زيارة هذه الآثار والذخائر المقدسة التي بلغت ستين أثرا مقدسا في دير باريس. انظر: Gunther of Pairis, *Hystoria Constantinopolitana*, 179, n. 316.

الآثار المقدسة والذخائر الدينية التي كانت المدينة مكتظة بها، والتي يمكن القول أن الذين اهتموا بها في المقام الأول رجال الدين المصاحبين للحملة الصليبية الرابعة أكثر من الفرسان والنبلاء، اللذين كان جلّ همهم مال القسطنطينية وذهبها.

وعلى عكس روايتيّ روبرت كلاري وجونتر الباريسي، نجد أن رواية فلهاردوان لم تقدم سوى القليل عن المدينة، بل لم تضف أكثر من مجرد إشارات فقط، يلفها الاعتراف بثراء وجمال المدينة؛[1] وهذا عكس ما كان متوقعا منه كفارس ومؤرخ وشاهد عيان على أحداث الحملة الصليبية الرابعة أوتي الفرصة لدخول المدينة. ويستشف من رواية فلهاردوان أن الصليبيين كانوا مندهشين من أسوار المدينة العالية، وأبراجها الشاهقة القوية، التي تحيط بها من كل الجوانب؛ كما كانوا في غاية الإعجاب من قصورها الثرية، وكنائسها الرائعة، التي يصعب إحصاؤها إلا لمن يراها بنفسه. وخلاصة القول أن القسطنطينية كانت في أعين الصليبيين سيدة المدن آنذاك، لم يروا جمالاً يوازي جمالها منذ خُلق العالم.[2]

وتتأكد دهشة الصليبيين من شدة ثراء قصور الأباطرة البيزنطيين عندما يروي فلهاردوان إلى أي مدى أعجبوا بالقصر الإمبراطوري الواقع قبالة القسطنطينية على الشاطيء الغربي لآسيا الصغرى، عند خلقدونية، والذي كان واحداً من قصور الإمبراطور الكسيوس الرابع، ويقول عنه "كان القصر من أجمل وأروع ما يمكن أن تراه العين، حوى من البهجة ما قد يتمناه المرء، أو أنه قد يكون قصراً لأمير من الأمراء".[3]

وقد أشار فلهاردوان أيضاً إلى القصور الإمبراطورية الرئيسية في القسطنطينية، قصر بوكليون الإمبراطوري، وقصر البلاشيرن. غير أنه لم يسهب الحديث عنهما، واكتفى بالإشارة إلى حجم الثراء الذي كانا عليه، حيث يقول: "ركب المركيز بونيفاس دو مونتفرات وسار بطول الساحل حتى وصل إلى قصر بوكليون، الذي استسلم من فيه له...وإن المرء ليعجز عن وصف ما ضمه هذا القصر من ثروة هائلة، بلغت من ضخامتها حداً جاوزت معه الحصر وفاقت العدد". وعن قصر البلاشيرن يقول: "استسلم قصر البلاشيرن لهنري أخي

---

[1] Macrides, *Constantinople: the Crusaders' Gzae*, 195.

[2] Villehardouin, *The Conquest of Constantinople*, 59, 76.

انظر أيضا: فلهاردوان، فتح القسطنطينية، ص ٨٩، ١٠٨-١٠٩. انظر أيضا: رنسمان، الحضارة البيزنطية، ص ٢٢٧.

[3] Villehardouin, *The Conquest of Constantinople*, 60.

انظر أيضا: فلهاردوان، فتح القسطنطينية، ص ٩١.

بلدوين كونت الفلاندرز. وعثر في هذا القصر أيضاً على ثروة لا تقل في ضخامتها عن تلك التي عثر عليها في قصر بوكليون..."[١]

وإلى جانب هذا يشير فلهاردوان دون غيره من الكتاب الصليبيين محل البحث إلى الحي اليهودي بالقسطنطينية المسمى استانور Estanor،[٢]وكيف كان بالغ الروعة، وافر الثراء وكأنه مدينة صغيرة.[٣]

ويتميز فلهاردوان أنه ذكر السلسلة[٤] التي كانت تسد فم خليج القسطنطينية، ممتدة من ميناء القسطنطينية حتى برج غلاطيا، لتمنع السفن الغريبة من المرور عبر البسفور إلا بإذن من حراس برج غلاطيا. ولهذا كان الصليبيون حريصون كل الحرص على الاستيلاء على البرج والسلسلة حتى يتجنبوا الهلاك على أيدي البيزنطيين.[٥]

وإذا كان وليم الصوري قد أشار إلى الذخائر الدينية المقدسة، وزودنا جونتر الباريسي، دون غيره بتفاصيلها، والمحفوظة في القصور الإمبراطورية وكنائس وأديرة المدينة، فإن فلهاردوان لم يفته الإشارة إلى هذه الكنوز الدينية أيضاً، حيث قال عنها: "ولست أراني في حاجة إلى الكلام عما بها من الآثار المقدسة، فقد كان بها يومذاك ما يوزاي الذي من هذه المخلفات الدينية في بقية العالم منها كلها".[٦]

ومن اللافت للنظر أن فلهاردوان لم يصف كنيسة آيا صوفيا، وهي أشهر معلم ديني في القسطنطينية، غير أنه أشار إلى أن تتويج الأباطرة كان يتم فيها، وفق التقليد البيزنطي، عندما ذكر تتويج مُرزفليوس إمبراطوراً بيزنطياً فيها.[٧]

---

[1] Villehardouin, *The Conquest of Constantinople*, 92.
انظر أيضا: فلهاردوان، فتح القسطنطينية، ص ١٢٧-١٢٨.

[2] كان اليهود مع القرن الثاني عشر الميلادي يشكلون تجمعات سكانية في كل المدن البيزنطية، تتحدث اللغة اليونانية البيزنطية. وتجدر الإشارة إلى أنهم كانوا أقليات لا تختلط بغيرها من العناصر السكانية ببيزنطة. انظر: رنسمان، الحضارة البيزنطية، ص ٢١٧-٢١٨.

[3] Villehardouin, *The Conquest of Constantinople*, 67.
انظر أيضا: فلهاردوان، فتح القسطنطينية، ص ٩٨.

[4] عن هذه السلسلة انظر: ميخائيل عواد، مآصر بلاد الروم والإسلام (بغداد، ١٩٤٨).

[5] Villehardouin, *The Conquest of Constantinople*, 66-67.
انظر أيضا: فلهاردوان، فتح القسطنطينية، ص ٩٧-٩٨.

[6] Villehardouin, *The Conquest of Constantinople*, 76.
انظر أيضا: فلهاردوان، فتح القسطنطينية، ص ١٠٩.

[7] Villehardouin, *The Conquest of Constantinople*, 84.

وأخيراً يشير فلهاردوان إلى أحد الأعمدة الرخامية الشاهقة التي كانت تقع في وسط مدينة القسطنطينية، وهو عمود ثيودوسيوس، ويقول عنه: "أنه من أطول وأحسن الأعمدة التي رأتها العين". وكان محفوراً عليه صوراً مختلفة، منها واحدة تمثل إمبراطوراً يسقط منكس الرأس؛ حيث كانت هناك نبوءة قديمة تقول بأنه سوف يرمى من قمة هذا العمود أحد أباطرة القسطنطينية. ولعل ما حدا بفلهاردوان لذكر هذا العمود دون غيره من أعمدة المدينة هو حادثة إعدام الإمبراطور مُرزوفليوس رمياً من فوقه؛[1] وهي الحادثة التي سبق وأن سجلها روبرت كلاري أيضاً، بيد أن الأخير ومعه جونتر الباريسي قدما كثيراً من التفاصيل عن ذلك العمود.

وهكذا، بدا جليا للقارىء أن غالبية الكتّاب الصليبيين جمعتهم صفة الانبهار الشديد والإعجاب البالغ بحجم مدينة القسطنطينية وثرواتها ومنشآتها، لاسيما القصور والكنائس والأديرة. وهذا الهوس الذي أصابهم من بريقها الحضاري، الذي كانوا يفتقرون إليه في أوطانهم بغرب أوربا، جعلهم يحاولون النيل منها بكل السبل الشرعية أو غير الشرعية، حتى أسقطوها عام ١٢٠٤م في قبضتهم، وأشبعوا نهمهم بالاستيلاء على قصورها وكنائسها وثرواتها وذخائرها المقدسة.

لقد كانت لكل كاتب صليبي ظروفه الخاصة في رؤيته لمدينة القسطنطينية، فمن تمكن منهم في التجول بحرية في أرجائها فصل الحديث عن معالمها، ومن لم تتح له هذه الفرصة تناولها بين ثنايا مؤلفه بصفة عامة؛ وعلى هذا تفاوتت القيمة التاريخية لكتابات الصليبيين عن القسطنطينية من كاتب إلى آخر. بيد أن السؤال الذي يطرح نفسه في ختام البحث هو: هل لعبت النظرة العنصرية أو البربرية للصليبيين تجاه البيزنطيين دوراً مؤثراً في رؤيتهم للقسطنطينية وكتابتهم عنها؟

والإجابة على هذا التساؤل ربما تدفعنا إلى الحديث عن الشقاق الذي كان قائماً بين كنيستي روما وبيزنطة، والذي لا يمكن إغفاله كأحد بواعث البابوية في دفع الحركة الصليبية صوب الشرق. بيد أننا سنكتفي بالقول أن كلمات البابا في كليرمونت عام ١٠٩٥م جاءت بمثابة جواز المرور لأمراء أوروبا الإقطاعيين ليخرجوا للنيل من الشرق الحضاري بشقيه الإسلامي والبيزنطي، فكلاهما كان هرطوقا في الفكر الأوربي لاسيما الفكر الكنسي. بيد أن

---

[1] Villehardouin, *The Conquest of Constantinople,* 108-109. Cf. also Langille, *La Constantinople de Guillaume de Tyr*, 194.

انظر أيضا: فلهاردوان، فتح القسطنطينية، ص ١٤٦-١٤٨.

بيزنطة لم تكن لتعرف التواضع والتسامح بمفهومنا العربي تجاه الآخر، والمرتكز على أصول دينية؛ وهو الأمر الذي زرع الحقد في قلب أوربا الغربية تجاهها؛ والمتصفح لكتاب إدارة الإمبراطورية البيزنطية لقسطنطين بورفيروجنيتوس سيعي تماما قواعد بيزنطة في التعامل مع الآخر؛ حيث نظرت إلى معظم الشعوب الأخرى على أنهم برابرة، باستثناء الفرنجة.[1] ففي هذا الكتاب المهم يوضح قسطنطين بورفيروجنيتوس القواعد الدبلوماسية البيزنطية في التعامل مع الآخر[2] وأولها: اتخاذها مبدأ فرق تسد؛ ثانيها: استخدام الهدايا والتحف والحلي الثمينة والملابس الفاخرة كرشاوي لزعماء القبائل أو الحكام لتأليب هذا الحاكم على ذاك، أو لتأليب هذه القبيلة على تلك؛ ثالثها: استخدام البعثات التبشيرية المسيحية في السيادة على بعض الشعوب؛ رابعاً: عدم السماح للأمراء الأجانب بالزواج من الأميرات البيزنطيات (على الرغم من حدوث بعض حالات زواج).

لقد ساهمت كل هذه العوامل، بالإضافة إلى رغبة بيزنطة في التفوق والسيادة السياسية والدينية على جيرانها، في تربص الأعداء بها، وتأهبهم على كل حد من حدودها للنيل منها. ولم يكن الصليبيون إلا بضع حبات في عقد أعداء بيزنطة، غير أنهم كانوا الأشد كرهاً لها، وهو ما تعكسه كلمات مؤرخيها الصليبيين عبر مدوناتهم التاريخية، بل وصل الحد بهم إلى اتهامها بالغدر والخيانة.[3] وهنا يقول أودو الدويلي أن فكرة الاستيلاء على القسطنطينية طُرحت على الملك لويس السابع عند تواجده بالمدينة وكانت المبررات الدينية أن القسطنطينية مدينة مسيحية اسمياً لا فعلياً، وأن أساقفة بيزنطة هراطقة.[4] أما فلهاردوان فيقول عن البيزنطيين:"...هل سمعت عن شعب مذنب وغارق في الخيانة المروعة أكثر من هؤلاء!"،[5] بل تشير كلماته في موضع آخر إلى نظرتهم لبيزنطة على أنها دولة مارقة ولابد من إعادتها إلى

---

[1] See: Constantine Porphyrogenitus, *De Adminstrando Imperio,* ed. G. Moravcsik, Eng. trans. R. H. Jenkins (Budapest 1949), chap. 13, 65 ff, chap. 26 ; H. Ahrweiler, "Byzantine Concepts of the Foreigner: The Case of the Nomades", in (eds. H. Ahrweiler and A. Laiou), *Studies in the Internal Diaspora of the Byzantine Empire* (Washington D.C. 1998), 4.

[2] انظر: رأفت عبد الحميد، قواعد الدبلوماسية البيزنطية، المجلة التاريخية المصرية، ٣٣(١٩٨٦)، ص ٢٩-٨٢.

[3] عن هذه القضية انظر: رأفت عبد الحميد، قضايا من تاريخ الحروب الصليبية (القاهرة ١٩٩٨)، ص ٦٧-١٢١؛ Carrier, *L'image du Grec,* 62-75.

[4] Odo of Deuil, *De profectione* , 69.

[5] فلهاردوان، فتح القسطنطينية، ص ١١٨.

حظيرة روما، حيث يقول: "إن هؤلاء اليونانيين قد جاوزوا كل حد، وخرجوا عن طاعة كنيسة روما..."[1] بل صار الوعد بالغفران البابوي مكافأة لكل من ينهض أو يستشهد لفتح القسطنطينية؛[2] وفي المقابل نظر البيزنطيون لقادة الحملات الصليبية بعين الاحتقار، وأنهم نوع غريب وبربري من البشر، حثالة يتكلمون لغة غير مفهومة، لا يتسمون بشيء سوى الجشع وسوء السلوك، ولديهم تيه بالنفس لا يحتمل.[3] على أية حال، ليس من المستبعد أن كل هذه العوامل أثرت على كتابات الصليبيين عن القسطنطينية، وأدت بالبعض منهم أن يهمشها، ربما عن عمد، في كتاباته عن الحركة الصليبية، برغم أنهم كانوا شهود عيان. ومع هذا لا يمكن إغفال التفاصيل التي قدمها أودو الدويلي أو روبرت كلاري أو جونتر الباريسي عنها.

---

1 Villehardouin, *The Conquest of Constantinople*, 85.

2 Villehardouin, *The Conquest of Constantinople*, 85;

انظر أيضا: فلهاردوان، فتح القسطنطينية، ص ١١٩.

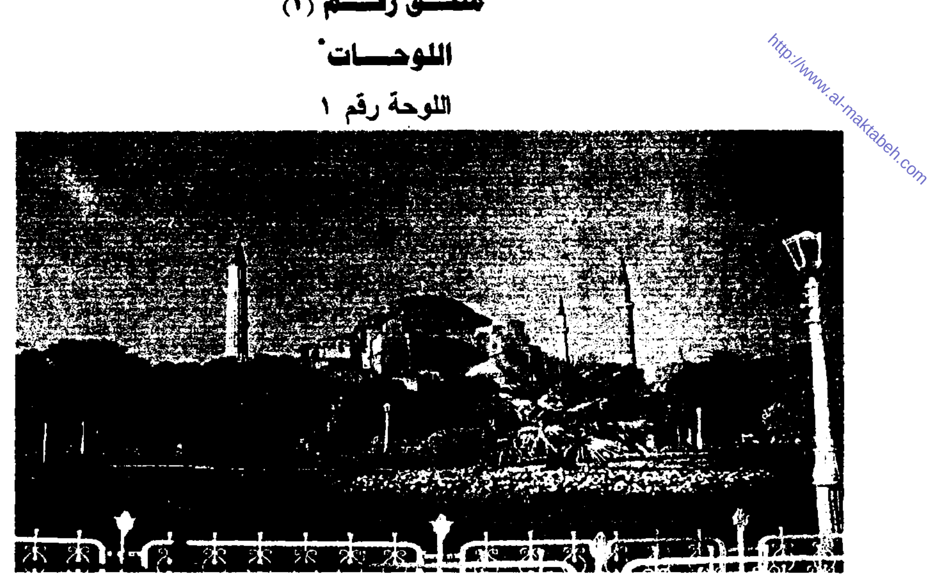
3 عبد العزيز رمضان، مانويل الأول كومنينوس، ص ١٢٥.

## ملحـــق رقـــم (٢)

## اللوحـــات*

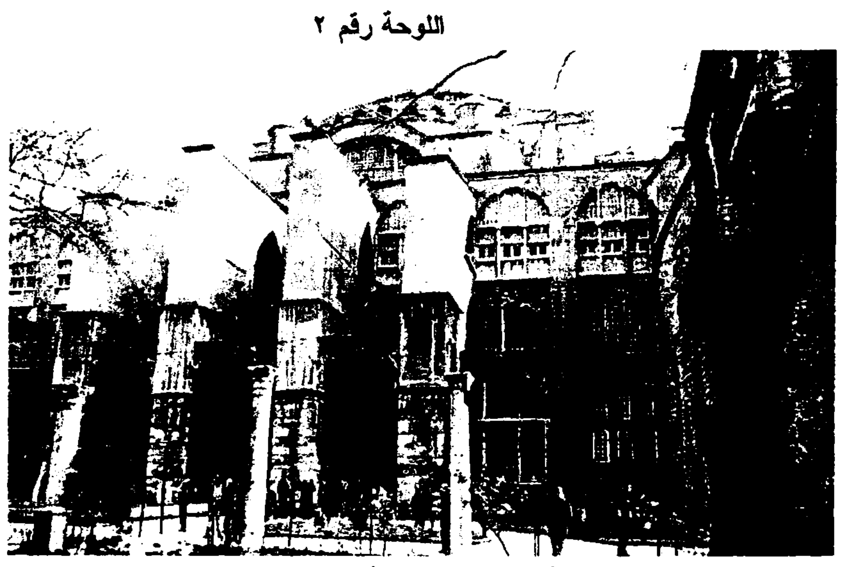


اللوحة رقم ١



كنيسة آيا صوفيا والتي تعرف الآن باسم متحف آيا صوفيا باستانبول

اللوحة رقم ٢



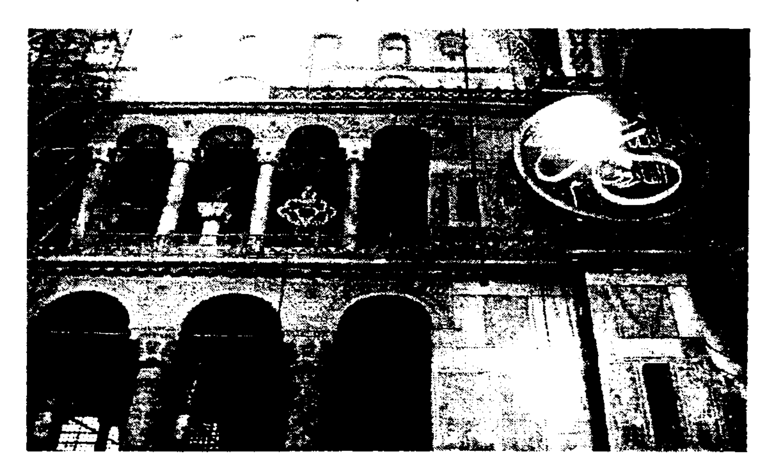
أحد مداخل كنيسة أيا صوفيا الرئيسية

**اللوحة رقم ٣**



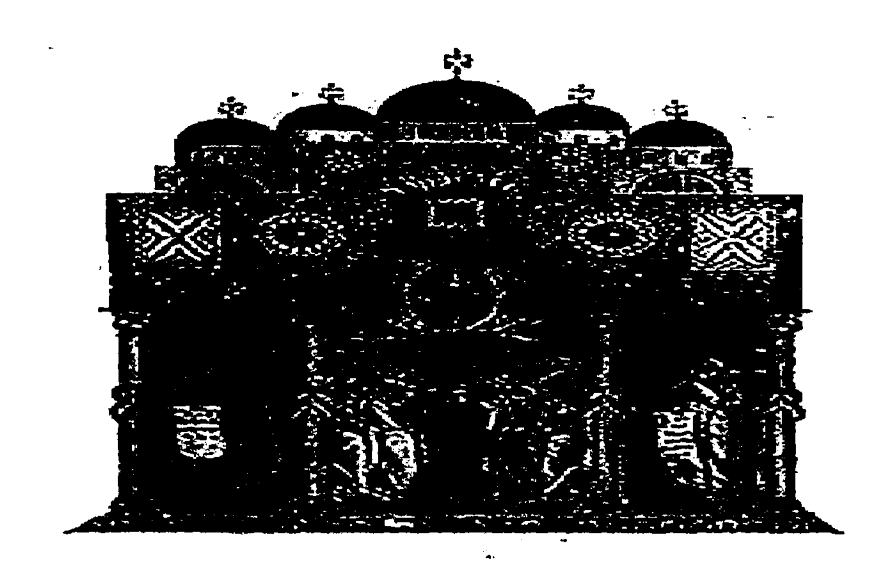
لوحة من الموزايك المذهب تمثل السيدة العذراء في الوسط تحمل السيد المسيح وعن يمينها الإمبراطور يوحنا كومنينوس وعن يسارها الإمبراطورة ايرين، منظر داخلي من كنيسة هاجيا صوفيا

**اللوحة رقم ٤**



منظر داخلي يمثل جانبا من الأعمدة الرخامية التي تحمل قباب هاجيا صوفيا

**اللوحة رقم ٥**



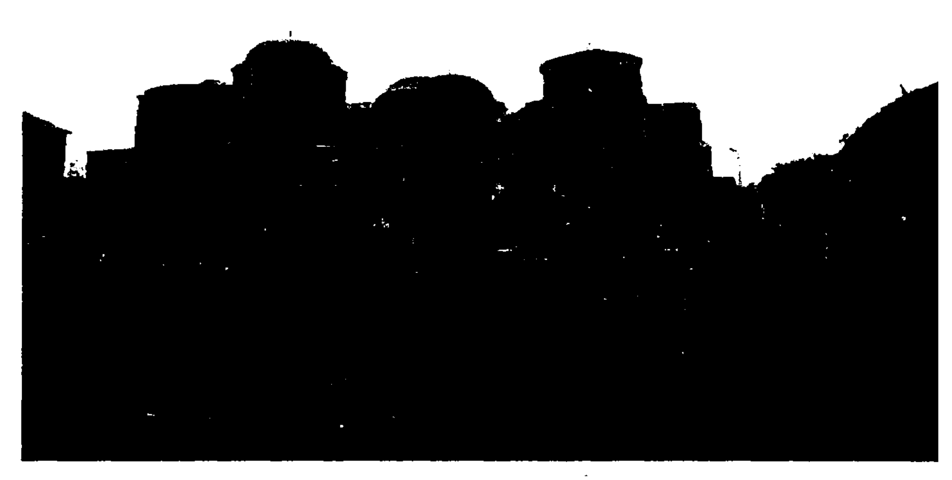
كنيسة الرسل المقدسين، مأخوذة عن إحدى المخطوطات اليونانية

**اللوحة رقم ٦**



منظر يجمع بين ساحة الهيبودروم، حيث يظهر عمود قسطنطين، وآيا صوفيا

اللوحة رقم ٧



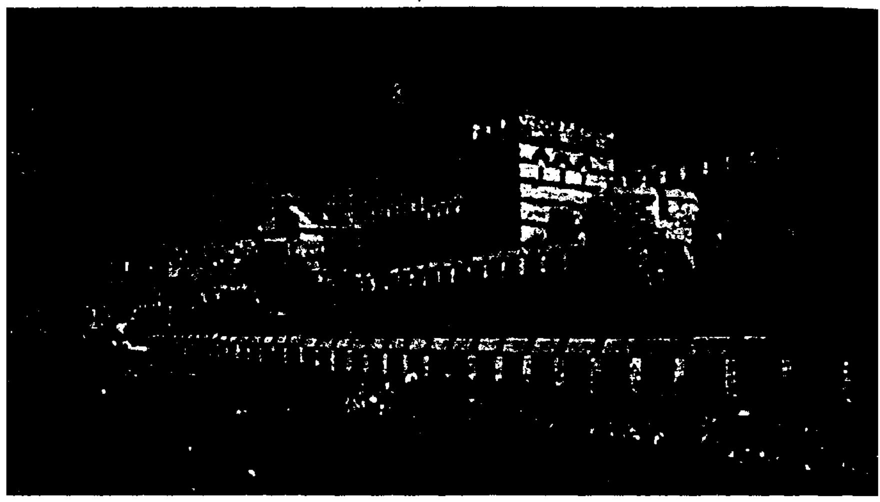
بقايا دير المسيح البانتوقراتور بالقسطنطينية

اللوحة رقم ٨



كنيسة دير المسيح البانتوقراتور بالقسطنطينية

اللوحة رقم ٩**



جزء من الأسوار البرية لمدينة القسطنطينية

اللوحة رقم ١٠



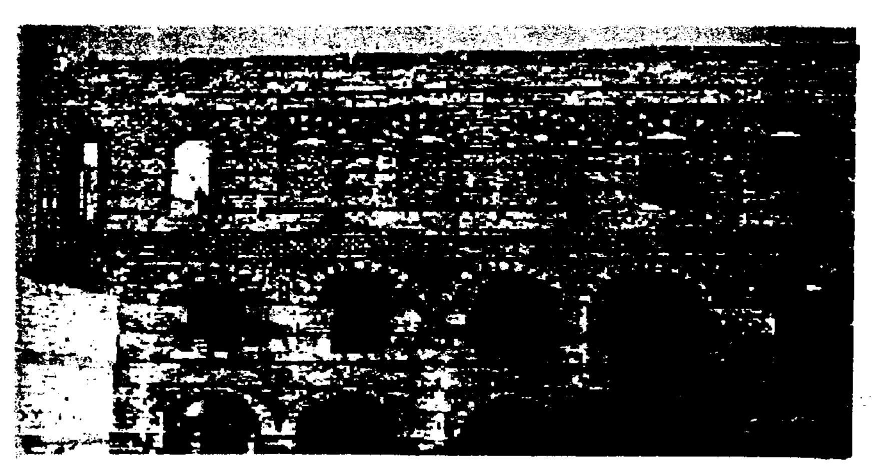
أحد الأبراج الرخامية لأسوار القسطنطينية

## اللوحة رقم ١١



جزء من قصر بوكليون الإمبراطوري

## اللوحة رقم ١٢*



جزء من القصر الإمبراطوري بالقسطنطينية

# الفصل الثاني

# المآدب الإمبراطورية ومراسمها

# في عهد الإمبراطور ليو السادس الحكيم

# (٨٨٦-٩١٢م)

**مقدمـــة:**

ماذا لو عاد الزمان بالمرء القهقرى ودُعي ذات يوم إلى وليمـــة إمبراطوريـــة فـــي القصر الإمبراطوري الكبير بالقسطنطينية! هل سيجلس على مائدة الإمبراطور الذهبية أم على مائدة مجاورة لمائدته؟ ومتى سيدخل إلى قاعة الطعام؟ وأين سيجلس أعلى ميمنة الإمبراطور أم على ميسرته أم أمامه؟ ومن سيليه أو يتقدمه في الجلوس؟ ولماذا؟ ومـــا المناســـبة التـــي سيدعى المرء إلى وليمتها الملكية؟ وما المراسم التي عليه اتباعها حال وصوله لمقر المأدبـــة الإمبراطورية؟

إن الإجابة عن كل هذه الأسئلة وغير ذلك من التفاصيل التي سترد تباعـــاً تـــشكل عصب الدراسة التي نحن بصددها وتعتبر أسباباً مشروعة لإعدادها، لاسيما وأنه لم تـــصدر دراسات سابقة -على حد علمي- تعالج تلك القضية. أما أسباب اختيار عصر الإمبراطور ليو السادس بالذات فله أسبابه والتي تتلخص في أن هذا الإمبراطور، الذي لقب بـــالحكيم، كـــان عصره يعج بحركة إصلاحات غير مسبوقه منها الإصلاحات الإدارية التنظيمية لاسيما فـــي الأقاليم العسكرية، والإصلاحات الإدارية بالجهاز الحكومي، وحركة إصلاحات واســـعة فـــي القوانين المدنية والكنسية، وتميزه بالتآليف المتميزة في عهـــده. فقـــد شـــهد عهـــده تـــأليف الإمبراطور نفسه لكتاب التكتيكا، الذي أعده ليكون دليلاً حربياً لقادة الجيش ليتمكنوا من خلاله من مواجهة المسلمين،[1] وكتاب والي المدينة، وقائمة فيلوثيوس اللذان يعودان إلـــى عـــصره أيضاً، وكلاهما يُعنى بأمور تنظيمية دقيقة للغاية سواء داخل العاصمة أم داخل القصر الملكي نفسه، مما يعطي انطباعاً قوياً أنهما وضعا بأمر من الإمبراطور نفسه لتنظيم حركة الأفـــراد، ما لهم وما عليهم، سواء في أسواق المدينة أم في حضرة الإمبراطور، هذا من ناحية. ومـــن ناحية أخرى فإن عصر الإمبراطور ليو السادس الحكيم لم يأخذ حقه من الدراسات التحليليـــة

---

[1] انظر: T. Kolias, "The *Taktika* of Leo VI the Wise and the Arabs," *GrA* 3(1984), 129-135.

التي تسلط الضوء على موضوعات بعينها، بإستثناء قضية زيجاته الأربع.[1] كما أن النصوص التي تدور حول قضية البحث في عهده تجعل الموضوع محكماً ومترابطاً في مادته التاريخية، بخلاف إذا ما إمتدت لتشمل ما كتبه قسطنطين بورفيروجنيتوس في كتابه عن مراسم البلاط البيزنطي فإن الأمر سيحتاج إلى تأليف كتاب وليس دراسة متعمقة حول قضية بذاتها، لاسيما وأن قسطنطين بورفيروجنيتوس نقل كليترولوجيون (Κλητορολόγιον) فيلوثيوس Philotheos مع شيء من التصرف ضمن كتابه عن المراسم.

إن المصادر البيزنطية التي تتناول موضوع الدراسة بصفة عامة شحيحة للغاية، غير أن أكثرها تفصيلاً هو كليترولوجيون فيلوثيوس، الذي عاش في عهد الإمبراطور ليو السادس الحكيم Leo VI (٨٨٦-٩١٢م)؛ وكذلك المجلد الأول من كتاب المراسم *De Ceremoniis Aulae Byzantinae* للإمبراطور قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس Constantine Porphyrogenitus (٩١٣-٩٥٩م) بقسميه الأول والثاني، والذي ندين له بالفضل في معظم المعارف التي وصلتنا عن الإدارة البيزنطية وحياة البلاط البيزنطي، الذي اتسمت مراسمه بالتعقيد الشديد المحكم؛[2] إضافة إلى بعض النصوص الأخرى المتفرقة. وفيما يتعلق بكليترولوجيون فيلوثيوس فقد ذيل بها الأستاذ بيوري J. B. Bury كتابه عن "النظام الإداري الإمبراطوري في القرن التاسع" وهو الذي أفرده للحديث عن النظام الإداري في بيزنطة في القرن التاسع الميلادي حسب رواية فيلوثيوس؛[3] ثم أعاد نشرها مع ترجمة

---

[1] توفيت الإمبراطورة ثيوفانو زوج ليو السادس عام ٨٩٣م، ثم لحقت بها زوجته الثانية زوي عام ٨٩٦م. وفي عام ٨٩٩م تحدى ليو السادس القوانين الكنسية وتزوج للمرة الثالثة من ايدوكيا الفريجية، التي سرعان ما توفيت عام ٩٠٠م. ثم عاد ليو وتحدى البطريرك نيقولا مستيكوس وتزوج للمرة الرابعة من زوي كاربونسينا. وتعقدت المشكلات بين الإمبراطور والبطريرك، الذى رفض تلك الزيجة وقطع شركة ليو من الكنيسة؛ فما كان من ليو إلا أن عزله من منصبه وعين مكانه البطريرك يثيميوس. وتجدر الإشارة إلى أن البابا في روما أجاز هذه الزيجة، مما تسبب في مشكلات بينه وبين كنيسة القسطنطينية. لمزيد من التفاصيل انظر، وسام عبد العزيز فرج، الزواج الرابع للإمبراطور ليو السادس (الإسكندرية ١٩٩١)، ص ٣٥-١٤٢؛ N. Oinkonomidès, "La dérniere volonté de Léon VI au sujet de la tétragamie," *BZ* 56(1963), 46-52; P. Karlin-Hayter, "La prehistoire de la dérniere volonté de Léon VI," *Byz* 33(1963), 251-252; S. Tougher, *The Reign of Leo VI (886-912)* (Leiden, New York, Köln 1997), 133-193.

[2] Tamara T. Rice, *Everyday Life in Byzantium* (London, New York 1967), 49.

[3] J. B. Bury, *The Imperial Administrative System in the Ninth Century* (London 1911).

فرنسية وتعليق الأستاذ نيقولاس اويكونوميذس N. Oikonomides.[1]

لقد شغل فيلوثيوس مؤلف قائمة "المدعوين إلى ولائم القصر الإمبراطوري" وظيفة "المشرف على الولائم الإمبراطورية" ( أتريكلينس *Atriklines*) وكان يحمل لقباً شرفياً هو "حامل السيف الأول" (بروتوسباثاريوس *Protospatharios*).[2] وقد تولى – بحكم منصبه – توجيه دعوات الإمبراطور لحضور الولائم الملكية والمناسبات الرسمية بالقصر الإمبراطوري فضلاً عن تنظيمها،[3] وذلك بناءاً على قوائم الأسماء التي كانت في حوزته لجميع موظفي الدولة ونبلائها،[4] ومن هنا قام بتصنيف قائمة للمدعوين إلى هذه الولائم والمناسبات الإمبراطورية، لتكون دليلاً للعاملين بالتشريفات الملكية بالقصر، اعتمد فيها على ترتيب كافة موظفي الدولة حسب مناصبهم أو درجة أهميتهم وكذلك الألقاب الشرفية التي كانوا يحملونها؛ بل إنه صنفهم كالتالي: علية القوم، ثم الطبقة المتوسطة، ثم الطبقة الدنيا. وينقسم هذا المصدر المهم إلى أربعة أقسام، عني فيلوثيوس في القسم الأول منه ببيان هيراركية كافة الرتب أو المناصب التي شغلها المسئولين في الدولة والألقاب التي حملوها أيضاً. وهذا الجزء ربما كان حافزاً للأستاذ ج. بيوري و أ. د. وسام فرج لدراسة المناصب والألقاب وتطورها في بيزنطة. ويأتي القسمين الثاني والثالث من الكتاب ليتحدثا عن ماهية وطبيعة ومكانة من يجلسون على مائدة الإمبراطور وترتيب جلوسهم، سواء كان على المأدبة الاعتيادية أم المآدب السنوية، والتي كانت تقام في الأعياد والمناسبات المختلفة؛ وأخيراً يأتي القسم الرابع والأخير – وهو الأطول– ليتحدث فيه فيلوثيوس عمن ينبغي أن يُدعى إلى المائدة الإمبراطورية عامة طوال العام وفي الأعياد البيزنطية.[5]

---

[1] *Traité de Philothée*, dans: *Les listes des présénce byzantines des IX<sup>e</sup>-X<sup>e</sup> siècles*, ed. N. Oikonomides (Paris 1972), 65-234.

[2] بروتوسباثاريوس: كان حملة هذا اللقب يشكلون طبقة خاصة بين حملة الألقاب، ويقتضى التسجيل فيها أن تدفع الخزانة راتباً سنوياً من المال لهم. انظر، Oikonomides, *Les listes*, 297; Idem, "Constantine VII Porphyrogénéte et les theme de Cephalonia et de Longobardia," *REB* 21 (1963), 121; Bury, *The Imperial Administrative System*, 27; M. Wittow, *Making of Orthodox Byzantium 600-1025* (London 1996), 108.

[3] وسام عبد العزيز فرج، "الألقاب والمناصب الحكومية في بيزنطة بين الاستمرارية والانقطاع"، منشور في بيزنطة قراءة في التاريخ السياسي والحضاري (القاهرة ٢٠٠٤)، ص ٣٦.

[4] Lilian Simeonova, "In the Depth of tenth-century Byzantine ceremonial: the treatment of the Arab prisoners of war at the imperial banquets," *BMGS* 22(1998), 78.

[5] A. Kažhdan, *Oxford Dictionary of Byzantium* (Oxford 1991), s.v. *Klētorologion of Philotheos*, 1661-1662.

وهكذا، فإن الأقسام الثاني والثالث والرابع من كليترولوجيون فيلوثيوس هي عماد هذه الدراسة، بالإضافة إلى المصادر البيزنطية الأخرى لاسيما التي تُعنى بالإدارة البيزنطية في تلك الفترة، إلى جانب بعض النصوص العربية. أما عن الدراسات الحديثة التي تناولت موضوع البحث فلم يتنامى إلى علمي وجود بحوث سابقة تناولت قضية الدراسة بالشكل المقترح.

ومن ناحية ثانية نود أن نؤكد على نقطة مهمة وهي أن هذه الدراسة غير معنية بدراسة الطعام والشراب والأواني المستخدمة على المائدة الإمبراطورية، حيث سبق وأن دُرست من قبل بعض الباحثين الأوروبيين حديثاً، ومن ثم فلا ضرورة لإعادة البحث فيها بعد أن أصبحت معلومة للمتخصصين.[1]

وقبل أن نتحدث عن الولائم الإمبراطورية لابد لنا -كمقدمة- أن نصور للقارئ في عجالة بهاء وروعة القصور الملكية التي ورد ذكرها في النصوص المتعلقة بموضوع الدراسة والتي كانت تقام فيها تلك الولائم، حتى يستطيع رسم صورة حية عن شكل هذه القصور وفخامتها، وما يمكن أن تكون عليه الولائم الملكية البيزنطية. ولأجل تحقيق هذه الغاية سنستعير مادتنا التاريخية من مصادر قد تكون متأخرة قليلاً عن الإطار الزمني للبحث، لثرائها واعتمادها على رؤية شهود عيان لقصور دامت مئات السنين.

لقد كان ثراء القصور الملكية بصفة خاصة، لاسيما قصر قسطنطين الكبير[2] وقصر البلاشيرن[3] وقصر البوكليون[4] والقصور الملكية

---

[1] انظر الست عشرة دراسة المنشورة في الكتاب التالي: *Food and Wine in Byzantium, in Honour of Professor A. M. Bryer*, eds. Leslie Brubaker and Kallirroe Linardou (Hampshire 2007). See also Andrew Dalby, *Flavours of Byzantium* (Blackawton, Totnes 2003).

[2] يطلق عليه أيضاً اسم القصر الكبير أو القصر المقدس. انظر: Janin, *Constantinople byzantine*, 107. ولمزيد من التفاصيل عنه وعن القصور الأخرى أنظر: A.G. Paspates and William Metcalfe, *The Great Palace of Constantine*, (Whitefish 2004).

[3] أنشأ الإمبراطور مارقيان وزوجته بولخيريا هذا القصر في البلاشيرن أو البلاخيرن للراحة أو التقاعد به. انظر: R. Janin, *Constantinople byzantine* (Paris 1950), 124.

[4] سمي هذا القصر باسم قصر بوكليون نسبة إلى مرفأ القصر المسمى بذلك الاسم حيث نصب تمثالاً ضخماً لثور يقاتل أسداً. وهذا القصر عبارة عن مجموعة من المباني المتجاورة شيدت بأيدي أباطرة مختلفين. وقد ظل هو القصر الإمبراطوري الذي تدار دفة الحكم منه، ربما حتى عصر آل كومنينوس، الذين فضلوا الإقامة في قصر البلاشيرن. انظر: رنسمان، س. ، الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد (القاهرة ١٩٦١)، ص

الأخـــرى،[1] وكنائـــس القسطنطينيـــة[2] من الأشياء اللافتة لنظـــر زوارهـــا، ســـواء أكـــانوا مبعوثون دبلوماسيون أم زوار قصدوا المزارات السياحية والدينية بكافة أشـــكالها. **فالقـــصر الإمبراطوري** كان يمثل مقر إقامة الإمبراطور ومقر البلاط الإمبراطوري. وكان القصر يقـــع في الركن الجنوبي الشرقي من مدينة القـــسطنطينية جنـــوب كنيـــسة أجياصـــوفيا وشـــرقي

---

٢٢٦-٢٢٧؛ R. Guilland, *Études de topographie de Constantinople byzantine* (Amsterdam 1969), 249-293; Janin, *Constantinople byzantine*, 120-121; P. Magdalino, “Manuel Komnenos and the Great Palace”, *BMGS* 4(1978), 101-114.

ويقول عنه فلهاردوان: " إن المرء ليعجز عن وصف ما ضمه هذا القصر من ثروة هائلة، بلغت من ضـــخامتها حداً جاوزت معه الحصر وفاقت العدد". ويعلق على قصر البلاشيرن–السابق ذكره– بقوله: "وعثـــر فـــي هـــذا القصر أيضاً على ثروة لا تقل في ضخامتها عن تلك التـــي عثـــر عليهـــا فـــي قـــصر بوكليـــون." انظـــر: Villehardouin, *The Conquest of Constantinople*, in: Joinville & Vellehardouin, *Chronicles of the Crusades*, Eng. trans. M. R. B. Shaw (Penguin books, n.d.), 92.

انظر أيضا: فلهاردوان، فتح القسطنطينية، ترجمة حسن حبشي (جدة ١٤٠٣هـ)، ص ١٢٧-١٢٨.

[1] كانت هناك عدة قصور إمبراطورية في المدينة غير القصر الإمبراطوري وقصر البلاشيرن. عنها انظر: Janin, *Constantinople byzantine*, 123-144.

[2] أنشأ الإمبراطور قسطنطين العظيم كنيسة آيا صوفيا، أهم كنائس القسطنطينية، مع إنشائه لمدينة القـــسطنطينية، وكان مبنى متواضعا يختلف عن الذي شيده جستنيان في القرن السادس الميلادي. وقد احترقت مـــرتين واحـــدة في القرن الخامس الميلادي والثانية في القرن السادس الميلادي، إلى أن أعاد جستنيان بنائهـــا بالفخامـــة التـــي عليها حتى الآن. وكان يربط بينها وبين القصر الإمبراطوري رواق خشبي، يرتاده الإمبراطور وحاشيته عنـــد الذهاب إليها للصلاة أو الاحتفالات. انظر: أومان، ش.، الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة مـــصطفى طـــه بـــدر (القـــاهرة ١٩٥٣)، ص ٢٣؛ A. Cameron, “Procopius and the Church of St. Sophia”, *The Harvard Theological Review* 58(Cambridge, Mass. 1965), 161-163.

وقد كانت كنيسة آيا صوفيا واحدة من عجائب العالم، حيث كانت تحوي أكبر وأهم مجموعة من آثار القديـــسين والمعروفة باسم "آلام المسيح" Passion؛ ونظراً لأهمية كنيسة آيا صوفيا فقد أمَّهـــا كـــل زوار القـــسطنطينية الأجانب تقريباً، حيث أدهشتهم بروعتها وكنوزها وقدســـيتها وذخائرهـــا المقدســـة؛ وكـــذلك كنيـــسة القـــصر الإمبراطوري الصغيرة المعروفة باسم كنيسة عذراء فاروس. كما كانـــت كنيـــسة الرســـل المقدســـين Holy Apostles واحدة من مفاتن القسطنطينية، حيث كانت تحوي رفات سبعة من القديسين. وهذا الأمر الأخير كان يضفي على المدينة جاذبية فريدة. انظر Robert of Clari, *The Conquest of Constantinople*, Eng. trans. E. H. McNeal (Toronto, London 1936), repr. 1996, 107-108. Cf. K. Ciggaar, *Western Travellers to Constantinople, the West and Byzantium, 962-1204: Cultural and Political Relations* (Leiden 1996), 47-48.

عـــن كنـــائس القـــسطنطينية انظـــر الدراســـات التاليـــة: J. Ebersolt et A. Thiers, *Les églises de Constantinople* (Paris 1913); K. Ciggaar, "Une description de Constantinople dans le *Tarragonensis* 55," *REB* 53(1995), 117-140.

الهيبودروم، والبحر من الجهات الأخرى. كان القصر الكبير يتألف من عدد من الردهات المنفصلة عن بعضها، والمقصورات وأفنية، وثكنات ومطابخ وكنائس يمكن الوصول إليها عن طريق بوابة الشالكيه Chalke في الركن الشمالي الغربي، ومن جهة البحر عن طريق مرفأ القصر عند البوكليون Boukoleon عند الطرف الجنوبي.[1] وقد كان لهذا القصر رصيفاً عجيباً من الرخام الرائع يصله بالبحر، حيث كانت السلالم المؤدية إلى الماء وتماثيل الأسود والأعمدة منحوتة كلها من الرخام لتضفي على القصر روعة ملكية؛ وهذا المدخل كان مخصصاً للإمبراطور فقط، عندما يريد الصعود إلى القسم العلوي من القصر.[2] وفي الطابق الثاني من القصر الإمبراطوري كانت توجد عدة حجرات وأجنحة، منها ما هو مخصص للاجتماعات الإمبراطورية؛ وكانت تسدل ستائر غاية في الفخامة والدقة وروعة النقوش والزخارف لحجب الإمبراطور ومن بمعيته من الملوك أو الأباطرة عن باقي أعضاء الوفد المرافق للضيف. وفي قاعة الاجتماعات هذه كان الإمبراطور يجلس على عرشه الذهبي الفخم مرتدياً ملابسة الإمبراطورية؛ كما كانت بعض الأجنحة بالقصر مخصصة لإقامة الملوك الوافدين على الإمبراطور.[3] وكانت قاعة الاستقبال الرئيسية به محلاة بالذهب والفسيفساء؛ كما كانت القباب الزرقاء المرتكزة على أعمدة الرخام المرمرية تضفي عليه جمالاً.[4]

أما **قصر البلاشيرن** فإنه على الرغم من أن أساساته تمتد على أراض منخفضة، إلا أنه يكتسب سمواً فريداً من خلال عمارته الممتازة وبهائه، وبسبب ما يقع حوله من ثلاثة جوانب فإنه يبعث في سكانه البهجة الشديدة بوقوعه على البحر والحقول والمدينة. وما يقع خارجه فائق الجمال، أما ما يقع داخله فيفوق جماله الوصف. فهو مزين في كافة أرجائه بالذهب بشكل متقن، وتشكيلة عظيمة من الألوان؛ وأرضيته مصنوعة من الرخام، ومعبدة بمهارة فائقة. ويضيف أودو الدويلي قائلا: "**...لا أعرف إذا ما كان الفن الرائع أم المواد**

---

[1] Wittow, *Making of Orthodox Byzantium*, 106-107.

[2] William Archbishop of Tyre, *A History of Deeds Done Beyond the Sea,* Eng. trans. E. W. Babcock and A.C. Krey, II (New York 1943), 379.

[3] William of Tyre, *Deeds*, II, 379-380. Cf. E. M. Langille, "La Constantinople de Guillaume de Tyr", *Byz* LXIII(1993), 183-185.

[4] يوسف سمير كامل بسخرون، مدينة القسطنطينية ومراسمها في الكتابات اللاتينية القرن الثاني عشر الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة (كلية البنات، جامعة عين شمس ٢٠٠٧)، ص ٧٥. ولمزيد من التفاصيل انظر نفس المرجع، ص ١٧٩-٢٠٠.

الثمينة جداً هما اللذان يهبانه هذا الجمال الشديد والقيمة العالية"؛[1] ثم يضيف معلومة مهمة عن هذا القصر عندما يذكر أن هذا القصر هو المبنى الوحيد الذي كان يعلو فوق الأسوار.[2]

جدير بالذكر أن مدينة القسطنطينية[3] بقصورها وكنائسها وأديرتها وأسوارها[4] وأسواقها وحدائقها[5] وشوارعها[6] وتماثيلها،[1] وغير ذلك من معالمها، إضافة إلى كبريائها الروماني وتساميها على الآخر، كانت محط أنظار زوارها قاطبة، سواء أكانوا من أبنائها

---

[1] Odo of Deuil, *De profectione Ludovici VII in Orientem,* ed. and Eng. trans. V. G. Berry (New York 1948), 65.

[2] Odo of Deuil, *De profectione*, 49.

عن هذا القصر راجع: يوسف بسخرون، مدينة القسطنطينية ومراسمها في الكتابات اللاتينية، ص ٢٠٠-٢٠٧.

[3] هناك عدد من الدراسات المهمة عن القسطنطينية انظر: *Byzantine Constantinople*, ed. Nevra Neclpoğhe (Leiden 2001); C. Mango, *Studies on Constantinople* (Aldershot 1993); G. Majeska, "The Body of St. Theophano the Empress and the Convent of St. Constantine," *BSL* 38(1977), 14-21; Guilland, *Études de topographie de Constantinople byzantine* (Amsterdam 1969); R. Janin, *Les églises et les monastères des grands centres byzantins* (Paris 1971), 298-341; Idem, *Constantinople byzantine* (Paris 1950). راجع كذلك طارق منصور، "القسطنطينية في الكتابات الصليبية: دراسة للرؤى الصليبية لمدينة قسطنطين"، المؤرخ العربي، عدد ٢٩(٢٠٠٦)، ص ٢٦١-٣٢٥؛ نجلاء مصطفى شيحة، بعنوان "مدينة القسطنطينية في القرن العاشر الميلادي"، رسالة ماجستير غير منشورة، (كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩٩)؛ ليلى عبد الجواد إسماعيل، القسطنطينية في ضوء كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين، مجلة المؤرخ المصري، عدد ٣-٤ (١٩٨٩)، ص ١٥١-٢٠٢؛ ١٠٩-١٤٥.

[4] كانت القسطنطينية محاطة بعدد من الأسوار البرية والبحرية لحمايتها، تعود إلى عدد من الأباطرة. وكانت الأسوار البرية ثلاثية ومزودة بعدد من الأبراج الشاهقة وخندق مائي؛ ويقع على بعد ٤٠ ميلاً غرب القسطنطينية سور أنستاسيوس الطويل. عن أسوار القسطنطينية انظر: A. Van Millingen, *Byzantine Constantinople, the Walls of the City and Adjoining Historical Sites* (London 1899); G. Baker, *The Walls of Constantinople* (New York n.d.). M. Whitby, "The Long Walls of Constantinople," *Byz* 55(1985), 560-583; Janin, *Constantinople byzantin,* 245-282. انظر أيضاً: ابن خرداذبه، المسالك والممالك (بغداد د.ت.)، ص ١٠٤-١٠٥؛ الزهري، كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق (القاهرة د.ت.)، ص ٧٣-٧٤؛ قدامة بن جعفر، نبذ من كتاب الخراج، ملحق على كتاب المسالك والممالك (بغداد د.ت.)، ص ٢٥٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان (بيروت ١٩٨٤)، ج ٣، ص ٩٨.

[5] عن حدائق القسطنطينية انظر الدراسات التالية: A. Littlewood, "Gardens of the Palaces", in *Byzantine Court Culture from 829 to 1204,* ed. H. Maguire (Washington D.C. 1997), 13-38; H. Maguire, "Gardens and Parks of Constantinople," *DOP* 54 (2000), 251-264.

[6] عن شوارع القسطنطينية انظر: A. Berger, "Streets and Public Spaces in Constantinople", *DOP* 54(2000), 161-172.

الوافدين عليها أم ضيوفا حلوا بها أم غزاة وطئوا أرضها؛[2] لدرجة أنه كان يقارن بينها وبين بعض مدن فرنسا أو الفلاندرز، على حد قول المؤرخة روث ماكريديس.[3] وهكذا فإن بهاء وجمال القسطنطينية لم يقتصر على القصور الإمبراطورية فقط بل شمل كافة أرجائها، حيث كان البيزنطيون أنفسهم يدركون جيداً مدى مفاتن عاصمتهم وإشعاعها الفكري.[4]

**والآن، بعدما تعرفنا على حجم وبهاء القصور التي تقام فيها معظم الولائم الإمبراطورية، نعود إلى عصب الدراسة: ماذا لو دُعي المرء إلى وليمة إمبراطورية في القصر الإمبراطوري الكبير! هل سيجلس على مائدة الإمبراطور الذهبية أم على مائدة مجاورة لمائدته؟ ومتى سيدخل إلى قاعة الطعام؟ وأين سيجلس أعلى ميمنة الإمبراطور أم على ميسرته أم أمامه؟ ومن سيليه أو يتقدمه في الجلوس؟ ولماذا؟ وما المناسبة التي سيدعى المرء إلى وليمتها الملكية؟ وما المراسم التي عليه اتباعها حال وصوله لمقر المأدبة الإمبراطورية؟**

---

[1] انظر: ابن فقيه الهمذاني، مختصر كتاب البلدان (ليدن ١٣٠٢هـ)، ص ١٣٢؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (القاهرة د.ت.)، ج٢، ص ٨٠٢؛ Constantinople in the Early Eighth Century: the *Parastaseis Syntomoi Chronoikai,* ed., trans., and com. A. & A. Cameron, J. Herrin, R. Cormack and C. Roueché, *Columbia Studies in the Classical Tradition,* X (Leiden 1984); Tarek M. Muhammad, "Can ΠΑΡΑΣΤΑΣΕΙΣ ΣΥΝΤΟΜΟΙ ΧΡΟΝΙΚΑΙ be Considered a Real Guide to the Sculptures of Constantinople during the Isaurian Period?," *BSL* LXIV(2006), 77-98.

[2] يصف روبرت كلاري القسطنطينية بقوله: "...فإن ذكر لك أحد جزءاً من مئة عما في كنائسها وقصورها من ثروة وجمال وعظمة، بدا لك كأنه يروي أكذوبة، ولن تصدق ذلك..." انظر روبرت كلاري، فتح القسطنطينية على أيدي الصليبيين، ترجمة وتقديم حسن حبشي (القاهرة، ١٩٦٤)، ص، ١٢٣، ١٣٢؛ *Robert of Clari,* 101, 112. تتردد نفس العبارات أيضاً في رواية الراهب المجهول من شمال تَراجون Tarragon عن القسطنطينية في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، والذي كتب معتمدا على روايات البيزنطيين الشفهية له عند زيارته للمدينة. انظر: Ciggaar, *Une description de Constantinople*, 119, 120-122. كما أن حجم المدينة الكبير كان شيئاً عظيماً عند الرحالة، فنرى ستفن النوفوجوردي يشبه الدخول إلى القسطنطينية بالدخول إلى غابة عظيمة، وأن المرء لابد له من مرشد جيد حتى يتمكن من أخذ جولة بها. انظر Stephen of Novgorod, *The "Wonderer" of Stephen of Novgorod*, in *Russian Travelers to Constantinople in the Fourteenth and Fifteenth Centuries*, Eng. trans. G. Majeska (Washington D. C. 1984), 44.

[3] R. Macrides, "Constantinople: the Crusaders' Gaze", in (ed.) R. Macrides, *Travel in the Byzantine World, Papers from the Thirty-fourth Symposium of Byzantine Studies, Birmingham, April 2000* (Aldershot 2002), 195-196.

[4] Ciggaar, *Western Travellers*, 46.

من الواضح، حسب ما أتاحته المصادر البيزنطية من معلومات، أن الولائم الإمبراطورية كانت متباينة في مناسباتها ومواقعها، فمنها المآدب اليومية للإمبراطور، ومنها ولائم الأعياد والمناسبات الدينية السنوية التي كانت تُجرى ما بين القصر الإمبراطوري وكنيسة آجيا صوفيا،[1] أو غيرهما من الأماكن؛ وهي الإحتفالات التي كانت تبدأ بالإحتفال بعيد الميلاد المجيد أو ما اعتيد على تسميته بالكريسماس. ولكي نيسر على القارئ سنقسم الموضوع إلى قسمين، أولهما: المآدب الاعتيادية، وثانيهما: المآدب السنوية.

## أولا: المآدب الإمبراطورية الاعتيادية:

يشير فيلوثيوس إلى أن "الأتريكلينيس" هو المسؤول عن دعوة ضيوف الإمبراطور من القادة وكبار رجال الدولة وأشرافها، وإنه ينبغي عليه أن يكون على دراية تامة بهم لكي يوجه لهم الدعوات لحضور المأدبة الملكية. وبهذا نستنتج أن الحضور لمائدة الإمبراطور كان لابد أن يكون بناءاً على دعوة مسبقة من القصر الملكي. وعند وصول أحد المدعوين للقصر كان الأتريكلينيس ينادي عليه بلقبه الشرفي أو الوظيفي-الشرفي معاً بصوت عال، كإذن دخول على الإمبراطور؛ وحينئذ يتقدم الضيف فيشير إليه الأتريكلينيس بحركة من يده اليمنى ليحدد له المكان الذي سيجلس فيه، ثم يأتي المدعو التالي ليجلس على يسار الأول، ثم يجلس المدعو التالي على يمين الأول وهكذا. وكانت هناك ست شخصيات رئيسية تشارك الإمبراطور طعامه ويجلسون على ميمنته وميسرته على المائدة وهم على التوالي: بطريرك القسطنطينية، ثم القيصر، ثم النوبليسيموس (الأكثر نبلاً)،[2] ثم القربلاط، ثم البازيليوباتور (والد الإمبراطور)،[1] وأخيراً البطريقة الزوستى.[2]

---

[1] أنشأ الإمبراطور قسطنطين العظيم هذه الكنيسة مع إنشائه لمدينة القسطنطينية، وكان مبنى متواضعاً يختلف عن الذي شيده جستنيان في القرن السادس الميلادي. وقد احترقت مرتين واحدة في القرن الخامس الميلادي والثانية في القرن السادس الميلادي، إلى أن أعاد جستنيان بنائها بالفخامة التي عليها حتى الآن. وكان يربط بينها وبين القصر الإمبراطوري رواق خشبي، يرتاده الإمبراطور وحاشيته عند الذهاب إليها للصلاة أو الإحتفالات. راجع: أومان، ش.، الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة مصطفى طه بدر (القاهرة ١٩٥٣)، ص ٢٣؛ A. Cameron, “Procopius and the Church of St. Sophia”, *The Harvard Theological Review* 58 (1965), 161-163; C. Mango and J. Parker, "A Twelfth Century Description of St. Sophia," *DOP* 14(1960), 233-245; J. Ebersolt, *Sainte-Sophie de Constantinople, étude de topographie d'après les cérémonies* (Paris 1910).

[2] كان هذا اللقب يقف قديماً مرادفاً للقب قيصر، وكان الإمبراطور يمنحه لابنه أو لابنه بالتبني. وكان من الممكن أن يمنح الإمبراطور أحد ابنيه لقب قيصر والثاني لقب نوبليسيموس. Bury, *The Imperial*

أما من يشكلون الطبقة الثانية من المدعوين لمائدة الإمبراطور وتناول الطعام معه فهم بقية رجال الدولة وقادة الأقاليم البيزنطية (الثيمات) وقادة التاجماتا الإمبراطورية وشتى فرق الحراسة بالقسطنطينية ووالي المدينة ومجموعة من الموظفين رفيعي المقام، وجميعهم ممن يحملون الألقاب الشرفية الرفيعة بجانب ألقابهم الوظيفية وتحديداً لقبا "البطريق والأنثيباطوس".[3] ويأتي على رأس هذه الطبقة –إذا ما دعوا لتناول الطعام مع الإمبراطور– الماجستيروس[4] المكلف بمهمة ما يليه الماجستيروس غير المكلف بمهمة،[5] علماً بأن الماجستير كشخصية رفيعة المقام لا تحمل أية ألقاب أخرى. ثم يلي الماجستيروس ثلاث

---

*Administrative System*, 35. ونقابل هذا اللقب في الحولية الفصحية وقد اقترن بلقب قيصر أيضاً، وأحياناً أخرى غير مرتبط به. *Chronicon Paschale*, Eng. trans. Michael and Mary Whitby (Liverpool 1989), 2, 46, 57-59, 63, 91, 102.

[1] لم يكن هذا اللقب موجوداً قبل عصر ليو السادس، فإليه يرجع ظهور هذا اللقب الرفيع للغاية، حيث أوجده ليو السادس ليمنحه لوالد زوجته زوي والمسمى ستليانوس زاوتزيس سنة ٨٩٤م. وقد كانت الألقاب السابقة عليه باستثناء لقب البطريرك قاصرة على أهل بيت الإمبراطور نفسه. راجع: السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية (القاهرة ١٩٦٠)، ص ٣١٧؛ Rice, *Everyday Life in Byzantium*, 84; Bury, *The Imperial Administrative System* , 114-115; G. Ostrogorsky, *History of the Byzantine State*, Eng. trans. J. Hussy (Oxford 1956), 220. Cf. Tougher, *The Reign of Leo VI*, 89-109.

[2] *Traité Phil.*, 135-137.
لقب البطريقة الزوستى، كان يمنحه الإمبراطور لسيدات البلاط ممن يحملن لقب بطريقة، وبهذا يعلون شأناً عمن يحملن لقب بطريقة فقط. وأغلب الظن أنه كان يمنح للبطريقة الـ mistress of the robes، وليس على الموظف المسؤول عنهن كما ذهب أ.د. الباز العريني، الدولة البيزنطية، ص ٣١٧، لأن اللقب جاء في حالة المؤنث وليس المذكر. انظر: *Traité Phil.*, 94-95; Rice, *Everyday Life in Byzantium*, 84; Bury, *The Imperial Administrative System*, 33.

[3] نقرأ أول مرة عن البطريق الأنثيباطوس في عهد الإمبراطور ثيوفيل عندما رفع الكسيوس موزيلي ليصبح بطريقاً أنثيباطوس. أما ظهور البطارقة الأنثيباطوي كطبقة فقد ظهروا في عصر متأخر عن عصر ثيوفيل بل وميخائيل الثالث، حيث لم يكن هناك سوى حالة واحدة فقط تحمل اللقبين معاً.انظر: *Theophanes Continuates Chronographia*, ed. I. Bekker, *CSHB* (Bonn 1838), 108, 236. Cf. Bury, *The Imperial Administrative System*, 28-29.

[4] نقابل هذا اللقب بوضوح في القرن الثامن الميلادي، حيث لعبوا دوراً مهماً في الإدارة وفي مراسم القصر. عنهم راجع: Bury, *The Imperial Administrative System*, 29-33.

[5] كان الأباطرة البيزنطيون يكلفون بعض الموظفين بالقيام بمهام إضافية، فمثلاً كلفت الإمبراطورة زوي في سنة ٩١٤م البروتوفيستاريوس بالإشراف على إدارة الشرطة السرية، برغم أن تلك الإدارة كانت تتبع ناظر الدرومون. وسام فرج، المناصب والألقاب، ص ٥٠-٥١.

شخصيات رفيعة المقام وهي: الريكتور،[1] وسينكيللوس روما،[2] وسينكيللوس القسطنطينية. وإذا كان هناك سينكلات لبطاركة الشرق الثلاثة حاضرون، أي من قبل بطريركيات الإسكندرية وأنطاكية وبيت المقدس، فإنهم يلونهم في الدخول على الإمبراطور والجلوس في حضرته. ثم يلي تلك الشخصيات الرفيعة في الجلوس على مائدة الإمبراطور رئيس أساقفة كنيسة بلغاريا -إذا كان حاضراً بالقسطنطينية- والبطارقة من الخصيان.[3]

وهنا حري بنا أن نتوقف قليلاً أمام الأخيرين من مدعوي الإمبراطور. فدعوة رئيس أساقفة بلغاريا، برغم أن بيزنطة كانت تنظر للبلغار على أنهم أدنى من البيزنطيين ولا يجوز الإرتباط بزيجات معهم،[4] كان من مظاهر بسط الهيمنة الروحية على بلغاريا بعد أن نجحت بيزنطة في تنصير بلغار الدانوب وإدخالهم حظيرة المسيحية على المذهب الأرثوذكسي، مذهب بيزنطة الديني، بفضل بعثات الأخوين قسطنطين وميثوديوس التبشيرية بينهم؛[5] لاسيما وأن سيمون البلغاري أصاب بيزنطة بعدة ضربات عسكرية موجعة في البلقان انتهت بهزيمتها عام ٨٩٦م وتعهدت بأن تدفع له جزية سنوية.[6] لذا كان لابد لبيزنطة من استخدام كافة الوسائل الدبلوماسية لتوكيد تلك الهيمنة الروحية لكنيسة القسطنطينية على كنيسة بلغاريا.

أما جلوس الخصيان على مائدة إمبراطورية فيشير إلى علو نجمهم في البلاط البيزنطي، حيث تحكموا في شتى الوظائف الأكثر أهمية بالبلاط لاسيما في عهد الإمبراطور ليو السادس.[7] فقد كان البَرَاكويمومينوس، على سبيل المثال،[1] في عهد ليو السادس شخصية

---

[1] من المحتمل أن الريكتور كان أحد الذين لهم سلطة ما داخل البيت الإمبراطوري، ويبدو أن هذه الوظيفة لم تكن موجودة قبل النصف الثاني من القرن التاسع. Bury, *The Imperial Administrative System,* 115-116.

[2] كان هذا الموظف ينتمي إلى الهيئة الكنسية غير أنه يعين بواسطة الإمبراطور ليتولى شؤون التواصل بين الإمبراطور والبطريرك في شتى الشؤون، لذا كان يسمى سينكيللوس بطريرك القسطنطينية وأحياناً أخرى كان يسمى سينكيللوس القسطنطينية. Bury, *The Imperial Administrative System,* 116.

[3] *Traité Phil.,* 137.

[4] انظر: قسطنطين بورفيروجنيتوس، إدارة الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة وتعليق محمود سعيد عمران (بيروت ١٩٨٠)، ص ٧١-٧٢.

[5] راجع: F. Dvornik, *Byzantine Missions among the Slavs: SS. Constantine-Cyril and Methodios* (New Jersey 1970).

[6] S. Runciman, *A History of the First Bulgarian Empire* (London 1930), 148.

[7] K. M. Ringrose, *The Perfect Servant: Eunuchs and the Social Construction of Gender in Byzantium* (Chicago, London 2003), 163.

ذات أهمية بالغة بالقصر الإمبراطوري، وهي الوظيفة التي كانت قاصرة علـى الخصـيان،[٢] الذين شغل بعضهم مناصب رفيعة للغاية أهلتهم لحمل لقب النبالة الرفيع "بطريـق" فأصـبح حاملو هذا اللقب من الخصيان لهم الأفضلية على البطارقة الملتحين (غير الخصيان)، حتـى ولو كان الأخيرون من ذوي المناصب الرفيعة بالدولة.[٣]

لقد بلغ الخصيان مكانة كبيرة في القصر البيزنطي وعجت بهـم الإدارة البيزنطيـة آنذاك لدرجة أن الإمبراطور ليو الحكيم أصدر مرسوماً قانونياً يتيح لهم حق التبني، وهو مـا كان ممنوعاً منذ عهد الإمبراطور جستنيان الأول.[٤] لذا لا غرابة أن نرى الخـصيان حـاملو اللقب الشرفي "بطريق" يدعون لمأدبة الإمبراطور ويُجَبون والي المدينة وقادة الثيمات لاسيما استراتيجوس الأناضول ودومستق الاسكلارية بصفة خاصة من حيث الأسبقية.

والمدعون التاليون، سواء كانوا من أرباب السيف أم من أرباب القلم، إذا ما دعـوا للمأدبة الإمبراطورية كان عليهم إتباع مراسم مألوفة بعينها، فلا ينبغي أن يسبق أحدهم التالي في الدخول إلى قاعة الطعام إلا حسب الترتيب التالي ( من المرتبة ١٤-٦٩):[٥]

- البطريق الأنثيباطوس استراتيجوس (ثيم)[٦] الأناضول

---

[1] كانت مهمة الخصي شاغل هذه الوظيفة العناية بكل شؤون غرفة نوم الإمبراطور والقيام على أمنها. لذا كـان مبيته في غرفة مجاورة لغرفة نوم الإمبراطور. انظر: طارق منصور، الوظـائف والألقـاب البيزنطيـة بـين المفهوم العربي والواقع البيزنطي، حولية التاريخ الإسـلامي والوسيط، اصـدار خاص رقـم ٢(٢٠١١)، ص ٣٥-٣٨؛ Rice, *Everyday Life in Byzantium*, 85.

[2] انظر على سبيل المثال ساموناس العربي الذي شغل تلك الوظيفة وأهميتـه بالقـصر الإمبراطـوري آنـذاك: Tougher, *The Reign of Leo VI*, 198 ff. Cf. L. Rydén, "The Portrait of the Arab Samonas in the Byzantine Literature", *GrA* 3(1984), 101-108; Romily J. Jenkins, "The Flight of Samonas", *Speculum* 23/2(Apr. 1948), 217-235.

[3] Constantine Porphyrogenitus, *De Ceremoniis Aulae Byzantinae*, ed. I. Reiskii, *CSHB* II (Bonn 1829), 52; R. Guilland, "Les eunuques dans l'émpire byzantine" études de titulature et de prospographie byznatines," *ÉB* 1(1943), 198.

[4] *Les novelles de Leon VI le sage*, ed. P. Noailles and A. Dain (Paris 1944), 233:60. Cf. Guilland, *Les eunuques dans l'émpire byzantine*, 201.

[5] انظر أيضا ملحق رقم ١. *Traité Phil.*, 137-141.

[6] عن كافة الثيمات البيزنطية الشرقية والغربية الواردة هنا وقياداتها انظر الدراستين اللتين قـام بهمـا الباحـث بعنون "قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس وكتابه عن الأقاليم البيزنطية" و "الأقاليم البيزنطية في ضـوء كتـاب قسطنطين بورفيروجنيتوس "عن الأقاليم البيزنطية"، منشوراتان في: طارق منصور، قطوف الفكر البيزنطـي، (القاهرة ٢٠٠٢)، ج١، ص ١٠٦-١٩٣.

- البطريق الأنثياطوس دومستق (تاجما) الاسكلارية
- البطريق الأنثياطوس استراتيجوس (ثيم) الأرمنياق
- البطريق الأنثياطوس استراتيجوس (ثيم) التراقيسيان
- البطريق الأنثياطوس قومس (ثيم) الأوبسيق
- البطريق الأنثياطوس استراتيجوس (ثيم) البقلارية
- البطريق الأنثياطوس استراتيجوس (ثيم) قبادوقيا
- البطريق الأنثياطوس استراتيجوس (ثيم) خرشنة
- البطريق الأنثياطوس استراتيجوس (ثيم) كولونيا
- البطريق الأنثياطوس استراتيجوس (ثيم) بافلاجونيا
- البطريق الأنثياطوس استراتيجوس (ثيم) تراقيا
- البطريق الأنثياطوس استراتيجوس (ثيم) مقدونيا
- انبطريق الأنثياطوس استراتيجوس (ثيم) خالديا
- البطريق الأنثياطوس دومستق (تاجما) الاكسكوبيتر
- البطريق الأنثياطوس والي المدينة
- البطريق الأنثياطوس استراتيجوس (ثيم) البيلوبونيز
- البطريق الأنثياطوس استراتيجوس (ثيم) نيقوبوليس
- البطريق الأنثياطوس استراتيجوس (ثيم) الكيبيرايوت
- البطريق الأنثياطوس استراتيجوس (ثيم) الهيلاس
- البطريق الأنثياطوس استراتيجوس (ثيم) صقلية
- البطريق الأنثياطوس استراتيجوس (ثيم) لونجوبارديا
- البطريق الأنثياطوس استراتيجوس (ثيم) ستريمون
- البطريق الأنثياطوس استراتيجوس (ثيم) كيفالونيا
- البطريق الأنثياطوس استراتيجوس (ثيم) تسالونيك
- البطريق الأنثياطوس استراتيجوس (ثيم) دراخيوم
- البطريق الأنثياطوس استراتيجوس (ثيم) ساموس

- البطريق الأنثيباطوس استراتيجوس (ثيم) بحر ايجة
- البطريق الأنثيباطوس استراتيجوس (ثيم) دالماشيا
- البطريق الأنثيباطوس استراتيجوس (ثيم) خرسون
- البطريق الأنثيباطوس ناظر الخزانة الملكية (السكِلاريوس)
- البطريق الأنثيباطوس ناظر الخزانة العامة
- البطريق الأنثيباطوس الكويستور[1]
- البطريق الأنثيباطوس ناظر الخزانة العسكرية
- البطريق الأنثيباطوس درونجاريوس حرس المدينة
- البطريق الأنثيباطوس الهيترياراخ الكبير
- البطريق الأنثيباطوس ايكونوموس الكنيسة العظمى
- البطريق الأنثيباطوس درونجاريوس أسطـول القسطنطينيـة (درونجاريوس البلويمو)[2]
- البطريق الأنثيباطوس ناظر الشؤون الإدارية
- البطريق الأنثيباطوس ناظر الأجيلون
- البطريق الأنثيباطوس دومستق (تاجما) الهيكانتيه
- البطريق الأنثيباطوس دومستق (تاجما) النوميرا
- البطريق الأنثيباطوس دومستق (ثيم) الأوبتيماطي
- البطريق الأنثيباطوس قومس الأسوار (التيخون)
- البطريق الأنثيباطوس كارتولاريوس الخزانة[3]

---

[1] الكويستور هو أحد المسؤولين آنذاك عن القضاء في القسطنطينية إلى جانب والي المدينة وقاضـي المظـالم. انظر: طارق منصور، الوظائف والألقاب البيزنطية، ص ٣٤-٣٥.

[2] See Bury, *The Imperial Administrative System*, 108-111.

[3] الكارتولاريوس هو المسؤول عن إمساك السجلات العسكرية في الثيم والإشراف على الشؤون الماليـة ودفـع الرواتب للجند؛ لذا اكان مسؤولاً أمام ناظر الخزانة العسكرية. ويمكن أن نطلق عليه مسمى "المحاسب العـام". عنه انظر: طارق منصور، الجيش في الإمبراطورية البيزنطية من بداية القرن السابع حتى نهاية القرن التاسـع الميلاديين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بنها ١٩٩٣، ص ١٥٢-١٥٣؛ *Chronicon Paschale*, 154; Ostrogorsky, *Byzantine State*, 43; Bury, *The Imperial Administrative System*, 44; L. Bréhier, *Les institutions de l'empire byzantin* (Paris 1943), 362.

- البطريق الأنثيباطوس كارتولاريوس خزانة اللباس الإمبراطوري
- البطريق الأنثيباطوس كارتولاريوس المحبرة الملكية (الكانيكليو)
- البطريق الأنثيباطوس رئيس الاستراتورات (البروتوستراتور)[1]
- البطريق الأنثيباطوس السكرتير الأول (البروتوسيكريتيس)
- البطريق الأنثيباطوس قومس الاسطبل الإمبراطوري
- البطارقة الأنثيباطوي ممثلو الإمبراطور بالثيمات (بروسبو الثيمات)
- البطريق الأنثيباطوس برايبوزيتوس الخزانة الخاصة (الإيديكون)
- البطريق الأنثيباطوس الكوراتور الكبير[2]
- البطريق الأنثيباطوس كارتولاريوس المنجانات
- البطريق الأنثيباطوس برايبوزيتوس الدعاوى القضائية
- البطريق الأنثيباطوس ناظر دار الأيتام (الأورفانوتروفوس)[3]
- البطريق الأنثيباطوس ديمارخ الزرق
- البطريق الأنثيباطوس ديمارخ الخضر

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الذين يحملون لقب أنثيباطوس، وحتى وإن كانوا غير عاملين، كان يتحتم عليهم الدخول إلى قاعة الطعام الإمبراطورية واتخاذ مقاعدهم قبل

---

[1] كانت مهمة البروتوستراتور مساعدة الإمبراطور على اعتلاء جواده، كما كان يقوم بواجب سائسي الخيل (هيبوكومو). ومن أشهر ساسة الخيل الذين أصبحوا أباطرة باسيل الأول. وفي عهد ليو السادس لم تكن وظيفته عالية المقام، برغم أنه كان أحياناً يقوم بتنظيم دخول الزوار الأجانب إلى القصر بدلاً من البروتوسباثاريوس الإمبراطوري. عن مهامه وتطورها من عصر لآخر انظر: R. Guilland, "Etudes de titulature et de prosopographie byzantines. Le protostrator," *REB* 7(1949), 156-179; Bury, *The Imperial Administrative System*, 117-118.

[2] الكوراتور الكبير هو تمييز له عن بقية الكوراتورات، وقد كانت لهذا الموظف مهام إدارية معينة كتلك التي تولاها قومس الشؤون الخاصة من قبله، واختلفت من عصر إلى آخر. عنه انظر: Bury, *The Imperial Administrative System*, 100-102.

[3] كان الأورفانوتروفس ناظراً لدار أيتام القسطنطينية الكبرى، والتي كانت تقع شمال الأكروبوليس بالقرب من بورتا يوجيني. وقد أصبحت له مكانة رفيعة في القرن التاسع الميلادي حيث حمل ألقاباً شرفية. انظر: R. Guilland, "Études sur l'histoire administrative de l'"empire byzantin. Le Orphanotrophe," *REB* 23(1965), 205-221; Bury, *The Imperial Administrative System*, 103-105.

البطارقة العاملين أو ذوي المهام ممن لا يحملون ألقاباً أخرى غير لقب النبالة، أي أن حامل لقبي البطريق الأنثيباطوس يَّجُبُ حامل لقب البطريق ذو المهام. ولا يرتبط الجلوس على مأدبة الإمبراطور بالأقدمية الوظيفية أي بتاريخ استلام مرسوم الوظيفة بل طبقاً للألقاب التي يحملها الشخص، بإستثناء استراتيجوس الأناضول ودومستق الاسكلارية، فهما يجبان من سبق ذكرهم من موظفي الدولة حتى وإن لم يكنا حاملا لقب أنثيباطوس. وإذا كان هناك بطارقة ملتحون غير عاملون حاضرون فإنهم يلون البطارقة العاملين في ترتيب الجلوس.[1]

ويمكننا أن نقف قليلاً أمام الترتيب السابق في الجلوس على مقاعد الموائد الإمبراطورية، والتي يبدو من النصوص البيزنطية أنها كانت عبارة عن موائد متتالية الصفوف، يأتي في مقدمتها المائدة الإمبراطورية، التي يجلس عليها الإمبراطور نفسه ومن يختارهم من كبار رجال الدولة؛ يليها مائدة الطبقة الثانية والتي تحوي كبار موظفي الدولة، كما سبق وذكرنا؛ يليها مائدة الطبقة المتوسطة الدنيا من موظفي الدولة، سواء كانوا من أرباب السيف أم من أرباب القلم أيضاً، كما سيرد لاحقاً.

بيد أنه يلاحظ على قائمة المدعوين السابقة أن الصدارة كانت لأرباب السيف، أي للقادة العسكريين، سواء كانوا قادة للثيمات أم قادة للتاجماتا الإمبراطورية؛ يليهم أرباب القلم العاملين في القسطنطينية وداووينها. ويأتي على رأس العسكريين استراتيجوس الأناضول، الذي كان أهم استراتيجوس في بيزنطة في القرن التاسع الميلادي؛[2] وذلك لأن ثيم الأناضول كان من أكبر ثيمات الإمبراطورية البيزنطة وأثراها، وهو أول ثيم تأسس في منظومة الثيمات البيزنطية زمن الإمبراطور هرقل (٦١٠-٦٤١م)، ومن ثم كان له الصدارة في مواجهة الصوائف والشواتي الإسلامية على أراضي أسيا الصغرى.[3]

---

[1] *Traité Phil.*, 141-143.

[2] زبيدة عطا، صورة الفارس الاقطاعي والصراع الإسلامي المسيحي كما وردت في ملاحم القرن الحادي عشر الميلادي البيزنطية واللاتينية"، مجلة التاريخ والمستقبل، مج ٥، عدد ٣(١٩٩١)، ص ٧٦.

[3] عنه انظر: ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ١٠٧؛ المسعودي، التنبيه والإشراف ( القاهرة ١٩٣٨)، ص ١٥٠-١٥١؛ حسنين محمد ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية (القاهرة ١٩٨٦)، ص ٧٤-٧٥؛ وسام عبد العزيز فرج، دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية (الإسكندرية ١٩٨٥)، ج ١، ص ٢٠٠؛ ليلى عبد الجواد اسماعيل، الدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور هرقل وعلاقتها بالمسلمين (القاهرة ١٩٨٥)، ص ١٢١؛ Constantine Porphyrogenitus, *De Thematibus*, ed. I. Bekker, *CSHB* (Bonn 1840), 13-17; H. Ahrweiler, *Byzance et la mer* (Paris 1966), 21; G. Ostrogorsky, "Sur

أما الشخصية الثانية ذات الأهمية الملحوظة في ترتيب دخول رجال الدولة إلـــى قاعـــة طعام الإمبراطور فهو دومستق الاسكلارية، الذي كان قائداً لأهم فرق الحراسة الإمبراطورية المعروفة باسم التاجماتا، والتي كانت تشكل القوة العسكرية الضاربة في الجــيش البيزنطـــي. وفي القرن العاشر الميلادي كان هو القائد العام للجيش البيزنطي على الجبهة الـــشرقية مـــع المسلمين.[1]

وإذا ما نظرنا إلى ترتيب أرباب القلم بالقسطنطينية، سنجد أن والي المدينة -بالرغم من أهمية منصبه- يأتي دخوله بعد دخول أربعة عشر قائداً من القادة العـــسكريين، حيـــث جـــاء ترتيبه بعد دومستق الاكسكوبيتر. أما الدخول الفعلي لأرباب القلم فيأتي في مرحلـــة متـــأخرة حيث يبدأ بناظر الخزانة الملكية، أي بعد أن يدخل قبله ثمانية وعشرون قائداً عسكرياً إضافة إلى والي المدينة. وهذا يشير إلى القيادات العسكرية في بيزنطة زمن ليو الـــسادس كانـــت لا تزال هي صاحبة اليد العليا في الدولة، ولم يكن الصراع بين الطبقتين (طبقة أرباب الـــسيف وأرباب القلم) قد احتدم بعد، كما سيحدث في فترة لاحقة على عصر ليو السادس.

ويأتي في ترتيب المدعوين لمأدبة الإمبراطور بعد ذلك موظفي الطبقة المتوسطة الـــدنيا والسفراء الأجانب، وهؤلاء لا يجلسون على مائدة الإمبراطور نفسه، بل في الصف الثالـــث؛ حيث نقرأ في النصوص البيزنطية تفاصيل دقيقة حول آلية دخول شتى موظفي الدولة -مـــن الكبير إلى الصغير- إلى المائدة الإمبراطورية لتناول الطعام والـــشراب مـــع الإمبراطـــور البيزنطي عند دعوتهم لمأدبة عامة، وليست مأدبة خاصة. وقد لا يكون ذكر شـــتى العـــاملين بالدولة هنا أمر ذا جدوى، فيمكن مراجعة هذه النصوص للوقوف على كل موظف من موظفي الدولة وترتيبه بين المدعوين.[2]

بيد أن هناك عدد من الملاحظات يمكن الوقوف عليها عند تنـــاول إشـــكالية حـــضور رجالات وأشراف الدولة وموظفيها مأدبة عامة في حضور الإمبراطور (ونؤكد هنـــا علـــى

---

la date de la composition du le livre des themes," *Byz* 22(1953), 49-50; P. Lemerle, *Histoire de Byzance* (Paris 1975), 72.

[1] راجع: طارق منصور، "الحرس الإمبراطوري البيزنطي (ق ٧-٩م)،" منشور في كتاب: العصور الوسطى: تاريخ وحضارة، كتاب تكريمي لـــ أ.د. زبيدة عطا، تحرير طارق منصور (القاهرة ٢٠١٤)، ص ١٠١-١١٥. (تحت الطبع)؛ Wittow, *Making of Orthodox Byzantium*, 107-108; R. Guilland, "Etudes sur l'histoire administrative de Byzance. Le doestique des Scholes," *REB* 8(1951), 5-63.

[2] *Traité Phil.*, 142-161.

عبارة مأدبة عامة) وماذا كان ينبغي على مشرف الولائم الملكية أن يفعله، ويمكن إيجازها على النحو التالي:

- كان على مشرف الولائم الملكية أن يدعو رجالات الدولة وأشرافها وموظفيها بشتى درجاتهم الوظيفية لتناول الطعام مع الإمبراطور، أي في حضرته.
- كان عليه أن يقسم رجالات الدولة وأشرافها إلى أربع فئات، ويأذن لكل فرد من أفراد كل فئة بالدخول إلى قاعة الطعام والجلوس على المقعد المخصص له طبقا لوظيفته ولقبه الشرفي والمهام الموكلة إليه.
- يقوم مشرف الولائم الملكية بإدخال وإجلاس أصحاب الفئة الأولى أولاً، ويأتي على رأسهم الماجستيروس، ثم الريكتور، فالسينكيللوس، فالبطريق البرَايبوزيتوس،[1] فالبطارقة الخصيان، فقادة الأقاليم العسكرية (الثيمات) حاملو لقب البطريق الأنثيباطوس طبقاً للترتيب السابق ذكره أو لمهامهم؛ ثم فالبطارقة الشرفيون (أي ممن لا مهمة رسمية لهم) حاملو لقب "بروتوسباثاريوس"؛ البرَايبوزيتوس.[2]
- ينبغي أن يُوضع في الحسبان أن رجال الدولة حاملي الألقاب الرفيعة والمكلفون بعمل أو مهام رسمية إضافية ينبغي دخولهم إلى القاعة أولا قبل أقرانهم الذين لم تسند إليهم مهام محددة إلى جانب أعمالهم الاعتيادية. وهذه يشير إلى أن المدعو إلى مأدبة الإمبراطور إذا كان مكلفاً بمهمة إضافية إلى جانب عمله الاعتيادي فإن مقعده يكون في الصفوف الأولى، وقد يتأخر نفس الشخص إلى صفوف تالية إذا لم يكن مكلفاً بمهام إضافية.
- ويلاحظ على تلك الفئة أن منسوبيها في الغالب يحملون لقب "بروتوسباثاريوس" وقليل منهم لقب "بطريق" دون لقب بروتوسباثاريوس، وتحوي أيضاً المطارنة ورؤساء الأسقفيات والأساقفة طبقاً لترتيب مطرانياتهم، وبعض الخصيان ذوي الحظوة بالقصر.

---

[1] اختلفت مهام البرَايبوزيتوس في العصر البيزنطي الباكر عن عصر الإمبراطور ليو السادس، حيث كان في عهد الأخير يتولى بعض المراسم في القصر لاسيما في قاعة الخريسوتريكلينوس، وربما كان يقوم بالإشراف على مواكب الإمبراطور. وقد يحمل البرَايبوزيتوس لقبا شرفيا كالبروتوسباثاريوس ليعلو مكانة عن نظيره الذي لا يحمل أية ألقاب شرفية. لمزيد من التفاصيل راجع: R. Guilland, "Études sur l'histoire administrative de l'empire byzantin. Les functions des eunuques. Le préposite," *BSL* 22(1961), 241-301; Bury, *The Imperial Administrative System*, 123-124; Ostrogorsky, *Byzantine State*, 220.

[2] *Traité Phil.*, 143.

- ثم على مشرف الولائم الملكية أن يُدخل حاملي لقب **"بروتوسباثاريوس"** من عموم موظفي الدولة من أرباب القلم، وإن كان بينهم بعض قادة التاجماتا أو فرق الحراسة المركزية، ويأتي على رأس هذه المجموعة **"البروتوسباثاريوس ناظر الخزانة العامة"**.[1]

- ويلاحظ على هذه المجموعة أن أرباب القلم العاملين المُسند إليهم وظائف أو مهام إضافية كان عليهم أن يمروا إلى القاعة قبل زملائهم الآخرين شاغلي نفس المنصب.[2] وهذا نوع من التقدير الاجتماعي للمجهود الإضافي الذي يقومون به لخدمة الدولة.

- يلاحظ أخيرًا على أعضاء هذه الفئة أن من لا يحمل منهم لقب **"بروتوسباثاريوس"** كان ينبغي جلوسه في صفوف تالية، حتى وإن كان والي المدينة أو الكويستور. وكان من لا يحمل ذلك اللقب الرفيع يُميز بشارة من قبل مشرف الولائم حتى يتمكن من إجلاسه في المقعد المخصص له.[3]

- ثم يقوم مشرف الولائم الملكية بإدخال منسوبي الفئة الثانية من موظفي الدولة ورجالاتها، وهم حاملو لقب **"سباثاروكانديدات"**، إلى القاعة،[4] مع إتباع نفس الطريقة الواجبة عليه؛ وذلك طبقاً لمهامهم الوظيفية. ويأتي على رأس هذه الفئة سباثاروقُبيقلارية الكُوتونوس الملكي τοῦ κοιτῶνος...،[5] يليهم سباثاروقُبيقلارية القُبُقْليوس τοῦ κουβουκλίου...، ثم الكهنة الملَكيين؛ ثم الكهنة والهيجومينوي ἡγούμενοι؛ ثم كهنة الكنيسة العظمى (أي كنيسة آجيا صوفيا)؛ ثم يأتي بقية موظفي الدولة ممن يحملون لقب سباثاروكانديدات.[6]

---

1 *Traité Phil.*, 145-147.
2 *Traité Phil.*, 145.
3 *Traité Phil.*, 149.
4 هذا اللقب مركب من لقبين سباثاريوس + كانديدات، وقد ظهر هكذا فى القرن التاسع الميلادى وحتى القرن الحادى عشر الميلادي، وهو يعود إلى النصف الأول من القرن السابع الميلادي.انظر، Bury, *The Imperial Administrative System*, 26; Oikonomides, *Les listes*, 247.
5 هذا اللقب مركب من لقبين سباثاريوس + قبيقلار، وقد ظهر هكذا فى عهد جستنيان الأول، حيث نقرأ عن كالوبوديوس الاسباثاروكانديدات. *Chronicon Paschale*, 114.
6 *Traité Phil.*, 149-151.

- ويلاحظ على هذه الفئة من المدعوين أنهم ذوي مناصب دنيا للغاية كحكام الكليزوورات،[1] ومن يشغلون وظائف التوبوتريتس وغيرهم.
- ثم يقوم مشرف الولائم الملكية بإدخال منسوبي الفئة الثالثة من موظفي الدولة ورجالاتها ممن يحملون لقب سباثاريوس فقط (حامل السيف).[2] وكان يأتي على رأس هـؤلاء، وإن كانوا لا يحملون لقب سباثاريوس، قُبيقلارية الكويتونوس الإمبراطوري؛ ثـم قُبيقلاريـة القُبُقليوس؛ ثم قُبُقليزيوي οἱ κουβουλήσιοι بطريرك القسطنطنية؛ ثم أويكونوموس الكنيسة العظمى ὁ οἰκονόμος؛ ثم الشمامسة الملكيين؛ ثم شمامسة الكنيسة العظمى؛ ثم يتلوهم بقية موظفي الدولة الصغار –وهم كُثر– ممن يحملون لقب سباثاريوس فقـط إلى جانب لقبهم الوظيفي.[3]
- ثم يقوم مشرف الولائم الملكية أخيراً بإدخال منسوبي الفئة الرابعة – وهي أدنى الطبقات – من موظفي الدولة ورجالاتها مثـل: الهيبـاتوي، والاسـتراتورات، وحـاملو لقـب الكانديدات،[4] والمانداتورات، والفيستيتورات، وعمال التاجماتا والثيمـاتا، والآخـرون ممن لا ألقاب لهم.[5]
- ويلاحظ على هذه الفئة أنها تحوي أيضًا موظفين صغارًا في المقام لا يحملون ألقابًا بـل المسمى الوظيفي فقط كعمال التاجماتا والثيمات من القمامسة والمحاسـبين والتريبونـات وقادة السرايا العسكرية سواء أكانوا قادة مائة أو عشرة أو خمسة. وتمتد هذه السلسلة من صغار العاملين بالدولة إلى أن تنتهي بجند الثيماتا والتاجماتا.

---

[1] كانت المناطق الحدية بين المسلمين والبيزنطيين تسمى الكليزوورات، قبل رفعها إلى مرتبة الثيم الـذي يتـولاه استراتيجوس، وكانت عبارة عن تنظيمات حدية يتولى الدفاع عنها الكليزوورارخات. للمزيد انظر: زبيـدة عطـا، صورة لفارس الإقطاعي والصراع الإسلامي المسيحي، ٧٥؛ طارق منصور، الوظائف والألقاب البيزنطية، ص ٦٨ وما بعدها.

[2] عن الاسباثاريوس (حامل السيف)، انظـر Wittow, *Making of Orthodox Byzantium*, 108; Bury, *The Imperial Administrative System*, 27.

[3] *Traité Phil.*, 151-155.

[4] كان لقب كانديدات من الألقاب الباكرة في تاريخ الإدارة البيزنطية حيث نقرأ عن إفرايموس الكانديـدات فـي عصر جستنيان الأول، عنه انظر: *Chronicon Paschale*, 117, 122, 125-126, 145; Oikonomides, *Les listes*, 298; R. Guilland, "Études sur l'histoire administrative de l"empire byzantin. Le titre de candidat, candedatus, ὁ κανδιδατος, Polychronion." *Festschrift Fr. Dölger* (Heidelberg 1966), 210-225.

[5] *Traité Phil.*, 155-161.

وهكذا، كان على مشرف الولائم الملكية أن يضع في حسبانه عند دعوة موظفي الدولة وأشرافها ورجالاتها عدة نقاط أساسية تكمن في التصنيف الاجتماعي للمدعوين من خلال تصنيفهم إلى فئات أو طبقات، الألقاب الشرفية، المناصب الرسمية، المهام الوظيفية الإضافية. ولا يمكن لمدعو أن يجلس على مقعد غير مخصص لطبقته أو متقدم عليها إلا إذا كان مكلفاً بأداء مهام إضافية فوق مهام وظيفته الأساسية، وحسب توجيهات الأتريكلينيس.

جدير بالذكر هنا أن هارون بن يحيى أشار إلى المآدب الملكية البيزنطية لاسيما الولائم هذه وذلك بقوله: "**وعلى شمال الداخل (إلى القصر) مجلس طوله مائتي خطوة في عرض خمسين خطوة. وفي المجلس مائدة من خلنج، ومائدة من عاج، وفي صدر المجلس مائدة** من ذهب يجلس عليها الملك."[1] وهذا الوصف لهارون بن يحيى، كشاهد عيان، يشير إلى الترتيب الإجتماعي وأسبقية التصدر لرجالات الدولة عند حضور مأدبة عامة للإمبراطور، حيث كان الإمبراطور وحاشيته يجلسون على مائدة ذهبية، ثم كبار القادة ورجال الدولة رفيعي المقام على المائدة العاجية، ثم بقية موظفي الدولة -حسب درجاتهم- على الموائد المصنوعة من خشب الخلنج.[2]

والآن هناك تساؤل يطرح نفسه: **أين كان موقع السفراء الأجانب من مائدة الإمبراطور البيزنطي، إذا ما دُعوا لتناول الطعام معه؟**

بداية ينبغي أن نفرق بين الرسل الأجانب القادمين إلى القصر الإمبراطوري، فمنهم رجال دين جاءوا من روما، ومنهم رسلاً جاءوا من أرض الخلافة الإسلامية وآخرين جاءوا من بلاد البلغار وآخرين جاءوا من بلاد الفرنجة وغيرهم. فالقادمون من كنيسة روما سواء كانوا أساقفة أم كهنة لهم الأسبقية على نظرائهم من كنيسة القسطنطينية، وهكذا الحال بالنسبة لكل رجال الإكليروس، حيث يحصل كل منهم على مقعده وفقاً لترتيب الصدارة، السابق عرضه. ونفس الحال يكون بالنسبة لبطريركيات الكنائس الشرقية. وهناك مثال واضح على ما سبق، حيث جاء في عهد الإمبراطور ليو السادس الأسقف نيقولاس والكاردينال يوحنا من روما للتباحث حول مسألة اتحاد الكنائس وقد أجلسوا قبل طبقة الماجستيرات. كذلك فإن سينكيلات كنائس الإسكندرية وأنطاكية وبيت المقدس كان لهم حق التصدر على الماجستيرات

---

[1] ابن رسته، الأعلاق النفيسة، (ليدن ١٨٩١ )، ص ١٢٢. انظر أيضاً: ليلى عبد الجواد ، القسطنطينية في ضوء كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين، ص ١١٦.

[2] انظر ملحق ٢ من الدراسة.

رفيعي المقام أيضاً، ومن ثم لهم حق الجلوس إلى المائدة في المقعد الثاني، قبل جميع الماجستيرات.[١] وهنا يلاحظ أن إدارة المراسم البيزنطية كانت تراعي الترتيب العالمي للكنائس الرسولية، وهي القضية التي حُسمت بين تلك الكنائس منذ القرن الخامس الميلادي حيث أصبحت الصدارة العالمية لكنيسة روما تليها كنيسة القسطنطينية تليها كنيسة الإسكندرية ثم كنيسة أنطاكية وأخيراً كنيسة بيت المقدس.[٢]

ويأتي في الترتيب بعد المدعوين من رجال الدين المسيحي، الأصدقاء الهاجريين[٣] (أي المسلمين) فيجلسون مباشرة بعد طبقة البطارقة والاستراتيجوسات؛ وتكون الأسبقية لمسلمي المشرق على مسلمي المغرب، أي أن القادمين من أرض الخلافة الإسلامية شرقًا لهم الصدارة على القادمين من قبل مسلمي إفريقية غرباً؛ وهذا بحكم العلاقات التاريخية الوطيدة بين بيزنطة ومسلمي المشرق، وإن تأرجحت من عصر لآخر، غير أنها تبقى الأطول أمدًا والأهم بالنسبة لبيزنطة. وهؤلاء كان عليهم الجلوس يسارًا على المائدة الرابعة أو الخامسة، والغرض من هذا المكان بالذات هو تواجدهم عند اللون الثاني من ألوان الطعام

---

1 *Traité Phil.*, 161-163.

2 عن هذه القضية راجع: رأفت عبد الحميد، "كنيسة القدس في دائرة الصراع الأسقفي"، منشور في: بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة (القاهرة ١٩٩٧)، ص ٥٥-١٠٠.

3 أطلقت المصادر البيزنطية لفظة "**السراقنة**" على العرب، ويفسرها المسعودي بعبيد سارة طعناً منهم على هاجر وابنها إسماعيل؛ وكان يرادفها أيضا مصطلح "**الإسماعيليون**"، نسبة إلى إسماعيل بن إبراهيم، أو "**الهاجريون**"، نسبة إلى السيدة هاجر زوج الخليل إبراهيم. ويقول بعض المؤرخين أن السراقنة نسبة إلى السيدة سارة، زوج الخليل إبراهيم؛ والبعض الآخر يقول أنها تعني البدو سكان الخيام، كمعنى لغوي حرفي. وبعد ظهور الإسلام وانتشاره ظلت المصادر البيزنطية تطلق نفس المسميات القديمة على المسلمين، ونعتتهم بصفات لاذعة. عن المسميات والصفات التي أطلقتها المصادر البيزنطية على العرب انظر التفسير التاريخي لهذه المسميات عند المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ١٤٣؛ A. Savvides, "Some Notes on the Terms *Agarenoī*, *Ismaelītai* and *Sarakenoī* in the Byzantine Sources," *Byz* 67(1997), 89-96; E. Jeffreys, "The Image of the Arab in Byzantine Literature", *The 17th International Byzantine Congress, Washington, 1986* (New York 1986), 306 ff; D. J. Constantelos, "The Moslem Conquests of the Near East as Revealed in the Greek Sources of the Seventh and Eighth Centuries," *Byz* 42(1972), 327; V. Christides, "The Names Araves, Sarakenoi etc. and their False Byzantine Etymologies," *BZ* 65(1972), 329-333; M. B. Ogle, "Petrus Comestor, Methodius, and Saracens," *Speculum* 21/3(1946), 318-324.

الإمبراطوري،[1] والذي يمكن أن نستنتج أنه كان يحوي طعاماً خالياً من لحم الخنزير بشهادة هارون بن يحيى نفسه،[2] وربما خالياً من المسكرات أيضاً.



ويأتي السفراء البلغار بعد نظرائهم المسلمين مباشرة، وإن كانوا يجلسون على نفس المائدة، الرابعة أو الخامسة، إلا أن ترتيب دخولهم وجلوسهم يأتي بعد "الأصدقاء الهاجريين"، على اليسار، إذا هم يلون البطارقة والاستراتيجوسات أيضاً. ويلي البلغار سفراء الفرنجة، فإذا كانوا يحملون ألقاباً كنسية فإن عليهم الجلوس على مائدة نظرائهم، وإذا لم يكن لهم ألقاباً كنسية فإنهم يجلسون مع عموم الموظفين *offikialioi*. أما بقية السفراء الأجانب فإنهم يجلسون على مائدة المدعوين البيزنطيين حملة لقب سباثاروكانديدات.[3]

ومن اللافت للنظر هنا أن نص فيلوثيوس يتحدث عن **"الأصدقاء الهاجريين"** οἱ δὲ ἐξ Ἀγάρων φίλοι الذين يأتون على رأس السفراء الأجانب لدرجة إدخالهم القاعة بعد البطارقة وقادة الثيمات مباشرة ويجلسون على موائد متقدمة نسبياً بالقرب من الإمبراطور، وهي العبارة التي ينبغي التوقف عندها؛ كما أن الأفضلية كانت لرسل مسلمي المشرق على مسلمي المغرب. فهل كان المسلمون أصدقاء الإمبراطور ليو السادس حقاً عند كتابة فيلوثيوس لمصنفه؟ ولماذا هذا التصنيف لرسل المسلمين الوافدين على الإمبراطور؟

إن الاجابة على هذين السؤالين تجعلنا نجنح قليلاً نحو الحديث عن مجمل العلاقة بين الطرفين خلال تلك الفترة، حيث تشير الأحداث بين المسلمين والبيزنطيين قرب نهاية القرن التاسع الميلادي إلى ميل كفة ميزان القوى إلى صالح المسلمين إلى حد كبير. ففي الأربع عشرة سنة الأولى من حكم ليو السادس، من سنة ٨٨٦ إلى سنة ٩٠٠ م/٢٨٨هـ، تعرض البيزنطيون لهزائم عدة عند البوابات القيليقية، وفي غرب قيليقية، بآسيا الصغرى حيث أدى انتصار المسلمين إلى أن يزحفوا على امتداد الساحل، وأن يتوغلوا في جوف آسيا الصغرى. وما حل بالبيزنطيين من الهزيمة براً، وما تعرضوا له من الهزيمة بحراً سنة ٨٩٨م/٢٨٥هـ عند Raghib تجاه شاطئ آسيا الصغرى، أجبر الحكومة البيزنطية على أن تستدعي من

---

[1] *Traité Phil.*, 162.

[2] ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص ١٢٣.

[3] *Traité Phil.*, 163-167. Cf. also Simeonova, *The Arab prisoners of war*, 81.

إيطاليا نقفور فوقاس، الذي وصل إلى أسيا الصغرى سنة ٩٠٠م/٢٨٨هـ، حيث أحرز آنذاك انتصاراً محدوداً فى أذنة بأسيا الصغرى.[1]

وفي عام٨٨٧م/٢٧٤هـ غزا يازمان، والي طرسوس، آسيا الصغرى حيث سبى وغنم وعاد ظافراً إلى طرسوس.[2] وفي عام ٨٨٨م/٢٧٥هـ شن المسلمون إغارة بحرية على بيزنطة بقيادة يازمان، واستطاع أن يستولى على أربع مراكب بيزنطية، وعاد سالمًا إلى طرسوس.[3] وفي عام ٨٩١م/٢٧٨هـ هاجم يازمان أيضا مدينة سلنده Salandu الواقعة على الساحل الغربى لقيليقية.[4] وفى الفترة من ٨٩١-٨٩٣م/ ٢٧٨-٢٨٠هـ استولى المسلمون على جزيرة ساموس وأسروا قائدها الاستراتيجوس باسبالاس Paspalas. أما في عام ٨٩٨م/٢٨٥هـ فقد شن الخصي راغب إغارة بحرية ناجحة، أسر فيها ثلاثة آلاف بحار بيزنطي، بعد أن هزمهم في البحر وأحرق سفنهم.[5]

وفي سنة ٩٠١ م/٢٨٩هـ، أغار الأسطول الإسلامي بقيادة داميانوس Damianus، على جزائر بحر إيجه وأنزل الدمار بمدينة ديمترياس Demetrias، الواقعة في تساليا، والتي اشتهرت بكثرة سكانها ووفرة ثرواتها. وقد رد البيزنطيون على هذه الإغارة بإغارة برية-بحرية عام ٩٠١م/ ٢٨٩هـ على الأراضي الإسلامية، حيث وصلت أنباء الهزيمة إلى بغداد مع التجار القادمين من الرقة، حيث أفادوا أن البيزنطيين وصلوا برًا وبحرًا إلى قيسوم الواقعة في منتصف الطريق بين مرعش وسميساط. وقد أسر البيزنطيون ما يقرب من ١٥,٠٠٠ من المسلمين. غير أن المسلمين ردوا سريعًا على هذا الهجوم بأن استولوا على جزيرة ليمنوس وأسروا سكانها في عام ٩٠٢م/ ٢٩٠هـ.[6]

---

[1] الباز العريني، الدولة البيزنطية، ص ٣٣٠.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (بيروت د.ت.)، ج٦، ص ٦٢.

[3] ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص ٦٥؛ Tougher, *Leo VI*, 185.

[4] ابن الأثير، الكامل، ج٦، ٧١؛ Tougher, *Leo VI*, 185.

[5] ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص ٦٩؛ Tougher, *Leo VI*, 185.

تجدر الإشارة إلى إنه حدث فداء للأسرى بين المسلمين والبيزنطيين عام ٨٩٦م/٢٨٣هـ وعرف باسم فداء ابن طغان، أمير الثغور الشامية خمارويه بن أحمد بن طولون، وفودي فيه ٢٤٩٥ أسيراً. انظر، المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ١٦٣؛ حامد زيان، الأسرى المسلمون في بلاد الروم، (القاهرة ١٩٨٩)، ص ٣٩.

[6] Tougher, *Leo VI*, 185-186.

وفي سنة ٩٠٤ م/٢٩٢هـ هاجمت الجيوش البيزنطية بقيادة أندرونيقوس دوقاس أراضي منطقة الثغور الإسلامية، حيث قصدت حصن الحدث فخربته وغنمت وسلبت وأسرت ثم عادت أدراجها. ويبدو أن رد المسلمين جاء أسرع مما يتوقع ليو الحكيم، فقد قام أسطول إسلامي بقيادة ليو الطرابلسي Leo of Tripolii أو كما يُطلق عليه "ليو غلام زرافة"، وهو يوناني اعتنق الإسلام، بالهجوم في نفس العام على الساحل الجنوبي لأسيا الصغرى، وفي شهر يوليه من هذه السنة استولى على مدينة أطاليا Attalia. ثم عزم ليو على أن يقصد القسطنطينية ليستولي عليها، فاجتاز فعلاً الدردنيل إلى بحر مرمرة واستولى على أبيدوس، التي تعتبر الميناء الرئيسي، للسفن عند مضيها إلى القسطنطينية، حيث يقع بها الديوان (الجمرك). غير أن ليو لم يلبث أن ارتحل فجأة واستدار مع شبه جزيرة خلقيديقيا Chalcidice وانقض على مدينة سالونيك التي تلي القسطنطينية في الأهمية والثروة، وانحاز إلى أسطوله سفناً إسلامية من كريت؛ وقد استخدم في هذا الهجوم قاذفات اللهب،[١] فأحرز انتصاراً حاسماً، ووقع في يده من السبي عدة آلاف ذكوراً وإناثاً بيعوا في أسواق الرقيق بالخندق وطرابلس،[٢] فضلاً عن الغنائم.[٣]

أما عن الأوضاع بين القوتين غرباً، أي في إيطاليا وصقلية، فقد أخذت تزداد سوءاً في صقلية، إذا أعقب وفاة باسيل سنة ٨٨٦ م/٢٧٣هـ أن عاد مسلمي صقلية إلى الهجوم، فأغاروا في سنة ٨٨٨ م/٢٧٥هـ على كالابريا (قلورية) وأقلعت قوات بحرية بيزنطية نحو الغرب إلى ريجيو (ريو) وإلى مدينة مسينيا، وبالقرب من ميلاص Milazzo، تجاه الساحل

---

[1] *Caminiatae de Expugnatione Thessalonicae*, ed. G. Bohlig, *CFHB* (Berlin 1973), 34. See also, J. Partington, *A History of Greek Fire and Gunpowder* (Cambridge 1960), 14; J. Haldon and M. Byrne, "A Possible Solution to the Problem of Greek Fire," *BZ* 70(1977), 98.

[2] تناقش المؤرخة اليونانية أثينا كوليا قضية أعداد هؤلاء الأسرى بالتفصيل. انظر: A. Kolia-Dermitzaki, "Some Remarks on the Fate of the Prisoners of War in Byzantium (9th – 10th Centuries)," in: *La Librazione dei 'Captivi' tra Cristianità e Islam*, ed. G. Cipollone (Città del Vaticano 2000), 583-620; Simeonova, *The Arab prisoners of war*, 592-596.

[3] ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص ١٠٩. وانظر الدراسات التالية، Tougher, *Leo VI*, 184, 186-187;. A. Livadas, "Some Questions of Medieval Nautical Technology in Kameniates' "Sack of Thessloniki" (904 AD.)", *GrA* 6(1995), 145-151; W. Farag, "Some Remarks on Leo Tripoli's Attack on Thessalonikii," *BZ* 82(1989), 133-139; V. Christides, "Once again Cameniates' "Capture of Thesslaoniki," *BZ* 74(1981), 7-10; A. Kažhdan, "Some questions addressed to the Scholars who believed in the Authenticity of Kameniates'," *BZ* 71(1978), 301-314.

الشمالي لجزيرة صقلية، ألتقت بأسطول إسلامي ضخم، فحلت الهزيمة بالقوات البيزنطية وتعرض الأسطول البيزنطي للتدمير؛ وتقرر عقد هدنة بين الفريقين سنة ٨٩٥ م/ ٢٨٢هـ، وبذلك فقدت بيزنطة كل ما لها من سلطان على مياه صقلية وغرب إيطاليا.[١]

ومن ناحية ثانية استولى أبو العباس إبراهيم بن الأغلب في سنة ٩٠١ م/٢٨٩هـ على ريجيو في كالابريا، بينما قاد إبراهيم بن الأغلب، الذي تنازل لابنه عن حكم أفريقية، حملة ضخمة في سنة ٩٠٢ م/٢٩٠هـ سارت براً وبحراً من بالرمو لمهاجمة آخر ما تبقى لبيزنطة في صقلية من أملاك، والتي لم تتعد مدينة تاورمينا (طبرمين) وما يجاورها، وما لبثت أن سقطت في أيدي المسلمين؛ ثم واصل إبراهيم بن الأغلب المسير إلى كالابريا. غير أن موته المفاجئ في كوسنزا Cosenza، أنقذ إيطاليا من المصير الذي تعرضت له تاورمينا، إذ أن الجيش الإسلامي عاد إلى صقلية. وعلى الرغم من أن بيزنطة كانت لا تزال تملك بعض المواقع في صقلية، فإن هذه المواقع لم تكن ذات أهمية مؤثرة؛ فمنذ سنة ٩٠٢ م/٢٩٠هـ، ما جرى من الحوادث بصقلية لم يكن لها أثر في توجيه الأمور السياسية في بيزنطة، وما سار عليه ليو السادس في سياسته مع المسلمين في الشرق، لا ترتبط مطلقاً بعلاقاته مع المسلمين في صقلية.[٢]

وهكذا، فإن مؤشر الأحداث بين بيزنطة ومسلمي المشرق والمغرب كانت يميل ناحية المسلمين بعد أن تلقت بيزنطة عدة ضربات موجعة منهم. ومع هذا خاطب البيزنطيون المسلمين مستخدمين عبارة "**الأصدقاء**". والتفسير الوحيد لهذا هو أن تلك العبارة هي إحدى مفردات لغة الدبلوماسية البيزنطية، حيث خاطبت البلغار، الذين أنزلوا الهزيمة ببيزنطة أيضًا آنذاك، بعبارة "**أصدقاؤنا البلغار**"، وهي التسمية التي نقابلها أيضاً عند حضورهم الإحتفال بعيد القديس باسيل في الخريسوتريكلينوس زمن الإمبراطور قسطنطين بورفيروجنيتوس؛[٣] بل استخدمت عبارة " **الأصدقاء القادمين من لدن الأمم الأخرى**".[٤] ولعل ما يؤكد ذلك أن

[1] منى محمود السيد، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والمسلمين في صقلية وجنوب إيطاليا زمن الأسرة المقدونية، رسالة ماجستير غير منشورة (كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٩٦)، ص ٤٤-٤٥؛ عزيز حسن، تاريخ صقلية الإسلامية، ترجمة أمين توفيق الطيبي، (طرابلس ١٩٨٠)، ص ٢٣.

[2] انظر، منى محمود، العلاقات، ص ٤٥، ٤٩-٥٥؛ عزيز أحمد، صقلية الإسلامية، ص ٢٤.

[3] Constantine Porph., *De Ceremoniis*, I, 139.

[4] *Traité Phil.*, 163, 165.

قسطنطين السابع نفسه يستخدم مراراً في كتابه عن المراسم عبارتي **"أصدقاؤنا السراقنة"**[1] (أي المسلمين) "οἱ Φίλοι Σαρακηνοὶ" وأصدقاؤنا الطرسوسيين (نسبة إلى مسلمي مدينة طرسوس)"[2] οἱ Φίλοι Ταρσῖται للإشارة إلى المسلمين؛ وهذا لا يعني بالضرورة وجود صداقة بين إمبراطور بيزنطة وخليفة المسلمين.

على أية حال، كان هذا شكل قاعة الطعام الإمبراطورية وكيفية دخول أشراف الدولة وموظفيها كباراً وصغاراً إليها في حضرة الإمبراطور، وذلك على المآدب الاعتيادية، سواء أكانت المائدة اليومية للإمبراطور أم مآدب اعتيادية عامة دعى إليها الإمبراطور. ونأتي الآن إلى المآدب السنوية، وهي المآدب التي تعقد من العام للعام حسب المناسبات أو الأعياد محل الإحتفال، والتي كان أغلبها ذو صبغة دينية.

## ثانياً: المآدب الإمبراطورية السنوية:

### أولاً: مآدب عيد الميلاد المجيد:[3]

كانت الموائد الملكية التي تقام بمناسبة عيد الميلاد المجيد[4] تبدأ من اليوم السابع من شهر يناير من كل عام، حسب طقس الكنيسة الأرثوذكسية، وتستمر لاثنى عشر يوماً متصلة وحتى عيد الغطاس الموافق التاسع عشر من شهر يناير،[5] وكانت لها طقوساً تختلف عن غيرها من المآدب الملكية، ويشرف علي تنظيمها مشرف الولائم الملكية الكبير **"الأتريكلينيس الكبير"** في قاعة التسعة عشرة مائدة أو سماطاً،[6] وهي من أجمل قاعات الطعام بالقصر

---

[1] Constantine Porph., *De Ceremoniis*, I:II, chap.15, 583-586, 588.

[2] Constantine Porph., *De Ceremoniis*,I:II, chap.15, 592.

[3] وصف قسطنطين السابع مراسم هذا الإحتفال بالتفصيل. Constantine Porph., *De Ceremoniis*, I, 5 ff.

[4] يعتبر هذا العيد من أهم الأعياد المسيحية لأنه يذكر بولادة السيد المسيح (عليه السلام) من العذراء مريم في بيت لحم في أورشليم في فلسطين، ويتم الاحتفال به في مصر في ٢٩ كيهك. وقد بنت الملكة هيلانة كنيسة عظيمة في ذات مكان ميلاد السيد المسيح "كنيسة المهد". ويتم الاحتفال بميلاد السيد المسيح في ٢٥ ديسمبر من كل عام حسب التقويم الغربي "التقويم الروماني القديم" ولكن الكنائس الشرقية تحتفل به في ٧ يناير من كل عام لوجود فروق في التوقيت بين شرق وغرب الكرة الأرضية

[5] عيد الغطاس وهو يمثل ذكرى تعميد السيد المسيح (عليه السلام) في نهر الأردن علي يوحنا المعمدان وعرف باسم الغطاس لأنه يمثل ذكرى تغطيس السيد المسيح في نهر الأردن.

[6] من الواضح أنه نظراً لأن قاعة التسعة عشر سماطا كانت تسمى التريكلينس الكبير فإن الأتريكلينس المكلف بها كان يسمى أيضاً الأتريكلينس الكبير. Constantine Porph., *De Ceremoniis*, I, 361, 594.

الإمبراطوري الكبير، والطعام بها كان يقدم في أطباق ذهبية.[١] وكانت هذه الموائد الملكية تجهز بناءاً على أمر الإمبراطور في تلك القاعة، وهي موائد عامة، لينعم بالطعام والشراب عليها كافة المشاركين للإمبراطور الإحتفال بهذه المناسبة الدينية. وكان يدعى لهذه الموائد شخصيات بعينها على النحو التالي: أصدقاء المسيح (ربما المقصود رجال الدين)، أربعة عشر عضوًا من أعضاء السناتو الإمبراطوري؛ كما تتم دعوة من يستحسنهم الإمبراطور بنفسه من بين الماجستيرات، والبرايبوزيتوي (جمع برايبوزيتوس)، وحملة لقب أنثيباطوس، والبطارقة، والاستراتيجوسات، والموظفين. والملاحظ على هؤلاء المدعوين رفيعي المقام أنه كان عليهم أن يخلعوا عنهم لباسهم الخاص المسمى "الخلاميد[٢] τῶν οἰκείων χλαμύδων..." ويجلسون فقط وهم مرتدون الكَميزيا[٣] τὰ καμίσια، ما عدا الاستراتيجوسات ودرونجير الحراسة/الفيجلا فيجلسون وهم مرتدون عباءاتهم المسماة "سكارامنجيا[٤] τῶν οἰκείων σκαραμαγγίων..."[٥] وهنا ينبغي أن نشير إلى المراسم كانت تقتضي خلع الملابس الثمينة كالخلاميد، أما عباءات الكميزيا والاسكارامنجيا الشائعة فلم تكن هناك حاجة لخلعها عند الجلوس على الموائد الملكية.

وعلى شرف هذه المأدبة الإمبراطورية بقاعة التسعة عشر سماطاً تتم دعوة اثنين من الماجستيرات، وستة من بين حملة لقب الأنثيباطوس، والبطارقة الاستراتيجوسات، واثنين من البلغار، واثنين من كبار الموظفين أمثال ناظر الخزانة العسكرية (لغثيط الاستراتيوتيكون) أو

---

وعن هذه القاعة انظر: R. Guilland, "Études sur le grand palais de Constantinople. Les XIX lits," *JÖBG* 11-12(1962/63), 85-113.

[١] من الأشياء الطريفة أن تلك الأطباق الذهبية في حالة عدم الاستعمال كانت تحفظ في خزينة تسمى "كاسترسياكون *Castresiacon*". Rice, *Everyday Life in Byzantium*, 45.

[٢] الخلاميد أو الخلاموس أو الخلانيديون: إما معطف بدون أكمام معقود بمشبك أو عباءة لها فتحة أمامية ومعقودة بمشبك من الأمام على الكتف اليمين أو عند الزور. Ph. Grierson, *Byzantine Coinage* (Washington, D.C. 1999), 54; Oikonomides, *Les listes*, 166, n. 143; 167, n. 144; Wittow, *Making of Orthodox Byzantium*, 273.

[٣] الكميزيا: نوع من العباءات التي كانت شائعة آنذاك إلى حد ما. Oikonomides, *Les listes*, 166, n. 139.

[٤] الاسكارامنجيون نوع من الملبس ذو اصل شرقي، عبارة عن عباءة مزينة كان يرتديها العسكريون في الغالب كالدورنجيرات وغيرهم. وكان بعض الموظفين يتسلمون تلك العباءات من الإدارة الحكومية عند تنصيبهم في وظائفهم التي يترتب عليها ذلك. Wittow, Making *of Orthodox Byzantium*, 110; Oikonomides, *Les listes*, 166, n. 140.

[٥] *Traité Phil.*, 165, 167.

من فئة الموظفين الدنيا، واثنا عشر صديقاً للإمبراطور ليجلسوا، كل حسب ترتيب رتبته، كبطانة له على صف واحد للتواصل معه. وهؤلاء كان مسموحاً لهم أن يجلسوا وهم مرتدون الخلاميد وهي معقودة من الأمام، وكذلك وهم لابسين أحذيتهم المسماة "كمباجيا καμπάγια"؛[1] وهذا إن دل فإنه يدل على سمو مكانتهم. وهؤلاء المدعون لا يدخلون القاعة إلا بعد دخول خدم الإمبراطور الذين يخدمون على المائدة (السفرجية)، والبوكاليوي الذين يساعدونهم في إعداد الوليمة.[2] وهؤلاء الأخيرون كان عددهم خمسة وهم في الأساس المنشدون الذين يتولون الجهر بالأدعية، منهم إثنان ينطقان باللاتينية، والثلاثة الباقين باليونانية، وذلك في توقيتات محددة من الوليمة الإمبراطورية؛[3] وهم مذكورون مراراً في كتاب المراسم.[4]

وعندما يتلقى كاستريسيوس المائدة الإمبراطورية (أمين المائدة) الأمر بإشارة من البِرَايبوزيتوس الرفيع، الواقف على منصة المائدة الإمبراطورية، يقوم بإدخال أصفياء الإمبراطور الاثنى عشر وإجلاسهم حول مائدة الشرف. وهنا نلاحظ أن مائدة الإمبراطور كانت تقع على منصة مرتفعة ذات درجات ثلاث، وذلك حتى يتمكن الإمبراطور من رؤية كافة المدعوين ويصطفي من يشاء منهم ليدعوه بشخصه للجلوس على مائدته الخاصة.[5]

وكان يدعى إلى هذه المائدة أيضاً نواب رجال السناتو ليجلسوا على الصفين، وكذلك سكرتارية القصر (أسِيكريتاي)، وكارتولاريوسات السيكريتا العظام، والموثقين الإمبراطوريين للسيكريتا وهؤلاء جميعاً يشترط فيهم أن يكونوا حاملين لقب سباثاروكانديدات أو من مرتبة دنيا؛ وكذلك الهيباتوي، ومن ليسوا هيباتوي، وقمامسة تاجما الاسكلارية، والسلينتيرات، والبروتكتورات، واليوتيخوفوري (؟)، والاسكبتروفوري (؟)، والاكسيوماتيكوي (؟)،

---

[1] الكمباجيا نوع من الأحذية الرومانية (أحيانا مذهبة) يلبسه كبار القوم، ويعود إلى القرن السادس الميلادي. وفي عصر ليو الحكيم كان يلبسه الموظفون المميزون. Oikonomides, *Les listes*, 167, n. 145.

[2] *Traité Phil.*, 167.

[3] Constantine Porph., *De Ceremoniis*, I, 370.

[4] Constantine Porph., *De Ceremoniis*, I, 283, 287-288, 292, 299-300. See also Oikonomides, *Les listes*, 167, n. 146.

[5] *Traité Phil.*, 167, 169.

(وأراخنة؟) التاجماتا كافة. بالإضافة إلى أربعة وعشرين من الأسرى المسلمين (الهاجريين) من البرايتوريوم Praetorium،[1] واثنا عشر من الأصدقاء البلغــار، واثنا عشـــر آخـــرين مـــن الفقراء والمحتاجين.[2]

وكان يجب إجلاس الأسرى المسلمين[3] على المائدتين السادسة والسابعة، في مواجهة الإمبراطور، أما الضيوف البلغاريين فيجلسون على مائدة جديدة، أي المائدة الثامنة،[4] بنفس الترتيب؛ أما الفقراء والمحتاجين فيجلسون على المائدة التاسعة من اليسار. وهؤلاء المدعون كان يتم إدخالهم إلى القاعة بعد وصول أصدقاء الإمبراطور المدعوين أولاً إلى المائدة الإمبراطورية. وهؤلاء يدخلون واحداً تلو الآخر وهم مرتدون الخلاميد ومنتعلين الكمباجيا طبقاً لمكانة ومنصب كل واحد منهم؛ أما الأسرى المسلمين فكانوا يلبسون ثياباً بيضاء اللون بلا زنار، وحذاء بطبيعة الحال،[5] ويسيرون خلف الأتريكلينيس الذي دعاهم ليُلزمهم مقاعدهم.[6]

---

[1] كان البرايتوريوم هو السجن الأوسع من بين بقية سجون العاصمة ويقع تحت إشراف والي المدينة، والـسجون الأخرى هي سجون الشالكيه، والنوميرا، والبرانديارا، والقوبلي، والأنيماس، وسجن سان ديوميــد، وبــورت دوراي، وسجن البوكُليون، وكان أقدم سجون العاصمة هو الاستراتيجيون. انظــر: *ODB*, III, 1723, s.v. Prisons; Janin, *Constantinople byzantine*, 163-166; Guilland, *Constantinople byzantine*, 36-39. For more details se Ph. Koukoules and R. Guilland, "Voleurs et prisons à Byzance," *REGr* 61(1948), 127-136.

ولم يكن البرايتوريوم مخصصا فقط للأسرى بل أيضاً للعصاة والمتمردين السياسيين والمجــرمين المــدنيين، وهو مذكور في المصادر البيزنطية مراراً. انظر: See *The Chronicle of Theophanes Confessor*, Eng. trans. C. Mango and R. Scott (Oxford 1997) 113, 263; Leo Grammaticus, *Chronographia*, ed. I. Bekker, *CSHB* (Bonn 1842), 226; Constantine Porph., *De Cer.*, I/II, chaps. 19, 609; 21: 615.

[2] *Traité Phil.*, 169; A. Toynbee, *Constantine Porphyrogenitus and his World* (London 1973), 385.

[3] عن الأسرى المسلمين في بلاد الروم انظر: المسعودي، التنبيه والإشــراف، ص ١٦٠-١٦٦؛ حامــد زيــان، الأسرى المسلمون في بلاد الروم، (القاهرة، ١٩٨٩)؛ طــارق منــصور، بيزنطــة والعــالم الخــارجي، ج١، البيزنطيون والعالم الإسلامي، (القاهرة، ٢٠٠٣)، ص ١٢٧ وما بعــدها؛ Kolia-Dermitzaki, *Prisoners of War in Byzantium*, 583-620; Simeonova, *The Arab prisoners of war*, 75-104; □A. M. Ramadān, "The Treatment of the Arab Prisoners of War in Byzantium '9th-10th centuries'," *Annals Islamogiques* 43(2009), 1-39.

[4] عبد العزيز رمضان، "سياسة بيزنطة التنصيرية تجاه العناصر العربية المسلمة: القرون ٧-١١م"، مجلة وقائع تاريخية، ٧ (٢٠٠٧)، ص ١١٠.

[5] Simeonova, *Arab Prisoners*, 83.

[6] *Traité Phil.*, 169; Constantine Porph., *De Ceremoniis*, I, 767-768.

ويلاحظ هنا أن المسلمين لم يُنعتوا بكلمة "أصدقاء"، التي سبق وأن أُستخدمت من قبل للإشارة إلى الرسل المسلمين الذين كانوا يجلسون على المائدة الرابعة أو الخامسة على الموائد الإمبراطورية الاعتيادية، بينما البلغار هنا سموا "**بالأصدقاء البلغار**" ومع هذا أُجلسوا على المائدة الثامنة، أي متأخرين عن الأسرى المسلمين، بينما من قبل أجلسوا على المائدة الخامسة من موائد الإمبراطور الاعتيادية.[1] فهل المقصود هنا في هذه الحالة رسل أو وفود البلغار أم أسرى بلغار أيضاً؟ إن النصوص لم تشر إلى المسلمين هنا على أنهم أسرى، ولكن أُستنتج ذلك من سياق النص حيث كان يتم إحضارهم من البرايتوريوم، والمقصود هنا حبس البرايتوريوم. أما بالنسبة للبلغار فلا إشارة تشير إلى صفتهم الرسمية، غير أن الأرجح –على حد اعتقادي– هو أنهم وفود بلغارية غير رسمية جاءت لحضور مراسم عيد الميلاد المجيد في الكنيسة الأرثوذكسية الأم، لاسيما وأن البيزنطيين هم أصحاب الأيدي البيضاء في تنصيرهم على المذهب الأرثوذكسي. لذا فقد تكرر استخدام عبارة الأصدقاء البلغاريين ثانية في هذه المناسبة.

ونأتي الآن إلى مناقشة قضية مهمة أشار إليها فيلوثيوس وقسطنطين بورفيروجنيتوس وهارون بن يحيى وهي إشارتهم إلى دعوة الإمبراطور البيزنطي للأسارى المسلمين إلى مائدته لتناول الطعام في هذا العيد، حيث يُفصل الأخير هذا الأمر بقوله:[2]

> "... ويؤمر فيؤتى بأساري المسلمين فأُقعدوا على تلك الموائد، وحمل إليه عند قعوده في الصدر أربع موائد من ذهب تحمل كل مائدة على عجلة يقال إن إحدى تلك الموائد كانت لسليمان بن داود مرصعة بالدر والياقوت، والثانية لداود مرصعة أيضاً، والثالثة مائدة قارون،

---

[1] جدير بالذكر أن ليتوبراند الكريموني، سفير الإمبراطور الألماني أوتو الأول للقسطنطينية عام ٩٦٨م، أبدى استغرابه عندما زار القسطنطينية وحضر إحدى المآدب الإمبراطورية ووجد نفسه يحتل مرتبة تالية للسفير البلغاري على مائدة الإمبراطور. غير أن هذه الصدارة للسفير البلغاري كانت طبقاً لأحد شروط معاهدة ٩٢٧م بين البيزنطيين والبلغار، حيث أصبح بمقتضاها للسفراء البلغار حق التصدر على كافة السفراء الآخرين القادمين إلى بيزنطة. S. Runciman, *The Emperor Romanus Lecapenus and his Reign* (Cambridge 1963), 99; Oikonomides, *Les listes*, 163, n. 133.

[2] ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص ١٢٣. انظر أيضا: ليلى عبد الجواد، القسطنطينية في ضوء كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين، ص ١٢٧. N. El Cheikh-Saliba, *Byzantium Viewed by the Arabs*, Ph. D. Dissertation (Harvard University 1992), 176.

والرابعة مائدة قسطنطين الملك، فتوضع بين يديه ولا يؤكل عليها إنما تترك ما دام الملك على مائدته فإذا قام رفعت. فيؤتى بالمسلمين وعلى تلك الموائد من الحار والبارد أمر عظيم، ثم ينـادي منـادي الملـك فيقول: وحياة رأس الملك ما في هذه الأطعمة شيء من لحم الخنزير، وينقل إليهم تلك الأطعمة في صحاف الذهب والفضة. ثم يؤتى بـشئ يقال له الأرقناء، وهو شئ متخذ من الخشب المربـع علـى صـنعة معصرة، وتغشى تلك المعصرة بأدم وثيق، ثم يجعل فيه ستون أنبوبة من صفر رؤوسها إلى أنصافها إلى فوق قد غـشيت تلـك الأنابيـب بالذهب فوق الأدم، حتى لا يبين منها إلا اليسير على تقارب أقـدارها واحدة أطول من الأخرى وإلى جانب هذا الشئ المربع ثقب يجعل فيه منفخ ككور الحدادين؛ ويؤتى بثلاثة صلبان فيجعل اثنـان منهـا فـي طرفيه وواحد في الوسط ثم يؤتى برجلين ينفخان فـي ذلـك المـنفخ ويقوم الأستاذ فيحسب على تلك الأنابيب فتتكلم كل أنبوبة بحالها على حسب ما يحسب عليه من الثناء على الملك والقوم كلهم جلوس علـى الموائد ويدخل عليه عشرون رجلاً بأيديهم الحلباقات، والحلباق الصنج يضربون فيها ما داموا يأكلون ويطعمون على هذه الصفة اثنى عشر يوماً، فإذا كان آخر هذه الأيام يعطى كل أسير من المسلمين دينـارين وثلاثة دراهم ثم يقوم الملك ويخرج من باب البيدرون."

وبالنظر إلى الرواية السابقة يمكننا إستنتاج أن الغرض من دعوة الأسرى المسلمين لتناول الطعام على المائدة الإمبراطورية، طبقاً لتلك المراسم، هو استعراض سخاء الإمبراطور وكرمه، وكذلك مظاهر الفخامة الملكية في وجود أعداد ضخمة من الحضور، لاسيما وأن المدعوين لتناول الطعام مع الإمبراطور هم كافة موظفي الدولة وأشرافها وشتى عمالها ورجال الدين بكل طوائفهم؛ بل والضيوف الأجانب أيضاً. وهذا يدعمه ضرورة إجلاسهم على مقربة من الإمبراطور، ليروا بأنفسهم بهاء مائدته الذهبية وما عليها من صحائف ذهبية. وهو ما أشاء إليه ليوتبراند الكريموني عندما دخل قاعة الطعام لتناول الطعام على مأدبة الإمبراطور ففوجيء بأن الطعام كان يقدم لكافة المدعوين في صحائف ذهبية، وأن

أطباق الفاكهة المنمقة كانت من الذهب وثقيلة الوزن.[1] ويدعم الأتريكلينيس فيلوثيوس هذا عندما يؤكد على أن الهدف من إتباع تلك المراسم أثناء الإحتفالات والمآدب الإمبراطورية هو التوكيد على وجود البيزنطيين ومجدهم.[2] وهو ما يؤكد القول بأن مراسم البلاط البيزنطي كانت تهدف إلى إبراز عظمة بيزنطة، التي كانت تحرص دائماً على أن يلمسها ليس أبناءها فقط بل وزوارها أيضاً ممن جاءوها من الشعوب المجاورة لها، والذين إعتبرهم قسطنطين بورفيروجنيتوس برابرة. ولكي تحقق بيزنطة مآربها تلك كان عليها استخدام كافة الوسائل الممكنة سواء السياسية أم الدبلوماسية، والتي شملت أيضا كافة المراسم الدقيقة المبهرة لزوار القسطنطينية. فيذكر المقدسي أن الإمبراطور البيزنطي كان يؤمر بالأسارى المسلمين فيؤتى بهم إلى الهيبودروم لمشاهدة سباقات الخيل، وإذا انتصر الفريق الذي يقف معه الأسرى المسلمون كان يتم مكافأة المسلمين ومنحهم عطايا باسم الإمبراطور؛[3] وهذا ما يؤكده أيضا ليو الشماس عندما يشير إلى إحضار الأسرى لمشاهدة إحتفالات النصر في الهيبودروم.[4]

ومع هذا، فإن ذلك السلوك البيزنطي ليس بمستغرب على بيزنطة التي كانت تلجأ دائماً لاستعراض القوة ومظاهر الفخامة الملكية أمام الأجانب الذين تطيء أقدامهم أرض القسطنطينية، والذين كانوا يصابون بحالة من الدهشة عندما يلمسون بأنفسهم ثراء المدينة وجمالها. ويعج التاريخ البيزنطي بكثير من الأمثلة على ذلك، كمراسم زيارة الأميرة الروسية أولجا Olga إلى القسطنطينية،[5] أو زيارة الملك عموري الأول Amalric I، ملك بيت

---

[1] Rice, *Everyday Life in Byzantium*, 45.

[2] *Traité Phil.*, 225.

[3] المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، نشره م. ديجويه (ليدن ١٩٠٦)، ص ١٤٨.

[4] Leo the Deacon, *The History of Leo the Deacon, Byzantine Military Expansion in the Tenth Century*, Eng. trans. and com. A. M. Talbot and D. F. Sullivan (Washington D.C. 2005), 76.

[5] انظر: طارق منصور، الروس والمجتمع الدولي ٩٤٥-١٠٥٤م (القاهرة ٢٠٠٠)، ص ٤٢ وما بعدها؛ Constantine Porph., *De Ceremoniis*, I, chap. 15, 594-598.

المقدس لها،[1] أو زيارة سفراء الدول الأجنبية كليتوبراند الكريموني، وغير ذلك من الأمثلة المعروفة للمتخصصين.[2]

ويذهب أحد المؤرخين أن إحضار الأسارى المسلمين لحضور مأدبة الإمبراطور في ذلك العيد كان وسيلة جيدة لتقريبهم من المسيحية، لاسيما حال دعوتهم لمآدب ملكية في أعياد دينية.[3] وربما كان هذا الافتراض قائماً في نفس الإمبراطور، حيث كان يهدف إلى رؤية الأسرى المسلمين بأنفسهم مدى الإحتفالات المهيبة بميلاد السيد المسيح عليه السلام مما قد يوقع وقعاً طيباً في أنفسهم ينجم عنه ميلهم نحو المسيحية أو إعتناقها، لاسيما في ظل المغريات التي كان الإمبراطور البيزنطي يوفرها للراغبين من المسلمين في الدخول إلى المسيحية، والتي فصلها قسطنطين بورفيروجنيتوس.[4]

أما الرأي الذي يذهب إليه المؤرخ رضا السيد بأن حضور الأسارى المسلمين لهذه الإحتفالات كان من باب الترفيه عنهم فهو رأي لا يستند إلى حقيقة تاريخية، وقد يكون بعيداً عن نهج الإدارة البيزنطية في التعامل مع الآخر.[5]

على أية حال، كان يتم إعداد إثنى عشر مقعداً تقريباً لكل مائدة من موائد الطعام، ولا يسمح لأي شخص بالإقتراب من الطعام إلى أن يسمح البوكاليوي الإمبراطوريين ببدء الموعد. ومن الطقوس التي كانت تمارس آنذاك والمدعون جلوس الاستماع إلى الموسيقى عندما يبدأ العزف، وحينئذ ينبغي عليهم أن ينهضوا من أماكنهم ويهتفوا للإمبراطور وهم رافعون عباءاتهم. وهذا الطقس يتكرر مع كل مرة تعزف فيها الموسيقى. وعند الإنتهاء من تناول الطعام ينبغي الانتباه إلى البوكاليوي عند هتافهم باللاتينية، كما يجب الإنتباه إلى

---

[1] Langille, *La Constantinople de Guillaume de Tyr*, 173-197.; S. Runciman, "The Visit of Amalric I to Constantinople in 1171", in (eds.) B. Z. Kedar, R. C. Smail, and H. E. Mayer, *Outremer: Studies in the History of the Crusading Kingdom of Jerusalem* (Jerusalem 1982).

[2] عن المراسم البيزنطية المتبعة مع السفراء الأجانب عند استقبالهم بالبلاط البيزنطي، انظر: F. Tinnefeld, "Ceremonies for Foreign Ambassadors at the Court of Byzantium and their Political Background," *ByzF* 19(1993), 193-214.

[3] عبد العزيز رمضان، سياسة بيزنطة التنصيرية، ص ١١٢-١١٣.

[4] عن تفاصيل هذه الإجراءات البيزنطية انظر: Constantine Porph., *De Ceremoniis*, I:II, ch. 49, 694-695; McGeer, *Sowing the Dragon's Teeth: Byzantine Warfare in the Tenth Century* (Washington, D.C. 1995), 366; Toynbee, *Constantine Porphyrogenitus*, 82-83.

[5] رضا السيد حسن، المعارك والأسر بين العرب والروم (بيروت ١٩٨٥)، ص ١٦٤-١٦٥.

إشارات أمين المائدة (الكاستريسيوس)؛ حيث على المدعوين مرتدي الخلاميد أن يقفوا خلف مقاعدهم ثم يخرجون من الباب الصغير في الترتيب نفسه؛ أما ضيوف مائدة الإمبراطور فكان يتقدمهم الكاستريسيوس نفسه نحو الخارج.[1]

وكما سبق أن ذكرنا فإن الإحتفالات بعيد الميلاد المجيد كانت تستمر إثنى عشر يوماً، تمد الأسمطة خلالها بحضور الإمبراطور وبحضور مجموعة غير متكررة من موظفي الدولة وأشرافها كل يوم من هذه الأيام بحث إنه بنهاية اليوم الثاني عشر وهو يوم الإحتفال بعيد الغطاس يكون كافة موظفي الدولة وأشرافها قد تناولوا الطعام مع الإمبراطور؛ وهذا كان يستدعي أن ينصرف من حضر الطعام منهم في اليوم الأول ويأتي غيرهم في اليوم التالي، وهكذا دواليك. ففي اليوم الثاني كانت تتم دعوة اثنى عشرة من الماجستيرات، ومن حملة لقب أنثيباطوس، ومن البطارقة، ومن خاصة الموظفين (أوفيكياليوي أويكيايوي) حملة لقب بروتوسباثاريوس. وطبقاً لما كان متبعاً كانت تتم دعوة دومستق الاسكلارية، ولهم الأولوية. وكان عليهم الدخول إلى قاعة الطعام، طبقاً للترتيب المتبع حسب مكانتهم وأسبقيتهم، وهم مرتدون ثياباً تعرف باسم خلانيديا *chlanidia*، في حين يرتدي الخاصة (الأويكيايوي) ملابسهم المعروفة باسم سبكيا *spekia*[2] والساجيا جرينات *sagia grenat*[3] وتكون مقفلة من الأمام بمشبك.

وعلى المقعدين المجاورين للإمبراطور كان يُدعى رجاله من حملة لقب سباثاروكانديدات أو من هم ذوي ألقاب دنيا، وأرخونات تاجما الاسكلارية، والتوبوتريتس إذا كان حاملاً لقب سباثاروكانديدات، وقمامسة الاسكلارية، والكارتولاريوسات، ودومستقات الاسكلارية، والبرويكسيموس، والبروتكتورات، والبيتيخوفوري، والاسكبتروفوري، والاكسيوماتيكوي، والماندانورات، وجملة هؤلاء المدعوين كانت مائتي وسبعة رجلاً؛ بالإضافة إلى إثنى عشرة من الفقراء والمحتاجين. وهؤلاء الموظفون كانوا يدخلون إلى قاعة

---

[1] *Traité Phil.*, 169, 171.

[2] الاسبكيا: نوع من العباءات تلبس تحت الساجيون ويرتديها البروتوسباثيرات من الخصيان والبطارقة الملتحون، وأحيانا بعض الموظفين من ذوي الرتب العالية. راجـع: Constantine Porph., *De Ceremoniis*, I, 82, 99, 148, 302, 542, 575, 584; Oikonomides, *Les listes*, 170, n. 153.

[3] الساجيا جرينات: زي فوقي أقصر من الخلاميد، يلبسه العسكريون في معظم الأحيان. Oikonomides, *Les listes*, 170, n. 154.

الطعام وهم مرتدون عباءاتهم المسماة سكارامنجيا، عدا التوبوتريتس والكارتولاريوس فكانا يرتديان بالإضافة إلى ذلك "الساجيا جرينات" طبقاً للتقاليد المتبعة بمعرفة الأتريكلينيس.[1]

وفي اليوم الثالث كانت مراسم الإحتفال تجرى كما هو متبع وطبقاً للقواعد التي أوضحناها من قبل، غير أن عدد المدعوين من موظفي الدولة وأشرافها كان اثنا عشر من الشخصيات الرفيعة ومائتين وأربعة من كافة الموظفين بالإضافة إلى اثنى عشر من الفقراء والمحتاجين. وفي اليوم الرابع كان عدد المدعوين هو نفسه ما عدا المحتاجين فلا يظهرون على المائدة في ذلك اليوم. وفي اليوم الخامس كان عدد المدعوين هو نفسه في اليوم الثالث.[2]

أما اليوم السادس فينبغي أن نتوقف عنده قليلاً لأهمية المراسم المتبعة فيه، حيث كان يحضر المأدبة الإمبراطورية في ذلك اليوم بطريرك القسطنطينية ومعه اثنى عشر راهباً من مقدمي الأديرة الأرثوذكسية، غالباً الواقعة في نطاق القسطنطينية،[3] وكانت لهم قوائم أسماء مسجلة أيضاً لدي الأتريكلينيس. وهؤلاء كان يتم إدخالهم وإجلاسهم واحداً تلو الآخر، كل على مقعده المخصص له طبقاً لمكانة كل منهم والشرف الذي يناسبه، أما البطريرك فكان يجلس مع الإمبراطور على مائدته الذهبية. وجميعهم كانوا يدخلون إلى القاعة بزيهم المميز المسمى (الفيلونيا) دون أن يشمروه يتقدمهم الكاستريسيوس ويلتفون حول المائدة في حلقة، حتى يتسنى للإمبراطور أن يختار منهم من يشاء لينال شرف الجلوس إلى جانبه. وبالإضافة إلى تلك الشخصيات الدينية الرفيعة كان يتم دعوة عدد مائتين وستة عشر من عامة الرهبان من شتى

---

[1] *Traité Phil.*, 171, 173.

[2] للتفاصيل انظر: *Traité Phil.*, 173, 175.

[3] يقدم هارون بن يحيى رواية مهمة عن هذه الأديرة وعددها ونظمها، حيث يقول: "إن حوالي قسطنطينية ديرات الرهبان، وعلى باب قسطنطينية دير يدعى دير ساطرا ينزله خمسمائة راهب. وهذا النهر الذي يدخل المدينة ينقسم ثلاثة أقسام يجري في وسطه، وعلى فرسخ مما يلي الشمال من المدينة دير يقال له مونس فيه ألف راهب، ومما يلي شرقي قسطنطينية منها على أربعة فراسخ ، موضع فيه أربعة ديرات فيها اثنا عشر ألف راهب أحدها مونس والثاني فسادر والثالث قوقياي، والرابع مريم، ومما يلي غربي المدينة ديران فيهما ستة آلاف راهب، ثم تخرج فتصير في صحراء ملساء فيها مزارع وقرى اثنتى عشرة مرحلة حتى تنتهي إلى مدينة يقال لها سلوقية وهي مدينة عظيمة كبيرة مما يلي مشرق المدينة الجبل وغربيها البحر ولها أربعة أنهار تسقيها وفيها دير يقال له مرقش فيه اثنا عشر ألف راهب". انظر: ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص١٢٧. انظر أيضاً، نجلاء مصطفى، القسطنطينية، ص ١٤٩-١٥٧، ١٨٧-١٩٦؛ ليلى عبد الجواد، القسطنطينية في ضوء كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين، ص ١٨٤-١٩٠؛ طارق منصور، هارون بن يحيي مصدر من مصادر التاريخ البيزنطي، حولية كلية التربية للبنات بالطائف، عدد ٦(١٤٢٥-١٤٢٦هـ)، ص ٥١.

الأديرة المختلفة، ويدخلون القاعة طابوراً بلباسهم المعتاد ويجلس كل اثنا عشر منهم على مائدة. وبهذه المناسبة كان الإيديكيوس[1] يسلم أربعة نوميزمات،[2] كمنحة إمبراطورية، لكل واحد من مقدمي الأديرة الاثنى عشر، ونوميزما واحدة لكل راهب من الرهبان الآخرين.[3]

جدير بالذكر أن المحتاجين من سكان القسطنطينية لا يحضرون في ذلك اليوم إلى مأدبة الإمبراطور بل كان يُعد لهم طعاماً مجمعاً في المجمع الديني. وكان يتم دعوة ثمانية من أصدقاء الإمبراطور في ذلك اليوم من الماجستيرات، وحملة لقب أنثيباطوس وبطريق، والاستراتيجوسات؛ وديمارخي الزرق والخضر، إلى جانب صديقين اثنين من البلغار. كما كانت تتم دعوة كافة من وفدوا على الإمبراطور في ذلك اليوم من أبناء الأمم الأخرى التي إعتبرها البيزنطيون برابرة، من الفارانجيين،[4] والخزر، والعرب (الهاجريين)، والفرنجة،

---

[1] الايديكيوس يعرفه أ.د. الباز العريني، الدولة البيزنطية، ص ٣١٩ بأنه هو المشرف على دور الصناعة. ويبدو هذا التعريف في غير محله لأن الاسم له اشتقاق مالي، حيث إن الايديكيون هي الخزانة الخاصة. عنه انظر: Bury, *The Imperial Administrative System*, 98-100.

[2] النوميزما: اسم اطلق على العملة البيزنطية وهي تساوي واحد ينار. وفي القرن العاشر الميلادي انقسمت النوميزما إلى فنتين: الأولى الثقيلة وكانت تسمى هيستامينون *histamenon* ، والثانية الأخف وكانت تسمى تيتراتيرون *tetrateron* . وبدءاً من عام ١٠٩٢م فصاعداً عرفت العملة الثقيلة عامة باسم هيبربيرون *hyperperon* ؛ بينما توقف ضرب العملة الأخف. Grierson, *Byzantine Coinage*, 57.

[3] *Traité Phil.*, 175, 177.

[4] عرف الفارانجيون والروس طريقهم إلى الجيش البيزنطي بدءاً من القرن العاشر الميلادي فصاعداً، ليزداد تألقهم كمحاربين أشداء فى القرن الحادي عشر الميلادى بعد أن تشكل منهم الحرس الإمبراطورى . وقد أسهبت المصادر العربية في الحديث عن المرتزقة الروس العاملين في الجيش البيزنطى في القرن العاشر الميلادي . فقد ذكر المسعودى عنهم ما يلى "... وقد دخل كثير منهم [أى الروس] فى وقتنا الحالي هذا فى جملة الروم ... فشحنوا بهم كثيراً من حصونهم التي تلي الثغور الشامية، وجعلوهم بازاء برجان [إحدى الأمم التركية] وغيرهم من الأمم المتأبدة لهم والمحيطة بملكهم..." وهناك الكثير من الأمثلة الأخرى التي وردت في المصادر المختلفة، والتي توضح أن الروس كانوا يشكلون جزءاً لا بأس به من المرتزقة العاملين في الجيش البيزنطي. انظر: ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سامى الدهان، (دمشق ١٩٥٤)، ج٢، ص٢٤؛ ابن القلانسي، نيل تاريخ دمشق، تحقيق هـ.ف. أميدروز، (بيروت ١٩٠٨)، ص٤٣؛ طارق منصور، الروس والمجتمع الدولي، ص ٢٩-٣١؛ Constantine Porph., *De Cer.*, II, chap. 44:651, 654 – 655; *Liber De Re Militari* , ed. R. Vari (Lipsiae 1901), 21, 31, 44; McGeer, *Sowing the Dragon's Teeth*, 209; Στρατηγικὴ Ἔκθεσις καὶ Σύνταξις Νικηφόρου Δεσπότου, Eng. trans. E. McGeer, in: *Sowing the Drogon's Teeth* (Washington D.C. 1995), 15; Τακτικά

وغيرهم ممن ينعمون بعناية الإمبراطور الروحية. وهؤلاء جميعاً كانوا يدخلون إلى القاعة وهم مرتدون ملابسهم الخاصة بهم التي كان البيزنطيون يسمونها "كَبَّادين[1] καββαδίν".[2] وتعتقد المؤرخة سيمينوفا أنه ربما المقصود بالهاجريين هنا من كانوا يعملون بفرقة الحراسة المسماة الهيتارية، ومن المحتمل أيضاً أنهم كانوا مسيحيين.[3] وربما كان افتراضها صحيحاً لاسيما وأن المسلمين في كل مرة دعوا فيها للمآدب الإمبراطورية كانت تحدد صفتهم ما بين سفراء أو رجال دين أو أسارى. من ناحية ثانية فإن عبارة "ممن ينعمون بعناية الإمبراطور الروحية" قد تدعم افتراض سيمينوفا.

أما في اليوم السابع فكان عدد المدعوين لمأدبة الإمبراطور هو نفس عدد المدعوين في اليوم الثالث، وطبقاً للإجراءات السابق الإشارة إليها. وفي اليوم الثامن فإن عدد الشخصيات الرفيعة كان ثمان، بالإضافة إلى عدد غير معلوم من الموظفين والفقراء والمحتاجين. غير أنه في ذلك اليوم يقوم الإيديكيوس بتوزيع نوميزما واحدة، كمنحة إمبراطورية، على المحتاجين.[4]

أما في اليوم التاسع فكانت المأدبة الإمبراطورية تعد مساءً وتسمى "تروجيتيكون" τρυγητικὸν ويدعى إليها اثنا عشر من الشخصيات رفيعة المقام منهم ثمانية من أصدقاء الإمبراطور كرجال السناتو، والماجستيرات، والأنثيباطوي، والبطارقة، والاستراتيجوسات، وإثنين من الاصدقاء البلغار وديمارخي الخضر والزرق؛ بالإضافة إلى عدد غير مذكور من شتى موظفي الدولة والفقراء والمحتاجين. وكان على أعضاء السناتو أن يدخلوا قاعة الطعـــام بملابسهم الخاصة بالإحتفال وبالكمباجيا، والآخرون بملابسهم المسماة "بوديون".[5]

وفي اليوم العاشر كان يتم دعوة نفس العدد المدعو في اليوم الثالث وبنفس الإجراءات السابق ذكرها، مع الإشارة إلى ظهور الأطباء البيزنطيين بلباسهم الأزرق ضمن المدعوين في ذلك اليوم. وفي اليوم الحادي عشر من الإحتفالات كانت تقام مائدة للإمبراطور مساءً في

---

Στρατηγικὰ τοῦ Οὐρανοῦ, Eng. trans. E. McGeer, in: *Sowing the Dragon's Teeth* (Washington D.C. 1995), 91.

[1] الكبّادين معطف طويل وسميك ذو اصل شرقي على ما يبدو. Oikonomides, *Les listes*, 178, n. 171.

[2] *Traité Phil.*, 177, 179.

[3] Simeonova, *Arab Prisoners*, 84-85.

[4] انظر: *Traité Phil.*, 179, 181 .

[5] البوديون: ثوب طويل يشبه المريلة. Oikonomides, *Les listes*, 180, n. 174.

تريكلينوس جستنيان بالقصر الإمبراطوري،[1] ويدعى لها مجموعة من رجال الدولة غير محدد عددهم بل طبقاً لكمية الطعام التي أعدت للعشاء الإمبراطوري في ذلك اليوم.[2]

## ثانياً: المآدب الإمبراطورية في عيد الغطاس:[3]

كانت مائدة عيد الغطاس تعقد في اليوم الثاني عشر من أيام الإحتفالات بعيد الميلاد المجيد وهو اليوم الموافق لعيد الغطاس، أي التاسع عشر من شهر يناير حسب الكنيسة الأرثوذكسية. وإلى هذه المأدبة الفخمة جداً كان يدعي رهبان الكنيسة الكبرى (آجيا صوفيا)، ورجال الدين وهم مرتدون الملابس البيضاء، وجملة المدعوين في ذلك اليوم مائتي وستة عشر مدعواً؛ كان على رأسهم البطريرك الذي شارك الإمبراطور نفسه الطعام على مائدته الذهبية ومعه اثنا عشر من رؤساء الأساقفة بصحبة السينكيللوس. ومما كانت تتم دعوتهم في ذلك اليوم اثنا عشر راهباً من القصر الكبير، وأربعة وعشرون من الكنيسة الكبرى وستة وثلاثين من شمامسة القصر، والكنيسة الكبرى، والكنيسة الجديدة (نِيًا)؛[4] وستة وثلاثين من مساعدي الشمامسة، وأربعة وعشرون منشداً من نفس المؤسسات المشار إليها، وستة وثلاثون من إكليروس سيكريتون البطريرك. كما كانت تتم دعوة أربع عشرة شخصية رفيعة المقام كالماجستيرات والبطارقة والأنثيباطوي والاستراتيجوسات، وهم مرتدين الجالا دون الخلاميد، لتناول الطعام على المائدة الإمبراطورية، طبقاً للمراسم السابق الإشارة إليها.

ومن الملاحظ أن هذه المائدة كانت لها مراسمها الخاصة، فمثلاً عندما كان الإمبراطور والبطريرك يجلسان على المائدة الإمبراطورية كانا يبدأن الشراب معاً قبل دخول المدعوين أو حتى خدم المائدة.[5] وكذلك عندما يتم إدخال الأطباق المسماة "تولديا" إلى قاعة الطعام كان يتم في تلك اللحظة إدخال وإجلاس دومستقا الكنيسة الكبرى العظيمان ومعهما

[1] هذه القاعة أسسها الإمبراطور جستنيان الثاني عام ٦٩٤. Janin, *Constantinople byzantine*, 116.
وفي تلك القاعة كانت تجهز مائدة منفردة للإمبراطور وأخرى أو أكثر للمدعوين الذين كانت تتباين أعدادهم من مأدبة لأخرى. Oikonomides, *Les listes*, 182, n. 178.

[2] للتفاصيل انظر: *Traité Phil.*, 181, 183, 185 .

[3] وصف قسطنطين السابع مراسم هذا الإحتفال بالتفصيل. Constantine Porph., *De Ceremoniis*, I, 143-147.

[4] شيد هذه الكنيسة الإمبراطور باسيل الأول المقدوني. Janin, *Les églises et les monastères*, 361-364.

[5] Constantine Porph., *De Ceremoniis*, I, 146.

المنشدين وشتى اليتامى؛[1] ولحظة دخولهم ينقسمون إلى فريقين علـــى جـــانبي الإمبراطـــور، المنشدون ومعهم دومستقهم على الجانب الأيمن للإمبراطور، واليتامى ومعهم دومستقهم على الجانب الأيسر له. وهؤلاء كانت مهمتهم إنشاد التراتيل أثناء المأدبة؛ وعند الإنتهاء منها كانوا يؤمرون بالخروج من القاعة. وبعد الإنتهاء من تناول الطعام الفاخر في ذلــك اليــوم كـــان المدعون يتناولون الحلويات، وحينئذ كان يتم إدخال دومستقات الكنيسة الكبرى البارزين إلـــى قاعة الطعام وإجلاسهم في وسط التريكلينوس وفق ترتيب معين.[2]

جدير بالذكر أن التراتيل الدينية والأناشيد لم تكن تبدأ إلا بإشارة من البطريرك نفـــسه للمنشدين، وحينئذ كان الإمبراطور ليو الحكيم يردد خلفهم تلك التراتيل ومعه بقية المـــدعوين. وفي هذا اليوم كان الإمبراطور ليو الحكيم يصدر مرسوماً بانتهاء تلك الإحتفالات.[3]

وبعد إنتهاء الإحتفالات وانصراف المدعوين كانت تعـــد مأدبـــة للإمبراطـــور فـــي تريكلينيس جستنيان بالقصر الإمبراطوري، وهي عبارة عن إحتفـــال إمبراطـــوري خـــاص بمناسبة إنتهاء مراسم العيد، وكان يدعة لهذه المأدبة مجموعة من الموظفين رفيعـــي المقـــام وآخرين من رتب أخرى حسبما تستوعب المائدة؛ وكانت إجراءات المراسم تتم طبقاً لما ألفناه في المراسم السابق ذكرها، غير أنه في هذا الإحتفال الخاص كان على الجميع أن ينهـــضوا ويهتفوا باسم الإمبراطور ليو الحكيم حالما يتوقف عزف الموسيقى، ثم يخلعون عباءاتهم حتى وصول الحلويات، لينصرفوا بعد تناولها وقد التقط كل منهم عباءته، حسب النظام المتبع.[4]

وفي اليوم التالي كان الإمبراطور يشهد سباق الخيل من المقصورة الملكية بقـــصر الكاثيزما،[5] وحينئذ كان الأتريكلينيس يجهز المائدة الإمبراطورية في تريكلينوس الكاثيزمـــــا، ويتم دعوة ضيوف الإمبراطور من علية القوم وغيرهم من موظفي الدولة من شتى الرتب.[1]

---

[1] كان يؤتى بهؤلاء اليتامى من ملجأ القديس بولس الكبير للأيتام بالقسطنطينية، والمذكور مـــراراً فـــي مراســـم قـــسطنطين الـــسابع. Constantine Porph., *De Ceremoniis,* I, 76, 90, 151. Oikonomides, *Les listes*, 186, n. 185.

[2] للتفاصيل انظر: *Traité Phil.,* 185, 187, 189.

[3] للتفاصيل انظر: *Traité Phil.,* 187, 189 .

[4] للتفاصيل انظر: *Traité Phil.,* 189.

[5] المقصود هنا المبنى الذي كان يشكل جزءاً من القصر الكبير ويشرف على ميدان سباق الخيل وبه المقـــصورة الملكية، والتي أخذ منها اسمه وكذلك اســـم البهـــو الذي كانـــت تقـــام فـــيه المائـــدة الملكيـــة. راجـــع: Janin, *Constantinople byzantine*, 188, R. Guilland, "Études sur l'Hippodrome de Byzance. Le palais du Kathisma," *BSL* 18(1957), 39-76.

**ثالثاً: المأدبة الإمبراطورية في عيد "هُباباتنيس يسوع- المسيح":**

وفي اليوم الثاني من فبراير كان يتم الإحتفال بعيد يسمى "هُبابانتيس سيدنا يسوع- المسيح" (عليه السلام)" Ὑπαπαντῆς "، وهو الإحتفال بيوم التطهير حسب الطقس البيزنطي، والذي يمثل يوم لقاء Ὑπαπαντῆς" السيد المسيح وهو طفل وأمه بالقديس سمعان وأنًا بالمعبد.[2] وفي هذا اليوم كانت تعد مائدة إمبراطورية في تريكلينوس كان يسمى "أوقيانوس Ὠκεανὸς" " الذي يطابقه أويكونوميدس بالتريكلينوس المسمى "الدانوب Δανούβιος"[3] ويقع في قصر البلاشيرن. وكان يتم انتقاء مجموعة من صفوة موظفي الدولة من شتى الرتب الرفيعة كالماجستيرات، وحملة لقب أنثباطوس وبطريق، والبرايبوزيتوي، وأرخونات التاجماتا وغيرهم لحضور هذه المأدبة على قدر ما تستوعب من مدعوين. وكانوا يدخلون إلى التريكلينوس حسبما هو متبع وهم مرتدون ملابس الإحتفال بدون الثوب المسمى "الخلاميد".[4]

**رابعاً: المأدبة الإمبراطورية يوم أحد "الأبوكريو":**

الأبوكريو Ἀποκρέας' يقابل يوم أحد الستين Sexagesima، وهو الأحد الثاني قبل الصوم قبل أربعاء الرماد، حسب الطقس البيزنطي.[5] ولا يؤكل في هذا اليوم اللحم استعداداً للصوم. واللافت للنظر هنا أن المأدبة الإمبراطورية كانت تقام تحت القبة (ربما قبة القصر الرئيسية؟) للفقراء والمعدمين ولا يُدعى إليها أحداً من موظفي الدولة أو أشرافها، بل يضاف إلى عامة الفقراء أقارب الإمبراطور وحاشيته الخاصة.[6]

**خامساً: المأدبة الإمبراطورية يومي ثلاثاء وخميس "التُروفاجي":**

كان يتم الاحتفال بثلاثاء التُروفاجي Τυροφάγου في كنيسة أجيا صوفيا كأحد أيام الأسبوع السابق على الصوم الكبير والمعروف باسم "تروفاجي"، بل أيضاً بتلك التي

---

[1] للتفاصيل انظر: Traité Phil., 189, 191.

[2] John Hardon, *Modern Catholic Dictionary*, 1999, s.v. *HYPAPANTE*. Cf. also http://www.therealpresence.org/cgi-bin/getdefinition.pl; http://www.catholicireland.net/church-a-bible/church/february-saints/658-2-the-presentation-hypapante

[3] Oikonomides, *Les listes*, 190, n. 193.

[4] للتفاصيل انظر: *Traité Phil.*, 191.

[5] John Hardon, *Modern Catholic Dictionary*, 1999, s.v. *Apocreas*. Cf. also http://www.therealpresence.org/cgi-bin/getdefinition.pl;

[6] *Traité Phil.*, 191.

تتخلل الأسبوع الأول للصوم والتي تنتهي بأحد الأرثوذكسية، الذي سيرد ذكره لاحقاً.[١] وفي هذا الإحتفال كان بطريرك القسطنطينية يوجه الدعوة للإمبراطور ليو الحكيم لحضور الاحتفال الديني في الكنيسة العظمى، حيث كانت تعد المأدبة في السيكريتون البطريركي. وكان يتم دعوة عدد من كبار موظفي الدولة وأشرافها كالماجستيرات، والبرايبوزيتوي، والبطارقة، وحاملو ألقاب أنثياطوس وبرتوسباثاريوس وسباثاريوس وسباثاروكانديدات وكانديدات، وآخرون من مراتب مختلفة من موظفي الدولة، وفقاً لكمية الطعام المعدة لمائدة ذلك اليوم. وهؤلاء كانوا يدخلون وينصرفون طبقاً للمراسم المتبعة وهم مرتدون فقط الاسكارامنجيا.

وبعد تناول الحضور للوجبة الأولى يدخل بروتونتاريوس[٢] البطريرك ومعه كتاب التراتيل ليقرأ منه المواعظ التي تناسب الصوم. وعند الإنتهاء من الوعظ الديني كان يُقدم للحضور حساءً بالجبن. وهنا يحضر اثنا عشر من المنشدين مع دومستقهم، واثنا عشر من القراء مع دومستقهم، ويصطفون على الجانبين وفقاً للطقوس، حيث يبدأون في الإنشاد الديني؛ وبعدها يُمنح كلا منهم نوميزما واحدة.[٣]

وفي الخميس التالي مباشرة كان الإمبراطور يقوم بعمل مأدبة في القصر الكبير على شرف بطريرك القسطنطينية الذي كان يتخير منهم من يشاء من الأساقفة لصحبته إلى القصر الكبير تلبية لدعوة الإمبراطور. بالإضافة إلى البطريرك ومن يصطفيهم من الكهنة، كان الأتريكلينيس يقوم بدعوة ستة كهنة من كهنة القصر الكبير، وجميع رؤساء الأدير الإمبراطورية الكبيرة، وأعضاء من الإكليروس، وسكريتون البطريرك، وذلك حسب كمية

---

[1] Grēgorios Antiochos, *Éloge du patriarche Basile Kamatèros*, trad. Marína Loukáki (Paris 1996), 40. Cf. Marína Loukáki, "Notes sur l'activité d' Aréthas comme rhéteur de la cour de Léon le sage," in: *Theatron: rhetorische Kultur in Spätantike und Mittelalter*, ed. Michael Grünbart (Berlin 2007), 267.

[2] البروتونتاريوس في الأصل وظيفة مدنية كان شاغلها -على سبيل المثال- في الثيمات مسؤولا عن الشؤون المدنية، وكن له الحق في تبادل الرسائل مع الإمبراطور نفسه كجهة رقابية داخل الثيم. كما كان مسؤولا أمام الحكومة المركزية بالقسطنطينية. ويبدو أنه مع النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي انتقلت صلاحياته إلى موظف آخر برتبة أنثيباطوس. عنه انظر Leo the Wise, *Tactica*, ed. J. P. Migne, *PG* 107 (Turnholti 1978), col. 706. Cf. Ostrogorsky, Byzantine State, 219; H. Ahrweiler, "Recherches sur l'administration de l'empire byzantin aux IX$^{e}$ - XI$^{e}$ siècles," *Bulletin de correspondance hellénique* 84 (1960), 43; Ch. Diehl et G. Marçais, *Histoire du moyen âge* (Paris 1936), 500-501; Bury, *The Imperial Administrative System*, 44.

[3] *Traité Phil.*, 193.

الطعام المعدة لذلك اليومن وجميعهم يدخلون ويخرجون بلباسهم الرسمي طبقاً للمراسم المتبعة مع رجال الدين.[1]



### سادساً: المأدبة الإمبراطورية يوم أحد الأرثوذكسية:

أحد الأرثوذكسية هو يوم الأحد التالي بعد خميس التروفاجي، وهو خاص بالأرثونكسية للأيقونات المقدسة،[2] وكان يتم الاحتفال به في الكنيسة العظمى حيث كانت تعد مائدة للإمبراطور في السكريتون البطريركي، وكالعادة يقوم الأتريكلينيس بدعوة عدد من الأصدقاء رفيعي المقام، لاسيما مشاهير رجال السناتو، والماجستيرات، والبطارقة، المطارنة، والأساقفة، وغيرهم، على شرف الإمبراطور والبطريرك، وذلك حسب كمية الطعام المعدة لذلك اليوم. وهؤلاء كانوا يدخلون ويخرجون طبقاً للمراسم المتبعة، حيث يرتدي رجال السناتو الاسكارامنجيا ورجال الإكليروس لباسهم الخاص.[3]

### سابعاً: المأدب الإمبراطورية يوم ٢٥ مارس وما يليه:

كان البيزنطيون يحتفلون بعيد البشارة[4] للسيدة العذراء مريم (الثيوتوكوس) حسب الطقس البيزنطي. وفي ذلك اليوم بعد الإحتفالات الدينية كانت تقام مأدبة منفردة للإمبراطور في تريكلينوس جستنيان بالقصر الإمبراطوري. وكان يتم دعوة مجموعة من ضيوف الإمبراطور من الماجستيرات، والبرايبوزيتوي، واستراتيجوسات، وحملة ألقاب أنثيباطوس وبطريق وبروتوسباثاريوس، وأوفيكياليوي، وأراخنة التاجماتا وذلك وفقاً لكمية الطعام المعدة لتلك المائدة. وكان ينظم دخول وخروج هؤلاء طبقاً للمراسم المألوفة في المآدب الإمبراطورية وهم مرتدون الاسكارامنجيا.

ويبدو أن تريكلينوس جستنيان بالقصر الإمبراطوري كان هو البهو الرئيس الذي كانت تقام فيه معظم المآدب الإمبراطورية لاسيما المتعلقة بالإحتفالات الدينية، يليه مآدب

---

[1] *Traité Phil.*, 193, 195.

[2] انظر: Constantine Porph., *De Ceremoniis*, I, 156-160.

[3] *Traité Phil.*, 195.

[4] كان يحتفل به يوم ٢٥ مارس حسب الطقس البيزنطي. ومناسبته أن الله أرسل الروح القدس، ملاكه جبريل عليه السلام، إلي العذراء مريم وهي مخطوبة آنذاك ليوسف الصديق وبشرها بأن الله اصطفاها من بين العالمين وبشرها بغلام اسمه المسيح عيسى بن مريم، بغير المألوف عند البشر. انظر الموقع التالي:
http://www.pass.ps/vb4/showthread.php?840-%C7%E1%C3%DA%ED%C7%CF-%C7%E1%E3%D3%ED%CD%ED%C9-%C7%E1%E3%E5%E3%C9

كنيسة أجيا صوفيا وقصر البلاشيرن على التوالي، فكان يتم إعداد مائدة للإمبراطور أيضاً في ذلك البهو بحضور البطريرك وعدد من رجال الدين وموظفي الدولة، للإحتفال بعيد أحد الشعانين،[1] حيث كان ينظم دخول المدعوين لهذه الوليمة من الصفوة حسب المراسم المتبعة في القصر بواسطة الأتريكلينيس.[2]

وفي السبت التالي على أحد الزعف، وبعد الإنتهاء من الإحتفالات الدينية في كنيسة آجيا صوفيا، كان الإمبراطور يعود إلى قصره؛ حيث تقام له مأدبة عشاء في القصر الإمبراطوري يحضرها أصدقاء للإمبراطور من الماجستيرات، والبرايبوزيتوي، وحملة ألقاب أنثباطوس وبطريق وبروتوسباثاريوس، وكذلك من الخصيان البروتوسباثيرات، وأرخونات الأريثموس وموظفين آخرين، حسب كمية الطعام المعدة لمائدة العشاء. ويلاحظ على هذه المأدبة أن قائمة المدعوين كانت تعرض مسبقاً على الإمبراطور لأخذ موافقته الشخصية على المدعوين، ليقوم الأتريكلينيس بعد ذلك بإتمام إجراءات الدعوة الإمبراطورية. وبعد الإنتهاء من العشاء الإمبراطوري يستأذن الجميع ويبدأون في الإنصراف. وفي اليوم التالي –على ما يبدو– كانت الدعوة توجه لرجال السناتو فقط لمرافقة الإمبراطور في بقية مراسم الإحتفال الساعة التاسعة (؟) في إحدى كنائس القصر المسماة "فاروس". وبعد أن تنتهي الموسيقى الكنسية من العزف يخلع جميع المدعون ملابسهم ويرتدون الاسكارامنجيا فقط ويدخلون لتناول الطعام الإمبراطوري في تريكلينوس جستنيان أيضاً.[3]

## ثامناً: المآدب الإمبراطورية بمناسبة عيد القيامة:[4]

بداية ينبغي القول أن البيزنطيين كانت لديهم أعياد دينية أكثر من نظرائهم ببلدان الشرق العربي من المسيحيين الأرثوذكس، حيث كانوا يحتفلون ليس فقط بالأعياد الدينية

---

[1] عيد أحد الزعف موعده في الأحد السابع من الصوم: يوافق الاحتفال به الأحد السابع من الصوم الأربعين وهو الأحد الذي سبق عيد القيامة وفيه تحتفل الكنيسة بتذكار دخول السيد المسيح إلي أورشليم راكباً علي حمار صغير والتف الجميع حوله وكانوا يفرشون الأرض بزعف النخل والشجر وكانت عادة فرش الطريق العام بأغصان الشجر تتبع للزائر في العهد القديم. ويرمز أحد الشعانين إلي دخول السيد المسيح إلي "أورشليم" . وكلمة الشعانين كلمة عبرية معناها خلصنا يارب. انظر: الكتاب المقدس، مرقس ١١:١-١١، متى ٢١:١-١١، لوقا ١٩:٢٨-٤٤، ويوحنا ١٢ : ١٢-١٩.

[2] *Traité Phil.*, 197, 199.

[3] *Traité Phil.*, 199.

[4] نقل قسطنطين السابع وصف فيلوثيوس لمراسم هذا العيد: انظر: Constantine Porph., *De Ceremoniis*, I:II, 765-775.

الكبرى المتفق عليها بين الأرثونكس بل أيضاً بأعياد كثيرة للقديسين كالقديس ديمتريوس والقديس فيلاريت والقديس باسيل وغيرهم. لذا فإن المآدب الإمبراطورية تكاد تكون متلاحقة على مدار العام بمناسبة الأعياد الدينية. وهنا على سبيل المثال لم يحتفل البيزنطيون بعيد القيامة في اليوم المتعارف عليه،[1] بل إحتفلوا به لعدة أيام متتالية كان الإمبراطور يأمر فيها بإقامة المآدب الإمبراطورية ما بين تريكلينوس جستنيان والخريسوتريكلينوس، أي المائدة الإعتيادية للإمبراطور. وقد بلغت هذه المآدب ثلاث عشرة مأدبة إمبراطورية على مدى ما يقرب من اثنى عشر يوما تقريباً. ونظراً لأهمية مراسم المآدب الإمبراطورية أثناء الإحتفال بذلك العيد سوف نفصل القول عنها، لأنها تتشابه كثيراً مع مراسم المآدب الإمبراطورية التي أقيمت بمناسبة عيد الميلاد المجيد، لاسيما عند الحديث عن المدعوين لها.

وبعد الإنتهاء من مراسم الاحتفال الديني في **اليوم الأول** من إحتفالات عيد القيامة كان يتم دعوة المشاهير من رجال السناتو لتناول وجبة فاخرة مع الإمبراطور ليو الحكيم على المائدة الإمبراطورية التي كانت تقام في الكنيسة العظمي. وإلى جانب هؤلاء كان يتم دعوة مجموعة من الموظفين رفيعي المقام من رتبة الماجستيرات، وحملة ألقاب أنثيباطوس، بطريق، واستراتيجوسات، وأوفيكياليوي وجملتهم أربعة عشر. وهؤلاء كان عليهم الدخول إلى القاعة على النحو التالي: الماجستيرات، والأنثيباطوي، والبطارقة أولاً، وهم مرتدون اللورات[2]والثوراكيات الذهبية[1] τοὺς λώρους ... μετὰ τῶν... θωρακίων .

---

[1] عيد القيامة المجيد هو اليوم الثامن بعد أحد الشعانين، وحسب الرواية المسيحية فإنه بعد أحداث الجمعة العظيمة بآلام صلب المسيح ومع انتهاء يوم السبت بدأت أحداث القيامة فنزل ملاك من السماء متشحاً بلباس أبيض ليعلن قيامة المسيح من بين الأموات . وتحتفل الكنيسة بيوم عيد القيامة المجيد منذ نشأتها. ولابد أن يكون عيد القيامة موافقاً يوم أحد لأن قيامة السيد المسيح حدثت يوم أحد، حسب التقويم الكنسي الشرقي. وتحتفل الكنيسة بقيامة السيد المسيح خمسين يوماً تبدأ بعيد القيامة وتنتهي بعيد العنصرة "باللغة اليونانية معناها يوم الخميس" وهو بعد أربعين يوماً من عيد القيامة. انظر: الكتاب المقدس، أعمال ٩:١-١١ ؛ الموقع التالي:
http://www.pass.ps/vb4/showthread.php?840-%C7%E1%C3%DA%ED%C7%CF-%20%20%20%C7%E1%E3%D3%ED%CD%ED%C9-%C7%E1%E3%E5%E3%C9

[2] اللورا: كانت عبارة عن أوشحة طويلة مشغولة بالذهب ومرصعة بالأحجار الكريمة يرتديها الإمبراطور وذوي المناصب العليا في الدولة. وهي مذكورة مراراً في كتاب المراسم. انظر: Constantine Porph., *De Ceremoniis*, I, 24-26, 62, 65, 69, 221, 258, 264-265; I:II, 637-639. Cf. Oikonomides, *Les listes*, 200, n. 219; Grierson, *Byzantine Coinage*, 57.

وهؤلاء الذين يرتدون الثوراكيا كان لهم حق الدخول قبل رفقائهم الذين يرتدون الكاميزيا καμίσια فقط، حتى ولو كانوا أدنى مرتبة. وهذا ربما يشير إلى أن الثوراكيا كانت أكثر ثمناً وبهاءً وفخامة من الكاميزيا. أما الاستراتيجوسات فيرتدون فقط الاسكارامنجيا، والأوفيكياليوي يرتدون الكاميزيا، بدون الخلاميد.[٢]

وفي نفس اليوم كانت تقام مأدبة إمبراطورية ثانية في القاعة المسماة "خريسوتريكلينوس" حيث تقع المائدة الذهبية للإمبراطور، وكان يتم دعوة عدد من أصدقاء الإمبراطور المختارين بعناية من بين الفئات السابق ذكرها، مرتدين ملابس الإحتفال والخلانيد، مضافاً إليهم مدعوين من العسكريين من شتى الفئات، وسكريبونات، وقمامسة الاسكلارية، واثنين من الأصدقاء البلغار، وهؤلاء جميعاً كان عددهم ثلاثون مدعواً. وبالنسبة للموائد الأربع الأخرى الموزعة على جوانب الأروقة الأربعة لقاعة الطعام، كانت تتم دعوة عدد ستة وثلاثين شخصاً من طبقة الكانديدات الإمبراطوريين، والفستيتورات، والسلينترات.[٣] كما كان يتم إحضار ثمانية عشر أسيراً مسلماً من سجن البرايتوريوم الكبير، وثمانية عشر آخرين من الأصدقاء البلغار. وهؤلاء المدعون كان ينبغي أن ينظموا في صفوف قبل دخول القاعة حسب مراتبهم.[٤]

الجدير بالذكر أن الأصدقاء البلغار، بملابسهم الخاصة، كانوا يدخلون لتناول الطعام بعد الاستراتيجوسات وكان مجلسهم على يسار المائدة الإمبراطورية، أي في المرتبة الخامسة أو السادسة بين أصدقاء الإمبراطور؛ وهؤلاء كانوا يدخلون القاعة على صفين من الجهتين، كل حسب مرتبته ومقعده. كما كان الكانديدات الإمبراطوريين يجلسون على مائدتين إحداهما يميناً والثانية يساراً. أما الأسرى المسلمين (الهاجريين) فكانوا يدخلون طابوراً ليجلسوا على

---

[1] الثوراكيا: زي يلبث مع اللوراوهي عبارة عن نوع من المرايل تغطي الصدر والظهر وتفرد لتضم الجسد من الجهة اليمنى؛ ومن المحتمل أنها تعود إلى القرن السادس الميلادي. انظر: Oikonomides, *Les listes*, 201, n. 221.

[2] عن تصاميم الملابس التي كان يرتديها الإمبراطور وحاشيته، والإمبراطورة وحاشيتها انظر الملحق رقم (٣).

[3] كانوا ينتمون إلى فئة القبقلارية، وكانوا ضمن مكتب البرايبوزيتوس وتحت سلطة رئيس الدواوين. وكانت مهمتهم الرئيسية التي اشتقوا منها اسمهم هي القيام بالتشريفات في المقابلات الإمبراطورية. عنهم راجع: R. Guilland, "Études sur l'histoire administrative de l''empire byzantin. Le silentiaire, ὁ σιλεντιάριος, Χαριστήριον εἰς Αναστάσιον Κ. Ορλάνδον, IV(1967), 33-46; Bury, *The Imperial Administrative System*, 24-25.

[4] عبد العزيز رمضان، سياسة بيزنطة التنصيرية، ص ١١٠؛ *Traité Phil.*, 201, 203.

يسار الموائد السفلية (حيث كانت المائدة الذهبية على منصة ذات درجات ثلاث) بملابسهم البيضاء، والتي سبق الإشارة إليها، دون أحزمة، وأحذية بطبيعة الحال؛[١] وفي الجهة الأخرى كان يجلس جميع رجال البلغار.[٢] وكما حدث قبل ذلك من مراسم في قاعة الطعام عند إحتفال الإمبراطور وضيوفه بعيد الميلاد المجيد، كان على الجميع أن ينتبه للموسيقى الكنسية التي تعزف، حيث يعطي إما الأتريكلينيس أو الكاستريسيوس إشارة بيده للجميع كي يقفوا ويهتفوا باسم الإمبراطور ليو الحكيم،[٣] وبعد ذلك يخلعوا ملابسهم المسماه الخلاميد. وبعد الفراغ من الطعام ووصول الحلويات كان على الجميع تناول الأخيرة ثم ارتداء خلاميداتهم ثانية والإنصراف طبقاً للمراسم المتبعة؛ حيث كان الإمبراطور هو الذي يعطي إشارة الإنصراف بيده، وما أن يراها الحاجب (القُبيقلار) حتى يهتف للجميع بالنهوض من مقاعدهم، ويصطحب مدعوي الموائد الأربعة السفلية نحو الخارج مع تأخير أصدقاء الإمبراطور الموجودين على المائدة العلوية الإمبراطورية ليخرجوا سوياً.[٤]

وفي اليوم الثاني، عقب إنتهاء شعائر الإحتفال في كنيسة الرسل المقدسين Holy Apostles،[٥] كانت تقام مأدبة ذات مائدة خاصة للإمبراطور في التريكلينوس الكبير بالقصر الكبير. وكالعادة كانت تتم دعوة كبار رجال الدولة لتناول الطعام مع الإمبراطور من الماجستيرات، والمطارنة، والاستراتيجوسات، وحملة ألقاب أنثيباطوس- بطريق- بروتوسباثاريوس، والسلينترات، والبرايبوزيتوي، والكارتولاريوسات، والفستيتورات، وأراخنة التاجماتا، والأوفيكياليوي، وغيرهم حسب قدرة استيعاب المائدة. وهؤلاء كان يتم إدخالهم للقاعة وإخراجهم منها كما هو متبع، وهم مرتدون الكاميزيا والجالا، بدون الخلاميد. ومن الملاحظ هنا أنه أثناء تواجد المدعوين على مائدة الإمبراطور كانت الديمات تهتف للإمبراطور وهنا كان المدعون يرددون الهتافات داخل القاعة ولكن بصوت خفيت.[٦]

---

[1] Simeonova, *Arab Prisoners*, 83.

[2] Constantine Porph., *De Ceremoniis*, I:II, 768.

[3] وردت صيغ هذه الهتافات في: Constantine Porph., *De Ceremoniis*, I, 47-49.

[4] *Traité Phil.*, 203, 205.

[5] كانت كنيسة الرسل المقدسين واحدة من مفاتن القسطنطينية، حيث كانت تحوي رفات سبعة من القديسين. مما جعلها مصدر جذب لأولي القلوب الرقيقة، من الذين يبحثون عن رضا الرب وطهارة النفس. انظر: طارق منصور، القسطنطينية في الكتابات الصليبية، ص ٢٦٣؛ *Robert of Clari,* 107-108; Ciggaar, *Western Travellers*, 48.

[6] *Traité Phil.*, 205.

وفي **اليوم الثالث** كانت تقام مراسم وشعائر اليوم الأول من الإحتفال، كما كانت تقام المأدبة في قاعة الخريسوتريكلينوس،[1] ويتم دعوة الصفوة للمائدة الذهبية للإمبراطور، والتي كانت تقع على منصة عالية ذات درجات ثلاث، من أعضاء طبقة الماجستيرات، والبطارقة، ودومستقات اللاسكلارية، ورجال الإمبراطور ليو الحكيم من طبقة الاسباثاروكانديدات إلى طبقة الاستراتورات، ومجموعهم ثلاثون مدعواً، وفقاً لكمية الطعام المعدة لمأدبة ذلك اليوم. وهؤلاء المدعون كان عليهم الدخول إلى قاعة الطعام بملابس معينة في ذلك اليوم كالجالا، والاسباكيا، والساجيا، والاسكارامنجيا. أما الموائد السفلية الأربع الموزعة على الأروقة الأربعة للقاعة، يتم دعوة التاليين لها: الكانديدات الإمبراطوريين، الماندانورات صغار أراخنة تاجما الإسكلارية، وهؤلاء مجموعهم اثنان وسبعون مدعواً، ينبغي عليهم دخول قاعة الطعام وهم مرتدون الاسكارامنجيا وملابس الإحتفال الأخرى.[2]

أما في **اليوم الرابع** فكانت تتم نفس المراسم التي أقيمت في اليوم الثالث، وبنفس عدد المدعوين وتقسيماتهم الطبقية. وفي **اليوم الخامس** فكان يحضر بطريرك القسطنطينية إلى القصر الإمبراطوري ومعه الأساقفة ورجال الدين لمشاركة الإمبراطور ليو الحكيم الإحتفال وتناول الطعام معه على المائدة الذهبية. غير أن رجال الإكليروس والرهبان والشمامسة فكان عليهم الجلوس على الموائد السفلية، والتي تناسب مقاماتهم الدنيا في الكنيسة.

أما في **اليوم السادس** فكانت المراسم لا تختلف كثيراً عما ذكر من قبل، غير أنه في ذلك اليوم كان يتم دعوة الأصدقاء البلغاريين وهم مرتدون معاطفهم الخاصة، وعددهم ثمانية عشر مدعواً؛ وصفوة رجال الدولة وعددهم ثلاثون مدعواً؛ بالإضافة إلى عدد من موظفي الدولة وعددهم أربعة وخمسون مدعواً. وكانت المراسم تتم طبقاً للمراسم التي اتبعت في اليوم الأول من الإحتفال.

---

[1] الخريسوتريكلينوس قاعة فخمة شيدت في القرن السادس الميلادي لتخدم الاستقبالات الإمبراطورية والولائم الخاصة بعيد القيامة. وقد أقيمت فيها مائدة رئيسية من الذهب مخصصة للإمبراطور يمكن أن تسع ثلاثين مدعواً، وبها أيضا أربع موائد أخرى تسع كل منها ثمانية عشر مدعواً، موزعة على الأروقة السفلية؛ اثنان في مواجهة المائدة الذهبية للإمبراطور واثنان عند الرواقين الجانبيين. راجع: *Theophanes Cont.*, 450; Constantien Porph., *De Ceremoniis*, I, 70-71.

[2] *Traité Phil.*, 205, 207.

ومن الملاحظ هنا أن الضيوف البلغار كانوا يجلسون على المائدة الأخيرة من الموائد السفلية. ولا شك أن التوتر في العلاقات البلغارية-البيزنطية في عهد ليو الحكيم كان من العوامل الرئيسية في ترتيب ضيوف الإمبراطور من البلغار على مأدبته الإمبراطورية.

وفي اليوم السابع كان يُدعى كبار رجال الدولة وأشرافها وكذلك صغار موظفيها لتناول الطعام على المائدة الإمبراطورية في القصر الإمبراطوري. وكانت المراسم تتم في ذلك اليوم كتلك التي اتبعت في اليوم الثاني من أيام الإحتفالات.[1]

وفي يوم الأحد التالي، أي مع بداية الأسبوع الثاني من الإحتفالات، وبعد الإنتهاء من مراسم الإحتفال في ذلك اليوم، كانت تقام مأدبة إمبراطورية في تريكلينوس جستنيان، حيث كان يجلس الإمبراطور منفرداً على مائدته، وهو مرتدياً ثوبه المسمى "الديفيتيزيون" τοῦ οἰκίου διβιτησίου. وكان يُدعى إلى هذه المائدة عدد من رجال الدولة وأشرافها من الماجستيرات، والبرايبوزيتوي، والأوفيكياليوي، وحملة ألقاب أنثيباطوس وبطريق، وآخرون، وجميعهم كان يتم إدخالهم وإخراجهم لقاعة الطعام طبقاً للمراسم المتبعة، السابق ذكرها، وهم مرتدون الثوب المسمى الخلاميد. وفي هذا اليوم كان على المدعوين أن ينتبهوا للموسيقى، فإذا ما بدات كان عليهم النهوض والهتاف بحياة الإمبراطور ليو الحكيم.

وفي اليوم التالي كانت تقام مأدبة لتوديع الضيوف الأجانب، لاسيما البلغاريين، حيث كانوا يعادون إلى مقار إقامتهم بالقسطنطينية بعد الإنتهاء من مشاهدة سباق الخَيل في الهيبودروم وتناول الطعام مع الإمبراطور في تريكلينوس الكاثيزما. جدير بالذكر أنه كان يتم دعوة عدد من موظفي الدولة وأكابرها أيضاً لتناول الطعام مع الإمبراطور في ذلك اليوم.[2]

**تاسعاً: المأدبة الإمبراطورية بمناسبة يوم الميزوبينتاكوس:**

كانت الإحتفالات الدينية بعيد القيامة متواصلة، غير أنه في أيام بعينها كانت تحمل مسميات خاصة، منها "**الميزوبينتاكوس**" أي منتصف عيد القيامة (يوم الأربعاء من الأسبوع الرابع منذ بداية إحتفالات عيد القيامة)، والإحتفال "**بيوم صعود السيد المسيح**" (حسب الطقس البيزنطي)، وهو ما سيرد ذكره بعد قليل. وبمناسبة الإحتفال بالميزوبينتاكوس كان الإمبراطور يذهب إلى كنيسة القديس موكيوس st. Mocius،[3] حيث أعدت له مأدبة

---

1 *Traité Phil.*, 207.

2 *Traité Phil.*, 209, 211.

3 كانت تقع في الجزء الغربي من القسطنطينية. عنها انظر: Janin, *Les églises et les monastères*, 354-358.

إمبراطورية خاصة به في تريكلينوس الشخصيات المهمة في الكنيسة،[1] لا يشاركه مائدتـــه إلا بطريرك القسطنطينية. وكانت تدعى بعض الشخصيات الرفيعة المقام لحضور هذه المأدبـــة، غالباً من ذوي المقام السابق دعوتهم في الأيام السابقة، حسب قدرة استيعاب المائـــدة. وكـــان ينظم دخول هؤلاء وخروجهم لتريكلينوس الطعام حسب المراسم المتبعة بملابـــس الإحتفـــال بدون الخلاميد. وكالعادة، عند هتاف الديمات، كانت تعطى الإشارة للمدعوين لينهـــضوا مـــن مقاعدهم والهتاف بحياة الإمبراطور ليو الحكيم.[2]

## عاشراً: المأدبة الإمبراطورية بمناسبة يوم صعود السيد المسيح:

ضمن الإحتفالات بعيد القيامة، كان الإحتفال بهذا اليوم هو قمة الإحتفالات الدينيـــة سواء بالقسطنطينية أم بالقصر الإمبراطوري. ففي ذلك اليوم كان الإمبراطور يـــذهب إلـــى الكنيسة العظمى، كنيسة آجيا صوفيا، حيث أعدت له مأدبة إمبراطورية خاصة لا يشاركه فيها إلا البطريرك نفسه، وذلك بعد الإنتهاء من الشعائر الدينية. أما دعوة وحـــضور وإنـــصراف المدعوين إلى مأدبة الإمبراطور فكان يتم طبقاً للمراسم السائدة، والسابق ذكرها.[3]

## حادي عشر: المآدب الإمبراطورية بمناسبة عيد العنصرة (الخماسين):[4]

في هذا اليوم المشهود، كانت المراسم الدينية والطقوس تقام في كنيسة آجيا صوفيا، حيث أعدت مأدبة للإمبراطور ليو الحكيم وأصدقائه وعلية القوم السابق ذكرهم لتناول الطعام بعد الإنتهاء من أداء الطقوس الدينية. ويبدو أن هذه المأدبة كانت مأدبة غذاء، حيث إنه بعـــد عودة الإمبراطور إلى القصر هو وحاشيته كانت تقام مأدبة أخرى، ربما كانت مادبة عـــشاء، في تريكلينوس جستنيان بالقصر الإمبراطوري. أما دعوة وحضور وإنصراف المدعوين إلى مأدبة الإمبراطور بالقصر فكانت تتم طبقاً للمراسم السائدة، والسابق ذكرها، ويضاف إليها أنه كان عليهم الحضور بملابس الإحتفالات بدون الخلاميد.[5]

---

[1] Oikonomides, *Les listes*, 211, n. 241.

[2] للتفاصيل انظر: *Traité Phil.*, 211.

[3] للتفاصيل انظر: *Traité Phil.*, 213.

[4] عيد العنصرة، أو يوم الخماسين Πεντηκοστή ἡμέρα باليونانية، هو ذكرى نزول الروح القـــدس علـــى الرسل وغيرهم من أتباع السيد المسيح كما هو موضح في العهد الجديد (أعمـــال الرســـل ١:٢-٣١). ولهـــذا السبب، عيد العنصرة يوصف أحياناً باسم عيد الميلاد "للكنيسة. ويحتفل به بعد خمسين يوماً من عيد القيامة.

[5] *Traité Phil.*, 213. Cf. Constantine Porph., *De Ceremoniis*, I:II, 775- 776.

**ثاني عشر: المأدبة الإمبراطورية بمناسبة إفتتاح الكنيسة الجديدة (نيًا):**

كان الإحتفال بالكنيسة الجديدة التي شيدها الإمبراطور باسيل الأول عام ٨٨٠م[1] يتم في اليوم الأول من شهر مايو من كل عام، حسب طقوس ومراسم معينة، حيث يقـام بعـدها مأدبة إمبراطورية في الخريسوتريكلينوس، وهي القاعة ذات المائدة الذهبية، التي أشار إليهـا هارون بن يحيى من قبل. وكانت تدعى بعض الشخصيات الرفيعة من ذوي المقـام الرفيـع، السابق دعوتهم في الأيام السابقة، لحضور هذه المأدبة، حسب قدرة استيعاب المائدة.[2]

**ثالث عشر: المأدبة الإمبراطورية بمناسبة يوم ميلاد القسطنطينية:**

من الأشياء الطريفة بحق في بيزنطة أنه كان يتم الإحتفال بعيد تدشين القسطنطينية في الحادي عشر من مايو من كل عام،[3] حيث كان يقام حفـل إسـتقبال - غيـر راقـص- بالقـصر الإمبراطوري وسباقات للخيول في الهيبودروم، وتنتهي الإحتفالات بمأدبة إمبراطورية فخمـة حسب المراسم السابق ذكرها. وهنا لابد أن نتوقع أن تكون تلك المأدبة إما فـي تريكلينـوس الكاثيزما إذا كانت ستعقب مشاهدة سباق الخيول، أو في تريكلينوس جستنيان ليستوعب أعداداً كبيرة من المدعوين، إذا كان الإستقبال سيتم قبل مشاهدة السباق.[4] جدير بالـذكر أنـه أثنـاء مشاهدة الإمبراطور لسباق الخيل في الهيبودروم كان يُوَزِّع على الفقراء والمحتاجين من أهل القسطنطينية الخبز والكيك والخضروات والسمك.[5]

**رابع عشر: المآدب الإمبراطورية بمناسبة أعياد قديسين:**

من خلال النصوص البيزنطية يمكننا الوقوف على أن الكنيسة البيزنطة الأرثوذكسية كانت تعج بإحتفالات خاصة بالقديسين، بصورة أكثر من مثيلاتهـا فـي الكنـائس الـشرقية الأرثوذكسية الأخرى. ففي الثامن من شهر يونيو من كل عام كان الإمبراطور يحتفـل بعيـد القديس يوحنا اللاهوتي، وكالعادة كانت تقام مأدبة إمبراطورية بتلك المناسبة وفقـاً للطقـوس

---

[1] يوسف بسخرون، مدينة القسطنطينية ومراسمها في الكتابات اللاتينية، ص ٥٤-٥٥.

[2] *Traité Phil.*, 215.

[3] تم تدشين الإمبراطور قسطنطين الأول لعاصمته روما الجديدة في الحادي عشر من مايو سنة ٣٣٠م، وقد آثر البيزنطيون ان يطلقوا عليها اسم القسطنطينية نسبة لمؤسسها. (يوسف بسخرون، مدينة القسطنطينية ومراسمها في الكتابات اللاتينية، ص ٢٥).

[4] *Traité Phil.*, 215. Cf. Constantine Porph., *De Ceremoniis*, I, 340-349; I:II, 776.

[5] Rice, *Everyday Life in Byzantium*, 90.

المتبعة في ذلك اليوم، وكان يدعى إليها جميع أعضاء السناتو فقط، حسب قدرة استيعاب المائدة.[1]

وفي العشرين من شهر يوليو من كل عام كان يتم الإحتفال داخل القصر بذكرى النبي إليّا، حيث كانت تقام مأدبة فخمة في الخريسوتريكلينوس، وقد اتخذ الإمبراطور مقعده في القاعة. وهنا كان يدخل عليه بعض رجال الدين وهم يحملون صلباناً مذهبة، محاكين ما تم من شعائر ومراسم في الإحتفال بيوم أحد الشعانين. وكان يحضر هذه المائدة بطريرك القسطنطينية وبعض الأساقفة ورجال الدين، إضافة إلى آخرين من رجال الدولة وموظفيها.[2]

وفي اليوم التالي، الحادي والعشرين من يوليو، كان يقام إحتفال راقص بالقصر الإمبراطوري. وكانت المأدبة الإمبراطورية قد أعدت بهذه المناسبة في تريكلينوس جستنيان، حيث يجلس الإمبراطور على مائدته، وبقية المدعوين الذين تمت دعوتهم حسب القواعد المتبعة، حسب طاقة استيعاب المائدة. فكان يتم دعوة البرايبوزيتوي، والبطارقة، والأوفيكياليوي، وسكرتارية، والماجستيرات، والأنثيباطوي، والبطارقة، وهؤلاء كانوا يرتدون قمصاناً ذات أكمام قصيرة مع الثوراكيا. وكان الجميع يقفون حول مائدة الإمبراطور في شبه دائرة يرقصون حوله ويهتفون بحياة الإمبراطور ليو الحكيم. ثم يجلسون بعد ذلك لتناول الطعام، وعندما تُسمع هتافات الديمات كانت تتم الإشارة إليهم للنهوض والهتاف بحياة الإمبراطور. وتنبغي الإشارة هنا إلى أن الإمبراطور ليو الحكيم كان يمنح كل فرد من الحضور ثلاثة جنيهات ذهبية في ذلك اليوم.[3]

وفي اليوم السادس من شهر أغسطس كان يقام إحتفال ديني كبير في الكنيسة العظمى، تصحبه مأدبة إمبراطورية في الكنيسة بعد إنتهاء القداس؛ وبعد عودة الإمبراطور إلى القصر كانت تقام مأدبة له ولأصدقائه ولعدد من المدعوين رفيعي المقام كالماجستيرات، ورجال السناتو، والأنثيباطوي، والبروتوسباثيرات، والبطارقة، وغيرهم في تريكلينوس جستنيان بالقصر الإمبراطوري، حيث كان الإمبراطور ليو يجلس على مائدة خاصة. وهؤلاء المدعون كان عليهم الحضور بملابس الإحتفالات بدون الخلاميد.

---

1 Constantine Porph., *De Ceremoniis*, I:II, 776.
2 Constantine Porph., *De Ceremoniis*, I:II, 776.
3 *Traité Phil.*, 215, 217.

وفي الخامس عشر من شهر أغسطس كانت تقام مأدبة للإمبراطور ليو السادس، يشاركه فيها بطريرك القسطنطينية؛ كما كان يدعى إليها عدد من علية القوم وكبار الموظفين حسب طاقة المائدة، ووفقاً للمتبع. وهذه المائدة كانت تقام، في التريكلينوس السفلي في قصر البحر،[1] وذلك بمناسبة الإحتفال بذكرى "رقاد القديسة الثيوتوكوس" في كنيسة البلاشيرن. وفي اليوم التالي، أي السادس عشر من أغسطس، وبعد إنتهاء القداس، كانت تقام مأدبة للإمبراطور أيضاً وفق المتبع.[2]

وفي الثامن من شهر سبتمبر كانت تقام مأدبة إمبراطورية في تريكلينوس جستنيان بالقصر الإمبراطوري، بعد الإنتهاء من طقوس وشعائر الإحتفال بمولد القديسة الثيوتوكوس، مريم العذراء، في كنيسة القديسة العذراء خالكوبراتيا Chalkoprateia، بحضور الإمبراطور وأعضاء السناتو. وكان رجال السناتو يتناولون الطعام مع الإمبراطور على مائدته الخاصة وهم مرتدون السكارامنجيا فقط.[3]

## خامس عشر: مآدب إمبراطورية في مناسبات غير دينية:

جدير بالذكر هنا أن اليوم الثاني والعشرين من يوليو، كان قد أقره الإمبراطور ليو السادس يوماً للمشي النذري لسكان القسطنطينية،[4] وكانت المأدبة الإمبراطورية تقام للإحتفال بذلك اليوم أيضاً في تريكلينوس جستنيان بالقصر الإمبراطوري. وكانت مائدة الإمبراطور الخاصة توضع في هذا اليوم في وسط القاعة ومن حولها الموائد الأخرى. وكان يدعى لهذه المائدة عدد من الفقراء والمحتاجين، الذين كانوا يتلقون نوميزما واحدة وثلث في ذلك اليوم من الإمبراطور، بالإضافة إلى البرايبوزيتوي، والخصيان البروتوسباثيرات، والتريميكيريوسات(؟).

وبعد مرور يومين كان يقام سباق للخيل، وتقام للإمبراطور وليمة خاصة في تريكلينوس الكاثيزما يحضرها عدد من أصدقائه حسب المراسم المتبعة لولائم سباقات الخيل.[5]

---

[1] هذا المبنى غير معروف على وجه الدقة، لكنه ربما أحد منشآت قصر البلاشيرن، التي شيدها الإمبراطور ثيوفيل على خليج القرن الذهبي قرب البلاشيرن. انظر: Janin, *Constantinople byzantine*, 132.

[2] *Traité Phil.*, 219. Cf. Constantine Porph., *De Ceremoniis*, I:II, 779.

[3] *Traité Phil.*, 223.

[4] ليس من الواضح ما المقصود بالمشي النذري الذي أقره ليو السادس، غير أنه وارد عند قسطنطين بورفيروجنيتوس أيضاً. Constantine Porph., *De Ceremoniis*, I, 360-364.

[5] *Traité Phil.*, 219, 221.

وفي التاسع والعشرين من شهر أغسطس كان الإمبراطور ليو السادس يحتفل بذكرى أبيه الإمبراطور باسيل الأول في كنيسة الرسل المقدسين،[1] حيث كانت ترقد جثامين معظم الأباطرة البيزنطيين. وبعد الإنتهاء من مراسم الإحتفال كانت تقام مأدبة إمبراطورية بالقصر الإمبراطوري يحضرها رجال السناتو، والماجستيرات، وخاصة الإمبراطور، حسب طاقة استيعاب المائدة. وكان ينظم دخولهم إلى قاعة الطعام والخروج منها حسب المراسم المتبعة وهم مرتدون الاسكارامنجيا.

وفي اليوم الثلاثين من شهر أغسطس ، وبعد الإنتهاء من الإحتفال بـ "أوتوقراطورية السيد المسيح" كان الإمبراطور ليو السادس الحكيم يقوم بتوزيع المناصب على عدد كبير من رجال الدولة، وبهذه المناسبة كانت تقام مأدبة للإمبراطور. وكان يدعى إلى هذه المأدبة كبار رجال الدولة وأشرافها من الماجستيرات، والبرايبوزيتوي، والأوفيكياليوي (عدا الخصيان)، وحملة لقبي أنثيباطوس وبطريق، وهؤلاء كانوا يشكلون نصف عدد المدعوين. أما النصف الآخر منهم فكان من أعضاء مجلس السناتو، وأراخنة التاجماتا، وذلك حسبما تستوعب المائدة في ذلك اليوم. وهؤلاء كان يتم إدخالهم وخروجهم إلى قاعة الطعام طبقاً للمراسم المتبعة، وهم مرتدون ملابس الإحتفال كالجالا والخلانيديا.

ومن المراسم اللطيفة التي كانت تمارس في بهو الطعام في ذلك اليوم أنه كان يتم إحتجاز الأولين لكي يرقصوا من أجل إدخال البهجة والسرور على نفس الإمبراطور ليو الحكيم. فكانوا يرقصون بثوراكياتهم الذهبية وهم ملتفون حول الجميع متغنين بحياة الإمبراطور. ومن ثم كان الإمبراطور ليو ينعم عليهم بستة عشر جنيهاً من الذهب يقوم بتسليمها لهم البروتوماجستيروس والأتريكلينيس، وفقاً لصيغة معينة.

وكان يتم استكمال الإحتفال في اليوم التالي، وذلك بإقامة سباق للخيل في المضمار، ومن ثم إقامة مأدبة إمبراطورية في تريكلينوس الكاثيزما، حسبما هو متبع في ولائم المضمار، يدعى إليها أيضاً أصدقاء الإمبراطور حسب المتبع في تلك المناسبات من مراسم.[2]

ومن المآدب غير الدينية التي كانت تقام في شهر نوفمبر من كل عام تلك المأدبة التي تقام في المساء بمناسبة الإحتفال "بالبروماليا τὰ βρουμάλια" للإمبراطور ليو.

---

[1] توفي باسيل الأول في أغسطس من عام ٨٨٦م ودفن في كنيسة الرسل المقدسين. Constantine Porph., *De Ceremoniis*, I:II, 643.

[2] *Traité Phil.*, 221, 223.

والبروماليا عيد ذو أصل وثني،[1] كان يتم فيه الرقص داخل القصر الكبير بالمشاعل، وفيه كان يقوم الأتريكلينيس والبروماجيستر بتوزيع الهبات الإمبراطورية على رجال الدولة الحاضرين، طبقاً لبروتوكول معين.[2] وهذا الإحتفال ذكره قسطنطين بورفيروجنيتوس بالتفصيل، حيث أشار إلى أن الإمبراطور ليو السادس الحكيم كان يحتفل بهذا اليوم، وتقام له مأدبة في تريكلينوس جستنيان، كان يحضرها جمع من أهله، وعدد من كبار رجال الدولة من الماجستيرات، البرايبوزيتوي، البطارقة الأنثيباطوي، خاصة البروتوسباثيرات (البروتوسباثيرات أويكيوي)، وأصدقاء الإمبراطور الآخرين.[3] وبطبيعة الحال كانت مراسم المأدبة في ذلك اليوم تتم وفق القواعد المتبعة في تلك المناسبات.

## الخاتمة:

هكذا، بينت الدراسة أن المآدب الإمبراطورية كانت تقام على مدار العام تقريباً، سواء كانت مآدب عامة أم خاصة. وكانت المآدب الإمبراطورية تنقسم إلى قسمين: أولهما: المآدب الإعتيادية التي تقام بصورة يومية، وثانيهما: المآدب الإمبراطورية السنوية، التي كانت تقام في مناسبات إما دينية أو غير دينية، سواء في القصور الإمبراطورية، في تريكلينوس جستنيان، وتريكلينوس الكاثيزما، والخريسوتريكلينوس وغيرهم، أم في الكنائس بالقسطنطينية، ككنيسة أجيا صوفيا والرسل المقدسين والكنيسة الجديدة وغيرها.

كما بينت الدراسة أنه كان هناك شخصيتان رفيعتان هما الأتريكلينيس والكاستريسيوس، وعدد آخر ممن إرتبطت وظائفهم بطعام الإمبراطور، يقومومون جميعاً على تنظيم الموائد الإمبراطورية ومراسمها.

وقد كان الإمبراطور هو محور المآدب الإمبراطورية، ويشاركه البطريرك معظم تلك المآدب، لاسيما المآدب ذات الصبغة الدينية. وفي حالة حضور البطريرك المأدبة الإمبراطورية كان يصطحب معه أساقفة ورؤساء أديرة ورجال دين من شتى الدرجات، ورهباناً أيضاً. أما المآدب الإمبراطورية التي لم يكن يحضرها بطريرك القسطنطينية فقد كان يحضرها أشراف الدولة وكبراؤها، وموظفو الدولة سواء كانوا كباراً أم صغاراً؛ بالإضافة إلى

[1] Oikonomides, *Les listes*, 223, n. 269.
[2] *Traité Phil.*, 223.
[3] Constantine Porph., *De Ceremoniis*, I:II, 604.

حرص الإمبراطور ليو السادس على دعوة الفقراء والمحتاجين من سكان القسطنطينية لبعض تلك المآدب، والإنعام عليهم أيضاً.

وبينت الدراسة أن الألقاب الشرفية البيزنطية، لاسيما ألقاب أنثيباطوس، وبطريق، وبروتوسباثاريوس، وغيرها كانت تلعب دوراً مهماً في دخول وخروج المدعوين من قاعة الطعام الإمبراطورية؛ وكذلك من كان يحمل مهام إضافية إلى جانب مهام وظيفته له حق التصدر على رفيقه من نفس ذات الوظيفة.

ومن النتائج المهمة التي توصلت إليها الدراسة دعوة الأجانب الموجودين بالقسطنطينية لحضور بعض مآدب الإمبراطور ليو الحكيم، لاسيما سفراء الخلافة الإسلامية، وسفراء البلغار، وسفراء الفرنجة وغيرهم. وهنا يلاحظ أن سفراء المسلمين كانت لهم الصدارة دائماً على نظرائهم من الأمم الأخرى.

ومن النتائج الأخرى للدراسة هو حرص الإمبراطور ليو الحكيم في أكثر من مناسبة دينية على إحضار عدد من الأسرى المسلمين، وقد يكون الوجهاء منهم، لحضور المأدبة الإمبراطورية لاسيما التي كانت تقام بمناسبة عيد الميلاد المجيد أو بمناسبة عيد القيامة. وبرغم أنهم أسرى، إلا أنهم أيضاً احتلوا ماكنة متقدمة في قاعة الطعام على اصدقاء الإمبراطور من البلغار.

وألقت الدراسة أضواءً مهمة على مراسم الأعياد في بيزنطة ومراسم دخول وخروج المدعوين بشتى أصنافهم ودرجاتهم إلى قاعات الطعام المختلفة في القصور والكنائس البيزنطية، إذا ما كانت في حضرة الإمبراطور.

كما أشارت الدرسة أيضاً إلى أن بعض المآدب الإمبراطورية التي كانت تعقد في القصر الإمبراطوري الكبير كان يصحبها موسيقى وترانيم دينية إذا كانت تلك المآدب في مناسبات دينية، أو موسيقى غير دينية مع رقصات خاصة في بعض المناسبات غير الدينية، بغرض إدخال البهجة على نفس الإمبراطور ليو الحكيم.

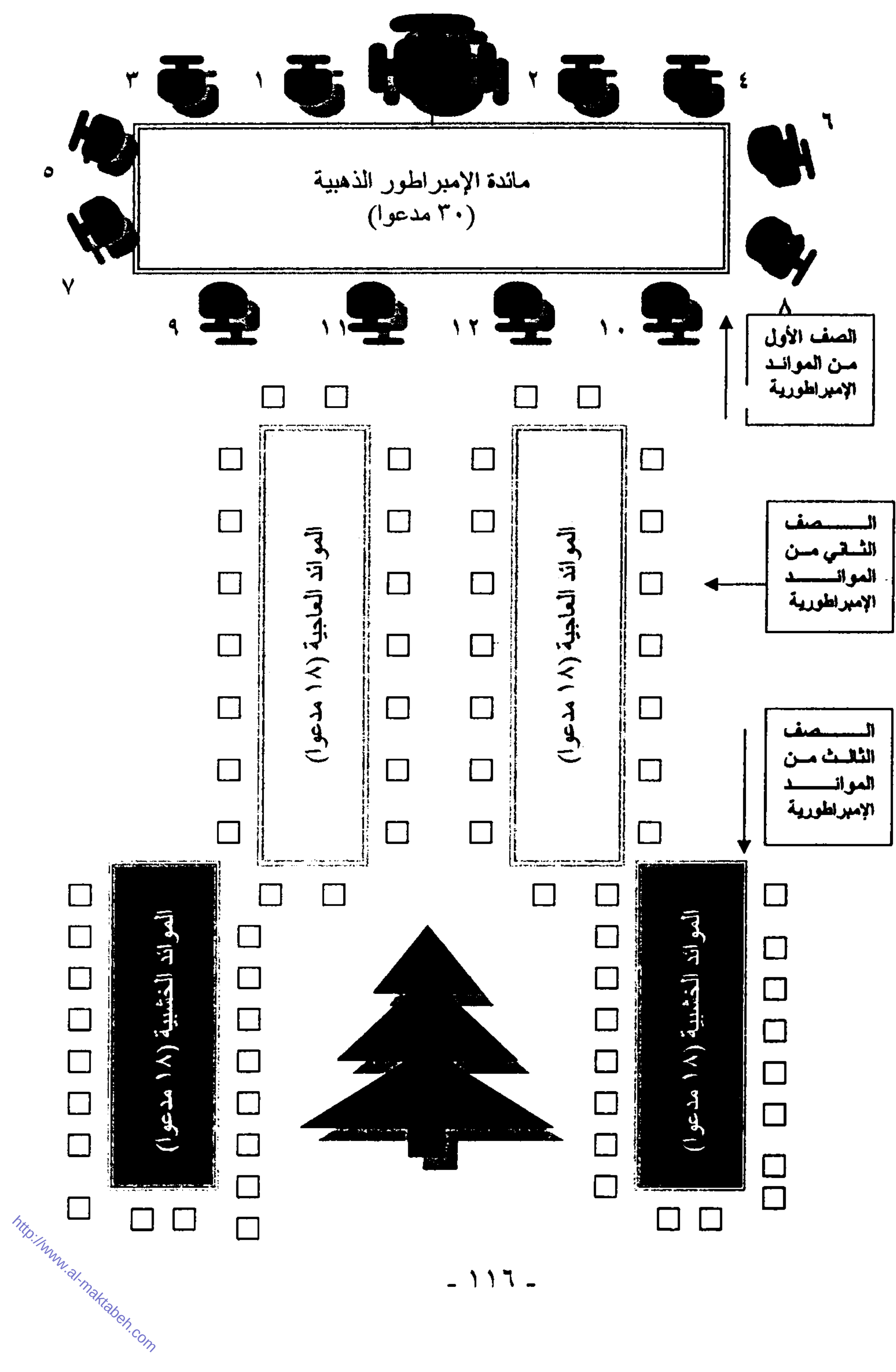
وأخيراً يمكن القول أن الدراسة ألقت الضوء أيضاً على ملابس الإحتفالات البيزنطية، سواء المذهبة أم العادية الفخمة في نفس الوقت، وكيف أنه كان لكل مأدبة من مآدب الإمبراطور مراسم معينة متعلقة بملابس المدعوين من حيث نوعها، وطريقة لبسها أو خلعها أيضاً.

# الملاحــق

## (١) جدول يبين ترتيب دخول وجلوس رجال الدولة البيزنطية الأوَل حال دعوتهم جميعا لمأدبة الإمبراطور ليو الحكيم

| الإمبراطـــور | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ١ البطريرك | ٢ القيصر | ٣ النوبليسيموس | ٤ القربلاط | ٥ البازيليوباتور (والد الإمبراطور) | ٦ البطريقة الزوستى | ٧ الماجستروس | ٨ الريكتور | ٩ سنكيللوس روما |
| ١٠ سنكيللوس القسطنطينية | ١١ سنكيلات الشرق (حال تواجدهم) | ١٢ رئيس أساقفة بلغاريا (حال تواجدهم) | ١٣ البطارقة الخصيان | ١٤ البطريق الأنثيباطوس استراتيجوس الأناضول | ١٥ البطريق الأنثيباطوس دومستق الاسكلارية | ١٦ البطريق الأنثيباطوس استراتيجوس الأرمياق | ١٧ البطريق الأنثيباطوس استراتيجوس التراقيسيان | ١٨ البطريق الأنثيباطوس قومس الأوبسيق |
| ١٩ البطريق الأنثيباطوس استراتيجوس [illegible] | ٢٠ البطريق الأنثيباطوس استراتيجوس قبادوقيا | ٢١ البطريق الأنثيباطوس استراتيجوس خرشنة | ٢٢ البطريق الأنثيباطوس استراتيجوس كولونيا | ٢٣ البطريق الأنثيباطوس استراتيجوس بافلاجونيا | ٢٤ البطريق الأنثيباطوس استراتيجوس تراقيا | ٢٥ البطريق الأنثيباطوس استراتيجوس مقدونيا | ٢٦ البطريق الأنثيباطوس استراتيجوس خالديا | ٢٧ البطريق الأنثيباطوس دومستق الاكسكوبيتر |
| ٢٨ البطريق الأنثيباطوس والي المدينة | ٢٩ البطريق الأنثيباطوس استراتيجوس البيلوبونيز | ٣٠ البطريق الأنثيباطوس استراتيجوس نيقوبوليس | ٣١ البطريق الأنثيباطوس استراتيجوس الكيبيرايوت | ٣٢ البطريق الأنثيباطوس استراتيجوس الهيلاس | ٣٣ البطريق الأنثيباطوس استراتيجوس صقلية | ٣٤ البطريق الأنثيباطوس استراتيجوس لونجوبارديا | ٣٥ البطريق الأنثيباطوس استراتيجوس ستريمون | ٣٦ البطريق الأنثيباطوس استراتيجوس كيفالونيا |
| ٣٧ البطريق الأنثيباطوس استراتيجوس سالونيك | ٣٨ البطريق الأنثيباطوس استراتيجوس دراخيوم | ٣٩ البطريق الأنثيباطوس استراتيجوس ساموس | ٤٠ البطريق الأنثيباطوس استراتيجوس بحر إيجة | ٤١ البطريق الأنثيباطوس استراتيجوس دالماشيا | ٤٢ البطريق الأنثيباطوس استراتيجوس خرسون | ٤٣ البطريق الأنثيباطوس السكلاريوس | ٤٤ البطريق الأنثيباطوس لنشيط الخزانة العامة | ٤٥ البطريق الأنثيباطوس الكويستور |
| ٤٦ البطريق الأنثيباطوس لنشيط الخزانة العسكرية | ٤٧ البطريق الأنثيباطوس درونجاريوس حراسة المدينة | ٤٨ البطريق الأنثيباطوس الهيتريارخ الكبير | ٤٩ البطريق الأنثيباطوس اويكونوموس الكنيسة العظمى | ٥٠ البطريق الأنثيباطوس درونجاريوس أسطول القسطنطينية (البلوعو) | ٥١ البطريق الأنثيباطوس لنشيط الشئون الإدارية | ٥٢ البطريق الأنثيباطوس لنشيط الأحيلون | ٥٣ البطريق الأنثيباطوس دومستق الهيكانتيه | ٥٤ البطريق الأنثيباطوس دومستق النومرا |
| ٥٥ البطريق الأنثيباطوس دومستق [illegible] | ٥٦ البطريق الأنثيباطوس قومس الأسوار | ٥٧ البطريق الأنثيباطوس كارتولاريوس الخزانة | ٥٨ البطريق الأنثيباطوس كارتولاريوس خزانة الملابس الإمبراطوري | ٥٩ البطريق الأنثيباطوس كارتولاريوس الخزينة الملكية (الكانيكليو) | ٦٠ البطريق الأنثيباطوس البروتوستراتور | ٦١ البطريق الأنثيباطوس البروتوسيكريتيس | ٦١ البطريق الأنثيباطوس قومس الاسطبل الإمبراطوري | ٦٢ البطارقة الأنثيباطوي من بروسبو الثيمات |
| ٦٣ البطريق الأنثيباطوس برايبوزيتوس [illegible] | ٦٤ البطريق الأنثيباطوس الكوراتور الكبير | ٦٥ البطريق الأنثيباطوس كارتولاريوس المنحانات | ٦٦ البطريق الأنثيباطوس برايبوزيتوس الدعاوى القضائية | ٦٧ البطريق الأنثيباطوس الأورفانوتروفوس | ٦٨ البطريق الأنثيباطوس دمارخ الزرق | ٦٩ البطريق الأنثيباطوس دمارخ الخضر | | |

**(٢) رسم تقريبي للموائد الإمبراطورية في الخريسوتريكلينوس**
**وترتيب المدعوين عليها حسب الأسبقية طبقاً لهارون بن يحيى وفيلوثيوس**



(٣) نماذج من ملابس الأباطرة البيزنطيين وأتباعهم







# الفصل الثالث

# الوظائف والألقاب البيزنطية
# بين المفهوم العربي والواقع البيزنطي



ربما يبدو تاريخ الإدارة الحكومية البيزنطية من الأمور غير الممتعة عند القراءة، على حد قول أ. د. وسام فرج، غير أن المؤرخ لا يستطيع أن يتجاهله لأنه جزء من تاريخ المجتمع البيزنطي. ودراسة الإدارة لا تقتصر على عملية رصد الأجهزة الحكومية في أية دولة وما تضمنته من موظفين، بل يجب أن تتجاوز ذلك إلى محاولة فهم طبيعة وآلية الجهاز البيروقراطي الذي ظل يدير بيزنطة على مدى أحد عشر قرناً على الأقل، لاسيما في دولة كالإمبراطورية البيزنطية التي أبدت اهتماماً شديداً بالتنظيم الوظيفي بها ومكانة شاغلي الوظائف بين موظفي عموم الدولة من ناحية، وبين الماثلين في حضرة الإمبراطور نفسه من ناحية ثانية، وهو ما عرف باسم نظام التصدر أو الأسبقة. فقد نظرت بيزنطة إلى البروتوكول ومراسم البلاط نظرة خاصة ربما جعلتها أكثر تميزاً عن غيرها من الأمم الأخرى في هذا الشأن، وليس أدل على ذلك من قيام الإمبراطور قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس (٩١٣-٩٥٩م) بتأليف كتاب مهم عن المراسم الإمبراطورية البيزنطية،[١] الذي يمكن اعتباره دليلاً لموظفي بيزنطة ليعرف كل واحد منهم قدره الوظيفي والشرفي بين الآخرين عند وقوفهم في حضرة الإمبراطور أو الدخول عليه أينما حل؛ ومن لا يلتزم بذلك كان يعتبر مسيئًا لهيبة الدولة وعظمتها.[٢]

ومن هذا المنطلق فقد قدم عدد من المؤرخين المحدثين لاسيما الأستاذ رودلف جُويَّان[٣] والأستاذة هيلين أرفيلر والأستاذ نيقولاس أويكونوميذس وغيرهم،[١] مجموعة من الدراسات

---

[1] Constantine Porphyrogenitus, *De Ceremoniis Aulae Byzantinae*, ed. I. Reiskii, *CSHB* I (Bonn 1829); Idem, *Le livre des cérémonies*, trad. fran. et com. Albert Vogt, tome I (Paris 1935); tome II, (Paris 1939).

[2] وسام عبد العزيز فرج، الألقاب والمناصب الحكومية في بيزنطة بين الاستمرارية والانقطاع، منشور في: بيزنطة قراءة في التاريخ السياسي والإداري (القاهرة ٢٠٠٤)، ص ٣٣، ٣٧.

[3] هناك حصر كامل لشتى مؤلفات أ.د. رودلف جويان والتي تشكل مفتاحًا أساسيًا لمن يريد الخوض في دراسة شتى جوانب الإدارة البيزنطية على الموقع التالي:
http://www.persee.fr/web/revues/home/prescript/article/rebyz_0766-5598_1980_num_38_1_2114#

التاريخية الرصينة التي تلقي الضوء على شتى الجوانب السياسية والحضارية للوظائف والألقاب البيزنطية من حيث ماهيتها وطبيعتها الإدارية ومهامها ومن انخرطوا فيها ومكانة شاغلي هذه الوظائف أو تلك في المجتمع البيزنطي وغير ذلك، مما يجعل الخوض في غمار دراستها أو إعادة دراستها أمر غير مجدي، لاسيما وأن معظم المصادر المتعلقة بالإدارة البيزنطية ترجمت إلى لغات حديثة يسهل قراءتها بها؛[2] وعلى الصعيد العربي فقد قدم أ.د. وسام فرج دراسة عن "الألقاب والمناصب الحكومية البيزنطية في بيزنطة بين الاستمرارية والانقطاع" تناول فيها تاريخ المناصب والألقاب البيزنطية من القرن الرابع إلى القرن الرابع عشر الميلادي وأسباب التحول فيها بين الصعود والهبوط.[3]

والدراسة التي نقدمها هنا لقراء العربية **لا تهدف إلى إعادة ما كتبه الآخرون ولا إلى رصد حركة تطور الوظائف داخل بيزنطة أو الألقاب التي حملها أصحابها، بل تُعنى في المقام الأول برصد مفهوم الوظائف البيزنطية وألقاب حامليها عند المسلمين**، استناداً لاحتكاكهم بالبيزنطيين-على مدى قرون طويلة، استغرقت معظم فترة العصر البيزنطي الأوسط. الأمر الذي كانت له أثاره الحضارية الملموسة؛ فقد تعرف المسلمون على العديد من الوظائف والألقاب البيزنطية فاستوعبوا جزءًا كبيرًا منها على حقيقتها البيزنطية، وحولوا

---

[1] انظر: Arthur E.R. Boak and James E. Dunlap, *Two studies in later Roman and Byzantine administration* (London 1924); J. B. Bury, *The Imperial Administrative System in the Ninth Century* (London 1911); H. Ahrweiler, *Études sur les structures administratives et sociales de Byzance*, Variorum Reprints (London 1971); Idem, "Recherches sur l'administration de l'empire byzantin aux IX$^{e}$ - XI$^{e}$ siècles," *BCH* 84 (1960), 1-109; R. Guilland, *Recherches sur les institutions byzantines*, 2 vols. (Berlin-Amsterdam 1967) ; Idem, *Titres et fonctions de l'Empire byzantin*, Variorum Reprints (Hampshire 1976); N. Oikonomides, "Une list arabe des stratèges byzantins du VII$^{e}$ siècle et les origins du thème de Sicile," *Rivista di Studi Bizanini e Neoellenici* 11(1964), 121-130; Idem, *Les listes des préséance byzantines des IX$^{e}$-X$^{e}$ siècles* (Paris 1972); Jadran Ferluga, *Byzantium on the Balkans: studies on the Byzantine administration and the Southern Slavs from the VII$^{th}$ to the XII$^{th}$ centuries,* (Amsterdam 1976).

[2] انظر: *Taktikon Uspenskij , Traité Phil., Taktikon Beneševič, et Taktikon de l'Escurial,* dans *Les listes des préséance byzantines des IX$^{e}$-X$^{e}$ siècles*, ed. et trad. fran. N. Oikonomides (Paris 1972); Constantin Porphyrogénète, *Le livre des cérémonies*, trad. fran. et com. Albert Vogt, tome I, (Paris 1935); tome II, (Paris 1939); Pseudo-Codinus (Kodinus), *Traite des offices*, ed. et trad. fran. J. Verpeaux, (Paris 1966).

[3] وسام عبد العزيز فرج، الألقاب والمناصب الحكومية، ص ٣٣-٦٣. وقد نشرت هذه الدراسة للمرة الأولى في الكتاب السنوي الثالث للجمعية المصرية للدراسات اليونانية والرومانية (القاهرة ١٩٩٨م)، ص ٢٩٥- ٣٣٩.

البعض الآخر منها إلى ألقاب، مثلما حولوا بعض الألقاب إلى أسماء أعلام، وهذا ما ستجليه هذه الدراسة إن شاء الله.

وفيما يتعلق بمنهج الدراسة فإنه يعتمد على الاستقراء والمقابلة، حيث تعمُد الدراسة إلى استقراء النصوص العربية المتعلقة بالوظائف والألقاب البيزنطية من خلال تتبع المصادر العربية لاسيما التاريخية لبيان ما استوعبه المسلمون منها وكيف فهموها، ثم تأتي الخطوة التالية وهي مقابلة ما ورد في تلك النصوص بما هو وارد في المصادر البيزنطية الأصلية كل على حدة مع بيان الشكل البيزنطي للوظيفة أو اللقب كتابة ونطقاً كما ورد في هذه المصادر، حتى يتبين للقارىء كيف نطق المسلمون مسميات تلك الوظائف والألقاب. وقد قسمنا الوظائف والألقاب البيزنطية التي تداولها المسلمين إلى قسمين:

**أولهما:** الوظائف والألقاب المدنية وبها سبع عشرة وظيفة ولقبًا أمكن حصرها.

**والقسم الثاني:** الوظائف والألقاب العسكرية وبها ثلاث عشرة وظيفة ولقبًا أمكن حصرها أيضًا.

# أولاً: الوظائف والألقاب المدنية

## ١- الملك

**المصطلح البيزنطي:** بازيليوس ὁ βασιλεὺς

**المفهوم العربي:** استخدم العرب لقب الملك للإشارة إلى الإمبراطور البيزنطي، بمعناه اللغوي الصحيح للكلمة اليونانية "**بازيليوس**"، والتي تعني في المعاجم اللغوية "**ملكًا**".[1] فقد أطلق مسلم بن أبي مسلم الجَرمي وابن حوقل على الإمبراطور البيزنطي لقب "**الملك**"،[2] وأطلق عليه هارون بن يحيى والهمذاني والقزويني

---

[1] G. Liddlle and R. Scott, *Greek-English Lexicon* (Oxford 1986), s.v. βασιλεὺς.

[2] ابن خرداذبه، المسالك والممالك، نشر دي جويه (ليدن ١٨٨٩)، ص ١٠٥، ١٠٩؛ ابن حوقل، صورة الأرض (بيروت د.ت.) ، ص ١٧٨.

لقب "**ملك الروم**"[1] ويرد في معظم المصادر العربية على هذا النحو للإشارة إلى الإمبراطور البيزنطي.[2]

ويضيف ابن خرداذبه نقلاً عن مسلم بن أبي مسلم الجرمي عبارة مهمة وهي أن ملكهم يدعى باسيلي.[3] وهنا باسيلي ليس اسماً للملك بل لقبه باليونانية كما سمعه مسلم الجرمي عندما كان أسيرًا بالقسطنطينية. أما ابن بطوطة فيطلق عليه خطأً لقب "**السلطان**"،[4] قياساً على الألقاب التي كانت سائدة آنذاك عند الحكام المسلمين.

**الواقع البيزنطي:** أُطلق لقب بازيليوس (ملك) على أباطرة بيزنطة بدءاً من القرن السابع الميلادي عندما اتخذه الإمبراطور هرقل Heraclius (٦١٠-٦٤١م) لقباً يونانياً خالصاً له ولمن سيعتلي سُدّة العرش في بيزنطة من بعده، بعدما أبطل اللقب الروماني "**إمبراطور** Imperator". وقد ظل ملوك بيزنطة يحملون لقب "**بازيليوس**" أو "**الملك**" حتى نهاية دولتهم عند منتصف القرن الخامس عشر الميلادي.[5]

أما قبل القرن السابع وحتى عصر هرقل، أي خلال العصر البيزنطي المبكر، كان الأباطرة يحملون الألقاب الرومانية القديمة، حيث نقابل لقب إمبراطور Imperator، والذي غالبًا ما كان يحمله من يحكم الجزء الشرقي من الإمبراطورية الرومانية كالإمبراطور دقلديانوس (٢٨٤-٣٠٥م)

---

[1] ابن رسته، الأعلاق النفيسة، نشره دي جويه (ليدن ١٨٩٢)، ص ١١٩؛ ابن فقيه الهمذاني، كتاب البلدان، تحقيق يوسف الهادي (بيروت ١٩٩٦)، ص ١٨٣؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد (بيروت د.ت.)، ص ٦٠٣.

[2] انظر: المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (بيروت د.ت.)، ص ١٤٨؛ القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، (القاهرة د.ت.)، ج ٥، ص ٣٩٧.

[3] ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ١٠٩.

[4] رحلة ابن بطوطة، (بيروت ١٩٦٤). ص ٣٤٩.

[5] مؤلف مجهول، تاريخ ملوك القسطنطينية، تحقيق ودراسة طارق منصور (القاهرة ٢٠٠٨)، ص ١٣٥؛ السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية (القاهرة ١٩٦٠)، ص ١١٦؛ طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج١، البيزنطيون والعالم الإسلامي (القاهرة ٢٠٠٣)، ص ١٥؛
T. T. Rice, *Everyday Life in Byzantium* (London, New York 1967), 33.

أو من يحكمها منفرداً كالإمبراطور قسطنطين الأول (٣٢٣-٣٣٧م) Constantine I؛[1] كما نقرأ في الحولية الفصحية أنه كان يحمل لقب أغسطس Augustus أيضاً؛ وكان حكم الإمبراطور يسمى القنصلية consulship على أساس أنه إمتداد لقناصلة روما القديمة، حيث نقرأ هذه العبارة على سبيل المثال: " the 3rd and sole consulship of Justinian Augusts".[2]

وقد كان من الطبيعي أن يكون الإمبراطور البيزنطي هو المحور الرئيسي الذي تدور حوله كافة مفاصل الإمبراطورية، فكان هو الأوتوقراطور العاطي المانع لكل فئات الشعب، ὁ αὐτοκράτωρ يليه في المقام الإمبراطور الصغير ὁ μικρός أي ولي العهد،[3] الذي غالبًا ما كانت تظهر صورته إلى جوار أبيه الإمبراطور على العملة.[4]

## ٢- قيصر- قيصر الروم

**المصطلح البيزنطي: قيصر** ὁ καῖσαρ

**المفهوم العربي:** يستخدم اليعقوبي وخليفة بن خياط وابن كثير وغيرهم لقب "قيصر ملك الروم" للإشارة إلى الإمبراطور البيزنطي.[5] وكذلك استخدم الطهراني هذا

---

1 *Chronicon Paschale*, Eng. trans. Michael Whitby and Mary Whitby, *Translated Texts for Historians*, vol. 7 (Liverpool 1989), 1, 7, 49-50, 109, 156.

2 *Chronicon Paschale*, 109.

3 *Traité Phil.*, 99.

4 Rice, *Everyday Life in Byzantium*, 33-34.

5 اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، (بيروت د.ت.)، ج ١ ، ص ٢٠٠، ٢٢٠، ٢٤٣؛ ج ٢، ص ٧١، ٧٧؛ خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري (بيروت ١٣٩٧هـ)، ص ٧٩، ٩٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، (بيروت د.ت.)، ج ١، ص ٣٢٠؛ ج ٢، ص ١٦٩، ١٧٧، ١٨١، ٢١٩، ٣٠١، ٣٤١؛ ج ٣، ص ٨٣؛ ج ٤، ص ١٧٤، ١٨٠، ٢٦٢، ٢٦٧، وغيرها؛ البغدادي، تاريخ بغداد، (بغداد د.ت.)، ج ٥، ص ٣٥؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة الله، (بيروت ١٩٩٥)، ج ٢، ص ٤٠، ١٢٦-١٢٧، وغيرها؛ الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، (بيروت ١٩٩٧)، ج ١٠، ص ١٠٦؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة ١٩٦٣)، ج ١ ، ص ٢٩٩؛ ج ٢، ص ١٢١؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، (القاهرة ١٣٧١)، ج ١ ، ص ١٣٢، ١٤١، ٢٥٢.

اللقب للإشارة إلى الإمبراطور البيزنطي في معرض حديثه عن محمد بن عبد الرازق السبزواري والشاشي القفال ورد كل منهما على قصيدة الإمبراطور نقفور فوقاس الهجائية إلى الخليفة العباسي المطيع لله؛[١] كما ورد هذا اللقب عند ياقوت الحموي إشارة إلى الإمبراطور البيزنطي.[٢]

أما ابن الأثير وابن الجوزي، فيستخدمانه على وجهين، تارة للإشارة إلى قيصر روما، وتارة أخرى إلى الإمبراطور البيزنطي.[٣]

وأخيراً ورد هذا اللقب عند المسعودي وحاجي خليفة ليشيرا به، وبصورة صحيحة، إلى قيصر الرومان.[٤] وهنا يثبت المسعودي أنه أكثر فهماً ووعياً من المؤرخين المسلمين الآخرين، حيث يقدم تفسيراً مهماً لمعنى كلمة قيصر ومن الذي حمل هذا اللقب لأول مرة، حيث يقول: **"ثم ملك بعده أغسطس "قيصر"... وهذا الملك هو أول من سُمي من ملوك الروم قيصر، وهو الثاني من ملوكهم، وتفسير قيصر "بُقِرَ" أي شُق عنه، وذلك أن أمه ماتت وهي حامل به فشق بطنها، فكان هذا الملك يفتخر في وقته بأن النساء لم تلده."**[٥]

**الواقع البيزنطي:** يظهر هذا اللقب في بيزنطة بعد عصر جستنيان Justinianus (٥٢٧-٥٦٥م)، وقد منحه جستين الثاني Justin II (٥٦٥-٥٧٨م) لتيبريوس Tiberius، وتيبريوس الثاني (٥٧٨-٥٨٢م) لجرمانوس Germanus وموريس Maurice (٥٨٢-٦٠٢م)، وهرقل Heraclius لقسطنطين الصغير وديفيد ومارينوس David Marinus، وقسطنطين الخامس Constantine V (٧٤٠-٧٧٥م) لكريستوفور Christophre ونقفور Nicephorus، وثيوفيل

---

[1] الطهراني، نوابغ الرواة في رابعة المئات، تحقيق علي نقي فنروي،(بيروت ١٩٧١)، ج ١، ص ٢٧٧.

[2] ياقوت الحموي، معجم البلدان، (بيروت ١٩٨٤)، ج ١، ص ٢٣٥.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (بيروت د.ت.)، ج ١، ص ٢٤٦، ٢٤٩-٢٥٠، ٣٣٤، ٣٤٦، ٣٦٩، ٤٠٤؛ ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت ١٩٩٢)، ج٢، ص ٤٥، ٨٧، ١١٠، ١١١، ١١٩، ١٢٩، ٣٢٠؛ ج ٣، ص ٢٧٥-٢٧٧.

[4] حاجي خليفة، كشف الظنون، (بيروت ١٩٩٢)، ج ٢، ص ١٤٥٠.

[5] المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق قاسم الشماعي الرفاعي، (بيروت ١٩٨٩)، ج١، ص ٢٨٨-٢٨٩.

Theophilus (٨٢٩-٨٤٢م) لأليكـسيوس موسـيلي Alexius Mosilie، وميخائيل الثالث Michael III (٨٤٢-٨٦٧م) لبرداس Bardas.[1]

ويظهر لقب قيصر بوضوح في الإمبراطورية الرومانية المتأخرة أو مـا يطلق عليه العصر البيزنطي الباكر، حيـث نقابـل القيـصر ماكـسيميانوس جوفيوس Maximianus Jovius الأكثـر نـبلاً *nobilissimus* والقيـصر قنسطنطيوس Constantius في عهـد دقلـديانوس Diocletianus (٢٨٤-٣٠٥م)، الذي جعل قيصر لقباً لنائب الإمبراطور. وفـي عهـد الإمبراطـور قسطنطين الأول Constantine I (٣٢٣-٣٣٧م) حمـل أبنـاؤه قـسطنطين Constantine، وقسطنطيوس Constantius، وقنسطانز Constans لقـب قياصرة. بينما بعد وفاة الإمبراطور جوفيان Jovian (٣٦٣-٣٦٤م) تم اقتسام الإمبراطورية الرومانية بين أخويـه، حيـث صـار الـشطر الغربـي مـن الإمبراطورية من نصيب فالنتنيان Valentinian (٣٦٤-٣٧٥م) الذي حمل لقب قيصر، والجزء الشرقي من نصيب فالنز Valens (٣٦٤-٣٧٨م) الـذي حمل لقب إمبراطور؛[2] ثم أصبح منح لقب قيصر تقليـداً ثابتـاً منـذ عـصر الإمبراطور ثيودوسـيوس الأول Theodothius I (٣٧٩-٣٩٥م) إذا كـان للإمبراطور ابناً، ليرفعه كشريك له في الحكم. وبعد ذلك الوقت كان نادراً مـا كان يمنح لقب قيصر. أما جستين الثاني وتيبريوس الثاني فقد منحا هذا اللقـب كي يميزا خلفائهما، لكن بعد الإمبراطور موريس أُسبغ هذا اللقب فقـط علـى أناس قد يخلفوا الإمبراطور تحت ظروف معينة، فهرقل وقسطنطين الخـامس أسبغا هذا اللقب على أبنائهما الصغار، ومنحه ثيوفيل لصهره، وميخائيل الثالث لخاله.[3]

ويرد لقب قيصر في المرتبة الثانية بعد لقب بطريرك القسطنطينية في عهد ميخائيل الثالث،[4] أما في عهد ليو السادس فيتراجع ليرد في المرتبة الثامنـة عشر، متشبهاً حامله بالعظمة الإمبراطورية حيث كانت شارته عبارة عن تاج

[1] Bury, *The Imperial Administrative System*, 36.
[2] *Chronicon Paschale*, 2, 4, 6, 21, 49, sqq.
[3] Bury, *The Imperial Administrative System*, 36.
[4] *Taktikon Usp.*, 47.

يلبسه على رأسه دون صليب، تمييزاً له عن تاج الإمبراطور، يضعه الأخير بيديه على رأس "الكانديدات" في كنيسة السيد؛ وهو اللقب الذي يعطي حامله نفس مزايا النبيل.[1]

وفي عهد قسطنطين بورفيروجنيتوس يحتل المرتبة الثالثة بعد بابا روما وبطريرك القسطنطينية.[2] أما في عهد يوحنا تزيمسكس (٩٦٩-٩٧٦م) فيعود لقب قيصر ليحتل المرتبة الثانية بعد أن اختفى لقب بابا روما من الترتيب الهيراركي في البلاط البيزنطي.[3]

وهكذا، فإن لقب قيصر لا يشير مطلقًا إلى الإمبراطور البيزنطي كما فهم كثير من المؤرخين المسلمين. ويبدو أن الخلط بين قيصر الرومان والإمبراطور البيزنطي **"ملك الروم"** جاء نتيجة أن العرب قديماً كانت تسمي الإمبراطور البيزنطي قيصر الروم كامتداد لمفهومهم حول قيصر روما، والذي غزا بعضهم بلاد الشرق قديماً؛ كما نقابل عندهم أن النجاشي قد أرسل برسالة إلى **"قيصر ملك الروم"** يطلب منه المدد لغزو اليمن.[4]

## ٣- الوزير

**المصطلح البيزنطي: هبارخوس** ὁ ὕπαρχος

**المفهوم العربي:** يقول عنه مسلم الجرمي: **"وأكبر البطارقة خليفة الملك ووزيره"**.[5] وقد ذكره هارون بن يحيى أيضاً بمزيد من التفصيل، حيث يقول: **"ثم يقبل الملك...وخلفه الوزير، وبيد الملك حُق من ذهب فيه تراب وهو راجل كلما**

---

1 *Traité Phil.*, 97-99; Bury, *The Imperial Administrative System*, 22.

2 *Taktikon Beneševič*, dans *Les listes des préséance byzantines des IX<sup></sup>e-Xe siècles*, ed. et trad. N. Oikonomides (Paris 1972), 243.

3 *Taktikon de l'Escurial*, dans *Les listes des préséance byzantines des IXe-Xe siècles*, ed. et trad. N. Oikonomides (Paris 1972), 263.

4 ابن كثير، البداية والنهاية، ج٢، ص ١٥٩؛ المقدسي، البدء والتاريخ، ج ٣، ص ١٨٦؛ ١٨٩، ٢٠٢-٢٠٣؛ ج ٤، ص ٢٢٩.

5 ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ١١٢؛ الهمذاني، كتاب البلدان، ص ١٩١.

مشي خطوتين يقول الوزير بلسانهم "من رمونت انيابطرا"[1] وتفسيره اذكروا الموت. فإذا قال له ذلك وقف الملك وفتح الحُق ونظر إلى التراب وقبله وبكى، فيسير كذلك حتى ينتهي إلى باب الكنيسة فيقدم الرجل الطشت والإبريق فيغسل الملك يده ويقول لوزيره: إني بريء من دماء الناس كلهم لأن الله لا يسألني عن دمائهم وقد جعلتها في رقبتك. ويخلع ثيابه التي على وزيره ويأخذ دواة بلاطس، وهي دواة الرجل الذي تبرأ من دم المسيح عم [هكذا] ويجعلها في رقبة الوزير ويقول له: دن بالحق كما دان بلاطس بالحق. ويدور به على أسواق قسطنطينية فينادون به دن بالحق كما قلدك الملك أمور الناس."[2]

ويذكر المقدسي أن الوزير كان يشكل الحزب المقابل لحزب الملك عند انعقاد سباق الخيل بالهيبودروم.[3]

**الواقع البيزنطي:** من الوصف الوارد عند هارون بن يحيى، وطبقاً لاستنتاج هنري جريجوار، فإن الوزير يقصد به هنا والي المدينة المسمى "الهبارخوس".[4] وكان والي المدينة أو محافظ العاصمة بالمصطلح الحديث ذا سلطات واسعة داخل القسطنطينية، والتي يمكن أن نستشفها من خلال المصدر المعروف باسم **"كتاب الوالي"** *eparchikon biblion* الذي ينسب إلى الإمبراطور ليو السادس الحكيم (٨٨٦-٩١٢م)؛[5] حيث اشتمل الكتاب على اثنين وعشرين

---

[1] لا توجد نقاط على الكلمة الأخيرة في النص الأصلي. وهذه العبارة هكذا باليونانية μέμνησθε τοῦ θανάτον انظر: ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص ١٢٤، هـ f.

[2] ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص ١٢٤-١٢٥.

[3] المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٤٨.

[4] H. Grégoire, "Un captive arabe à la cour de l'empereur Alexandre," *Byz* 7(1932), 669.

[5] عن نشراته انظر: *Le livre du préfet ou l'édit de l'empereur Léon le sage sur les corporations de Constantinople*, trad franç. du texte grec de Geneve par J. Nicole (Genève 1894); repr. In J. Zepos and P. Zepos, Jus Graeco romanum (Athens 1931), 2:371–92; Eng. trans. A. E. Boak, "The Book of the Perfect," in *Journal of Economic and Business History* 1(1929), 597–619; and E. H. Freshfield, *Roman Law in the Later Roman Empire Byzantine Guilds Professional and Commercial* (Cambridge 1938); ؛ German trans. by J. Koder, *Das Eparchenbuch Leons des Weisen* (Vienna 1991).

فصلاً، تتحدث الفصول التسعة عشر الأولى عن النقابات التجارية الموجـودة بالقسطنطينية، أما الفصل العشرون فيعكس واجبات نائب الوالي، الذي يمكـن ترجمة إسمه الوظيفي ليجاتاريوس *legatarios* أيضا بمندوب الوالي؛ والتـي تتلخص في مراقبة الأسعار والتجار لمنع قيامهم بالاحتكار داخل الأسواق، وإذا حدث أبلغ الوالي على الفور لاتخاذ الإجراءات القانونية ضده؛ وكذلك مراقبـة كل من يدخل العاصمة متاجرا وفحص أغراضه وأمتعته وتجارته.[١] أما الفصل الحادي والعشرون فيبين واجبات السماسرة العاملين بأسواق الماشية. وأخيـرا فإن الفصل الثاني والعشرون فيتضمن القواعد العامة التي تؤثر على التجـار والحرفيين، والقانون المحلي الذي يخول للوالي ومساعديه القضاة الفصل فـي المنازعات التجارية بين أصحاب العمل والعمال على أساس التحكيم.[٢]

وطبقا لكتاب الوالي يمكن القول أن مهامه كانت تتلخص في الإشراف على كل ما يخص العاصمة البيزنطية من متابعة الشوارع والطرقـات، الـشرطة، إدارة الأحوال المدنية الخاصة بسكان العاصمة، المشاركة في مهـام قـضاء العاصمة، الإشراف على النقابات والأسواق بالعاصمة ومراقبتها، الإشـراف على تعيين بعض الموظفين العاملين في العاصمة كموثقي العقـود ومعلمـي القانون ورؤساء النقابات، إضافة إلى الليجاتاريوس السابق ذكره.[٣]

ويشير أ.د. وسام فرج إلى أنه إذا أردنا تتبع مهام والي المدينة بالتفـصيل فإن هذا سوف يحتاج اقتباس الفصل الرابع بأكمله من المجموعـة القانونيـة المسماه الإبانَجوج والمنسوبة إلى الإمبراطور باسيل الأول المقـدوني (٨٦٧-٨٨٦م)، بالإضافة إلى بعض الصفحات مـن كتـاب المراسـم للإمبراطـور

---

ترجمه إلى العربية أ. د. السيد الباز العريني بعنوان، كتاب عن الحسبة في بيزنطة، منشور فـي مجلـة كليـة الأداب، جامعة القاهرة، عدد١٩ (١٩٥٧)، ص ١٣٥-١٨٧.

[1] الباز العريني، كتاب عن الحسبة في بيزنطة، ص ١٧٤.

[2] وسام عبد العزيز فرج، الدولة والتجارة في العصر البيزنطي الأوسط، حوليات كلية الآداب، الحولية التاسـعة، الرسالة ٥٣ (الكويت ١٩٨٧-١٩٨٨)، ص ١٧-١٨.

[3] الباز العريني، كتاب عن الحسبة في بيزنطة، ص ١٤٦-١٧٨؛ وسام فرج، الدولـة والتجـارة فـي العـصر البيزنطي الأوسط، ص ١٩.

قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس،[1] وهو ما قد ينحرف بدراستنا بعيداً عن الهدف الذي تبنته منذ البداية، إضافة إلى أن والي المدينة نال حظه من المؤرخين الأوروبيين المحدثين.[2]

ويأتي والي المدينة في المرتبة الثالثة والثلاثين من حيث التصدر في قائمة اوسبنسكي،[3] في القرن التاسع؛[4] كما كان يحمل لقب "بروتوسباثاريوس" (حامل السيف الأول)[5] في هذه القائمة أيضًا بين حملة الألقاب في المرتبة الحادية والخمسين.[6] وفي عهد ليو السادس (٨٨٦-٩١٢م) جاء والي المدينة في المرتبة الثامنة عشرة في ترتيب الصدارة، حسب كليترولوجيون فيلوثيوس،[7] حاملاً لقب

---

[1] وسام فرج، الدولة والتجارة في العصر البيزنطي الأوسط، ص ١٨؛ Const. Porph., *De Cer.*, I, 263-264; II, 715-716.

[2] أورد أ.د. الباز العريني عدداً من هذه الدراسات. انظر: الباز العريني، كتاب عن الحسبة في بيزنطة، ص ١٨٢، هـ ٥٨.

[3] تكتيكون اوسبنسكي Taktikon Uspenskij هي قائمة إدارية بيزنطية تعود إلى عام ٨٤٢-٨٤٣م، وهي مجهولة المؤلف، لذا نسبت إلى مكتشفها وناشرها للمرة الأولى العالم الروسي ث. اوسبنسكي. وفيها قام المؤلف بترتيب موظفي الدولة البيزنطية حسب درجاتهم الوظيفية وحسب هيراركية الألقاب الشرفية التي كانوا يحملونها دليلاً على مكانتهم الاجتماعية والوظيفية في الدولة. وقد قام ا.د. نيقولاس اويكونوميدس بإعادة نشرها مع الترجمة إلى الفرنسية والتعليق عليها عام ١٩٧٢ في *Taktikon Usp.*, dans *Les listes des préséance byzantines des IX^e-X^e siècles*, ed. et trad. N. Oikonomides (Paris 1972), 41 ff.

[4] *Taktikon Usp.*, 49.

[5] بروتوسباثاريوس: سباثا *spatha* تعني سيف، وبروتوس تعني أول، من هنا فاللقب مركب ويعني حامل السيف الأول تمييزاً له عن السباثاريوس، حامل السيف ذو القبضة الذهبية. وهو لقب شرفي ربما يعود إلى القرن السابع الميلادي، كانت شارة حامله عبارة عن قلادة ذهبية مرصعة بالجواهر. Bury, *The Imperial Administrative System*, 22; J. F. Haldon, *Byzantine Praetorians: an Administrative, Institutional and Social Survey of the Opsikion and Tagmata, c. 580-900* (Bonn 1984), 155-160.

وقد كان في الأساس رئيس طبقة الاسباثيرات الإمبراطوريين، ويظهر من عصر جستنيان فصاعداً. انظر: Bury, *The Imperial Administrative System*, 27; Rice, *Everyday Life in Byzantium*, 103.

[6] *Taktikon Usp.*, 51.

[7] *Traité Phil.*, 101.

كليترولوجيون فيلوثيوس: هي قائمة بيزنطية للوظائف وألقابها في الدولة البيزنطية، وهي تعود إلى نهاية القرن التاسع الميلادي ٨٩٩م، وقام فيها فيلوثيوس الذي كان يعمل بالقصر أتريكلينيس *atriklines* بالقصر

بروتوسباثاريوس *protospatharios*.[1]

وفي عهد قسطنطين بورفيروجنيتوس فإنه يأتي في الترتيب الهيراركي في المرتبة الأربعين.[2] أما في عهد يوحنا تزيمسكس فقد تـأخرت مرتبته إلى المرتبة الخمسين، مع ملاحظة أن بطريرك القسطنطينية هو الذي احتل المرتبة الأولى؛ وكان هذا بسبب المدن التي أخذها البيزنطيون من المسلمين آنذاك وحولوها إلى ثيمات على رأس كل منها استراتيجوس، مثل ليكاندوس وطرسوس وسباستيا وميزوبوتاميا وغيرهم.[3]

جدير بالذكر أن والي المدينة كانت له هيئة من الموظفين العاملين تحت إشرافه وعددهم أربعة عشر موظفًا في نهاية القرن التاسع،[4] وقد كشف كتاب الوالي عن بعضهم مثل الليجاتاريوسن الذي كان الوالي يقدمه للإمبراطور عند تعيينه.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المسلمين أطلقوا اسم "الوزير" على والي المدينة، الذي أعطاه ابن حوقل لقب لغثيط أيضا،[5] لأن الوزير كان يعني عندهم المتحدث والمدبر للملك في أمر مملكته،[6] والمعني هنا القسطنطينية في

---

بترتيب جميع موظفي الدولة حسب هيراركيتهم الوظيفية والشرفية، كما بين الألقاب الشرفية الممنوحة لكل واحد من موظفي الدولة، والتي على أساسها يتحدد مرتبته الاجتماعية والوظيفية في الدولة. وقد قسم فيلوثيوس قائمته إلى ثماني عشرة فئة، كما اختص الطواشية بقسم خاص لهم، نظرا للدور الذي كانوا يلعبونه في البلاط. وقد نشر هذه القائمة ا. ريسكي في كتاب Const. Porph., *De Cer.*, I, 702-798. ، كما قام ميني Migne بنشرها في *PG* 112(1897), cols. 1291-1434. ، ثم قام ج. ب. بيوري بنشرها في Bury, *The Imperial Administrative System*, 131-179، كما قام أ.د. نيقولاس اويكونوميدس بإعادة نشرها مع التعليق عليها في *Traité Phil.*, 65-235.

[1] D. J. Geanakoplos, *Byzantium: Church, Society, and Civilization seeing through Contemporary Eyes* (Chicago, London 1984), 49.

[2] *Taktikon Beneševič*, 247.

[3] *Taktikon de l'Escurial*, 265.

[4] *Traité Phil.*, 113. Cf. Bury, *The Imperial Administrative System*, 69-73.

[5] ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٧٨.

[6] القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٤٨.

المقام الأول. غير أنهم لم يدركوا أن الوزير المقصود هو والي المدينة أو محافظ العاصمة بالمصطلح الحديث.

### ٤- الفَرْخ

**المصطلح البيزنطي:** غير معلوم؟

**المفهوم العربي:** الفرخ عند ابن حوقل هو ولي العهد، والذي يعطيه لقب "لغثيط" أيضاً. ويقول عنه: "**وإن الملك يتبعه في المنزلة اللغثيط وهو الوزير، والفرخ من بعده، وللفرخ من المنزلة أنه يلبس خفين أحدهما أحمر والآخر أسود، ولا يتزيًا غيره بهذا الزي، وذلك أن الحكم والقطع والضرب والقود والأدب من مؤامرة للملك إليه.**"[١] ورواية ابن حوقل تشير إلى أن تلك السلطات استثنائية، يعهد بها الإمبراطور للفرخ فقط. وليس من الواضح لماذا استخدم ابن حوقل هذا المقابل العربي لولي العهد.

**الواقع البيزنطي:** ربما كان ولي العهد (القيصر).

### ٥- الرُحُوم

**المصطلح البيزنطي:** غير معلوم ؟

**المفهوم العربي:** ورد هذا اللقب هكذا عند هارون بن يحيى، الذي يصفه على النحو التالي:

"**...ثم يجيء مائة غلام عليهم ثياب مشهرة مرصعة باللؤلؤ يحملون تابوتاً من ذهب فيه كسوة الملك لصلاته، ثم يجيء رجل بين يديه يقال له الرحوم يسكت الناس، ويقول اسكتوا...**"[٢]

**الواقع البيزنطي:** يعتقد دي جويه أن الرُحُوم هو والي المدينة، أي الإيبارخوس، ولكن دون تأكيد منه.[٣] ويعتقد الكسندر فازيليف[٤] أيضاً أنه والي المدينة (الهبارخوس)؛ وجورج استروجورسكي يعتقد أنه البروتوبرايبوزيتُس *protopraeopositus*.[٥]

---

[1] ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٧٨.

[2] ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص ١٢٤.

[3] ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص ١٢٤، هـــ C.

[4] A. Vasiliev, "Harun-ibn-Yahya and his Description of Constantinople," *Seminarium Kondakovianum* 5(1932), 149-163.

[5] نقلاً عن Grégoire, *Un captive arabe*, 668-669.

كان بعض الطواشية العاملين في القصر الإمبراطوري يحملون لقب برايبوزيتوس الوظيفي مثل

غير أن هنري جريجوار يستبعد أن تكون من مهام والـــي المدينـــة أن يقــف ليُسكت الناس.[1]

### ٦- البترك-البطرك-البطريق الأكبر-بطريركس

**المصطلح البيزنطي:** بطريارخيس ὁ πατριάρχης

**المفهوم العربي:** يرد لقب البترك[٢] أو البطرك في إشارات كثيرة في المصادر العربية، إشارة لبطريرك الكنيسة البيزنطية. ويشير ابن الأثير إليه[٣] وإلى بطريرك اللاتين في أنطاكية الصليبية، فيقول عنه: "**وهو عندهم كالإمام الذي للمسلمين لا يخـــالف أمره**".[٤] وهذا يشير إلى أن ابن الأثير كان يقصد بالبطرك البطريرك، ســواء أكان بيزنطياً أم لاتينياً.

أما مؤلف كتاب الأنس الجليل فيعرفه بقوله "**وأما البطرك فهـــو الكـــاهن وكان اسم البطرك يوم ذلك صقريوس...**"[٥] ويقول عنه ابن منظور: "**البطـــرك معروف مقدم النصارى**".[٦]

وقد ذكر المسعودي البطريرك البيزنطي خاصة بشكلين مختلفين "البطرك الأكبر"[٧] "وبطريركس"،[٨] وقال عنه: "...**وهو ملك الدين والقيم بـــه، كمـــا أن الملك صاحب السيف، فهو صاحب كرسي القسطنطينية...وصاحب الكرســـي**

---

البرايبوزيتوس رودانوس Rhodanus في عهد الإمبراطور فالينتيان الأول، وكان ذا سطوة وقوة في القـــصر؛ وأمانتيس Amantis القبقلار والبرايبوزيتوس في عهد جـــستين الأول. والمقطـــع بروتـــو proto يفيـــد أنـــه البرايبوزيتوس الأول في القصر. *Chronicon Paschale*, 47, 102.

[1] Grégoire, *Un captive arabe*, 669.

[2] الواقدي، فتوح الشام، (بيروت د.ت.)، ج١ ، ص ٢٣٤.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص ٢٥١-٢٥٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤ ، ص ٣٩١.

[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٩، ص ١٢٧. تشير المصادر الأخرى إلى بطرك اللاتين، انظر: أبي شـــامة، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم الزيبق، ج٣ (بيروت ١٩٩٧)، ص ٣٣٤، ٣٤٧، ٣٥٠، وغيرها.

[5] مجير الدين العليمي، الأنس الجليل، تحقيق عدنان يونس نباته، (عمان ١٩٩٩)، ج ١ ، ص ٢٥٥.

[6] ابن منظور، لسان العرب، (بيروت د.ت.)، ج١٠، ص ٤٠١.

[7] المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص ٣١٣.

[8] المسعودي، التنبيه والإشراف، تحقيق عبد الله إسماعيل الصاوي (القاهرة ١٩٣٨)، ص ١٢٣.

**هو شريك الملك ليس يساوي الملك في الخلق أحد إلا هو، ولا يكفر الملك إلا له، وإذا جلس الملك جلس على كرسي من ذهب وجلس البطريرك على كرسي من حديد، فما كان من نفقات الحرب وجباية الخراج وإعطاء الجند فهو إلى الملك، وما كان من أموال الأحباس والوقوف لنفقات الكنائس والديرة والأساقفة والرهبان وما أشبه ذلك من أمر دينهم فهو إلى البطريرك، وله في كل بند عامل مثل عامل الملك؛ والبطريرك لا يأكل اللحم ولا يطأ النساء ولا يتقلد السيف ولا يركب الخيل، وإذا أراد أن يركب ركب حماراً وحول رجليه على جانب مثل ركوب النساء".**[1]

ويصف ابن خلدون منصب البطريرك تماماً عندما يقول عنه: "**...والمقيم لمراسمه يسمونه البطرك وهو رئيس الملة وخليفة المسيح فيهم ويبعث نوابه وخلفاءه إلى من بعد عنهم من أمم النصرانية ويسمونه الأسقف أي نائب البطرك...وكان الأساقفة يسمون البطرك أبا والقسوس يسمون الأساقفة أبا فوقع الاشتراك في اسم الأب فاخترع اسم_البابا لبطرك الإسكندرية ليتميز عن الأسقف في اصطلاح القسوس ومعناه أبو الآباء فاشتهر هذا الاسم ثم انتقل إلى بطرك رومة لأنه صاحب كرسي بطرس كبير الحواريين ورسول المسيح وأقام على ذلك لهذا العهد يسمى البابا.**"[2]

أما التنوخي فذكر عبارة "**البطريق الأكبر**" عند حديثه عن مناظرة قباث بن رزين اللخمي مع بطارقة الروم، الذين رفض مناظرتهم وطلب البطريق الأكبر ليناظره دينياً، وكان شيخاً مسناً.[3]

---

[1] المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ١٤٧.

[2] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، (بيروت ١٩٨٤)، ج٢، ص ١٧٤-١٧٥؛ ابن خلدون، مقدمة بن خلدون (بيروت ١٩٨٤)، ص ٢٣٣.

[3] التنوخي، كتاب الفرج بعد الشدة، تحقيق عبود الشالجي، (بيروت ١٩٧٨)، ج٢ ، ص ٢٠٤. انظر أيضاً: M. Canard, "Les aventures d'un prisonnier arabe et d'un patrice byzantin à l'époque des guerres bulgaro-byzantines," *DOP* 9(1956), 62.

وأخيراً يرد اسم البطرك بصورة أخرى، حيث يرد في بعض المصادر بتخفيف الطاء وقلبها تاء "البترك".[1] ويوضح القلقشندي-بوعي واضح-أن أصل كلمة البطرك هي البطريرك.[2]

**الواقع البيزنطي:** كان هذا اللقب الديني (البطريرك) يحمله الأسقف الذي يتولى رئاسة الكنيسة البيزنطية، أي بطريركية القسطنطينية، ويرد في المرتبة الأولى في قائمة تكتيكون اوسبنسكي، في عهد الإمبراطور ميخائيل الثالث.[3] أما في عهد ليو السادس فإنه يأتي على رأس أصحاب الصدارة في القسم الثاني من الكليترولوجيون.[4] أما في عهد الإمبراطور قسطنطين بورفيروجنيتوس فيأتي في المرتبة الثانية بعد بابا روما.[5] وفي عهد يوحنا تزيمسكس يعود ليحتل المرتبة الأولى بعد الإمبراطور.[6]

وإذا كان المسلمون قد أسقطوا أجزاءً من نهاية الكلمة اليونانية πατριάρχης فلعلة لغوية بحتة، غير أنهم فهموا وظيفة البطريرك تماماً؛ ويعتبر المسعودي هو الوحيد الذي دون المسمى كما ينطق في اليونانية "بطريركس".

## ٧- اللُّغُثيط

**المصطلح البيزنطي:** لُغُثيطيس ὁ λογοθέτης

**المفهوم العربي:** يرتب مسلم بن أبي مسلم الجرمي من يحملون لقب لغثيط-بعد إسقاطه للنهاية اليونانية "-ης" من الكلمة- ممن يلي وزير الملك مباشرة في المكانة على النحو التالي: اللغثيط صاحب ديوان الخراج، وصاحب عرض الكتب، والحاجب، وصاحب ديوان البريد.[7]

---

[1] ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٣١٩؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ٢، ص ٢٧٦؛ ج٥، ص ٤٧، ٤٧٧؛ مجير الدين العليمي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٥٩.

[2] القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٧٣.

[3] *Taktikon Usp.*, 47.

[4] *Traité Phil.*, 135.

[5] *Taktikon Beneševič*, 243.

[6] *Taktikon de l'Escurial*, 263.

[7] ابن خردانبه، المسالك والممالك، ص ١١٢؛ الهمذاني، كتاب البلدان، ص ١٩١.

**الواقع البيزنطي:** نقابل هذا اللقب الوظيفي في العصر البيزنطي الباكر، حيث نقابل اللغثيط قسطنطين لارديس Constantine Lardys ، الوالي البرايتوري السابق، وأمين قصر هورميسداس Hormisdas الملكي في عهد الإمبراطور موريس.[1] وفيما بعد كان هذا اللقب الوظيفي يُمنح لعدد من موظفي الدولة البيزنطية الكبار الذين اعتبرهم أ.د. الباز العريني وزراء، وهم الذين يتولون نقل الأوامر الإمبراطورية إلى سائر أنحاء الدولة. ومن هؤلاء الموظفين الكبار أربعة يعرف كل منهم بـاللغثيط، ومنهم "لغثيط الدرومون" (ὁ λογοθέτης τοῦ δρόμου)، الذي تولى أول الأمر الإشراف على إدارة النقل والبريد، ويمكن ترجمة وظيفته بـ **"ناظر البريد والاتصال"**؛[2] ثم أصبح مشرفاً على الأمن الداخلي والشرطة، والشئون الخارجية، والمراسلات واستقبال السفراء؛[3] ومن أشهر الشخصيات على قوة ومكانة هذا اللغثيط البطريق ستاوراكيوس في عهد الإمبراطورة أيرين (٧٩٧-٨٠٢م)، وكان خصيًا.[4] ولم يلبث أن صار بعد القرن العاشر الميلادي كبير الوزراء ويعرف باسم اللغثيط الكبير.

---

[1] *Chronicon Paschale*, 143.

كان الوالي البرايتوري آنذاك ينتمي إلى فئة أعوان الإمبراطور. والمعنى الحرفي للقبه الوظيفي هو قائد الحرس أو قائد المعسكر الإمبراطوري. وقد تغير الواقع الاستراتيجي لهذه الوظيفة في العصر البيزنطي الباكر صعودا وهبوطاً على أن اختفت من المصادر البيزنطية بعد ذلك. انظر: وسام فرج، **الألقاب والمناصب الحكومية**، ص ٤١.

[2] اعتمدنا في إيجاد المقابل العربي لهذه الوظيفة البيزنطية على ما رصده الأستاذ الدكتور حسن الباشا "الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية (القاهرة ١٩٦٦)، ج ٣، ص ١١٧٧، من قوله أن لفظة "ناظر" كانت تطلق على المشرف وبخاصة المالي. واسم هذه الوظيفة مأخوذ إما من النظر الذي هو رأي العين لأنه يدير نظره في أمور ما ينظر فيه، وإما النظر بمعنى الفكر، لأنه يفكر فيما فيه المصلحة من ذلك. وهكذا يتم تركيب لفظة الناظر على مسمى الوظيفة. ومن ثم، بناءاً على هذه القاعدة، فقد سرنا على تعريب كلمة لغثيط بالمشرف على كذا أو كذا حسب الوظيفة البيزنطية. وربما تفيد عبارة "ناظر كذا" "المشرف على كذا" أو المسؤول الأول. غير أننا لا نملك دليلاً تاريخيًا على مقابلة لفظة لغثيط بلفظة وزير، بمفهوم المسلمين قديما أو بمفهومنا حاليا، حيث كان اللغثيط أحيانًا يقود قوات الجيش أو يتولى سفارة دبلوماسية.

[3] عنه انظر: Bury, *The Imperial Administrative System*, 91-93.

[4] R. Guilland, "Les eunuques dans l'émpire byzantine" études de titulature et de prospographie byznatines," *ÉB* 1(1943), 207.

ويلي "الوزير الكبير"، "لغثيط الجنيكون" (ὁ λογοθέτης τοῦ γενικοῦ)، وهو اللغثيط الذي يشرف على الخزانة العامة[1] ويمكن ترجمة وظيفته بـ "ناظر الخزانة العامة"،[2] ثم "لغثيط الاستراتيوتيكون" (ὁ λογοθέτης τοῦ στρατιωτικου )، وهو اللغثيط الذي يتولى الخزانة العسكرية،[3] ويمكن أن نترجم وظيفته بـ "ناظر الخزانة العسكرية".[4] أما اللغثيط الرابع فهو "لغثيط الأجيلون" (ὁ λογοθέτης τοῦ ἀγελῶν)،[5] وهو اللغثيط الذي يشرف على ضياع الإمبراطور وقطعانه،[6] ويمكن ترجمة وظيفته بـ "ناظر الضياع الملكية"[7] وفي القرن الحادي عشر يزدادون لغثيطاً خامساً يسمى "لغثيط الإيديكون (ὁ λογοθέτης τοῦ εἰδικοῦ)، الذي كان مسؤولاً عن موارد ممتلكات الدولة الخاصة،[8] ويمكن ترجمة وظيفته بـ "ناظر الموارد الخاصة".[9]

---

[1] عنه انظر: Bury, *The Imperial Administrative System*, 86-90.

[2] اعتمدنا في إيجاد المقابل العربي لهذه الوظيفة البيزنطية على ما رصده الأستاذ الدكتور حسن الباشا "الفنون الإسلامية والوظائف، ج ٣، ص ١٢٠٢، حيث عرف المسلمون هذه الوظيفة لاسيما في عصر المماليك.

[3] عنه انظر: Bury, *The Imperial Administrative System*, 90-91.

[4] اعتمدنا في إيجاد المقابل العربي لهذه الوظيفة البيزنطية على ما رصده الأستاذ الدكتور حسن الباشا "الفنون الإسلامية والوظائف ، ج ٣، ص ١٢٠٢.

[5] عنه انظر: Bury, *The Imperial Administrative System*, 111.

[6] الباز العريني، الدولة البيزنطية، ص ٣١٨؛ رنسمان، س.، الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق جويد (القاهرة ١٩٦١)، ص ١٠٢؛ ليلى عبد الجواد، "القسطنطينية في ضوء كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين، مجلة المؤرخ المصري، عدد ٣ (١٩٨٩)، ص ١٧٦-١٧٧.

[7] اعتمدنا في إيجاد المقابل العربي لهذه الوظيفة البيزنطية على ما رصده الأستاذ الدكتور حسن الباشا "الفنون الإسلامية والوظائف ج ٣، ص ١٢٠٢، ١٢٠٧-١٢١٠، حيث كان يسمى ناظر الخواص وهو المسؤول عن أموال وضياع السلطان.

[8] وسام عبد العزيز فرج، الألقاب والمناصب الحكومية، ص ٤٥؛ N. Okonomidès, *Les listes des préséance byzantines des IXe-Xe siècles* (Paris 1972), 316-317.

[9] اعتمدنا في إيجاد المقابل العربي لهذه الوظيفة البيزنطية على ما رصده الأستاذ الدكتور حسن الباشا "الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج ٣، ص ١٢٠٥.

ويرد لغثيط الجنيكون γενικοῦ في تكتيكون اوسبنسكي في المرتبة السادسة والثلاثين حاملاً لقب بطريق؛ أما إذا لم يكن حاملاً لقب بطريق فيأتي في المرتبة السادسة والخمسين. أما لغثيط الـ στρατιωτικοῦ فيأتي في المرتبة الثامنة والثلاثين حاملاً لقب بطريق، أما إذا لم يكن حاملاً لقب بطريق فيأتي في المرتبة الخامسة والستين. أما لغثيط الدرومون δρόμου فيأتي في المرتبة الأربعين، أما إذا لم يكن حاملاً لقب بطريق فيأتي في المرتبة السابعة والستين. ويأتي بطريق الأجيلون ἀγελῶν حاملاً لقب بطريق في المرتبة الحادية والأربعين، أما إذا لم يكن حاملاً لقب بطريق فيأتي في المرتبة الثامنة والستين.[١] كما يقابلنا "لغثيط البرايتوريوم" ὁ λογοθέτης τοῦ πραιτωρίου (مجموعة المنشآت الإمبراطورية في العاصمة كالقصر وملحقاته وحبوسه وغيرها)،[٢] ويمكن ترجمة وظيفته بـ "ناظر القصور الملكية والحبوس"[٣] ويحتل مرتبة متأخرة نسبياً في قائمة اوسبنسكي.[٤]

أما في الكليترولوجيون فيأتي لغثيط الـ γενικοῦ في المرتبة الثالثة والثلاثين، ولغثيط الاستراتيوتيكون στρατιωτικοῦ في المرتبة الخامسة والثلاثين، ولغثيط الدرومون δρόμου في المرتبة السابعة والثلاثين، ولغثيط الأجيلون ἀγελῶν في المرتبة الأربعين.[٥] وتعيد الكليترولوجيون تصنيف الثلاثة الأول ثانية ضمن موظفي هيئة المجالس الإمبراطورية (σέκρετα)؛ أما لغثيط الأجيلون ἀγελῶν فيضعه ضمن فئة الاستراتارخات (στρατάρχας)، والتي تلي فئة ديمارخات

---

[1] *Taktikon Usp.*, 51-53.

[2] عن البرايتوريوم انظر: R. Janin, *Constantinople byzantine* (Paris 1950), 163-166; R. Guilland, *Études de topographie de Constantinople byzantine*, I (Berlin-Amsterdam 1969), 36-39.

[3] اعتمدنا في إيجاد المقابل العربي لهذه الوظيفة البيزنطية على ما رصده الأستاذ الدكتور حسن الباشا "الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج ٣، ص ١١٩٨.

[4] *Taktikon Usp.*, 59.

[5] *Traité Phil.*, 101-103.

(δήμαρχοι) الزرق والخضر.[1] كذلك تم تصنيف لغثيط البرايتوريوم ضمن هيئة موظفي والي المدينة،[2] وهذا يشير إلى تدني رتبته على الرغم من أنه حمل لقب لغثيط. وكان هؤلاء اللغثيطات، عدا لغثيط البرايتوريوم، يحملون على التوالي اللقبين الشريفين "**أنثيباطوس وبطريق**"،[3] وكذلك لقب "**البروتوسباثاريوس**" (=حامل السيف الأول).[4] أما لغثيط البرايتوريوم فقد حمل لقب "**سباثاريوس**" (=حامل سيف) فقط.[5]

وفي عهد الإمبراطور قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس يرد لغثيط الـ γενικοῦ في المرتبة الستين حاملاً لقب "بروتوسباثاريوس". أما لغثيط الاستراتيوتيكون στρατιωτικοῦ فيأتي في المرتبة الثالثة والستين حاملاً لقب "بروتوسباثاريوس". أما لغثيط الدرومون δρόμου فيأتي في المرتبة الثامنة والستين حاملاً لقب "**بروتوسباثاريوس**". ويأتي بطريق الأجيلون ἀγελῶν في المرتبة التاسعة والستين حاملاً لقب "**بروتوسباثاريوس**".[6] وتنبغي الإشارة هنا إلى أن أحد موظفي هيئة البطريرك من الأراخنة كان يحمل آنذاك لقب "**لغثيط**"، وكان صغير المقام لأنه احتل المرتبة التاسعة بعد المائة بين موظفي الدولة.[7] واختفى لغثيط البرايتوريوم في عهد الإمبراطور قسطنطين السابع.[8]

وفي عهد الإمبراطور يوحنا تزيمسكس يرد لغثيط الـ γενικοῦ في المرتبة الثالثة والعشرين بعد المائة. أما لغثيط الاستراتيوتيكون στρατιωτικοῦ فيأتي في المرتبة السادسة والعشرين بعد المائة. أما

[1] *Traité Phil.*, 107.
[2] *Traité Phil.*, 113.
[3] *Traité Phil.*, 139.
[4] *Traité Phil.*, 145.
[5] *Traité Phil.*, 153.
[6] *Taktikon Beneševič*, 249.
[7] *Taktikon Beneševič*, 251.
[8] تكتيكون بنشفيك، هي قائمة لتصدر الألقاب والوظائف البيزنطية في عصر قسطنطين بورفيروجنيتوس، حيث تعود إلى عام ٩٣٤-٩٤٤م. وقد حملت اسم ناشرها لأول مرة V. Beneševič ، وقد أعاد نشرها ا.د. نيقولاس اويكونوميدس في باريس عام ١٩٧١ مع ترجمة فرنسية لها. انظر: *Taktikon de l'Escurial,* 237-243.

لغثيط الـ δρόμου فيأتي في المرتبة الحادية والثلاثين بعد المائة. ويأتي بطريق الأجيلون ἀγελῶν في المرتبة الثانية والثلاثين بعد المائة، وجميعهم دون ألقاب شرفية.[1] ولعل هذا التدني في مراتبهم مقارنة بوضعهم في القرن التاسع، نتيجة لرفع عدد كبير من المدن التي تم الاستيلاء عليها من المسلمين إلى درجة ثيم، مما ترتب عليه زيادة عدد حكام الأقاليم.



جدير بالذكر أن لغثيط الجنيكون γενικου كانت لديه هيئة موظفين مكونة من اثنا عشر موظفاً.[2] أما لغثيط الاستراتيوتيكون στρατιωτικου فكانت هيئة موظفيه مكونة من سبعة موظفين، منهم محاسبين للشئون المالية للثيمات، وآخرين للتاجماتا.[3]وكانت هيئة موظفي لغثيط الدرومون δρόμου مكونة من سبعة موظفين. وأخيراً كانت هيئة موظفي لغثيط الأجيلون ἀγελῶν مكونة من خمسة موظفين، منهم من هو موزع على آسيا وفريجيا وكذلك على الميتاتا الإمبراطورية وغيرها.[4]

وهكذا، فإن وجود مسلم بن أبي مسلم الجرمي في القسطنطينية أسيرًا أتاح له فرصة التعرف على عددٍ من موظفي الإدارة البيزنطية ممن حملوا لقب لغثيط الوظيفي متبوعاً بمدلول الوظيفة. ومع هذا لم يقدم مسلم الجرمي تفسيراً للفظة لغثيط، غير أنه يفهم من أقواله أنه فهم هذا اللفظ على أنه لقب وظيفي، حيث ذكر عددًا ممن يحملون لقب لغثيط؛ وهو هنا مصيب فيما كتب، حيث يقول "**اللغثيط صاحب ديوان الخراج...**"

### ٨- الدوقس

**المصطلح البيزنطي:** دوقس ὁ δοὺξ

**المفهوم العربي:** ورد هذا اللقب مرتبطًا بعبارة "صاحب الروم" عند ابن الأثير في معرض حديثه عن هجوم البيزنطيين على أفامية والشام في مستهل حكم الحاكم بأمر

---

1 *Taktikon de l'Escurial*, 269.
2 *Traité Phil.*, 113-115.
3 *Traité Phil.*, 115.
4 *Traité Phil.*, 117.

الله الفاطمي سنة ٣٨٦هـ/٩٩٨م.[1] ثم يعاود ابن الأثير الحديث عن هجوم الإمبراطور رومانوس أرجيروس Romanus Argyrus (١٠٢٨-١٠٣٤م) على الشام عام ٤٢١هـ/١٠٣٠م ويذكر أنه كان بصحبته ابن الدوق.[2]

**الواقع البيزنطي:** كان يحمل هذا اللقب في العصر البيزنطي الباكر المشرف على ضياع مصر في عهد الإمبراطور جوليان المرتد (٣٦١-٣٦٣م)، وكذلك أسكليبياديس Asclepiades دوق فلسطين (حاكم فلسطين) في عهد الإمبراطور زينون (٤٧٤-٤٩١م)، [3] ودوق ليبيا وكذلك دوق موريتانيا في القرن السادس الميلادي.[4]

أما في العصر البيزنطي الأوسط فإن الدوق كان لقباً لحاكم أنطاكية المدعو دَلاسينوس–وليس لقبًا لصاحب الروم– حيث قتل الدوق دلاسينوس في المعركة التي خاضها مع المسلمين، وقد أُسر أبناء الدوق وجماعة من رؤساء عسكره، وحُملوا إلى مصر.[5] وبطبيعة الحال فقد تم تداول هذا اللقب فيما بعد في القسطنطينية نفسها للإشارة إلى الأمراء اللاتين الذين غزوا المدينة عام ١٢٠٤م، حتى صار كبيرهم يعرف بالدوق العظيم *megas dukas*.[6]

ويقابلنا هذا اللقب في تكتيكون الاسكوريال، التي تعود إلى الربع الأخير من القرن العاشر الميلادي، حيث تذكر على التوالي دوق أنطاكية، ودوق ميزوبوتاميا، ودوق خالديا، ودوق تسالونيك، ودوق هادريانوبوليس، ويدرجون جميعهم ضمن منسوبي الطبقة الثانية من موظفي الدولة، ودون ألقاب شرفية، بدءاً من المرتبة التاسعة عشرة.[7] وظهور هذا اللقب ضمن الألقاب البيزنطية في نهاية القرن العاشر ربما كان نتيجة لتحويل عدد من المدن التي استولى

---

[1] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٧، ص ٤٨٠-٤٨١.

[2] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص ١٩٢؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص ٢٧٦؛ ج٤، ٣٥١.

[3] *Chronicon Paschale*, 39, 95.

[4] Haldon, *Byzantine Praetorians*, 124.

[5] الباز العريني، الدولة البيزنطية، ص ٥٨٨.

[6] Geanakoplos, *Byzantium: Church, Society, and Civilization*, 56.

[7] *Taktikon Escurial*, 263.

عليها البيزنطيون من المسلمين إلى ثيمات أو دوقيات، وحتى يميزوا بين الدوقات وبين الاستراتيجوسات، حكام الثيمات.

على أية حال، ربما كان ابن الأثير يقصد هنا أن "**الدوق صاحب الروم**" أي حاكم الروم ممن يعيشون في أنطاكية، وليس بالضرورة أنه يقصد ملك الروم. وإذا كان هذا الافتراض مقبولاً فإن ابن الأثير يكون قد فهم لقب الدوق فهماً صحيحاً.

### ٩- الماخسطرس

**المصطلح البيزنطي:** ماجِستروس ὁ μάγιστρος

**المفهوم العربي:** يرد ذكر الماخسطرس في الحروب التي نشبت بين أحمد بن الحسين التغلبي المعروف بالأصفر وبين البيزنطيين في بلاد الشام، دون تفاصيل عنه.[١]

**الواقع البيزنطي:** كان الماجستيروس في فترة مبكرة من عمر بيزنطة موظفاً إما مدنيًا أو عسكريًا، مثل وظيفة رئيس الدواوين *magister officiorum*، أو قادة الجيش *magistri militum* كقائد إفريقية العسكري *magister militum per Africam* أو قائد قوات أرمينيا العسكري *magister militum per Arminiam* أو قائد قوات الشرق العسكري *magister militum per Orientem* أو قائد القوات الإمبراطورية *magister militum per praesentalis* وغيرهم.[٢]

وفي القرن الثامن نجد من يحمل لقب ماجستيروس يلعب دوراً في المراسم الإمبراطورية، كرئيس أو مشرف عام المراسم، كما وصف فيما بعد على أنه κεφαλὴ τοῦ σεκρέτου والتي قد تعني أنه كان الأعلى مكانة عند إجراء المقابلات الإمبراطورية. عندما لم يكن هناك في الإمبراطورية سوى ماجستيروس واحد فقط.[٣]

---

[1] ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، (دمشق د.ت.)، ج٢ ، ص ٦٩٩-٧٠٠.

[2] Haldon, *Byzantine Praetorians*, 165.

[3] انظر: Bury, *The Imperial Administrative System*, 29-33.

وقد تطورت هذه الوظيفة بعد ذلك في القرن التاسع حيث ترد في تكتيكون اوسبنسكي في المرتبة الخامسة بعد بطريرك القسطنطينية؛[1] مما يعكس علو شأن الماجستيروس في عصر ميخائيل الثالث، زمن تحرير تلك القائمة. غير أنه بنهاية القرن التاسع نجد أن لقب "**الماجستيرات النبلاء**" يأتي في المرتبة الرابعة عشرة من بين ألقاب موظفي الدولة.[2]

وعند أواسط القرن العاشر كان الماجستيروس يأتي في المرتبة العاشرة ، طبقاً لتكتيكون بنشفيك؛[3] وفي المرتبة التاسعة، والعاشرة عند نهاية ذلك القرن، طبقاً لتكتيكون الاسكوريال.[4]

جدير بالذكر أن شارة الماجستيروس كانت عبارة عن تونك أو سترة موشاة بالذهب الأبيض وعباءة وزنار.[5]

## ١٠- القاضي

**المصطلح البيزنطي: كريتيس** κριτης

**المفهوم العربي:** وردت لفظة القاضي[6] هكذا عند مسلم الجرمي دون زيادة، ويأتي في ترتيب الصدارة عنده بعد اللغثيط ناظر البريد.[7]

ويرد ذكره أيضاً عند ابن بطوطة حيث يقول إن البيزنطيين يسمونه النجشي كِفالي. وقد أرسلَ القاضي لابن بطوطة فصعد إلى القبة حيث رأى شيخاً حسن الوجه واللمة [هكذا]، عليه لباس الرهبان، وهو الملف الأسود، وبين يديه نحو عشرة من الكتاب يكتبون.[8]

---

1 *Taktikon Usp.*, 47.

2 *Traité Phil.*, 95.

3 *Taktikon Beneševič*, 245.

4 *Taktikon Escurial*, 263.

5 Bury, *The Imperial Administrative System*, 22.

6 القضاء عند المسلمين يعني في بعض الآراء إحكام الشيء والفراغ منه؛ أو أن القاضي يسمي قاضيا إذا قام بالفصل بين الخصمين وفرغ. ومن العلماء من يقول إن القضاء معناه القطع، يقال قضى الشيء أي قطعه. انظر: حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، ج ٢، ص ٨٣٤.

7 ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ١١٢؛ الهمذاني، كتاب البلدان، ص ١٩١.

8 رحلة ابن بطوطة، ص ٣٥٥.

**الواقع البيزنطي**: يمكن اعتبار أن هيئة القضاء في بيزنطة تتكون من شخصيتين رئيسيتين هما "**والي المدينة والكويستور**(κυαίστωρ)"، ومع هذا نقابل "**قاضي المظالم** (ὁ τοῦ δεήσεως)"،[1] الذي يبدو أن مهمته اقتصرت على النظر المبدئي في المظالم المقدمة للإمبراطور وكذلك تجهيزها للعرض عليه؛[2] ونقابل بنهاية القرن التاسع الميلادي أيضاً "**قضاة الأحياء أو الضواحي** (κριταὶ τῶν ῥεγεώνων)"، وهي أحياء القسطنطينية الأربعة عشر،[3] ويتبعون هيئة موظفي والي المدينة؛[4] التي يبدو أن مهمتهم كانت النظر المبدئي في القضايا قبل عرضها على والي المدينة.[5]

وفي القرن العاشر الميلادي يظهر الكويستور في المرتبة الثانية والستين، وقاضي المظالم في المرتبة السادسة والثمانين حاملاً لقب "**بروتوسباثاريوس**".[6] أما الكويستور فيظهر في تكتيكون الاسكوريال في المرتبة الخامسة والعشرين بعد المائة، وقاضي المظالم في المرتبة الستين بعد المائة.[7]

ويبدو هنا أن الجرمي ذكر قاضي القسطنطينية دون أن يميز هل كان والي المدينة أم الكويستور أم والي العرائض، وهذا يبين أنه لم يلم بالتنظيم القضائي في بيزنطة وقت مكوثه أسيراً في العاصمة البيزنطية.

---

1 *Traité Phil.*, 107. See also Bury, *The Imperial Administrative System*, 69-78.
2 Bury, *The Imperial Administrative System*, 77.
3 Oikonomides, *Les listes des préséance byzantines*, 320.
4 *Traité Phil.*, 113.
5 وسام عبد العزيز فرج، الألقاب والمناصب الحكومية، ص ٣٦.
6 *Taktikon Beneševič*, 249, 251.
7 *Taktikon Escurial*, 269, 271.

## ١١- براكنميس - البركموس

**المصطلح البيزنطي: بَرَاكويموميتوس ὁ παρακοιμώμενος**

**المفهوم العربي:** تقابل هذه الوظيفة عند المسعودي عندما يشير إلى تولي باسيل المقدوني (٨٦٧-٨٨٦م) وظيفة براكنميس زمن ميخائيل الثالث، ويشير إلى أن تفسير الكلمة هو "المدبر للملك".[1]

أما أبو شجاع فيشير إليها في معرض حديثه عن ذهاب المبعوث العباسي أبي إسحق بن شهرام إلى القسطنطينية لمقابلة الإمبراطور باسيل الثاني (٩٧٦-١٠٢٥م)، حيث كان على المبعوث العباسي أن يقابل البركموس أولاً قبل أن يحظى بمقابلة الإمبراطور؛ كما كان على البركموس أن يتولى المباحثات البيزنطية مع السفير العباسي.[2]

**الواقع البيزنطي:** النطق الصحيح هو البَرَاكويموميتوس، وهي وظيفة كان يختص بها أحد الخصيان في البلاط البيزنطي، الذين علا نجمهم في سماء بيزنطة بدءاً من منتصف القرن التاسع الميلادي وتحكموا في شتى وظائف البلاط البيزنطي الأكثر أهمية؛[3] وكانت مهمة الخصي شاغل هذه الوظيفة العناية بكل شؤون غرفة نوم الإمبراطور والقيام على أمنها. لذا كان ينام في غرفة مجاورة لغرفة نوم الإمبراطور.[4]

وهذه الوظيفة كانت هي الأكثر أهمية من بين وظائف الخصيان في القصر الإمبراطوري، حيث جمع شاغلها بين مهام برايبوزيتيس *praepositus* وقُبقلار *koubikoularios* القرن الثامن الميلادي، اللذين تغيرت مهامهما فيما بعد.[5]

---

[1] المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ١٤٦.

[2] انظر: أبو شجاع، نيل كتاب تجارب الأمم، (القاهرة ١٩١٦)، ص ٢٩-٣٨. انظر أيضاً، سليمان الرحيلي، السفارات الإسلامية إلى الدولة البيزنطية (الرياض ١٤١٤هـ)، ص ١١٨-١٢٥.

[3] K. M. Ringrose, *The Perfect Servant: Eunuchs and the Social Construction of Gender in Byzantium* (Chicago, London 2003), 163.

[4] Rice, *Everyday Life in Byzantium*, 85; Bury, *The Imperial Administrative System*, 124.

[5] Ringrose, *The Perfect Servant*, 169.

وهكذا، يبدو أن وظيفة البَرَاكويموموينوس تعود إلى نهاية عصر الإمبراطور ميخائيل الثالث (٨٤٢-٨٦٧م)، حيث شغلها باسيل المقدوني Basil I آنذاك. ومن أشهر الشخصيات التي شغلت هذه الوظيفة على سبيل المثال ساموناس Samonas، ذو الأصل العربي وذو المكانة الرفيعة في البلاط، حيث رفعه الإمبراطور ليو السادس الحكيم إلى وظيفة بَرَاكويموموينوس لتزاد بهذا ليس مكانته في البلاط آنذاك فحسب بل مكانة الطواشية جميعاً في عهد ليو الحكيم؛[1] وكذلك البطريق ثيوفانيس في عهد رومانوس ليكابينوس؛[2] وباسيل، الابن غير الشرعي للإمبراطور رومانوس ليكابينوس Romanus Lecapenus (٩٢٠-٩٤٤م)، الذي رقي إلى هذه الوظيفة بعد أن كان يشغل وظيفة "**اللَّبيس الأول للإمبراطور**" (بروتوفيستاريوس *protovestiarius*) في عهد الإمبراطور قسطنطين السابع، الذي أرسله على رأس حملات حربية خارجية.[3]

ومن فرط ثقة الإمبراطور البيزنطي في البَرَاكويموموينوس فقد أسند الإمبراطور نقفور فوقاس (٩٦١-٩٦٣م) إلى باسيل ليكابينوس مهمة مباشرة المفاوضات مع الأسقف ليوتبراند الكريموني Liutprand of Cremona حول مشروع الزواج بين الإمبراطور أوتو الأول وإحدى الأميرات

[1] S. Tougher, *The Reign of Leo VI (886-912)* (Leiden, New York, Köln 1997), 198 ff. Cf. L. Rydén, "The Portrait of the Arab Samonas in the Byzantine Literature", *GrA* 3(1984), 101-108; Romily J. Jenkins, "The Flight of Samonas", *Speculum* 23/2(Apr. 1948), 217-235.
بلغ الطواشية مكانة كبيرة في القصر البيزنطي في عهد الإمبراطور ليو السادس الحكيم وعجت بهم الإدارة البيزنطية آنذاك لدرجة أن ليو السادس أصدر مرسوماً قانونياً يتيح لهم حق التبني، وهو ما كان ممنوعاً منذ عهد الإمبراطور جستنيان الأول. ولابد أن صدور مثل هذا القانون لصالح الطواشية كان بتأثير مباشر من البَرَاكويموموينوس. انظر: *Les novelles de Leon VI le sage*, ed. P. Noailles and A. Dain (Paris 1944), 233:60. Cf. Guilland, *Les eunuques dans l'émpire byzantine*, 201.

[2] Guilland, *Les eunuques dans l'émpire byzantine*, 208.

[3] Ringrose, *The Perfect Servant*, 129-130.

البيزنطيات، وهي المفاوضات التي انتهت بالفشل. هذا بالإضافة إلى المكانة الكبيرة التي أحرزها في عهد الإمبراطور يوحنا تزيمسكس أيضاً.[1]

وفي عهد الإمبراطور قسطنطين الثامن (١٠٢٥-١٠٢٨م) نجده يعهد للبَرَاكويمومينوس الخصي نيقولاس بقيادة فرقة حرس الاسكلارية، وللخصي يوستاثيوس بقيادة فرقة حرس الهيتارية.[2] كما أرسل الإمبراطور أندرونيقوس الأول كومنينوس Andronicus I Komnenus (١١٨٣-١١٨٥م) نقفور البَرَاكويمومينوس على رأس جزء من الجيش الإمبراطوري لقتال اللاتين؛ كذلك كلف الإمبراطور ألكسيوس الثالث أنجيلوس Alexius III Angelus (١١٩٥-١٢٠٣م) البَرَاكويمومينوس يوحنا يونوبوليتيس John Ionopolites بالتعامل مع بعض المشكلات السياسية آنذاك.[3]

على أية حال، فإن الأمثلة التي ذكرت سابقاً على تولي البَرَاكويموميناوس مناصب رفيعة في الدولة البيزنطية إضافة إلى وظيفته الأصلية والمتعلقة بغرفة نوم الإمبراطور كل هذا إن دل فإنه يدل على علو مكانته في البلاط البيزنطي لدرجة جعلت الإمبراطور يثق فيه ويوليه قيادات عسكرية رفيعة المقام وغيرها من المهام السامية.

ويرد ذكر البَرَاكويموميناوس ضمن الطواشية في الكليترولوجيون، حيث يُذكر بَرَاكويموميناوس الإمبراطور على رأس هيئة الطواشية من خدم الإمبراطور، والتي تتكون من تسعة خدم رئيسيين.[4] ولا يظهر البَرَاكويموميناوس في قوائم التصدر في القرن العاشر الميلادي، ولعل سبب

---

[1] Liutprand of Cremona, *The Complete Works of Liutprand of Cremona*, Eng. trans. Paolo Squatriti, *Translated texts in Translation* (Washington, D.C. 2007), 248 ff.; Ringrose, *The Perfect Servant*, 130;

انظر أيضا: وسام عبد العزيز فرج، الألقاب والمناصب الحكومية، ص ٥١.

[2] G. Cedrenus, *Compendium Historiarum*, ed. I. Bekker, *CSHB* (Bonn 1838), II, 480-481.

[3] Ringrose, *The Perfect Servant*, 140.

[4] *Traité Phil.*, 133.

ذلك أن الطواشية سمت مكانتهم في البلاط البيزنطي وازداد نفوذهم أكثر آنذاك فحملوا ألقاباً شرفية عديدة أغنتهم عن الألقاب الوظيفية.[1]

وهكذا، يمكن القول أن المسعودي أشار إلى نقطة مهمة هي خلاصة المكانة التي وصل إليها البَراكويموميونس في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين بحيث أصبح مدبراً للإمبراطور بحكم قربه الشديد منه، لدرجة أهلته لتولي المباحثات الدبلوماسية مع الرسل الأجانب كالمبعوث العباسي أو المبعوث الألماني، وهو ما يشير إلى حقيقة المكانة التي وصل إليها البَرَاكويموميونس في القصر البيزنطي، وإن كان التوصيف الدقيق لمهام الوظيفة لم يتطرق إليها العرب.

## ١٢- السكلار-السفلار-السقلار-الصقلار

**المصطلح البيزنطي:** سكِلاريوس ὁ σακελλάριος

**المفهوم العربي:** وردت هذه الوظيفة في المصادر العربية مقترنة بثيودور الخصي، المعروف باسم ترايثيريوس Trithyrios، الذي أرسله الإمبراطور هرقل لقتال المسلمين في معركة اليرموك.[2] وتعكس نصوص المصادر العربية أن المسلمين فهموا أن السقلار هو إسم لقائد بيزنطي، وليس وظيفة.[3]

**الواقع البيزنطي:** اللفظ الصحيح هو السَكِلاريوس، وهي وظيفة بيزنطية تعني **"ناظر الخزانة الملكية"** آنذاك، التي كانت تتلقى الأموال المرسلة من المقاطعات الإمبراطورية.[4]

والحديث هنا عن السكِلاريوس يحتم علينا أن نشير إلى تطور هذه الوظيفة؛ ففي مستهل التاريخ البيزنطي، وقبل أن تنشيء بيزنطة إدارة مستقلة للمالية، كان الوالي البرايتوري وموظفوه هم الذين يقوموا بتولي شتى الشؤون

---

[1] انظر مثلاً: *Taktikon Beneševič*, 245; *Taktikon Escurial*, 263.

[2] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص ٤٢٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج٤، ص ١٢٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢٥٥.

[3] انظر: طارق منصور، المسلمون في الفكر المسيحي (القاهرة ٢٠٠٨)، ص ١٦٣، ١٦٦، ١٧٤.

[4] Bury, *The Imperial Administrative System*, 85.

المالية. فقد قام هؤلاء الموظفون، كممثلين للوالي البرايتوري، بجمع ضريبة الأنونا *annona*، وهي الضريبة الأكثر أهمية؛[1] وحيث كان هناك جمع في الأقاليم الريفية بين ضريبتي الرأس والأرض معًا، والتي كانت تتحدد طبقًا لقيمة قطعة الأرض وحجمها وحجم عمل الفرد (الرأس) بها.[2] غير أنه في القرن الثامن الميلادي- حسب اعتقاد المؤرخة تامارا تالبوت رايس Tamara Talbot Rice- عندما لم يعد الوالي البرايتوري مسئولاً عن المقاطعات الإقليمية، فإنه توقف تلقائياً عن جمع الأنونا؛ وعُين موظفين بالخزانة المحلية للقيام بتلك المهمة، وفي نفس الوقت أُنشأت وظيفة السكلاريوس، التي أصبح شاغلها بمثابة "ناظر خزانة الأمة".

ومن ناحية ثانية، فإنه بحلول القرن السابع الميلادي أصبحت الشئون المالية لبيزنطة معقدة للغاية لدرجة أن الإدارة المالية التي نمت عبر القرون الأولى من عمر بيزنطة انقسمت إلى اثنتين: لغثيطيون *logothetes* عاملين في قطاع، وكارتولاريوسات *chartularii* عاملين في قطاع آخر. ونظرًا لأن منصب اللغثيط الأول بدأت تزداد أهميته في الإمبراطورية منذ القرن الثامن الميلادي فصاعداً، فإنه مع مجيء القرن الثاني عشر الميلادي أُلغيت وظيفة السكلاريوس لصالح اللغثيط العظيم *megas logothete*، الذي أصبح مساويًا في الأهمية لسكرتير الإمبراطور الخاص.[3]

---

[137] مع نهاية القرن الثالث الميلادى ، وفى عهد دقلديانوس، بدأ الجند يحصلون على مخصصات عينية من القمح والنبيذ والزيت والملح واللحم وغير ذلك لقاء خدمتهم بالجيش، وهو النظام الذى أطلق عليه اسم الأنونا العسكرية. كما كانت هناك الأنونا المدنية أيضا، والتي كانت عبارة عن إمدادات القمح والطعام التي كانت ترسل من الولايات إلى روما قديما ثم القسطنطينية بعد ذلك. لمزيد من التفاصيل عن هذا النظام انظر: زبيدة عطا، الحياة الاقتصادية فى مصر البيزنطية (القاهرة، ١٩٩٤)، ص ٥٢-٥٦؛ A. Johnson, and L. West, *Byzantine Egypt: Economic Studies* (Princeton 1949), 218-229; A. Sergré, "The Annona Civica and Annona Militaris," *Byz* 16 (1943), 420-421.

[2] جدير بالذكر أن سكان المدن البيزنطية لم يكن يدفعوا هذه الضريبة لكونهم يؤدون ضريبة مدنية مشابهة ولكن عن المواقع المدنية أو ما تسمى بالمصطلح الحديث "العوائد". انظر:
Geanakoplos, *Byzantium: Church, Society, and Civilization,* 57.

[3] Rice, *Everyday Life in Byzantium*, 100-101.

وإذا كانت رايس تُرجع نشأة وظيفة السكلاريوس إلى القرن الثامن الميلادي، فإن المؤرخ ج. ب. بيوري يرجعها إلى القرن السابع الميلادي. فقد تولى السكِلاريوس في القرن السابع المهام المالية للوزراء خاصة الذين كانوا يديرون المقاطعات الإقليمية؛ حيث أصبحت الخزانة وزارة مهمة آنذاك.[١] وتؤكد المصادر العربية التي تناولت معركة اليرموك بالتفصيل هذا الرأي الذي أشار إليه بيوري، ويؤكده ثيوفانيس أيضًا، الذي ذكر القائد البيزنطي ثيودور مقروناً بلقب "سكِلاريوس".[٢]



ويبدو أن انهيار قيمة وظيفة السكِلاريوس في الجهاز الإداري البيزنطي راجع إلى ازدياد عدد الثيمات في بيزنطة بكثرة، لاسيما بعد الانتصارات التي حققها أباطرة الأسرة المقدونية أمثال نقفور فوقاس ويوحنا تزيمسكمس وباسيل الثاني على المسلمين شرقاً وانتزاعهم أراض شاسعة ومدنًا عدة من أيديهم بكل ما حوت وتحويلها إلى ثيمات جديدة كثيم ليكاندوس وثيم ميزوبوتاميا ودوقية أنطاكية وغيرهم. ومن جهة ثانية أدى هذا إلى ظهور الاقطاعيات العسكرية الشاسعة التي توارثتها أسراً أرستقراطية بعينها، وقد التهمت أملاك صغار الاقطاعيين لصالحها، لاسيما بعد إقرار نظام البرونويا *pronoia* أو منح الأرض العسكرية،[٣]وهي الأسر التي عمدت إلى الإطاحة بطبقة أرباب القلم في القسطنطينية لتحل محلها في السيادة على الدولة.[٤] وبحلول القرن الثاني عشر الميلادي نجح قادة تلك الأقاليم/الثيمات في كسب موظفي الخزانة المركزية لصفهم، الذين كانوا يقومون بدورهم بتحصيل الضرائب من الفلاحين ثم الاحتفاظ بها لأنفسهم.[٥]

---

[1] Bury, *The Imperial Administrative System*, 85.

[2] *The Chronicle of Theophanes the Confessor*, Eng. trans. C. Mango and R. Scott (Oxford 1997), 468-470.

[3] الباز العريني، الدولة البيزنطية، ص ٧٣٢-٧٣٣.

[4] حسنين محمد ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية (القاهرة ١٩٨٣)، ص ١٦٦ .

[5] Rice, *Everyday Life in Byzantium*, 101.

ويرد السكِلاريوس حاملاً لقب بطريق في قائمة تكتيكون اوسبنسكي، محتلاً المرتبتين العاشرة والخامسة والثلاثين بين موظفي الدولة.[1] أما في الكليترولوجيون فيحتل المرتبة الثانية والثلاثين.[2] وفي تكتيكون بنشفيك احتل المرتبة السادسة والخمسون، حاملاً لقب "بروتوسباثاريوس"؛[3] أما في تكتيكون الاسكوريال فاحتل المرتبة التاسعة عشرة بعد المائة، دون أن يحمل ألقابًا شرفية، مما يشير إلى تدني مرتبته بين موظفي الدولة.[4]

وهكذا، فإنه على الرغم من أن العرب لم يستوعبوا أن لفظة سكيلاريوس تعني وظيفة مالية في بيزنطة فإنهم أكدوا صحة المصادر البيزنطية التي عادت بهذه الوظيفة إلى ما قبل القرن الثامن الميلادي كما ظنت المؤرخة تمارا تالبوت رايس.

## ١٣- الكانكلي

**المصطلح اليوناني:** كَانْكِلاريوس ὁ καγκελλάριος

**المفهوم العربي:** ورد هذا اللقب عند أبي شجاع دون المقطع الأخير '-άριος' عند حديثه عن زيارة أبي إسحق بن شهرام إلى القسطنطينية، حيث نزل في "**دار نقفور الكانكلي**"، والأخير صحبه أيضًا في طريق عودته من القسطنطينية إلى بغداد.[5]

**الواقع البيزنطي:** ترد وظيفة "**كانكلارية المجالس الإمبراطورية**" (καγκελλάριοι τῶν σεκρέτων) في الكليترولوجيون، التي ربما تشير إلى وظيفة بسيطة في هيئة المراسم أو السكرتارية الإمبراطورية، حيث إنهم يأتوا قبل جنود الثيمات وجنود التاجماتا في ترتيب موظفي الدولة، ضمن الفئة الرابعة من القسم الثالث من حملة الألقاب في الكليترولوجيون.[6] كما نجد كانكلارية ضمن هيئة موظفي والي المدينة،[7] وضمن هيئة موظفي اللغثيط

---

1 *Taktikon Usp.*, 47, 49.
2 *Traité Phil.*, 101.
3 *Taktikon Beneševič*, 249.
4 *Taktikon Escurial*, 269.
5 أبو شجاع، نيل كتاب تجارب الأمم، ص ٣٠، ٣٨.
6 *Traité Phil.*, 161.
7 *Traité Phil.*, 113.

ناظر الخزانة العامة، وضمن هيئة موظفي الكويستور،[1] الذي كان مسؤولاً عن التشريع وصياغة القوانين والمراسم الملكية حتى القرن السابع الميلادي، ثم سرعان ما تحول إلى قاضٍ بالقسطنطينية بعد ذلك كنتيجة لازدياد نفوذ ومكانة السكرتير الأول في القصر الإمبراطوري.[2]

بيد أننا نقابل في الكليترولوجيون أيضًا كانكلارية ذوي مرتبة أعلى بقليل من سابقيهم، حيث يلقبون بـ البروتوكانكلارية πρωτοκαγκελλάριοι أي "الكانكلارية الأول"، فهناك "بروتوكانكلاريوس πρωτοκαγκελλάριος " ضمن هيئة موظفي دومستق النوميرا،[3] "وبروتوكانكلاريوس" ضمن هيئة موظفي كارتولاريوس السَكيللون σακελλίου،[4] "وبروتوكانكلارية" للثيمات، "وبروتوكانكلاريوس" للغثيط ناظر الخزانة العامة، "وبرتوكانكلاريوس" للكويستور، "وبروتوكانكلاريوس" لكارتولاريوس السَكلليون.[5] ولا تظهر هذه الوظيفة في القرن العاشر الميلادي وما بعده، وهو ما قد يشير إلى تدنيها لدرجة أنها لم تستحق أن تسجل في الترتيب الهيراركي لموظفي الدولة.

وهكذا، يبدو أن أبا إسحق سجل لقب الكانكلي الوظيفي كما سمعه في القسطنطينية أثناء زيارته دون أن يعي ماهيته، فجاء مرتبطاً باسم نقفور كما لو كان صفة أو كنية له.

## ١٤- الشاكري

**المصطلح البيزنطي:** غير معلوم ؟

**المفهوم العربي:** يقول عنه ابن الفراء: "...وأن الشاكري أقل رتبة منه (أي الكاتب)، حتى علمت الآن قلة احتياجهم إلى من يحفظ الارتفاع ويحمل أعباء الملك،

---

[1] *Traité Phil.*, 115.

[2] وسام عبد العزيز فرج، الألقاب والمناصب الحكومية، ص ٤٢، ٤٦.

[3] *Traité Phil.*, 119.

[4] *Traité Phil.*, 121.

[5] *Traité Phil.*, 159.

وتساوي كافتهم في البلاد، وقلة العلوم..."[1] ويعتقد أ. د. صلاح الدين المنجد أن الشاكري هو الخادم.[2]

**الواقع البيزنطي:** غير معلوم ؟

## ١٥- الكاتب

**المصطلح البيزنطي:** غير معلوم ؟

**المفهوم العربي:** يقول ابن الفراء عن هذه الوظيفة: "وكنت أعرف عن الروم أن أخس الرتب والمنازل عندهم رتبة الكاتب..."[3]

**الواقع البيزنطي:** غير معلوم ؟

## ١٦- البطريق

**المصطلح البيزنطي:** بَطْريقيوس ὁ πατρίκιος

**المفهوم العربي:** ورد هذا اللقب عند كثير من المؤرخين والجغرافيين العرب، بنطقه اليوناني دون النهاية '-ιος'، وهو لقب شرفي يعني "النبيل أو الشريف" وهو ليس بوظيفة كما فهم بعض المسلمين؛ غير أن مؤلف الأنس الجليل يقول عنه "البطريق هو الأمير".[4]

ويقول عنه مسلم بن أبي مسلم الجرمي: "ومن البطارقة بالروم إثنا عشر بطريقًا لا ينقصون ولا يزيدون، ستة منهم مقيمون بالقسطنطينية بحضرة الطاغية، وستة في الأعمال، بطريق عمورية، بطريق أنقرة، بطريق الأرمنياق، بطريق تراقية...وبطريق سقلية...وبطريق سردانية... وأمر البطارقة من يتولى منهم أمر القسطنطينية وحجابة الملك"[5] ثم يضيف أن

---

[1] ابن الفراء، رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تحقيق صلاح الدين المنجد، ج١ (القاهرة ١٩٤٧)، ص ٣٧.

[2] ابن الفراء، رسل الملوك، ص ٣٧، هـ ١.

[3] ابن الفراء، رسل الملوك، ج١، ص ٣٦.

[4] العليمي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٢٥٥.

[5] ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ١٠٩.

البطريق كان يقود عشرة آلاف جندي.[١] وهنا يقصد بالطبع قادة الأقاليم البيزنطية، أي الثيمات العسكرية.

بيد أن هارون بن يحيى يذكر "**اثنا عشر بطريقاً من رؤساء البطارقة عليهم ثياب منسوجة بالذهب في يد كل واحد قضيب من ذهب.**"[٢] وفي موضع آخر يشير إلى أن البطارقة كانوا يحضرون سباق العربات بالهيبودروم في حضرة الإمبراطور.[٣]

ويؤكد الخُوارزمي على أن البطريق إنما هو القائد من قواد الروم،[٤] وهو بهذا يشير إلى أن قادة الجيش البيزنطي الكبار هم الذين يحملون فقط لقب بطريق.

أما ابن حوقل فيتفق مع مسلم الجرمي في أقواله عنهم، غير أنه يضعهم من حيث الصدارة بعد الدمستق، ويقول عنهم أنه "**إذا هلك أحدهم قام مقامه من يصلح له.**"[٥]

وأخيراً يذكر الهمذاني اثنا عشر بطريقاً حول الملك مقيمين بالقسطنطينية.[٦]

**الواقع البيزنطي:** البطريق لقب شرفي-وليس وظيفة- ويعني النبيل أو الشريف، وهو من الألقاب الإمبراطورية الشرفية الرفيعة جداً، والتي يحمل صاحبها شارة عبارة عن ألواح (صولجان؟) محفورة من العاج.[٧] وقد أسس الإمبراطور قسطنطين الأول من البداية طبقة تحمل اسم البطارقة، ظلت قائمة حتى العصر البيزنطي المتأخر. فنقابل البطريق أرينثايوس Arinthaeus في عهد الإمبراطور جوفيان (٣٦٣-٣٦٤م)، والبطريق سالوستيوس Salustius في عهد

---

[1] ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ١١١؛ قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزيدي (بغداد ١٩٨١)، ص ١٨٩.

[2] ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص ١٢٤.

[3] ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص ١٢٠.

[4] الخوارزمي، مفاتيح العلوم، نشر دي جويه (ليدن ١٨٩٥)، ص ٧٧.

[5] ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٧٨.

[6] الهمذاني، كتاب البلدان، ص ١٩٠.

[7] Bury, *The Imperial Administrative System*, 22.

الإمبراطور فالنتيان، والبطريق أردابور Aradbur في عهد الإمبراطور ليو الأول Leo I (٤٥٧-٤٧٤م)، والبطريق والقائد العسكري (ماجيستير ميليتوم) كومينتيولوس Comentiolus في عهد الإمبراطور موريس Maurice والبطريق نيقتاس Nicetas في عهد الإمبراطور هرقل.[1] وقد فتح جستنيان باب البطرقية على مصراعيه، حيث زاد عدد البطارقة في عهده بدرجة ملحوظة.[2]

وفي عهد الإمبراطور هرقل يبدو أنه أراد أن يميز بعض البطارقة عن غيرهم فنقرأ في عهده لقب "**البطريق الأكثر مجداً أثناسيوس**" the most glorious patrician Athanasius.[3] أما البطارقة الاثنى عشر المذكورون عند هارون بن يحيى فيقابلهم فازيليف[4] بالماجستيرات *Magistres* والبروقناصل *Proconsuls* الواردين في كتاب "**المراسم الإمبراطورية**".[5] وكان يحمل هذا اللقب كل حكام الأقاليم البيزنطية، الذين يشكلون في نفس الوقت قادة الجيش، حتى بدايات القرن العاشر الميلادي.[6]

وتجدر الإشارة إلى أن لقب بطريق لم يتوقف منحه فقط على كبار رجال الدولة ممن احتلوا المناصب الرفيعة، بل تعداه أيضا إلى الطواشية (الخصيان) العاملين في القصر الإمبراطوري. ففي القرن العاشر الميلادي كان القصر الإمبراطوري يعج بآلاف منهم، وكان بعضهم يشغل مناصب رفيعة للغاية أهلته لحمل لقب بطريق حتى أصبح للطواشية حملة لقب "**بطريق**" الأفضلية على البطارقة الملتحين، حتى ولو كان الأخيرون من ذوي المناصب الرفيعة بالدولة؛[7] وطبقاً لقائمة بنشفيك، فإن هذا اللقب لم يحمله إلا الطواشية، الذين أتوا في المرتبة الرابعة عشرة، واستراتيجوس الأناضول الذي أتي في المرتبة

---

[1] *Chronicon Paschale*, 43-44, 47, 85, 143, 157.

[2] Bury, *The Imperial Administrative System*, 27-28.

[3] *Chronicon Paschale*, 175.

[4] نقلاً عن Grégoire, *Un captive arabe*, 668.

[5] Const. Porph., *De Ceremoniis*, I, chap.1, 24.

[6] انظر: طارق منصور، قطوف الفكر البيزنطي ج١، الأدب (القاهرة ٢٠٠٢)، ص ١٢٦-١٢٧.

[7] Const. Porph., *De Ceremoniis*, II, 52; Guilland, *Les eunuques dans l'émpire byzantine*, 198.

الخامسة عشرة ، إذا لم يكن حاملاً لقب "**بروتوسباثاريوس**". وهذا يشير إلى سمو مكانته آنذاك على كل قادة الجيوش البيزنطية، لاسيما وأن كلمة "**الأناضول**" جاءت في صيغة الجمع، مما يعني أن قيادة قوات الشرق كانت له آنذاك. كما حمل لقب "**بطريق**" أيضاً الاستراتيجوسات ممن حملوا لقب "**أنثيباطوس**"[1] وتولوا قيادة الجيش أو من في وضعهم في القيادة، ويأتوا في المرتبة السادسة عشرة. وهناك بطارقة آخرون ممن يحملون لقب "**أنثيباطوس**" ولكن دون وظيفة محددة في تلك الفئة، ويأتوا في المرتبة السابعة عشرة. وهناك استراتيجوسات ضمن فئة القادة أو في وظائف مثيلة حملوا لقب "**بطريق**" ويأتوا في المرتبة الثامنة عشرة، لأنهم لم يحملوا ألقاباً شرفية أخرى؛ ومنهم بطارقة دون وظيفة محددة يأتوا في المرتبة التاسعة عشرة.[2]

وعند نهايات القرن العاشر الميلادي، وطبقاً لتكتيكون الاسكوريال،[3] فإن هذا اللقب استحوذ عليه الطواشية، فمنهم "**الطواشي البطريق الفيستارخيس Βεστάρχης**"، و"**البطريق البرايبوزيتس**"، وهناك طواشية دون وظائف محددة لكنهم حملوا لقب "**بطريق**"، وهذا كله يشير إلى علو شأن الطواشية في البلاط البيزنطي آنذاك، مما جعلهم يتصدروا مراتب متقدمة على قادة الجيوش أنفسهم، وهي المراتب الثانية والثالثة عشرة، ومن المرتبة الخامسة عشرة إلى الثامنة عشرة.[4]

---

[1] أنثيباطوس: يبدو أن هذا اللقب ظهر في الدولة البيزنطية متأخراً. فهناك ذكر لأناس يحملون لقب أنثيباطوس من القرنين السادس والسابع الميلاديين. غير أنه في عهد الإمبراطور ثيوفيل قام الأخير برفع مكانة الكسيوس موسيلي ليصبح أنثيباطوس وبطريق πατρίκιος καὶ ἀνθύπατος. ويعتقد بيوري أنه حتى ذلك الوقت لم تكن هناك طبقة حاملي لقب أنثيباطوس ἀνθύπατοι وأن حالة الكسيوس موسيلي كانت حالة فردية. وكانت شارة حامل هذا اللقب عبارة عن ألواح أرجوانية محفورة. لمزيد من التفاصيل عن هذا اللقب انظر ما يلي من البحث؛ Bury, *The Imperial Administrative System*, 22, 28-29.

[2] *Taktikon Beneševič*, 245.

[3] تكتيكون الاسكوريال، هي قائمة تصدر للألقاب والوظائف البيزنطية يعود تاريخها إلى عام ٩٧١-٩٧٥م، أي في عهد الإمبراطور يوحنا تزيمسكس. وقد أعطاها ا.د. أويكونوميدس هذا الاسم لعثوره عليها في مكتبة الاسكوريال بأسبانيا. وقد حدد تاريخها هذا بناءًا على مفردات ووقائع تاريخية تشير إليها. عنها انظر: *Taktikon de l'Escurial*, 254-261.

[4] *Taktikon de l'Escurial*, 263.

وفي الأدب البيزنطي نجد الإمبراطور البيزنطي قد منح باسيل ديجينيس أكريتيس لقب "**بطريق**" كمكافأة له على حمايته للحدود الشرقية وقتله لعصابات الأبليتاي، وعينه حاكمًا على الحدود البيزنطية-الإسلامية في آسيا الصغرى،[١] حيث قال الإمبراطور له:[٢]

"أيها الشاب المذهل الممتاز،

عينك جلالتنا بطريقاً،

مانحاً إياك كل ولايات جدك،

وخولتك سلطة حكم الحدود؛

وهذه الأشياء سوف أؤكدها تواً بخاتم ذهبي،

وأمنحك ملابس ملكية نفيسة."

وهكذا، فإن لقب بطريق الشرفي ارتبط في الذهنية العربية بقادة الجيش البيزنطي وحكام الأقاليم العسكرية في المقام الأول، وإن كان بعضهم قد أدرك أن هذا اللقب يحمله أيضًا حاجب الملك ووالي المدينة وغيرهما.

## ١٧- أنسيبطوس

**المصطلح البيزنطي: انثيباطوس** ἀνθύπατος

**المفهوم العربي:** ورد هذا اللقب عند المسعودي عند ذكره للرسول البيزنطي الذي أرسله الإمبراطور إلى دمشق للتفاهم مع محمد بن طغج الأخشيد بشأن تبادل الأسرى عام ٣٣٥هـ/٩٤٦م، وكان الرسول يسمى "**يُوَانِس الأنسيبطوس البطريقوس المسدقوس المترهب**".[٣]

---

[1] انظر، *Digenes Akrites*, ed. and Eng. trans. Mavrogordato (Oxford 1970), 83-141. (henceforth *GRO*)

[2] *GRO*, 138.

انظر أيضا، طارق منصور، المسلمون في الفكر المسيحي، ص ٢٢٤.

[3] المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ١٦٥. انظر أيضاً، ابن الفراء، رسل الملوك، ج٢، ص ١٤٥؛ سليمان الرحيلي، السفارات الإسلامية على الدولة البيزنطية، ص ١١٢-١١٣.

**الواقع البيزنطي:** الأنثيباطوس لقب – وليس اسماً أو وظيفة – ويقابلنا هذا اللقب في الكليترولوجيون، عندما تشير إلى القادة البيزنطيين بألقاب عدة على النحو التالي: **"الأنثيباطوس البطريق استراتيجوس الأناضول" أو "الأنثيباطوس البطريق دمستق الاسكلارية"**...إلخ.[1] كما يقابلنا اللقب في تكتيكون بنشفيك، حيث حمله البطارقة الاستراتيجوسات، قادة الجيش؛ كما حمله أيضاً بطارقة من غير قادة الجيش.[2] ولا يظهر هذا اللقب في نهاية القرن العاشر، مما قد يشير إلى اختفائه أو عدم جدواه آنذاك.

وهكذا، فقد فهم المسعودي خطأً هذا اللقب على أنه اسم ليؤانس، الرسول البيزنطي.

## ثانياً: الوظائف والألقاب العسكرية

### ١- الاصطرطيفوس- الاصطرطغوس

**المصطلح البيزنطي:** استراتيجوس ὁ στρατηγός

**المفهوم العربي:** يذكر قدامة بن جعفر أن الوالي على إقليم (ثيم) تراقية، الذي يقع في شبه جزيرة البلقان، يعرف بالاصطرطيفوس.[٣]

أما ياقوت الحموي فيعي تماماً أن الاصطرطغوس يعني والي الإقليم؛ وكان يقود جيشاً قوامه ما بين عشرة آلاف جندي وخمسة عشر ألف جندي، حسب حجم وأهمية الإقليم.[٤]

**الواقع البيزنطي:** النطق الصحيح لهذه الكلمة اليونانية هو الاستراتيجوس، وتعني قائد عسكري،[٥] وهو لقب وظيفي عسكري يحمله قائد الإقليم البيزنطي، الذي كان

---

1 *Traité Phil.*, 137 ff.
2 *Taktikon Beneševič*, 245.
3 قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص ١٩٠.
4 ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٩٩؛ زبيدة محمد عطا، "صورة الفارس الإقطاعي والصراع الإسلامي المسيحي كما وردت في ملاحم القرن الحادي عشر الميلادي البيزنطية واللاتينية"، مجلة التاريخ والمستقبل، مج ٥، عدد ٣(١٩٩١)، ص ٧٥.
5 Liddlle and Scott, *Greek-English Lexicon*, s.v. στράτεγος.

يحكمه ويتولى جيشه في نفس الوقت. وقد كان يحتل مكانة رفيعة بين قادة الدولة وموظفيها رفيعي المقام.[١] وفى القرن التاسع نجد قادة الأقاليم يتمتعوا بالاحترام الكامل للبطارقة.[٢] فقد كانوا يحملون بشكل عام لقب النبالة العالية **"البطريق"**، وأحياناً مصحوباً بلقب **"الأنثيباطوس"** الشرفي؛ ومن النادر ما كان يحمل مرتبة شرفية أدنى قليلاً في النبالة وهى **"البروتوسباثاريوس"**.[٣] فها هو قائد إقليم الأناضول، على سبيل المثال، يحمل لقب **"أنثيباطوس وبطريق واستراتيجوس الأناضول،"** [٤] وأحياناً لقب **"بروتوسباثاريوس واستراتيجوس الأناضول."**[٥] لقد كان قائد إقليم الأناضول على سبيل المثال يحتل المكانة الرابعة، في الكليترولوجيون، بين ترتيب موظفي الدولة؛ متقدمًا دومستق تاجما الاسكلاريه الذي كان يليه مقامًا.[٦]

وفي منتصف القرن العاشر، طبقاً لتكتيكون بنشفيك، كان استراتيجوس الأناضول يتصدر جميع قادة الجيش الآخرين ويحمل لقب "بطريق"؛ وكان الاستراتيجوسات يحملون في بعض الأحيان الأخرى لقبي **"البطريق والأنثيباطوس"**.[٧] أما في نهاية القرن العاشر لم يحمل الاستراتيجوس أية ألقاب شرفية، وكان استراتيجوس الأناضول يتصدر كل قوات الجيش، يليه دمستق اسكلارية الشرق، ثم دمستق اسكلارية الغرب؛[٨] كما زاد عدد الاستراتيجوسات آنذاك بسبب استيلاء البيزنطيين على كثير من المدن الإسلامية شرقًا وغرباً، مما ترتب عليه إنشاء ثيمات جديدة، على رأسها استراتيجوسات.[٩]

---

[1] عنهم انظر: Bury, *The Imperial Administrative System*, 39-47.

[2] Bréhier, L., *Les institutions de l'empire byzantin* (Paris 1943), 361.

[3] Ahrweiler, *Recherches*, 36-37.

[4] *Traité Phil.*, 137.

[5] *Traité Phil.*, 142.

[6] *Traité Phil.*, 101.

[7] *Taktikon Beneševič*, 245.

[8] *Taktikon Escurial*, 263.

[9] انظر: *Taktikon Escurial*, 245-247.

جدير بالذكر أن الاستراتيجوس كان له حق التدخل في المنازعات التي تدور بين المؤسسات الخيرية في إقليمه، وله حق إيقاف وحبس المشبوهين ومرتكبي مختلف الجرائم. كما كان يقضي في الجرائم ذات الطابع العسكري، ويصدر الأحكام فيها بمساعدة الموظفين للإقليم، مثل الأشغال الشاقة في المناجم أو الحكم بالإعدام.[1]



وتنبغي الإشارة إلى أنه كانت هناك مراسم تجرى الاستراتيجوس فيما بين القصر الإمبراطورى والكنيسة، فكان قائد الإقليم يدخل الكنيسة مع البطارقة المُرقين من قبل الإمبراطور لاستكمال المراسم فيها حيث يقوموا بتسليم وصايا ترقياتهم إلى البطريرك، الذي يأخذها منهم ليضعها على المذبح؛ ويؤدون الصلاة، ثم يعيد إلى كل بطريق وصية ترقيته، وكل بطريق يضع عطيته على المذبح؛ فكانت بالنسبة للاستراتيجوس اثنتان وسبعون نوميزما.[2] وكان على البطارقة عندما يؤدون مراسم التعيين في القصر الإمبراطوري أن يرتدوا العباءات ذات اللون القاتم بينما كان على الاستراتيجوس أن يرتدي عباءة أرجوانية.[3]

وبعد التعرف على واقع **"الاستراتيجوس"** في بيزنطة يتضح أن المسلمين نقلوا الكلمة نقلاً صوتياً إلى العربية، غير أن قدامة أدرك أن هذا المسمى الوظيفي أُطلق على والي الإقليم البيزنطي.

## ٣- الدمستق

**المصطلح اليوناني:** دومِستيقوس ὁ δομεστικος

**المفهوم العربي:** يذكره قدامة بن جعفر في القرن العاشر الميلادي محدداً دوره وأهميته الحقيقية في ذلك الوقت في القسطنطينية، حيث يقول عنه: **"ينقسم الفرسان**

---

١ Ahrweiler, *Recherches*, 42.

عن مهام الاستراتيجوس في الثيم انظر: طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ص ٧٩-٨٤.

٢ إذا كان بطريقاً عاملاً يضع ٥٠ نوميرماتا، وإذا كان بطريقاً فخرياً يضع ٣٦ نوميزماتا.

Const. Porph., *De Ceremoniis*, II, 47.

٣ Const. Porph., *De Ceremoniis*, II, 48.

**أربعة أقسام، أولها الاسخلارية،[1] وصاحبهم الدُمستق الكبير، وهـو صـاحب فرض الفروض، والرئيس على الجماعة، وعدتهم أربعة آلاف؛"[2]** ويضعه ابن حوقل في ترتيب الصدارة بعد والي المدينة مباشرة من حيـث المنزلـة، دون تفاصيل عنه.[3]

ويقول ابن خلدون "**...ثم ولى أرمانوس نقفور دُمستقاً واسـم الدمـستق عندهم على من يلي شرقي الخليج حيث ملك ابن عثمان لهذا العهـد فأقـام نقفور دُمستقاً".**[4] ولم يُوجد العرب مقابلاً لهذه الوظيفة العسكرية، بل نقلوهـا نقلاً صوتياً فقط.

---

[1] كانت فرقة الاسكلارية واحدة من فرق الحراسة الإمبراطورية الرئيسية الأربع، وهي الأعلـى مقامـاً، ومـن المحتمل الأقدم أيضاً، حيث يعود بها المؤرخ جون هالدون إلى ما قبل القرن السادس الميلادي، وكانـت تـضم صفوة الجند المختارين بعناية وتدفع لهـم أجـوراً عاليـة نظيـر عملهـم كحـرس شخـصي للإمبراطـور. انظـر: Haldon, *Byzantine Praetorians*, 119 ff., Bréhier, *Institutions*, 353; Bury, J. B., *A History of the Eastern Roman Empire* (London 1914), 227; Idem, *The Imperial Administrative System*, 47-48; A. Guillou, *La civilization byzantine* (Artheud 1974), 123; F. Lot, *L'art militaire et les armies* (Paris 1946), 65; R. Guilland, "Études sur le grand palais de Constantinople, les noumera," *REB* 1(1961), 414.

ويعتبر بعض المؤرخين المحدثين أن قوات هذه الفرقة من الفرسان الراكبـة، W. Ensslin, "The Emperor and the Imperial Administration", in: *Byzantium*, ed. N. Bayns and H.S. Moss (Oxford 1948), 39; Ch. Diehl et G. Marçais, *Histoire du moyen âge* (Paris 1936), 464.

بينما يذكر بربيه أنها من الفرسان والمشاة (Bréhier, *Institutions*, 353.) لكن يبدو أنها كانت من الفرسـان فقط، لأنه كانت هناك فرقة للمشاة كاملة تسمى النوميرا. ويذكر قسطنطين السابع أن جنود هـذه الفرقـة كـانوا يقيمون عند الأسر البيزنطية الكبيرة، ويعيشون عندهم في غير أوقات تواجدهم في مقرهم بالقـصر. (Const. Porph., *Le liver des céré.*, I, 53) ويرى المؤرخ رودلف جيان أنه من المحتمل أن بعضاً من فصائل هذه الفرقة كانت تستخدم في إضفاء مظاهر الفخامة والأبهة بوجودها في المراسم الإمبراطورية. غير أنه لا يمكن أن نستنتج أن كل أفراد الفرقة كانوا يقومون بهذا الأمر، هذا من ناحية؛ ومن ناحية أخرى، كان قائد عام هذه الفرقة يظهر في بعض الانتصارات بصفته ويقود إحدى الحمـلات شخـصياً. انظـر، R. Guilland, "Études sur l'histoire administrative de Byzance: le domestique des scholes," *REB* 8(1951), 6.

[2] قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص ١٨٩.

[3] ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٧٨.

[4] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٢، ص ٢٧٤.

**الواقع البيزنطي**: نقابل هذا اللقب الوظيفي في حالة المضاف إليه الجمع *comes doesticorum* في عهد الإمبراطور جوليان المرتد Julianus (٢٦١-٢٦٣م)، وكذلك في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني Theodosius II (٤٠٨-٤٥٠م)؛ مما يشير إلى أن تلك الوظيفة آنذاك لم تكن عالية المقام حيث كان من يرأسهم يحمل لقب قوميس.[١]

أما في العصر البيزنطي الأوسط فإن لقب الدُمستق كان لقبًا وظيفيًا عسكرياً تماماً، كان يحمله أرفع الناس مكانة في بيزنطة ممن يعملون في منصب الدُمستقية، مثل دُمستق فرقة الحرس الإمبراطوري المسماة الاسكلاريه،[٢] ودُمستقات فرق الحراسة الأخرى بالقسطنطينية،[٣] ودمستق إقليم (ثيم) الأوبتيماطي بآسيا الصغرى.[٤] وعندما نقابل لقب الدمستق بدون أي إشارة أخرى، فإن هذا يعنى دُمستق الاسكلاريه.[٥]

وفي النصف الثاني من القرن العاشر نقرأ عن دمستق لقوات الشرق، مقابل دمستق لقوات الغرب،[٦] كالدُمستق ثيودور Theodore في عهد الإمبراطورة ثيودورا Theodora (١٠٥٥-١٠٥٦م).[٧] وإذا كان ثيوفانيس في عام ٧٦٧م قد أشار إلى دمستق الاسكلاريه ومعه لقب "**بطريق**"،[٨] فإن تكتيكون أوسبنسكى أشارت إليه أيضاً، حيث نجد "**البطريق دُمستق الاسكلاريه**" في المرتبة الثالثة عشرة، بعد "**البطريق استراتيجوس الأناضول**"،[٩] أما في

---

١ *Chronicon Paschale*, 41, 166.

٢ R. Guilland, "Le grand domesticat à Byzance," *EO* 37(1938), 58; Bury, *Eastern Roman Empire*, 227; Ensslin, *The Imperial Administration*, 39; Guillou, *La civilization byzantine*, 123.

3 *Traité Phil.*, 105-107. Cf. also Bury, *The Imperial Administrative System*, 49-66.

4 *Taktikon Usp.*, 53; *Traité Phil.*, 107. See also Bury, *The Imperial Administrative System*, 66; Bréhier, *Institutions*, 358.

٥ Bury, *The Imperial Administrative System*, 50; Guilland, *Le domestique des Scholes*, 10.

6 الباز العريني، الدولة البيزنطية، ص ٣١٩.

7 Ringrose, *The Perfect Servant*, 139.

٨ *Theophanes*, 610.

٩ *Taktikon Usp.*, 47.

الكليترولوجيون فإننا نقابل "**البطريق دمستق الاسكلاريه**" في المرتبة الخامسة بين موظفي الدولة، بعد "**البطريق استراتيجوس الأناضول**"،[1] مما يعني علو شأنه آنذاك.

وينبغي ملاحظة أن دُمستق الاسكلاريه كان يحتل المرتبة الثالثة عشر نحو منتصف القرن التاسع الميلادي، وبنهايته كان يحتل المرتبة الخامسة بين موظفي الدولة البيزنطية. وهذا يفسر لنا علو شأنه ومكانته في الإمبراطورية البيزنطية بالطبع، والذي كان لا يبزه فيها سوى استراتيجوس الأناضول. وهكذا كان أكبر قائدان للجيش في الإمبراطورية البيزنطية هما استراتيجوس إقليم الأناضول، ودُمستق الاسكلاريه.[2]

وبالإضافة إلى لقب بطريق، كان دُمستق الاسكلاريه يحمل أيضاً لقب "**أنثيباطوس**"، حيث يأتي بعد استراتيجوس الأناضول، حامل هذا اللقب أيضاً، الذي يأتي على رأس أصحاب هذه الطبقة.[3] بالإضافة إلى تلك الألقاب كان يحمل أيضًا لقب "**بروتوسباثاريوس**".[4] وابتداءًا من النصف الأول للقرن التاسع الميلادي كان هذا الضابط يلعب دورًا في مختلف العمليات العسكرية يتعدى كثيراً المرتبة التي كانت تخلعها عليه القوائم.[5]

جدير بالذكر أن دُمستق الاسكلاريه كان قائدًا أعلى لكل قوات تاجماتا القسطنطينية ويقيم في العاصمة، ويتبع الحاشية المقربة للإمبراطور. وكان مساعده الرئيسي في العمليات التي يوجهها الإمبراطور بنفسه، وفي حالة غيابه عن الميدان كان هو الذي يحل محله في القيادة العليا للجيش المحتشد.[6]

---

١ *Traité Phil.*, 101.

٢ Guilland, *Le grand domesticat à Byzance*, 59.

٣ *Traité Phil.*, 137. Cf. Guilland, *Le domestique de Scholes*, 17.

٤ *Traité Phil.*, 142. Cf. Guilland, *Le domestique de Scholes*, 17.

٥ Ahrweiler, *Recherches*, 55.

٦ Ahrweiler, *Recherches*, 55-56; Guilland, *Le domestique des Scholes*, 13.

وفي القرن العاشر الميلادي نقابل "**البروتوسباثاريوس دُمستق الاسكلارية**" في المرتبة الثانية والعشرين بعد "**البروتوسباثاريوس استراتيجوس الأناضول**"، ثم دُمستق الاكسكوبيتر،[1] دون ألقاب شرفية، في المرتبة التاسعة والثلاثين؛ ثم يتوالى باقي الدمستقات في مراتب متأخرة نسبيًا عن أقرانهم حاملين لقب "**بروتوسباثاريوس**" الشرفي.[2]

وفي أواخر القرن العاشر الميلادي، ومع زيادة الضغط البيزنطي على المسلمين شرقاً، أصبح هناك دُمستقاً لاسكلارية الشرق في المرتبة العشرين، وآخر لاسكلارية الغرب في المرتبة الحادية والعشرين؛ كما أصبح هناك دُمستقاً لاكسكوبيتر الشرق في المرتبة السابعة والأربعين، وآخر لاكسكوبيتر الغرب في المرتبة الثامنة والأربعين. أما باقي الدمستقات فيأتون في مراتب متأخرة دون ألقاب شرفية، من المرتبة الرابعة والثلاثين بعد المائة إلى المرتبة السابعة والثلاثين بعد المائة، ويأتي دُمستق تاجما اكسكوبيتر العاصمة في المرتبة الحادية والخمسين بعد المائة.[3] ودمستق اسكلارية الشرق في القرن العاشر هو الذي تعج المصادر الإسلامية باسمه وتطلق عليه لفظة "**الدمستق**" دون زيادات، أمثال الدمستق مليح الأرمني، ويوحنا كوركواز، ونقفور فوقاس، ويوحنا تزيمسكس.

وبعد هذا العرض، يتضح أن العرب المسلمين نقلوا الاسم بصورة صحيحة إلى العربية بعد أن أسقطوا النهاية 'ος-' اليونانية؛ كما أنهم استوعبوا جزءاً كبيراً من مهام الدمستق، لاسيما قدامة بن جعفر الذي أشار إلى مفهوم الدمستق في مرحلته الأولى من تاريخ بيزنطة الإدازي في العصر البيزنطي الأوسط، وكذلك ابن خلدون الذي أشار صراحة إلى دمستق الشرق دون أية إضافات

---

[1] كانت قوات الاكسكوبيتر تمثل إحدى فرق التاجماتا الإمبراطورية في العاصمة البيزنطية، حيث كانت ترابط. ويعود بها المؤرخ جون هالدون إلى عهد الإمبراطور ليو الأول حيث كانت تشكل حرسه الشخصي، وقت أن كانت الاسكلارية تشكل القوة العسكرية الضاربة له. وكان يقودها آنذاك قومساً. عنها انظر: Haldon, *Byzantine Praetorians*, 136 ff.

[2] *Taktikon Beneševič*, 245, 247, 249.

[3] *Taktikon Escurial*, 263, 265, 271.

لغوية أو دون إشراك أحد معه في القيادة في القرن العاشر الميلادي وهو ما يتفق مع الواقع البيزنطي

### ٣- بطريق البحر

**المصطلح البيزنطي: بطريق ولغثيط البحر**

πατρικίος καὶ λογοθέτης τοῦ δρόμου

**المفهوم العربي:** يشير المسعودي إلى "**بطريق البحر وصاحب مغازيه**" عند حديثه عن استيلاء رومانوس ليكابينوس على الحكم من قسطنطين بورفيروجنيتوس، وأن الأول كان يعمل بطريقاً للبحر.[١]

**الواقع البيزنطي:** كان القائد العام للأسطول البيزنطي يحمل لقب بطريق وفي بعض الأحيان لقب لغثيط أيضاً كالبطريق واللغثيط هيميريوس Himerius الذي قاد الأسطول البيزنطي في عام ٩١١م/٢٩٩هـ ضد مسلمي كريت

" ...κατὰ τῆς θεολέστου Κρήτης μετὰ τοῦ πατρικίου Ἡμερίου καὶ λογοθέτου τοῦ δρόμου... ".[٢]

جدير بالذكر أنه في القرن السابع الميلادي كان قائد الأسطول البيزنطي يحمل لقب "**درونجاريوس**"، مثل درونجاريوس الكيبيرايوت، ثم أصبح يحمل لقب "**استراتيجوس**" فيما بعد.[٣] ففي تكتيكون أوسبنسكي نقابل "**البطريق استراتيجوس الكيبيرايوت**"؛[٤] وفي الكليترولوجيون يحمل لقب "**أنثيباطوس**" الشرفي أيضاً.[٥] وفي القرن العاشر الميلادي كان قادة الأساطيل لا يزالون

---

[1] المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ١٤٩.

[2] انظر: Const. Porph., *De Ceremoniis*, II, 651. See also D. Tsougarakis, *Byzantine Crete from the 5th Century to the Ventian Conquest* (Athens 1988), 54-55; E. Malamut, *Les iles de l'empire byzantin*, I (Paris 1988), 83-85.

[3] طارق منصور، قطوف الفكر البيزنطي، ص ١٧٤-١٧٥؛ هانيء عبد الهادي البشير، "تطور البحرية البيزنطية ونشاطها العسكري خلال القرنين الثامن والعاشر للميلاد"، مجلة التاريخ والمستقبل، (يوليو ٢٠٠٣)، ص ١٦٢-١٦٣؛ L. Bréhier, "La marine de Byzance du VIIe au XIe siècles," *Byz* 19(1949), 6-7.

[4] *Taktikon Usp.*, 49.

[5] *Traité Phil.*, 139.

يحملون لقب "**استراتيجوس**" مثل استراتيجوس الكيبيرايوت، واستراتيجوس ساموس،[1] واستراتيجوس جزر بحر أيجة.[2] وقد حملوا جميعا لقبي "**أنثيباطوس وبطريق**".[3]

وتبنغي الإشارة إلى نقطة مهمة هنا وهي أن الإمبراطور نقفور فوقاس كان قد أسند قيادة الحملة البحرية الموجهة ضد مسلمي صقلية عام ٩٦٤م للبطريق الخصي نيقتاس، كدرونجاريوس للأسطول البيزنطي الذي هُزم من المسلمين بل وأسر نيقتاس نفسه. وبالرغم من ندرة إسناد القيادة العسكرية لخصي إلا أن ثقة الإمبراطور المفرطة في الخصيان جعلت بعضهم يخرج عن هذه القاعدة.[4]

وهكذا، يمكن القول أن قائد الأسطول البيزنطي كان يحمل في أول الأمر لقب درونجاريوس، ثم استراتيجوس، ثم ألقاباً شرفية مصاحبة للقب الأخير مثل "**الأنثيباطوس والبطريق**" للإشارة إلى مكانته الرفيعة في القرن العاشر الميلادي. أما "**البطريق واللغثيط**" أو "**بطريق البحر**" قائد الأسطول البيزنطي فيبدو أنه كان يشير إلى القائد العام للأساطيل البيزنطية، أو بمعنى آخر قائد عام الحملة البحرية المرسلة للغزو، والتي كانت تشترك فيها قطع الأساطيل المختلفة القادمة من الثيمات البحرية البيزنطية، كما في حالة هيميريوس.

### ٤- قومس- القومي

**المصطلح البيزنطي:** قُومِس ὁ κόμης

**المفهوم العربي:** كان لقبًا وظيفيًا لمن يقود مائتي رجل من الجنود، حسب قول مسلم ابن أبي مسلم الجرمي وقدامة بن جعفر.[5]

---

[1] عن نشأة ثيمي ساموس وبحر أيجة البحريين انظر طارق منصور، قطوف الفكر البيزنطي، ص ١٧٦-١٧٧.

[2] Const. Porph., *De Ceremoniis*, II, 651-652; *Taktikon Escurial*, 263, 265.

[3] *Traité Phil.*, 101, 105, 139; *Taktikon Beneševič*, 247.

[4] *Cedrenus*, II, 360. Cf. *Leonis Diaconi Caloensis Historiae Liberi Decem et Liber de Vilitatione Bellica Nicephori Augusti*, ed. C. B. Hase, *CSHB* (Bonn1828), 65-67; Guilland, *Les eunuques dans l'émpire byzantine*, 208-209.

[5] ابن خردانبه، المسالك والممالك، ص ١١١؛ قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص ١٨٩.

أما الخُوارزمي فيتفق معهما في قيادته، غير أنه صحف اسمه تماماً، حيث أسماه القومي.[1]

**الواقع البيزنطي:** نقابل هذا اللقب الوظيفي بالفعل في فترة مبكرة من عمر بيزنطة، حيث نقابله في عهد الإمبراطور جوليان Julianus (٣٦١-٣٦٣م)، وفي عهد الإمبراطور جوفيان Jovianus (٣٦٣-٣٦٤م)، والقُومِس أوستريس في عهد ليو الأول Leo I (٤٥٧-٤٧٤م)، والقُومِس موريانوس Maurianus في عهد الإمبراطور زينون Zeno (٤٧٤-٤٩١م)، والقُومِس ثيوكريتيس Theocritus في عهد الإمبراطور جستين الأول Justin I (٥١٨-٥٢٧م)، وموريس قومِس الاكسكوبيتر في القرن السادس الميلادي،[2] والقُومِس بريسكوس Priscus قومِس قوات الاكسكوبيتر في عهد الإمبراطور فوقاس Phocas (٦٠٢-٦١٠م).[3]

ويبدو أن لقب قُومِس في تلك الفترة كان لقبًا وظيفيًا رفيعًا، حيث نقابل على سبيل المثال قُومِس الدُمستقات *comes doesticorum* في عهد الإمبراطور جوليان؛[4] أما ثيوكريتيس -السابق ذكره- فكان يعمل دُمستقاً، وبريسكوس كان يعمل قائدًا لقوات الحرس المركزية (الاكسكوبيتر).

بيد أننا نقابل هذا اللقب في الفترة التالية للإشارة إلى أكثر من وظيفة يحمل صاحبها لقب قُومِس مُلحقاً ببقية المسمى الوظيفي، حيث كان يحمله على سبيل المثال **"ناظر الخيمة الإمبراطورية"**[5] (قُومِس الخيمة الإمبراطورية) ὁ κόμης τῆς κόρτη، الذي كان يلي الطرامخة في ترتيب الصدارة في الكليترولوجيون،[6] وكذلك **"ناظر الإسطبلات الإمبراطورية"**[7] (قُومِس الاسطبل

---

[1] الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ٧٧.

[2] Haldon, *Byzantine Praetorians*, 97.

[3] *Chronicon Paschale*, 41, 43, 89, 97, 104, 155.

[4] *Chronicon Paschale*, 41.

[5] اعتمدنا في إيجاد المقابل العربي لهذه الوظيفة البيزنطية على ما رصده الأستاذ الدكتور حسن الباشا "الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج ٣، ص ١١٧٩.

[6] *Traité Phil.*, 109. See also Bury, *The Imperial Administrative System*, 42; Ahrweiler, *Recherches*, 37; Bréhier, *Institutions*, 362.

الإمبراطوري) ὁ κόμης τοῦ σταύλου .[2] وكان يحمل هـذا اللقـب أيـضاً قائـد فرقـة حـرس الهيتاريـة ويـسمى "قُـومس الهيتارية" ὁ κόμης τῆς ἑταιρεία ،[3] وقائد فرقة حرس الأسـوار، ويسمى "قُومس التيخيون" ὁ κόμης τῶν τειχέω.[4] كما كان قائد إقليم (ثيم) الأوبسيق يحمل لقب "**بطريق وقُومس الأوبسيق**"،[5] كما كان يحمل عدداً من الألقاب الـشرفية البيزنطيـة، ويـأتي فـي ترتيـب الـصدارة حـسب الكليترولوجيون في المرتبة الثامنة بين موظفي الدولة، وبعد استراتيجوس إقليم (ثيم) التراقيسيان بين قادة الأقاليم.[6]

جدير بالذكر أن قومِس الأوبسيق، الذي كان يقود ستة آلاف جندي،[7] لـم يستمر في حمل لقب قومِس، حيث حمل بعد ذلك لقب استراتيجوس وذلك مـع تطور الثيمات البيزنطية وزيادة عددها.[8] كما كان هناك قادة لوحدات عسكرية (باندات) يعملون في الجيش البيزنطي يحملون لقب قمامسة أيضًا.[9]

وهكذا، يلاحظ أن المسلمين لم يسجلوا ما يقابل هذه الوظيفـة العـسكرية بالعربية، بل نقلوها نقلاً صوتياً فقط، مع التعريف بطبيعة شاغلها.

---

[1] اعتمدنا في إيجاد المقابل العربي لهذه الوظيفة البيزنطية على ما رصده الأستاذ الدكتور حسن الباشا "الفنـون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج ٣، ص ١١٨٢-١١٨٣.

[2] *Taktikon Usp.*, 53; *Taktikon Beneševič*, 249; *Taktikon Escurial*, 271.

يبدو أن صاحب هذه الوظيفة ازدادت أهميته في عهد ليو السادس حيث نجده عند فيلوثيوس الحاجـب يحمـل ألقاباً شرفية عديدة "الأنثيباطوس البطريق قُومِس الإسطبل الإمبراطوري". ( *Traité Phil.*, 141) كما كـان يحمل لقب "بروتوسباثاريوس". *Traité Phil.*, 145.

[3] *Traité Phil.*, 111; A. Dain, *L'extraite tactique tiré de Leon VI le sage* (Paris 1942), 97. See also Bury, *The Imperial Administrative System*, 42.

[4] Bury, *The Imperial Administrative System*, 67.

[5] *Theophanes*, 605; *Taktikon Usp.*, 49.

[6] *Theophanes*, 605; *Traité Phil.*, 101, 105.

[7] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٩٩؛ قدامه بن جعفر، كتاب الخراج، ص ٢٥٧، انظر أيضاً، E. Brooks, "Arabic Lists of the Byzantine Themes," *JHS* 21(1901), 74.

[8] Brooks, *Arabic Lists of the Byzantine Themes*, 74.

[9] Ahrweiler, *Recherches*, 37.

## ٥- صاحب الحرس

**المصطلح البيزنطي:** ربما الهيتريارخيس ὁ ἑταιρειάρχης أو درونجاريوس الفيجلا

**المفهوم العربي:** ورد مصطلح "صاحب الحرس" في ترتيب الصدارة عند مسلم الجرمي بعد القاضي، دون زيادة.[1]

**الواقع البيزنطي:** ربما كان هذا اللقب العسكري ترجمة عربية صحيحة لوظيفة قائد فرقة حرس الهيتارية بالقسطنطينية المسمى الهيترياريخيس ὁ ἑταιρειάρχης ، حيث كانت الهيتارية تمثل الحرس الشخصي للإمبراطور، وبصورة واقعية حاشيته، التي يبدو أن وحداتهم كانت ترافقه في كل الأوقات عندما كان يغادر المدينة، إما في حملة عسكرية أو في رحلات الصيد؛ وهم الذين كانوا يشكلون حامية القصر.[2] وتذكر الكليترولوجيون الهيترياريخيس الكبير، الذي كان يحمل بالإضافة إلى لقب **"بطريق"** لقب **"انثيباطوس"**، وكذلك لقب **"بروتوسباثاريوس"**.[3] وفي تكتيكون بنشفيك يحمل لقب **"بروتوسباثاريوس"** ويأتي في المرتبة الخامسة والستين.[4] وفي تكتيكون الاسكوريال هناك **"الهيترياريخيس الكبير"**، ويأتي في المرتبة الثامنة والعشرين بعد المائة، وهناك أيضًا **"هيترياريخيس فرقة الهيتارية الوسطى"**، ويأتي في المرتبة الرابعة والخمسين بعد المائة، **"وهيترياريخيس فرقة الهيتارية الثالثة"**، ويأتي في المرتبة السادسة والخمسين بعد المائة، **"وهيترياريخيس فرقة هيتارية المشاة"**، ويأتي في المرتبة الثامنة والخمسين بعد المائة.[5]

---

[1] ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ١١٢؛ الهمذاني، كتاب البلدان، ص ١٩١.

[2] انظر: Bréhier, *Institutions*, 354; Bury, *The Imperial Administrative System*, 106; idem, *Eastern Roman Empire*, 228; Guillou, *La civilization byzantine*, 123. وقد تشكلت هيتارية الإمبراطور بدرجة رئيسة من الأجانب، أو بتعبير آخر من المرتزقة، بالإضافة إلى مقدونيين، ويونانيين وطنيين. وكان يقود هذه الفرقة الهيترياريخيس، الذي لا نجد له ذكر عند فيلوثيوس إلا بين أعضاء طبقة الاستراركات. انظر: *Traité Phil.*, 107. See also Bury, *The Imperial Administrative System*,106-107; Diehl, *Byzantium*, 42; Okonomidès, *Les listes des préséance byzantines*, 327; Guillou, *La civilization byzantine*, 12.

[3] *Traité Phil.*, 107, 139, 145.

[4] *Taktikon Beneševič*, 249.

[5] *Taktikon Escurial*, 269, 271.

وهناك احتمال آخر قد يكون الأقرب إلى الواقع وهو أن الجرمي قصد درونجاريوس الأريثموس/الفيجلا، حيث كان يتحتم على فرقة حرس الأريثموس القيام بتأمين الإمبراطور وحماية القصر بصفة خاصة من الخارج؛[1] وعمل دوريات الحراسة المسائية في حالات السلم، التي كانت الشغل الشاغل لأفرادها؛[2] كذلك كان عليها حراسة موقع الهيبودروم، ومقر المحاكم، وذلك في القرن التاسع الميلادي. وفى حالة الحملات العسكرية التي يقودها الإمبراطور شخصياً، كان على الدرونجاريوس وفرقته أن يصطحبوا الإمبراطور أينما يذهب، وعليهم ألا يبتعدوا مطلقاً عن معسكره.[3] حيث كان درونجاريوس الأريثموس/الفيجلا مسؤولاً عن حراسة هذا المعسكر، لاسيما الخيمة الإمبراطورية،[4] بالإضافة إلى قيامه بنقل أوامر الإمبراطور إلى القادة.[5]

لقد كان درونجاريوس الأريثموس/الفيجلا موظفاً كبيراً، وإن كان في القرن التاسع أدنى من كثير من القادة العسكريين الآخرين، الذين كانوا يسبقونه في ترتيب الأسبقية.[6] وكان يحمل بالإضافة إلى لقب "**بطريق**" لقب "**أنثيباطوس**"،[7]

---

[1] Oikonomides, *Les listes des préséance byzantines*, 331; Guillou, *La civilization byzantine*, 124.

[2] Const. Porph., *Le liver des céré.*, I, 45.

[3] Oikonomides, *Les listes des préséance byzantines*, 331; Guillou, *La civilization byzantine*, 124.

[4] كانت هناك خيمة للإمبراطور بصفة خاصة، كما كان للاستراتيجوس أيضاً، وعلى سبيل المثال الخيمة الإمبراطورية لميخائيل الثالث، انظر: G. Monachus, *Vitae Recentiorum Imperatorum*, in Theophanes Cont., ed. I. Bekker, *CSHB* (Bonn 1838), 830; Symeon Magister ac Logothetae, *Chronographia*, ed. I. Bekker, *CSHB* (Bonn 1838), 678.

وعندما كان يقود الإمبراطور حملة عسكرية فإن قمامسة الخيام في الثيمات المختلفة كانوا ينتظرونه لينصبوا له خيمته، وبرفقتهم الكورتيناريه *Cortinarii*، الذين يعملون تحت قيادة القمامسة؛ ويرافقون درونجاريوس الأريثموس في طوافه الليلي حول المعسكر. كما كان عليهم تجهيز جياد البريد لدرونجاريوس الأريثموس، لأجل المهام الإمبراطورية. وربما كانوا يبعثون أيضاً في مهام خاصة. انظر: Bury, *The Imperial Administrative System*, 43 ff.

[5] Bury, *Eastern Roman Empire*, 228; Bréhier, *Institutions*, 354.

[6] انظر: *Taktiton Usp.*, 47, 49; *Traité Phil.*, 101.

[7] *Traité Phil.*, 139.

كما كان يحمل لقب "بروتوسباثاريوس".[1] أما في القرن العاشر فكان درونجاريوس الفيجلا يأتي في المرتبة الرابعة والستين، حاملاً لقب "بروتوسباثاريوس"،[2] وفي المرتبة السادسة والعشرين بعد المائة، دون ألقاب شرفية، طبقاً لتكتيكون الاسكوريال.[3]

جدير بالذكر أن شغل هذا المنصب ومن ثم حمل لقبه الوظيفي "درونجاريوس" شمل أيضا الطواشية (الخصيان)، الذين شكلوا طائفة خاصة في الجهاز الإداري الحكومي آنذاك، وأصبحت مكانتهم ليست بالبسيطة فيه،[4] حيث نقرأ عن الخصي داميانوس Damianus الذي عينته الإمبراطورة زوي Zoe (٩١٣-٩١٩م) قائدًا لفرقة الفيجلا بالقسطنطينية أي درونجاريوس.[5]

## ٦- المرقب

**المصطلح البيزنطي:** غير معلوم ؟

**المفهوم العربي:** ورد في ترتيب الصدارة عند مسلم الجرمي بعد صاحب الحرس، دون زيادة.[6]

**الواقع البيزنطي:** ربما كان مسلم الجرمي يقصد هنا قُومِس الأسوار، المسؤول عن مراقبة وحراسة الأسوار، والذي كان يحاط علماً بالمواكب التي سيشارك فيها الإمبراطور حتى يتخذ الإجراءات اللازمة لحمايته.[7] كما كان يظهر مع دُمستق حرس الاكسكوبيتر وديمارخ الخضر في حفلات الرقص التي تقام في البلاط الإمبراطوري.[8]

---

1 *Traité Phil.*, 145.
2 *Taktikon Beneševič*, 249.
3 *Taktikon Escurial*, 269.
4 Geanakoplos, *Byzantium: Church, Society, and Civilization*, 264.
5 Theophanes Continuatus, *Chronographia*, ed. I. Bekker, *CSHB* (Bonn 1838), 386. Cf. also Guiland, *Les eunuques dans l'émpire byzantine*, 208.
6 ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ١١٢؛ الهمذاني، كتاب البلدان، ص ١٩١.
7 R. Guilland, "Etudes sur l'histoire administrative de l'empire byzantine: le comte des murs," *Byz* 34(1964), 19.
8 Const. Porph., *Le liver des céré.*, II, 104.

ورغم أن قُوميس/دُمستق الأسوار كان موظفًا مستقلاً فقد كان يرتبط ارتباطاً وثيقاً بدُمستق حرس الاكسكوبيتر، وحزب الخضر الذي كان يرأسه دُمستق حرس الاكسكوبيتر، بصفته ديمقراطاً للخضر. وكان دُمستق الأسوار يشغل في الواقع مع دمستق حرس الاكسكوبيتر مقر إقامة أفراد الأخير، بغية السهر على أمن القصر الكبير، ومن المحتمل أنه كان يتولى القيادة في حالة غياب دُمستق حرس الاكسكوبيتر.[١]

ويأتي قُومِس الأسوار في المرتبة الخامسة والسبعين، بعد دُمستق الأوبتيماطى، في تكتيكون أوسبنسكي.[٢] أما في الكليترولوجيون فإنه يحتل المرتبة الرابعة والأربعين بعد دُمستق الأوبتيماطى أيضاً، بين موظفي الدولة؛[٣] كما كان يحتل المرتبة الأخيرة في طبقة الدُمستقات، حيث كان يلقب هنا بدُمستق وليس قوميس.[٤] أما عن الألقاب الشرفية التي كان يحملها فقد كان يحمل لقب "**انثيباطوس**" بالإضافة إلى لقب "**بطريق**"، كما كان يحمل لقب "**بروتوسباثاريوس**".[٥]

وفي بدايات القرن العاشر احتل قُومِس الأسوار المرتبة الرابعة والسبعين، دون ألقاب شرفية، طبقاً لتكتيكون بنشفيك؛[٦] أما في أواخر القرن العاشر فقد احتل المرتبة الثامنة والثلاثين بعد المائة، دون ألقاب شرفية أيضاً، طبقاً لتكتيكون الاسكوريال.[٧]

1 Guilland, *Le comte des murs*, 19.
2 *Taktikon Usp.*, 53.
3 *Traité Phil.*, 103.
4 *Traité Phil.*, 107.
5 *Traité Phil.*, 145.
6 *Taktikon Beneševič*, 249.
7 *Taktikon Escurial*, 271.

## ٧- عامل الدروب

**المصطلح البيزنطي: كليزورارخيس** ὁ κλεισουράρχης

**المفهوم العربي:** وردت هذه الوظيفة عند مسلم الجرمي الذي نقلها إلى العربية لتعني المقصود منها تماماً في الهيكل الإداري البيزنطي؛[1] كما وردت عند الإدريسي حيث يقول "**وعمل سلوقية من ناحية بحر الشام ويتولاها عامل الدروب وفيه من المدن سلفكية وهي سلوقية وعشرة حصون.**"[2]

**الواقع البيزنطي:** كانت المناطق الحدية بين المسلمين والبيزنطيين (الكليزورات)، سواء خرشنة أو قبادوقيا أو ليكاندوس، قبل رفعها إلى مرتبة الثيم الذي يتولاه استراتيجوس، عبارة عن تنظيمات حدية يتولى الدفاع عنها الكليزورارخات κλεισουράρχαι، الذين كان يتم تعيينهم عليها، ليقودوا القوات الحدية للدفاع عن الأراضي البيزنطية الحدية من صوائف المسلمين وشواتيهم.[3] وقد أصبح كليزورارخ سلوقية (منطقة قبادوقيا) استراتيجوساً في عهد رومانوس ليكابينوس، حيث يرد ذكر اسمه ولقبه الوظيفي في تكتيكون بنشفيك، التي تعود إلى القرن العاشر الميلادي.[4] وقد كان الكليزورارخ يحمل لقب "**بروتوسباثاريوس**"،[5] ولقب "**سباثاروكانديدات**"[6] أيضاً في عهد ليو السادس.[7]

---

[1] ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ١٠٩.

[2] الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (بيروت ١٩٨٩)، ج٢، ص ٨٠٤.

[3] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٩٩؛ *Taktikon Usp.*, 55; Const. Porph., *De Cer.*, II, 697; *Theophanes Continuatus,* 181. See also Bréhier, *Institutions*, 358; Brooks, *Arabic Lists of the Byzantine Themes*, 74, 76.

انظر أيضاً، زبيدة عطا، صورة الفارس الإقطاعي، ص ٧٥؛ طارق منصور، قطوف الفكر البيزنطي، ص ١٣٧.

[4] *Taktikon Beneševič*, 247.

[5] *Traité Phil.*, 147.

[6] سباثاروكانديدات: الذكر الأول لهذا اللقب يظهر في عام ٦٤٥م، ثم في عهد ليو الثالث الإيسوري، وكذلك في القرن العاشر. والسباثاروكانديدات غير منكور في تكتيكون أوسبنسكي، على الرغم من أن بتروناس، في عهد ميخائيل الثالث، كان يحمل هذا اللقب قبل أن يُرقى إلى مرتبة بروتوسباثاريوس. وكان حامل هذا اللقب يحمل شارة عبارة عن سلسلة ذهبية من نوع معين. انظر: Bury, *The Imperial Administrative System,* 22, 26-27.

[7] *Traité Phil.*, 149.

وعلى الرغم من الألقاب التي يحملونها إلا أنهم في المناسبات الرسـمية كـان يتعين عليهم أن يتأخروا قليلاً بعدة خطـوات عـن الاستراتيجوسـات، قـادة الثيمات، لاسيما عند مدخل القصر الإمبراطوري.[١]

وفي بدايات القرن العاشر احتل الكليزورارخ المرتبة الثامنة والثمـانون، حاملاً لقب "**بروتوسباثاريوس**" الشرفي، طبقاً لتكتيكون بنشفيك؛[٢] أما في أواخر القرن العاشر فقد احتل الكليزورارخات المرتبة الرابعة والستون بعد المائـة، دون ألقاب شرفية، طبقاً لتكتيكون الاسكوريال،[٣] مما يـوحي بتـدني مـرتبتهم وقرب اختفاء الكليزورا كتنظيم حدي.

وهكذا، فإن عامل الدروب هو مقابل عربي صحيح للكليزورارخ، كما في اليونانية، وتعني متولي الدروب، أي قائد القوات البيزنطيـة المرابطـة عنـد منطقة الدروب القيليقية بين بيزنطة والمسلمين.[٤]

### ٨- كيليرج

**المصطلح البيزنطي: ربما الكليزورارخيس** ὁ κλεισουράρχης

**المفهوم العربي:** يذكر ياقوت الحموي هذا اللقب عند حديثه عن إقليم سلوقية وقائده، حيـث يقـول: "...**واسـم صـاحب هـذا العمـل كيليـرج ومرتبتـه دون مرتبـة الاصطرطغوس وتفسيره صاحب الدروب وقيل تفسيره وجه الملك.**"

**الواقع البيزنطي:** انفرد ياقوت بذكر هذا الشكل للكليزورارخ، ويعرفه بأنه صاحب الـدروب، وأن مكانته أقل من الاستراتيجوس، والي الإقليم، وأن سلوقية وخرشنة قبل أن

---

[1] طارق منصور، الجيش في الإمبراطورية البيزنطية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بنهـا، ١٩٩٣، ص ٢٢٧.

[2] *Taktikon Beneševič*, 251.

[3] *Taktikon Escurial*, 271.

[4] كانت البوابات القيليقية عبارة عن ممرات أو دروب تمر عبر جبال طوروس وطورس الداخليـة التـي تكـاد تفصل بين الحدود الإسلامية والبيزنطية في آسيا الصغرى. عن هذه الدروب انظر: ابـن خردانبـه، المـسالك والممالك، ص ١٠٠-١٠٤، ١١٠، ١١٣.

تصبحا أقاليم عسكرية (ثيمات) كان يتولى كل منهما كليزورارخ.[١] وبهذا يعتبر قول ياقوت هو الأقرب إلى الصواب من حيث النطق ومن حيث التفسير.

### ٩- طرمارخ – طوماخ – طرخان - طرموخين

**المصطلح اليوناني:** طورمارخيس ὁ τουρμάρχης

**المفهوم العربي:** كان قائداً عسكرياً يقود خمسة آلاف جندياً، حسب قول مسلم الجرمي.[٢] أما ابن حوقل فيقول عن الطرامخة أنهم "**التُناءُ وأرباب النعم من أهل من يولد بالقسطنطينية للطرامخة فللملك عليه جراية من وقت يولد إلى آخر عمره، يدرج في أسباب الزيادة والنقصان في أعطيته وأرزاقه عند درج بلوغه وتكهله، وبقدر استحقاقه للزيادة عند تعلقه بأسباب الرياسة من علم سياسة أو صعلكة وتقدم في أسباب شجاعة أو ترسم بالرأي والفهم، إلا أن يترهب فيستعفي من العطاء فيعفيه الملك منه.**" وهم يَلُون الزراورة في المكانة والتصدر.[٣]

ويطلق قدامة بن جعفر على هذا القائد اسم طوماخ، بحذف الراء؛ ويتفق مع الجرمي في أنه يقود خمسة آلاف مقاتل، مما يؤكد أنه يقصد الطومارخ.[٤]

أما الخوارزمي فقد ذكره باسم الطرخان، ويؤكد على أنه يعمل تحت يد البطريق.[٥]

ويذكره ياقوت الحموي عند حديثه عن ثيم الأناضول بقوله: "**ومنزل الاصطرطغوس مرج الشحم وجنده خمسة عشر ألفا ومعه ثلاثة طرموخين**".[٦]

**الواقع البيزنطي:** كان يختلف عدد الطرامخة باختلاف الأقاليم، فكان الطرمارخ يقود قسماً من قوات الأقاليم، وهو أهم شخص يلي قائد الإقليم في الجيش التابع له. كما

---

[1] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٩٩-١٠٠.

[2] ابن خردانبه، المسالك والممالك، ص ١١١.

[3] ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٧٨-١٧٩.

[4] قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص ١٨٩.

[5] الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ١٨٩.

[6] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٩٩.

كان له مرتبة أكبر من مرتبات الضباط الآخرين في الأقاليم.[1] ومن حيث المقام نجده في تكتيكون أوسبنسكى يحمل لقب "**سباثاريوس**"،[2] أما في الكليترولوجيون فإننا نجده ليس فقط "**سباثاريوس**" بل "**سباثاروكانديدات**" أيضاً،[3] وهى مرتبة أعلى من الأخرى قليلاً. وفي بدايات القرن العاشر، وطبقاً لتكتيكون بنشفيك، نجد الطرامخة يحتلون المرتبة المائة وواحد،[4] ولا يظهرون في تكتيكون الاسكوريال؛ مما يشير إلى تدني أهميتهم في التنظيم الإداري لبيزنطة.

وقد كان الطرمارخ يقود إحدى تورمات الجيش.[5] وهو الذي كان يساعد قائد الإقليم (الاستراتيجوس) في قيادة جيشه ويوضع على رأس الجناح الأيمن في التشكيل.[6] كما كان الطرمارخ يدير القسم الخاص به من الإقليم أيضاً.[7] وقد كان عدد التورمات وقادتها يتفاوت من إقليم إلى آخر.[8]

وهكذا، نقل بعض المسلمين الاسم صحيحًا إلى العربية بعد إسقاطهم للنهاية اليونانية "ης-"، كما صحَّفه البعض الآخر منهم؛ غير أنهم لم يسجلوا ما يقابل هذه الوظيفة العسكرية بالعربية، بل نقلوها نقلاً صوتيًا فقط، مع التعريف الصحيح بطبيعة شاغلها.

## ١٠- طرنجار-طربخار

**المصطلح البيزنطي:** درونجاريوس ὁ δρουγγάριος

**المفهوم العربي:** كان قائداً عسكرياً يقود ألفاً من الجند، حسب قول مسلم بن أبي مسلم الجرمي.[9] ويتفق قدامة بن جعفر مع الجرمي في مهام هذا القائد، غير أنه

1 Bréhier, *Institutions*, 362.
2 *Taktikon Usp.*, 59.
3 *Traité Phil.*, 151.
4 *Taktikon Beneševič*, 251.
5 Ensslin, *Government*, 37; Bury, *The Imperial Administrative System*, 41; idem, *Eastern Roman Empire*, 226; Diehl et Marçais, *Moyen âge*, 500; Lot, *Militaire*, 64.
6 Bréhier, *Institutions*, 368.
7 Ensslin, *Government*, 37.
8 Bury, *The Imperial Administrative System*, 41.
9 ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ١١١.

يصحف لقبه الوظيفي،[1] وربما يكون بسبب وضع النقاط في غير محلها، نظراً لتشابه الأحرف.[2]

**الواقع البيزنطي:** يظهر هذا اللقب العسكري في عهد الإمبراطور هرقل، حيث كان يحمله القائد ثيودوتوسTheodotus.[3] ولما كانت التورما العسكرية تنقسم إلى خمسة درونجات، فرق ألفية، فقد كان يقودها خمسة درونجات... إلخ.[4] وهناك ذكر لطرنجارات الباندات ضمن هيئة استراتيجوس الأناضول، زمن ليو السادس.[5] وقد كان لقب درونجاريوس الوظيفي يستخدم أيضا لقادة البحر، وقائد فرقة حراسة بالعاصمة القسطنطينية والمسماة الفيجلا أو الأريثموس- كما سبق وأشرنا.

وهكذا، لم يسجل المسلمون بالعربية ما يقابل هذه الوظيفة العسكرية، بل نقلوها نقلاً صوتياً مصحفاً، حيث إن النطق الصحيح لها هو "درونجاريوس"، مع تعريفهم بطبيعة شاغلها.

## ١١- قِنطرخ

**المصطلح البيزنطي:** قِنْطارخوس ὁ κένταρχος

**المفهوم العربي:** كان قائداً عسكرياً يقود أربعين جندياً، حسب أقوال مسلم الجرمي وقدامة بن جعفر والخوارزمي.[6]

**الواقع البيزنطي:** ترد إشارة لهذا اللقب الوظيفي فقط في الكليترولوجيون حيث تذكر **"قنطرخ الاسباثيرات"** (قنطرخ حَمَلة السيوف) ضمن هيئة استراتيجوس الأناضول؛[7]

---

1 ربما نجم التصحيف عن ناسخ المخطوطة مع عدم خبرة محررها أو قلة اهتمامه بالتحقيق.

2 قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص ١٨٩.

3 *Chronicon Paschale*, 186.

4 ابن خردانبة، المسالك والممالك، ص ١١١، انظر أيضاً، Bury, *The Imperial Administrative System*, 41; Ensslin, *Government*, 38.

5 *Traité Phil.*, 109.

6 ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ١١١؛ قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص ١٨٩؛ الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ٧٧.

7 *Traité Phil.*, 111.

كما يرد ذكر القنطرخات ضمن هيئات فرق الحراسة الإمبراطورية بالقسطنطينية.[1]

وهكذا، لم يسجل المسلمون بالعربية ما يقابل هذه الوظيفة العسكرية، بل نقلوها نقلاً صوتياً صحيحًا بكسر القاف، بعد إسقاطهم لنهاية الكلمة اليونانية "-ος"، مع التعريف بطبيعة شاغلها.

## ١٢- داقرخ-الداقراح

**المصطلح البيزنطي:** دَقارخيس ὁ δακαρχης

**المفهوم العربي:** كان قائداً عسكرياً يقود عشرة رجال، حسب قول مسلم الجرمي وقدامه بن جعفر.[2] وعلى الرغم من أن الخُوارزمي ذكر قيادته العسكرية بصورة مضبوطة، غير أنه صحف الاسم إلى حد كبير[3] فأسماه الداقراح.[4]

**الواقع البيزنطي:** نظراً لبساطة هذه الوظيفة مقارنة مع الوظائف العليا في الدولة البيزنطية فلا ذكر لها في مصادر الإدارة البيزنطية.

وهكذا، لم يسجل المسلمون بالعربية ما يقابل هذه الوظيفة العسكرية، بل نقلوها نقلاً صوتياً فقط، مع التعريف بطبيعة شاغلها.

## ١٣- الزراورة

**المصطلح البيزنطي:** غير معلوم ؟

**المفهوم العربي:** هم كثرة لا يحصون كالقواد اللاحقين بالأمراء. ويأتون في المكانة والتصدر بعد البطارقة.[5] ويفهم من وصف ابن حوقل هذا لهم أن الزراورة لقب أو صفة خلعها العرب على هذه الفئة من الأتباع.

**الواقع البيزنطي:** غير معلوم

---

[1] *Traité Phil.*, 115, 117, 119, 157.

[2] ابن خردانبه، المسالك والممالك، ص ١١١؛ قدامة بن جعفر، كتاب الخراج وصناعة الكتابة، ص ١٨٩.

[3] ربما نتج هذا التصحيف عن ناسخ المخطوط مع عدم خبرة محررها أو قلة اهتمامه بالتحقيق.

[4] الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ٧٧.

[5] ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٧٨.

**الخاتمـــة:**

هكذا، أثبتت الدراسة أن العرب المسلمين كانوا على دراية ليست بالقليلــة بالوظـــائف والألقاب البيزنطية، وبينت إلى أي مدى كان استيعاب العرب المسلمين لها من خلال مقارنتها بما ورد في المصادر البيزنطية ويكشف النقاب عن الواقع الذي كانت عليه ببيزنطة. غير أن المسلمين فهموا بعض الألقاب البيزنطية على حقيقتها، وهناك البعض الآخر لم يحددوا المقابل العربي لها؛ وهناك ألقاب خلطوا بينها وبين الوظائف وبين كينونتها هذه وبين أســماء قــادة بيزنطيين.

بيد أنه، وعلى الرغم من ذلك، تمكن الكتاب المسلمين من تــسجيل عــدد كبيــر مــن الوظائف المدنية ورصدوا ما يقرب من ثمان عشرة وظيفة ولقباً على نحو صحيح. وبــرغم كثرة المعارك الحربية وطول مدتها بين المسلمين والبيزنطيين لم يرصدوا سوى ثلاث عشرة وظيفة ولقبا عسكريًا، وربما هذا يعكس عنصر السرية أثناء القتال، فمن المعروف أنه أثنــاء القتال لا تتم المجاهرة بالألقاب العسكرية الدالة على وظيفة صاحبها أو منصبه خشية الوقوع في الأسر والمساومة عليه عند فك أسره.

أما فيما يخص الألقاب والوظائف المدنية فقد اقتصرت معرفة المسلمين على الوظـــائف الرفيعة–حسب وجهة نظري– وذلك من خلال العناصر العربية أو السفراء المسلمين الـــذين ترددوا على البلاط البيزنطي، أو من خلال الأسرى المسلمين الــذين أســرهم البيزنطيــون وأرسلوهم في الأصفاد إلى القسطنطينية؛ ولعل أكبر دليل على ذلك تلك الروايات المهمة التي سجلها الأسيران مسلم بن أبي مسلم الجرمي وهارون بن يحيى[1] عن نُظم مدينة القــسطنطينية بصورة ثرية ودقيقة إلى حد كبير.

---

[1] Jean-Charles Ducène, "Une deuxième version de la relation d'Hārūn ibn Yahyā sur Constantinople," *Der Islam* 82/2 (2005), 241–255. see also: http://www.reference-global.com/doi/abs/10.1515/islm.2005.82.2.241

# الفصل الرابع

# الحرس الإمبراطوري البيزنطي

## (من القرن السابع إلى القرن التاسع الميلادي)

لا يستطيع الباحث في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية أن يغفل الدور المهم الذي لعبه الجيش البيزنطي في الذود عن حدود الإمبراطورية البيزنطية ضد أعدائها الذين جاءوها من كل صوب وحدب. وكما هو معمول به الآن في عالمنا المعاصر فقد انقسمت القوات العسكرية في الدولة البيزنطية إلى قسمين، أولهما فرق الأقاليم العسكرية والتي كانت تعرف باسم "الثيماتا"؛ وثانيهما فرق الحرس الإمبراطوري التي كانت تعرف باسم "التاجماتا"، والتي كانت ترابط في العاصمة البيزنطية القسطنطينية وضواحيها، وهى محل دراستنا في هذا البحث؛ وهي الفرق التي كانت مخصصة في المقام الأول لتقوم بدورين أساسيين: الأول: الدفاع عن الإمبراطور والعرش الإمبراطوري، الثاني: تشكيل القوة الضاربة في قلب الجيش البيزنطي عندما يتحرك لقتال الأعداء بصحبة الإمبراطور على رأسها.

لقد كانت هناك أربع فرق من الفرسان للحرس الإمبراطوري، بنهاية القرن التاسع الميلادي، وهى فرقة الاسكلاريه *Scholae*، والاكسكوبيتر *Excubitores*، والأريثموس *Arithmos*، والهيكانتيه *Hikanatoi*؛ بالإضافة إلى فرقة مكونة من المشاة تسمى النوميرا *Numeri*. كما كانت هناك أيضاً فرقة تسمى الهيتاريه *Hetairia*، بالإضافة إلى تلك الفرقة التي كانت تعنى بأمر حراسة أسوار العاصمة. ولما كانت هذه الفرق متعددة ومختلفة وكل منها لها تاريخها، فقد آثر الباحث أن يتناول كل منها على حده مع الدراسة والتحليل.

**أولاً : فرقة الاسكلارية** : كانت هذه الفرقة واحدة من فرق الحراسة الإمبراطورية الرئيسية الأربع، وهى الأعلى مقاماً، ومن المحتمل الأقدم أيضاً[1]، مما يعنى أنها كانت من التنظيم العسكري السابق على القرن السابع الميلادي. ويعتبر بعض المؤرخين المحدثين أن قوات هذه

---

[1] I. Heath, *Byzantine Armies 886-1118AD.* (London 1956), 19; L. Bréhier, *Les institutions de l'empire byzantin* (Paris 1943), 353; J. B. Bury, *A History of the Eastern Roman Empire* (London 1914), 227; Idem, *The Imperial Administrative System in the Ninth Century* (London 1911), 47-48; A. Guillou, *La civilization Byzantine* (Artheud 1974), 123; F. Lot, *L'art militaire et les armies* (Paris 1946), 65; R. Guilland, "Etudes sur le grand palais de Constantinople, les noumera," *REB* 1(1961), 414.

الفرقة من الفرسان الراكبة[١]، بينما يذكر برييه أنها من الفرسان والمشاة[٢]؛ لكن يبدو أنها كانت من الفرسان فقط، لأنه مذكور هناك فرقة للمشاة كاملة تسمى النوميرا، التي سيرد ذكرها في الصفحات التالية؛ كما أنها واردة عند قدامة بن جعفر على أنها من فرق الفرسان[٣].

وكان أفراد فرقة الاسكلاريه في أول الأمر مكلفين بالحراسة والمراقبة ليلاً ونهاراً في القصر الإمبراطوري الكبير[٤] حيث خصصت لهم قاعة هي تريكلينوس Triclinos الاسكولات[٥]، التي تقع بعد ممر الشالكيه Chalce[٦]. ورغم أنهم كانوا جنوداً فقد كانوا يعيشون كمواطنين بسطاء، وكانوا يلبسون زياً موحداً يتسم بالفخامة، وكانت خدمتهم تتمثل أساساً في العروض العسكرية[٧].

ويذكر قسطنطين السابع أن هؤلاء الجنود كانوا يقيمون عند الأسر البيزنطية الكبيرة، ويعيشون عندهم في غير أوقات تواجدهم في مقرهم بالقصر[٨]. ويرى المؤرخ جيان أنه من المحتمل أن بعضاً من فصائل هذه الفرقة كانت تستخدم في إضفاء مظاهر الفخامة والأبهة بوجودها في المواسم الإمبراطورية. ولكن لا يمكن أن نستنتج أن كل أفراد الفرقة كانوا

---

(١) W. Ensslin, "The Emperor and the Imperial Administration," in *Byzantium*, ed. N. Bayns and H. S. Moss (Oxford 1948), 39; Heath, *Byz. Armies*, 10; Ch. Diehl et G. Marçais, *Histoire du moyen âge* (Paris 1936), 464.

(٢) Bréhier, *Institutions*, 353.

(٣) قدامة بن جعفر، نبذ من كتاب الخراج، ملحق على كتاب المسالك والممالك لابن خردانبة (بغداد د.ت.)، ص ٢٥٦؛ J. F. Haldon, "Kudama Ibn Djafar and the Garrison of Constantinople," *Byz* 48(1978), 80.

(٤) Constantine Porphyrognétè, *Le liver des cérémonis*, trad. et com. A. Vogt, I (Paris 1935), 53. Cf. R. Guilland, "Etudes sur l'histoire administrative de Byzance: Le domestique des Scholes," *REB* 8(1951), 5.

(٥) تريكلينوس الاسكلات La Triclinos des Scholes، هو البهو الفخم الخاص بتجمع فرق الحراسة هذه، والتي تتولى مهمة حماية مدخل القصر وتقوم أيضاً بخدمة التشريفات. ويقع البهو داخل القصر، نحو باب الدخول الكبير مباشرة قبل الوصول إلى ممر الشالكيه (للخارج، وللداخل بعده). انظر، Const. Porph., *Le liver des céré.*, I, 53.

(٦) Const. Porph., *Le liver des céré.*, I, 53. Cf. Guilland, *Le domestique des Scholes*, 5.

(٧) Guilland, *Le domestique des Scholes*, 5.

(٨) Const. Porph., *Le liver des céré.*, I, 53.

يقومون بهذا الأمر، هذا من ناحية. ومن الناحية الأخرى، كان قائد عام هذه الفرقة يظهر في بعض الانتصارات بصفته كان يقود إحدى الحملات شخصياً[١].

كانت فرقة الاسكلاريه من أهم فرق الجيش الإمبراطوري. وكان مجموع وحدات هذه الفرقة، الاسكلات Scholae، في مستهل القرن الخامس الميلادي سبعاً. وكانت بعضاً من هذه الوحدات أو الاسكلات تتكون من الأجانب، الذين كان معظمهم حتى عهد الإمبراطور زينون من الأرمن بدرجة رئيسية[٢]. وكان إجمالي هذه الوحدات السبع ثلاثة آلاف وخمسمائة جندي، أي أن كل وحدة، اسكولا، كانت تتكون من خمسمائة جندي من الأشداء[٣]. وكان الإمبراطور جستنيان الأول قد أضاف ألفين من الجنود إلى هذه القوات[٤]. وبالتالي أصبح تعداد هذه الفرقة خمسة آلاف وخمسمائة جندي. إلا أنه عاد وخفضهم إلى سبع وحدات من الاسكلاريه مرة ثانية[٥].

جدير بالذكر، أن محلات الإقامة، الاسكلات، بالرغم من أن فرقة الاسكلاريه أخذت الاسم منها، إلا أن الأخيرة لم تكن تشغل كل مواقع الاسكلات السبع. وتعرف من كتاب المراسم أن كل اسكولا Schole كانت تسمى باسم الفرقة التي تقيم فيها[٦].

ولم يشر كتاب المراسم إلى جميع الاسكلات، بل أفصح عن الأولى والخامسة فقط، بينما كان يوجد سبع اسكولات. ولسنا على يقين إلا من الاسكولات التي كان يمر عليها الإمبراطور عندما كان يخرج من القصر علناً أو رسمياً. فالاسكولات الأولى والثانية كانت تشغلها الكانديدات[٧]، وكان يوجد في هذه الاسكولات أيضاً – غير تريكلينوس الكانديدات – القبة القديمة ذات الثمانية أعمدة، وكنيسة وحظيرة للبغال. والاسكولا الثالثة كانت تشغلها قوات الاكسكوبيتر Excubitores، حيث يوجد تريكلينوس هذه الفرقة، والمحكمة؛ والرابعة كان

---

(١) Guilland, *Le domestique des Scholes*, 6.

(٢) Guilland, *Le domestique des Scholes*, 6; Heath, *Byz. Armies*, 10; Bury, *The Imperial Administrative System*, 49.

(٣) Bury, *The Imperial Administrative System*, 49; Heath, *Byz. Armies*, 10.

(٤) انظر، طارق منصور، الجيش في الإمبراطورية البيزنطية، رسالة ماجستير غير منشورة، (كلية الآداب، جامعة بنها، ١٩٩٣)، ص ٥٢.

(٥) Bury, *The Imperial Administrative System*, 44; Guilland, *Le domestique des Scholes*, 5.

(٦) Const. Porph., *Le liver des céré.*, I, 55.

(٧) عن الكانديدات، انظر طارق منصور، الجيش، ص ٥٢، هـ ٦.

يشغلها تريكلينوس الاسكلاريه الحقيقية، وكنيسة سانت أبوتر St. Apotres وبعض المباني الأخرى التي لم يتسن لنا الحصول على أسمائها. أما الاسكولات الباقية : الخامسة والسادسة والسابعة فيبدو أنهم كانوا يستخدمونها كمحل إقامة للثلاثة فرق العسكرية الباقية المكلفة بخدمة القصر: الهيكانتية Hicanates، الأريثموس Arithmi، النوميرا Numeri [١].

ومن المحتمل أن تكون فرقة الاسكلاريه قد تعرضت لتغييرات على مدى القرون[٢]. وقد سبق القول إلى أن هذه الفرقة كانت تحت إمرة رئيس الديوان Mag. off.[٣]. حيث كان من عادة كبار الموظفين، المدنيين منهم والعسكريين، أن يختاروا رجلاً من خارج هيئة الموظفين التابعين لهم، يكون موضع ثقتهم، ويمكنهم أن يعهدوا إليه ببعض أعبائهم الثقيلة، وكان يمكن أن يحل هذا الرجل محلهم في بعض الأحيان. وكان يطلق على هذا الرجل في الغرب اسم دُمستق δομεστικος ὁ[٤]، وكان أكثر الناس حاجة إلى دُمستق هو رئيس الديوان. ويبدو أن لفظة دُمستق كانت مستخدمة في الشرق بنفس المعنى قبل استخدامها في الغرب بزمن طويل[٥].

كان الدُمستق يمارس نفوذاً كبيراً في توجيه دفة الأمور التي كان سيده يكلفه بها. وكان لهذا الأخير مطلق الحرية في اختيار دُمستقه، وكانت العلاقة بينهما علاقة شخصية تماماً. وفى نهاية القرن السادس الميلادي كان لكبار المدنيين والعسكريين دُمستقاتهم. ولا يبدو

---

(١) Const. Porph., *Le liver des céré.*, I, 55.

(٢) Guilland, *Le domestique des Scholes*, 6-7.

(٣) طارق منصور، الجيش، ص ٥٢.

(4) الدُمستق لقب وظيفي عسكري، كان يحمله أرفع الناس مكانة في بيزنطة ممن يعملون في منصب الدُمستقية، مثل دمستق الاسكلاريه، ودمستق ثيم الأوبتيماطي بآسيا الصغرى، ودمستقات فرق الحراسة بالقسطنطينية. وعندما نقابل لقب الدمستق بدون أي إشارة أخرى، فإن هذا يعنى دمستق الاسكلاريه. وفي النصف الثاني من القرن العاشر نقرأ عن دمستق لقوات الشرق، مقابل دمستق لقوات الغرب. لمزيد من التفاصيل انظر: *Taktikon Uspenskij (842-843 AD.)*, text et trad. N. Oikonomidès, dans: *Les listes des préséance byzantines des IX^e-X^e siècles* (Paris 1972), 47, 53; *Traité de Philothèe* (899 AD.), text and trad. N. Oikonomidès, dans: *Les listes des préséance byzantines des IX^e-X^e siècles* (Paris 1972), 105-107; *Taktikon de l'Escurial*, dans *Les listes des préséance byzantines des IX^e-X^e siècles*, ed. et trad. N. Oikonomides (Paris 1972), 263, 265, 271.. See also Bury, *The Imperial Administrative System*, 49-66; Bréhier, *Institutions*, 358. انظر أيضا: طارق منصور، "إلمام العرب المسلمين باليونانية في دار الإسلام: الألقاب والوظائف البيزنطية نموذجاً، أعمال المؤتمر الدولي الثامن لتاريخ بلاد الشام، (دمشق ٢٠٠٩).

(٥) Guilland, *Le domestique des Scholes*, 7.

أن اختيار هذا الدُمستق كان يخضع لتصريح من الإمبراطور آنذاك[١]، وطبقـاً لـذلك كـان لرئيس الديوان، شأنه في ذلك شأن غيره من الموظفين، منذ وقت مبكر جداً دُمستقاً خاصاً به؛ بدليل أن هرقل والإمبراطورة مارتينا Martine قد توجها عام ٦٢٤ م إلى الشرق ويصحبها أنيانوس Anianus، دُمستق رئيس الديوان. وليس من العسير أن نقبل القـول بـأن رئـيس الديوان كان يعهد لمرؤسه بقيادة فرقة الاسكلاريه، بصفته نائباً عنه. ثم أصبح بعد ذلك رئيساً لفرقة الاسكلاريه، دون أن يغير ذلك من خضوعه لسلطة رئيس الديوان، الذي هـو رئيـسه المباشر[٢]. ومن المحتمل أن يكون ذلك قد تم في بداية القرن الثامن الميلادي[٣] على الـرغم من أن أول إشارة صريحة له نجدها عند ثيوفانيس في عام ٧٦٧م، أثناء حكـم الإمبراطـور قسطنطين الخامس[٤]. فيخبرنا ثيوفانيس أنه إبان أزمة الأيقونات كان من أشـياع قـسطنطين الخامس في بيزنطة دُمستق الاسكلاريه أنطونيوس Antonius والماجستير بطـرس Peter، ووحدات حرس القـصر التي دربها الإمبراطـور[٥]. وقد اعتـبر المؤرخ جـيان بطرسـاً رئيسـاً للديـوان، وبذلـك يكـون علـى صلة بجنود التاجماتا، الذين كان يمـارس نفـوذه عليهم[٦]. ومن المحتمل أن يكون افتراض جيان صـحيحاً، لأننـا نقابـل رئـيس الـديوان، الماجستيروس، في تكتيكون أوسبنسكى[٧] يحتل المرتبة السادسة، وهى القائمة التي حـررت

---

(١) Guilland, *Le domestique des Scholes*, 8.

(٢) Guilland, *Le domestique des Scholes*, 8; Bury, *The Imperial Administrative System*, 50.

(٣) Bréhier, *Institutions*, 353.

(٤) Theophanes, *Chronographia*, Eng. trans. H. Turtledove (Pennsylvania 1982), 130.

(٥) Bury, *The Imperial Administrative System*, 50.

(٦) Guilland, *Le domestique des Scholes*, 9.

(7) تكتيكون أوسبنسكي Taktikon Uspenkij هي قائمة إدارية بيزنطية تعود إلى عـام ٨٤٢-٨٤٣م، وهـي مجهولة المؤلف، لذا نسبت إلى مكتشفها وناشرها للمرة الأولى العالم الروسي ث. أوسبنسكي. وفيها قام المؤلـف بترتيب موظفي الدولة البيزنطية حسب درجاتهم الوظيفية وحسب هيراركية الألقاب الشرفية التي كانوا يحملونها دليلاً على مكانتهم الاجتماعية والوظيفية في الدولة. وقد قام ا.د. نيقولاس اويكونوميـدس بإعـادة نـشرها مـع الترجمة إلى الفرنسية والتعليق عام ١٩٧٢ في *Taktikon Usp.*, 41 ff.

قرب منتصف القرن التاسع الميلادي[1]. وعلى هذا فإن الصلة لم تكن قد انقطعت بعـد بـين دُمستق الاسكلاريه وبين رئيس الديوان[2].

على أية حال، فإن إلغاء وظيفة رئيس الديوان Mag. off. أدى إلى توزيع المهـام المختلفة التي كان يعملها على عدد من الموظفين المستقلين، فكان دُمستق الاسكلاريه خليفتـه في قيادة حرس الاسكلاريه[3]. وتثبت النصوص أن دُمستق الاسكلاريه قد أصبح منذ القـرن التاسع الميلادي مستقلاً تماماً عن رئيس الديوان[4].

وكان لقب الدُمستق يستخدم لأرفع الناس مكانة، مثل دُمستق الاسكلاريه[5]. وعندما نقابل لقب الدُمستق بدون أي إشارة أخرى، فإن هذا يعنى دُمستق الاسكلاريه[6]. وهو الأمـر الذي نراه على سبيل المثال عند ابن حوقل الذي يذكره دون أي عبارات أخرى مميزة له[7]. وإذا كان ثيوفانيس في عام ٧٦٧م أشار إلى دُمستق الاسكلاريه ومعه لقب بطريـق[8]، فـإن تكتيكون أوسبنسكى أشارت إليه أيضاً، حيث نجد البطريق دُمستق الاسكلاريه فـي المرتبـة

---

(١) *Taktikon Usp.*, 47.

(٢) Guilland, *Le domestique des Scholes*, 9.

(٣) Bury, *The Imperial Administrative System*, 50.

(٤) Guilland, *Le domestique des Scholes*, 9.

(٥) R. Guilland, "Le grand domesticat à Byzance," *EO* 37(1938), 58; Bury, *E.R.E.*, 227; Ensslin, *The Emperor*, 39; Guillou, *La civilization byzantine*, 123; Heath, *Byz. Armies*, 12.

(٦) Bury, *The Imperial Administrative System*, 50; Guilland, *Le domestique des Scholes*, 10.

ابن حوقل، صورة الأرض، (ليدن ١٩٦٧)، ص ٩٦. انظر أيضاً: الباز العريني، الدولة البيزنطيـة، ص ٤٧٦ – ٤٧٨.

(٧) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٩٦؛ يطلق عليه ابن خرداذبه اسم صاحب الحرس. انظر، ابـن خرداذبـه، المسالك والممالك (بغداد د. ت.)، ص ١١٢.

(٨) *Theophanes*, 130.

البطريق لقب شرفي-وليس وظيفة- ويعني النبيل أو الشريف، وهو من الألقاب الإمبراطورية الشرفية الرفيعـة جداً، والتي يحمل صاحبها شارة عبارة عن ألواح محفورة من العاج.^ وقد أسس الإمبراطـور قـسطنطين الأول من البداية طبقة تحمل اسم البطارقة، ظلت قائمة حتى العصر البيزنطي المتأخر. وقد فتح جستنيان باب البطرقية على مصراعيه، حيث زاد عدد البطارقة في عهده بدرجة ملحوظة. انظر: طـارق منـصور، إلمـام العـرب المـسلمين باليونانيـة، لقـب بطريـق؛ Bury, *The Imperial Administrative System*, 27-28

الثالثة عشر، بعد البطريق استراتيجوس[١] الأناضول[٢] أما في قائمة فيلوثيوس[٣] فإننا نقابل البطريق دُمستق الاسكلاريه في المرتبة الخامسة بين موظفي الدولة، بعد البطريق استراتيجوس الأناضول[٤].

هكذا نعلم من تكتيكون أوسبنسكي أن دُمستق الاسكلاريه جاء فوق كل القادة العسكريين في عهد ميخائيل الثالث، ما عدا استراتيجوس إقليم الأناضول[٥]، وهو ما تأكد في قائمة فيلوثيوس[٦]. وينبغي ملاحظة أن دُمستق الاسكلاريه كان يحتل المرتبة الثالثة عشرة نحو منتصف القرن التاسع الميلادي، وبنهايته كان يحتل المرتبة الخامسة بين موظفي الدولة البيزنطية. وهذا يفسر لنا علو شأنه ومكانته في الإمبراطورية البيزنطية بالطبع، والذي كان لا يبزه فيها سوى استراتيجوس الأناضول. وهكذا كان أكبر قائدين للجيش في الإمبراطورية

---

(1) هو لقب وظيفي عسكري يحمله قائد الإقليم البيزنطي، الذي كان يحكمه ويتولى جيشه في نفس الوقت. وقد كان يحتل مكانة رفيعة بين قادة الدولة وموظفيها رفيعي المقام. وفى القرن التاسع نجد قادة الأقاليم يتمتعون بالاحترام الكامل للبطارقة. فقد كانوا يحملون بشكل عام لقب النبالة العالية "البطريق"، وأحياناً مصحوباً بلقب "الأنثيباطوس" الشرفي؛ ومن النادر ما كان يحمل مرتبة شرفية أدنى قليلاً في النبالة وهى "البروتوسباثاريوس". انظر: Liddlle and Scott, *Greek-English Lexicon*, sv. στράτεγος.; Bury, *The Imperial Administrative System*, 39-47; Bréhier, *Institutions*, 361.

(٢) *Taktikon Usp.*, 47.

(3) قائمة فيلوثيوس الحاجب هي قائمة بيزنطية للوظائف وألقابها في الدولة البيزنطية، وهي تعود إلى نهاية القرن التاسع الميلادي ٨٩٩م، وقام فيها فيلوثيوس بترتيب جميع موظفي الدولة حسب هيراركيتهم الوظيفية والشرفية، كما بين الألقاب الشرفية الممنوحة لكل واحد من موظفي الدولة، والتي على أساسها يتحدد مرتبته الاجتماعية والوظيفية في الدولة. وقد قسم فيلوثيوس قائمته إلى ثماني عشرة فئة، كما اختص الطواشية بقسم خاص لهم، نظرا للدور الذي كانوا يلعبونه في البلاط. وقد نشر هذه القائمة ا. ريسكي في كتاب Constantine Porphyrogenitus, *De Ceremoniis Aulae Byzantinae*, ed. I. Reiskii, *CSHB*, I (Bonn 1829), 702-798.
كما قام ميني Migne بنشرها في *PG* 112(1897), cols. 1291-1434. ، ثم قام ج. ب. بيوري بنشرها في Bury, *The Imperial Administrative System*, 131-179، كما قام ا.د. نيقولاس اويكونوميذس بإعادة نشرها مع التعليق في *Traité Phil.*, 65-235.

(٤) *Traité Phil.*, 101.

(٥) *Traité Phil.*, 105.

(٦) Bury, *The Imperial Administrative System*, 41, 51; Guilland, *Le grand domesticat à Byzance*, 59; Ensslin, *The Emperor*, 39.

البيزنطية هما استراتيجوس إقليم الأناضول، ودُمستق الاسكلاريه[1]. وبالإضافة إلى لقب بطريق، كان دُمستق الاسكلاريه يحمل أيضاً لقب انثيباطوس، حيث يأتي بعد استراتيجوس الأناضول، حامل هذا اللقب أيضاً، الذي يأتي على رأس أصحاب هذه الطبقة[2]. ويرى بيوري أن منح دُمستق الاسكلاريه لقب انثيباطوس[3] قد حدث في الشطر الأخير من حكم ميخائيل الثالث، لأنه أراد أن يقيم طبقة أعلى من طبقة البطارقة، ومن ثم فإن مرتبة الانثيباطوس البطريق كانت منتشرة، والتي استطاعت أن تبرز على مرتبة البطريق[4]. بالإضافة إلى تلك الألقاب كان يحمل أيضاً لقب بروتوسباثاريوس،[5] وفق ما أشار فيلوثيوس[6]. وهو أيضاً كان يأتي على رأس أصحاب هذه الطبقة، بعد استراتيجوس الأناضول، الذي كان يحمل لقب بروتوسباثاريوس أيضاً[7].

ورغم أن قوائم الأسبقية البيزنطية تجعل دُمستق الاسكلاريه أدنى درجة من استراتيجوس الأناضول، فإن التاريخ العسكري للإمبراطورية يبين أنه ابتداءً من النصف الأول للقرن التاسع الميلادي كان هذا الضابط يلعب دوراً في مختلف العمليات العسكرية

---

(١) Guilland, *Le grand domesticat à Byzance*, 59.

(٢) *Traité Phil.*, 137. Cf. Guilland, *Le domestique de Scholes*, 17; Bury, *The Imperial Administrative System*, 28.

(٣) الأنثيباطوس لقب – وليس اسماً أو وظيفة – ويقابلنا هذا اللقب عند فيلوثيوس الحاجب، عندما يشير إلى القادة البيزنطيين بألقاب عدة على النحو التالي: "الأنثيباطوس البطريق استراتيجوس الأناضول" أو "الأنثيباطوس البطريق دمستق الاسكلارية"...الخ كما يقابلنا اللقب في تكتيكون بنشفيك، حيث حمله البطارقة الاستراتيجوسات، قادة الجيش؛ كما حمله أيضاً بطارقة من غير قادة الجيش. ولا يظهر هذا اللقب في نهاية القرن العاشر، مما قد يشير إلى اختفائه أو عدم حدوثه آنذاك. انظر، *Traité Phil.*, 137 ff.; *Taktikon Beneševič*, 245.

(٤) Bury, *The Imperial Administrative System*, 28.

(٥) بروتوسباثاريوس: سباثا تعني سيف، وبروتوس تعني أول، من هنا الاسم مركب ويعني حامل السيف الأول تمييزاً له عن السباثاريوس، حامل السيف. وهو لقب شرفي كانت شارة حامله عبارة عن قلادة ذهبية مرصعة بالجواهر. (Bury, *The Imperial Administrative System*, 22.) وقد كان في الأساس رئيس طبقة الاسباثاريات الإمبراطوريين، ويظهر من عصر جستنيان فصاعداً. انظر، Bury, *The Imperial Administrative System*, 27.

(٦) *Traité Phil.*, 142. Cf. Guilland, *Le domestique de Scholes*, 17.

(٧) Guilland, *Le domestique de Scholes*, 17.

يتعدى كثيراً المرتبة التي كانت تخلعها عليه القوانم[1]. ففي القرن التاسع الميلادي نجد أيضاً دُمستق الإسكلاريه في العادة قائداً أعلى، ويشهد بذلك كيستاس ستيبيوتيس Kestas Stypplotes، في عهد باسيل الأول (٨٦٧ – ٨٨٦م)[2]، الذي أرسله الأخير على رأس حملة ضد خريسوخير Chrysocheir[3].



جدير بالذكر أن دُمستق تاجما الاسكلاريه كان قائداً أعلى لكل جيوش تاجماتا القسطنطينية ويقيم في العاصمة، ويتبع الحاشية المقربة للإمبراطور. وكان مساعده الرئيسي في العمليات التي يوجهها الإمبراطور بنفسه، وفي حالة غيابه عن الميدان كان هو الذي يحل محله في القيادة العليا للجيش المحتشد[4].

فقد تطلبت الحروب المستمرة ضد المسلمين في الشرق إنشاء قيادة عسكرية موحدة لكل من جيش الثيماتا والتاجماتا المشاركين في العمليات الحربية. فمن الجلي أن قادة الثيمات المكلفين بالإدارة المدنية والعسكرية للأقاليم الشاسعة، لم يكن بمقدورهم قيادة جيش مدعو باستمرار للتحرك والانتقال؛ في حين على العكس كان دُمستقا لاسكلاريه، الذي لم يكن لديه إلا موظفين عسكريين، مهيأ تماماً للقيام بعبء مثل هذه المهمة. ومن ثم فقد أصبح تدريجياً استراتيجوس الحملات الموجهة إلى الشرق دون اشتراك الإمبراطور فيها شخصياً. وكان جميع الضباط في هذه الحالة بما فيهم قادة الثيمات المشاركين في الحملة، موضوعين تحت قيادته[5].

وكان الأباطرة هم الذين يختارون قادة فرقة الاسكلاريه، واضعين نصب أعينهم مجموعة معينة من الاعتبارات والشروط التي تنبغي أن تتوافر في المرشح لهذا المنصب، كالإخلاص والارتفاع عن مستوى الشبهات. لكن بالرغم من هذا، فإن هذا الأمر كان خاضعاً لهوى الإمبراطور نفسه، حتى ولو كان ذلك مخالفاً للتقاليد[6]. فمثلاً عين ليو السادس رجلاً

---

(١) H. Ahrweiler, "Recherches sur l'administration de l'empire byzantin aux IX$^{e}$ - XI$^{e}$ siècles," *BCH* 84 (1960), 55.

(٢) Guilland, *Le grand domesticat à Byzance*, 59.

(٣) G. Cedrenus, *Compendium Historiarum*, ed. I. Bekker, *CSHB*, II (Bonn 1838), 210.

(٤) Ahrweiler, *Recherches*, 55-56; Guilland, *Le domestique des Scholes*, 13.

(٥) Ahrweiler, *Recherches*, 56.

(٦) Guilland, *Le domestique des Scholes*, 12-13.

غير كفؤ من الناحية العسكرية يسمى قسطنطين Constantine، وكان بطريقاً، في عام ٨٨٧م على رأس حملة إلى إيطاليا[١].

على أية حال، كان لمنصب دُمستق الاسكلاريه مزاياه وأعباؤه. فقد كانت هناك بعض المراسم الإمبراطورية التي كان لابد من مشاركته فيها. وعلى سبيل المثال كان يساعد الإمبراطور عند ترقية القمامسه والبروتكتورات والدُمستقات. كما كان عليه أن يجتمع بضباطه كل يوم في الهيبودروم المغطى، تحت إشراف درونجاريوس الحراسة، لتنظيم شئون الخدمة[٢]. وكان دُمستق الاسكلاريه ديموقراطاً Democrate لحزب الزرق، حيث كان قائداً لديم بيرا Pera الزرق[٣].

وكانت تجرى مراسم معينة لتولية دُمستق الاسكلاريه منصبه[٤]. وكانت هذه المراسم هي نفسها التي تجرى للدُمستقات الآخرين[٥]، وتتشابه صيغة تعيينه مع تلك الخاصة بدرونجاريوس الأسطول[٦]. وتمدنا المصادر البيزنطية بكثير من أسماء القادة الذين تولوا منصب الدُمستقية Domesticat بصورة واضحة[٧].

---

(١) *Cedrenus*, II, 253. Cf. Guilland, *Le domestique des Scholes*, 12-13.

(٢) Guilland, *Le domestique des Scholes*, 18.

(٣) Bréhier, *Institutions*, 353; Guilland, *Le domestique des Scholes*, 16, 18; Idem, "Chartulaire et grand chartulaire," *RESEE* 9(1971), 411-412.

(٤) Constantine Porph., *De Ceremoniis*, II, 525-527. Cf. Guilland, *Le domestique de Scholes*, 12.

(٥) Bury, *The Imperial Administrative System*, 51.

(٦) R. Guilland, "Etudes de titulature et de prosopographie byzantines. Les chefes de la marine byzantine," *BZ* 44(1951), 213.

(٧) من هذه الشخصيات البطريق أنطونيوس Antonius، عام ٧٦٧م، انظر، *Theophanes*, 130. See also W. E. Kaegi, "The Byzantine Armies and Iconoclasm," *BSL* 27(1966), 56-57; Guilland, *Le domestique de Scholes*, 9, 19.

البطريق أنطونيوس Antonius، عام ٧٨١م، انظر، *Theophanes*, 142.

البطريق بردانيوس Bordanios، عام ٧٩٥م، انظر، *Theophanes*, 153.

البطريق نيكتاس Nicetas، عام ٧٩٨م، انظر، P. Charanis, *The Armenians in the Byzantine Empire* (Lisboa 1963); Guilland, *Le domestique de Scholes*, 20; Bury, *The Imperial Administrative System*, 51.

الدُمستق ستيفان Stephane، والدُمستق بطرس Peter، القرن التاسع، انظر، Guilland, *Le domestique de Scholes*, 20.

وكان لدُمستق الاسكلاريه هيئة من الموظفين العسكريين، الـذين تحـصيهم قائمـة فيلوثيوس بعشر فئات هم :

**الأولى** : التوبوتريتس τοποτηρητης[1]، وكان يحمـل لقـب اسـباثاروكانديدات عنـد فيلوثيوس[2]. وهو بمثابة نائب دُمستق الاسكلاريه. وكان يتولى قيادة وحدات فرقة الاسكلاريه المرابطة في الأقـاليم[3]. وكـان نـصف التاجمـا يخـضع لأوامـر

---

مانويل Manuel، القـرن التاسـع، انظـر، Guilland, *Le domestique de Scholes*, 21; Bury, *The Imperial Administrative System*, 51.

برداس Bardas، شقيق الإمبراطورة ثيودورا Theodora، بتروناس ابن بـارداس Petronas، مـن القـرن التاسع،انظر، Guilland, *Le domestique de Scholes*, 21-22.

أنتيجونـوس ابـن بـارداس Antigones القـرن التاسـع، انظـر، Theophanes Continuatus, *Chronographia*, ed. I. Bekker, *CSHB* (Bonn 1838), 236. Cf. Guilland, *Le domestique de Scholes*, 23.

ماريانوس Marianos، شقيق بازل الأول؛ كريستوفر Christophor، صهر بازل الأول، القرن التاسع، انظر، Guilland, *Le domestique de Scholes*, 23.

اندريه الاسكيذى André le scythe، القرن التاسع م، انظـر، Guilland, *Le domestique de Scholes*, 24.

وهناك ختم ليوحنا Jean دُمستق الاسكلاريه، ربما من القرن التاسـع م، انظـر، V. Laurent , "Le grand domesticat: notes complementaires," *EO* 37(1938), 69.

(1) *Traité Phil.*, 111; *Taktikon Usp.*, 55. Cf. Bury, *The Imperial Administrative System*, 51; Guilland, *Le domestique de Scholes*, 23; Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 329.

(2) *Traité Phil.*, 149.

(3) سبق القول إلى أنه كانت هناك وحدات للتاجماتا مرابطة في العاصمة، لكن يبدو أن هذه الوحدات لم تكـن إلا حاميات ترسل لحراسة القصر الإمبراطوري، انظر (Guilland, *Le domestique de Scholes*, 10 فمـن المعروف أنه كانت هناك تكنات لوحدات الحرس الإمبراطوري (انظر، Dieh, Byzantium) وهذه الوحـدات كانت ثكناتها في تراقيه ومقدونيه والضاحية الكبرى والـصغرى مـن العاصـمة. (انظـر، Constantine Porph., *Cérém.*, I, 45; Cf. Bury, op. cit., 4) وربما كانت وحدات من الحرس ترابط في بثينيا وميزيـا وفريجيـا.انظـر، (Ch. Diehl, "L'origine du regime des thèmes," dans: *Etudes Byzantines* (Paris 1905), 279. وجاء جستنيان الثاني واستدعى الاسكلات السبعة المرابطة في نيقوميديا (انظـــر: W. E. Kaegi, "New Evidence on the Early Reign of Heraclius," *BZ* 66 (1973), 239.، وكيو Kio، وبروسا، وكيزيكوس، وكوتايون، ودوريليوم، وأنزلها في هرقليه وتراقيه والمناطق المحيطة بهـا. (انظر، Guilland, op. cit., loc. cit. ويرى فوجت أنهم ربما يكونون القوات المسلحة للثيم المسمى طافرا، والذي تحدث عنه الجغرافيون العرب، وأن اسكلات القصر ربما لا تمثل سوى وظيفة متميزة. انظـــــر،

التوبوتريتس، بينما يخضع النصف الآخر لكارتولاريوس وكان توبوتريتس الاسكلاريه يحتل مكانة طيبة في الاحتفالات الإمبراطورية[1].

**الثانية :** قمامسة الاسكلاريه[2]، ورد ذكرهم في عهد ليو الأول (٤٥٧ – ٤٧٤م)، وكذلك في عهد أنستاسيوس الأول (٤٩١–٥١٨م) [3]. ونعرف من القرن السادس الميلادي اسم البطريق بطرس Peter قومس الاسكلاتين السادسة والسابعة[4]. وكان هؤلاء القمامسة يحملون لقب سباثاريوس، عند فيلوثيوس[5]. وهؤلاء القمامسة يعتبرهم بربيه قادة أفرع[6].

**الثالثة :** الكارتولاريوس[7]، كان رئيس ديوان الاسكلاريه[8]. وقد تماثلت وظيفته ومهامه مع تلك التي لكارتولاريوس الثيم[9]. وكان التوبوتريتس والقمامسة والكارتولاريوس أراخنة عظاماً أو كبار ضباط هيئة أركان حرب دُمستق الاسكلاريه. ويظهر من الموقع الذي كانت تحتله خيمة الكارتولاريوس في المعسكر أنه كان يلي التوبوتريتس[10]، مما يشير إلى أهميته[11]. ومما يؤكد هذه الأهمية أنه كان يحتل

---

Const. Porph., *Le liver des céré.*, I, 54 .

(١) Guilland, *Le domestique de Scholes*, 13; Heath, *Byz. Armies*, 12.

(٢) *Traité Phil.*, 111; *Taktikon Usp.*, 61; Constantine Porph., *De Ceremoniis*, 494, 599. Cf. Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 329.

(٣) Bury, op., cit. 53; Guilland, *Le domestique de Scholes*, 14.

(٤) Guilland, *Le domestique de Scholes*, 14.

(٥) *Traité Phil.*, 153.

(٦) Bréhier, *Institutions*, 353.

(٧) *Traité Phil.*, 111; *Taktikon Usp.*, 61, 63. Cf. Bréhier, *Institutions*, 353; Guilland, *Chartulaire*, 408; Guilland, *Le domestique des Scholes*, 14; Bury, *The Imperial Administrative System*, 55; Guillou, *La civilization byzantine*, 123.

(٨) Guilland, *Le domestique des Scholes*, 14.

(٩) Bury, *The Imperial Administrative System*,55; Guilland, *Chartulaire*, 408.

(١٠) Guilland, *Le domestique des Scholes*, 14-15.

(١١) Guilland, *Chartulaire*, 408.

المرتبة الثالثة في هيئة موظفي دُمستق الاسكلاريه[1]. وكان كارتولاريوس الاسكلاريه يحمل لقب سباثاريوس، عند فيلوثيوس[2].

لقد كان كارتولاريوس تاجما الاسكلاريه له مهام تتبع الإدارة المالية العسكرية؛ وكان مسئولاً عن قيادة نصف تاجما الاسكلاريه، والتوبوتريتس مسؤولاً عن النصف الآخر[3]، كما كان مكلفاً بالتسجيل اليومي لأحوال فصائل التاجما[4].

**الرابعة** : الدُمستقات[5]، والكانديدات[6]، والاستراتورات[7]، كانوا جميعا ضباطاً تحت إمرة القمامسة[8]. وكانوا يقودون قسماً فرعياً من الباندا، ولكن ليس هناك ما يشير إلى عدد الرجال الذين كانوا تحت قيادتهم، أو إلى عددهم أنفسهم. وكل ما نعرفه عنهم أنهم كانوا يشكلون جزءاً من الطبقة الرابعة من طبقات النبلاء[9]، وهى طبقة الاستراتورات[10]. وفى الاستقبالات الإمبراطورية كان الدُمستقات آخر من يستقبلهم الإمبراطور[11].

**الخامسة** : البروكسيموس[12]προέξημος، نقابله في عهد قنسطنطين الخامس[13]. وقد كان ضابطاً من صغار الضباط من مرتبة أدنى من مرتبة سباثاريوس[14]. وكان

---

(1) *Traité Phil.*, 111.

(2) *Traité Phil.*, 153.

(3) Guilland, *Chartulaire*, 408.

(4) Bréhier, *Institutions*, 353.

(5) *Traité Phil.*, 111; *Taktikon Usp.*, 63; Constantine Porph., *De Ceremoniis*, II, 599. Cf. Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 329; Guillou, *La civilization byzantine*, 123.

(6) *Taktikon Usp.*, 61. Cf. Bury, op. cit., 55; Guilland, *Le domestique des Scholes*, 15.

(7) *Traité Phil.*, 155. Cf. Guilland, *Le domestique des Scholes*, 15.

(8) Bury, op. cit., 55; Guilland, *Le domestique des Scholes*, 15.

(9) Guilland, *Le domestique des Scholes*, 15.

(10) *Traité Phil.*, 155.

(11) Guilland, *Le domestique des Scholes*, 15.

(12) *Traité Phil.*, 111. Cf. Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 330; Guillou, *La civilization bzantine*, 124.

(13) Bury, *The Imperial Administrative System*, 55.

(14) *Traité Phil.*, 157. Cf. Guilland, *Le domestique des Scholes*, 15.

رئيساً للماندانورات، ويعمل على نقل أوامر دُمستق الاسكلاريه إلى ضباطه على اختلافهم[1].

**السادسة :** البروتكتورات προτίκτωρες[2]، وهم مختلفون تماماً عن البروتكتورات الذين عرفتهم الإمبراطورية البيزنطية في عصورها الباكرة. ففي عـام ٥٥٩م نـرى البروتكتورات يعملون مع الاسكلاريه على تأمين حراسة أسوار العاصمة في صد الهون والسلاف[3]. ولكننا لا نقرأ عنهم شيئاً في القرن الثامن الميلادي أو عـن قمامستهم. وربما جرى دمج هؤلاء البروتكتورات في الاسكلاريه[4]. وقد صنفهم فيلوثيوس في مرتبة دنيا، ضمن الطبقة الأخيرة[5].

**السابعة :** يوتيخوفوروي εὐτυχοφόροι[6]، أطلق هذا الاسم عليهم لأنهم كانوا يحملـون صور الحظ أو النصر، والتي ربما حلت محلها صورة القديس ميخائيل؛ فهم إذن حملة أعلام الاسكلاريه[7]، وقد صنفهم فيلوثيوس أيضاً في مرتبة دنيـا، ضـمن الطبقة الأخيرة[8].

**الثامنة :** سكبتروفوري σκηπτρόφοι[9]، وكانوا يحملون الاسـكيبترا أو الـصولجانات، ويبدو أن هذه الصولجانات كانت عصى يثبت في أعلاها صوراً. وفي الاحتفالات العامة، كتتويج الإمبراطور مثلاً، كانت هذه الصولجانات تنكس أمام الإمبراطور تعبيراً عن الولاء له[10]؛ وقد صنفهم فيلوثيوس ضمن الطبقة الأخيرة أيضاً[11].

---

(١) Guilland, *Le domestique des Scholes*, 15.

(٢) *Traité Phil.,* 111. Cf. Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 330.

(٣) انظر، طارق منصور، الجيش، ص ٥١.

(٤) Guilland, *Le domestique des Scholes*, 15; Bury, *The Imperial Administrative System*, 55-56.

(٥) *Traité Phil.*, 159.

(٦) *Traité Phil.*, 111. Cf. Bury, *The Imperial Administrative System*, 56.

(٧) Guilland, *Le domestique des Scholes*, 15.

(٨) *Traité Phil.*, 159.

(٩) *Traité Phil.*, 111. Cf. Bury, *The Imperial Administrative System*, 56.

(١٠) Guilland, *Le domestique des Scholes*, 15.

(١١) *Traité Phil.*, 159.

**التاسعة :** اكسيوماتيكوي Αξιωματικοί[1]، لا نعرف شيئاً عن هذه الفئة[2].

**العاشرة :** الماندراتورات[3]، وهم الذين يظهرون في هيئة أركان حرب كل ضابط من كبار الضباط. ويبدو أن البروكسيموس قد تولى مهمة البروتوماندراتور[4]. وهكذا، احتلت تاجما الاسكلاريه مكانة عالية بين التاجماتا الأخرى؛ كما احتل دُمستق الاسكلاريه مكانة رفيعة في القسطنطينية جعلته يأتي بعد استراتيجوس الأناضول مباشرة، التي جعلته يقود لا جيش التاجماتا فحسب، بل الجيش البيزنطي بأسره المؤلف لحملة عسكرية، كما حدث مع بتروناس في عام ٨٦٣م[5].

أما عن تعداد قوات هذه التاجما، فمن الصعب الجزم بتقدير معين خاص بها، وقد ناقش الباحث هذا الأمر في الفصل الثالث[6] لكن يمكننا القول أن قدامه بن جعفر أشار إلى أن تعداد هذه الفرقة أربعة آلاف فارس[7].

**ثانياً : فرقة الاكسكوبيتر :** كانت الفرقة التالية للاسكلاريه هى فرقة الاكسكوبيتر، التي تمثل الفرقة الثانية من فرق الحراسة الإمبراطورية[8]، وهى التالية في المقام لفرقة الاسكلاريه[9]، التي تعود نشأتها في الفصل الأول من إلى القرن الخامس الميلادي[10].

---

(1) *Traité Phil.*, 111, 159. Cf. Bury, *The Imperial Administrative System*, 56; Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 330.

(2) Guilland, *Le domestique des Scholes*, 16.

(3) *Traité Phil.*, 111.

(4) Guilland, *Le domestique des Scholes*, 15.

(5) عن هذه المعركة انظر، طارق منصور، الجيش، ص ٤٢٣.

(6) انظر، طارق منصور، الجيش، ص ١٩٧ – ٢٠٠.

(7) قدامه، نبذه عن كتاب الخراج، ص ٢٥٦. انظر أيضاً، Heath, *Byz. Armies*, 10.

(8) Bréhier, *Institutions*, 354; Heath, *Byz. Armies*, 12; Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 330; Bury, op. cit., 57; R. Guilland, "Etudes sur le grand palais, Les Noumera," *REB* 19(1961), 414; Bury, *E.R.E.*, 227; Ensslin, *The Emperor*, 39; Diehl et Marçais, *Moyen âge*, 464; Guillou, *La civilization byzantine*, 124; G. Ostrogorsky, *History of the Byzantine State* (New Jersey 1957), 222; Lot, *L'art militaire*, 65.

(9) Heath, *Byz. Armies*, 10.

(10) انظر طارق منصور، الجيش، ص ٥٣.

وكانت فرقة الاكسكوبيتر تشكل جزءاً رئيسياً من حرس القصر الإمبراطوري في القسطنطينية بالقرب من الإمبراطور[1]. وقد سبق الإشارة إلى أن كل اسكولا كانت تحمل اسم الفرقة التي تقيم فيها، وبالطبع كان جند الاكسكوبيتر ممن يقيمون في إحداها، كما سبق القول، وهى الاسكلا الثالثة[2] وكان هناك باب عال في القصر يتم الوصول إليه عن طريق عتبة كبيرة تفتح على البهو الفخم الخاص بالاكسكوبيتر. وفى بعض الحالات الخاصة، كظروف المواكب الرسمية، يوضع كرسي عرش في هذا البهو[3].

كان على هذه الفرقة، مثلها مثل الاسكلاريه، حراسة القصر، والخدمة كجند في الموكب الرسمي[4]. وكان أفرادها يصحبون الإمبراطور في الحرب، ويكونون فرقة احتياطية[5]. كما كانت خدماتهم تمتد لتشمل كل القسطنطينية، وضواحيها[6]. ويذكر الإمبراطور قنسطنطين السابع أن فرقة الاكسكوبيتر تنتمي إلى الطبقة الأرستقراطية البيزنطية[7]. وكانت هذه الفرقة تتكون من الفرسان، مثلها مثل الاسكلاريه[8]. وكانت تنقسم إلى مجموعة متعددة من الباندات[9]، ربما لم تقل عن ثمان عشرة باندا؛ لأنه ليس معلوماً عدد رجالها[10].

والجدير بالذكر أن الفرقة التالية للاسكلاريه عند قدامه بن جعفر هي من فرق الفرسان، لكنه أطلق عليها اسم "الحسق" وقدرها بأربعة آلاف فارس[11]. وهذا الاسم الغريب الذي أورده، كان مثاراً لكثير من الافتراضات التاريخية. فقد فسر بيوري هذا الاسم على أنه

---

(1) E. Hanton "Lexique explicatif du Recueil des inscriptions grecques chrétiennes d'Asie Mineure," *Byz* 4(1927-1928), 86.

(2) Const. Porph., *Le liver des céré.*, I, 55.

(3) Const. Porph., *Le liver des céré.*, I, 49.

(4) Idem, Cf. Guilland, *Les Noumera*, 414.

(5) Hanton, *Lexique*, 86.

(6) Const. Porph., *Le liver des céré.*, I, 54-55.

(7) Const. Porph., *Le liver des céré.*, I, 49.

(8) Idem. Cf. Heath, op. cit., *Byz. Armies*, 10; Bury, *E.R.E.*, 227; Ensslin, *The Emperor*, 39; Haldon, *Kudama Ibn Djafar*, 80; Diehl et Marçais, *Moyen âge*, 464.

(9) Ahrweiler, *Recherches*, 3.

(10) Heath, *Byz. Armies*, 12.

(11) قدامه، نبذه عن كتاب الخراج، ص ٢٥٦.

يعنى فرقة الاكسكوبيتر[1]. أما ديجويه فإنه اعتبرهـا التاكـسيس τάξις، أو التاكـسيوتاى ταξιωται؛ بينما اعتبرهـا روزن التيخـيون τειχέων[2]. إلا أن هالدون نقل تصحيح جلتزر لهذا الاسم، عندما اعتبر أن اسم الحسق، الذي ذكره قدامه، إنما يعنى الاكسكوبيتر[3]، وهو الرأي الذي يميل إليه الباحث.

وهذه الفرقة كان يقودها في البداية قومس[4]، على سبيل المثال بريسكوس قـومس الاكسكوبيتر في عهد الإمبراطور فوقاس[5]. وسرعان ما أصبح قائد هذه الفرقة دُمـستقا[6]، كنظيره قائد الاسكلاريه، وذلك في القرن الثامن الميلادي[7]. ويذكر بيوري أن هذا التحول في اللقب من قومس إلى دُمستق ربما حدث في عهد ليو الثالث، حيث حدثت حركة إعادة تنظـيم عامة للحرس الإمبراطوري. لكن يلاحظ أن الارتقاء في اللقب كان أبطأ مما كان لنظيره في فرقة الاسكلاريه[8]. ومع ذلك فقد كان من شخصيات القصر المرموقة[9]. وكان يطلق عليـه غالباً، لأجل الإيجاز، اسم الاكسكوبيتوس ἐξκούβιτος[10].

وكان دُمستق الاكسكوبيتر في بداية الأمر يحمل لقب سباثاريوس[11]، ثم ارتقى إلى مرتبة بطريق في عهد ليو الخامس (٨١٣–٨٢٠م)[1]. ويرد دُمستق الاكسكوبيتر في تكتيكون

---

(١) Bury, *The Imperial Administrative System*, 48, n. 1.

(٢) قدامه، نبذ من كتاب الخراج، ص ٢٥٦، حاشية رقم F.

(٣) Haldon, *Kudama Ibn Djafar*, 81.

(٤) Hanton, *Lexique*, 86; Bury, *The Imperial Administrative System*, 57; Heath, *Byz. Armies*, 12.

(٥) *Theophanes*, 2.

لمزيد من الأمثلة، انظر، طارق منصور، الجيش، ص ٥٣ – ٥٤.

(٦) Const. Porph., *Le liver des céré.*, I, 49. Cf. Guiland, *Le grand domesticat à Byzance*, 58; Guilland, *Le domestique des Scholes*, 9; Hanton, *Lexique*, 86; Bréhier, *Institutions*, 354, Bury, *The Imperial Administrative System*, 57.

(٧) Heath, *Byz. Armies*, 12; Bury, *The Imperial Administrative System*, 57.

(٨) Bury, *The Imperial Administrative System*, 57.

(٩) Const. Porph., *Le liver des céré.*, I, 49.

(١٠) Bury, *The Imperial Administrative System*, 58.

(١١) Bury, *The Imperial Administrative System*, 57; Bréhier, *Institutions*, 354.

تكتيكون أوسبنسكي، البطريق دُمستق الاكسكوبيتر[١]؛ وفــي موضــع آخــر يحمــل لقــب بروتوسباثاريوس[٢]، وهو أدنى من السابق عليه. ولا شك أن الفرق واضح في المكانة بــين دُمستق الاسكلاريه، الذي يأتي في المرتبة الثالثة عشرة، بعد استراتيجوس الأناضول[٣]؛ وبين دُمستق الاكسكوبيتر الذي يأتي في المرتبة الرابعة والثلاثين، بعد البطريق والــى المدينــة[٤]، وذلك في تكتيكون أوسبنسكى. أما في نهاية القرن التاسع، فإننا نجد دُمستق الاكسكوبيتر يحتل المرتبة السابعة عشرة، بين موظفي الدولة، بعد استراتيجوس خالديا [٥]. ويأتي عقب دُمــستق الاسكلاريه، ضمن طبقة الدُمستقات[٦]. أما عن الألقاب التي كان يحملها بالإضافة إلى الألقاب السابقة، فهو لقب انثيباطوس[٧]؛ وكذلك لقب بروتوسباثاريوس[٨]، وهو أدنى من السابق عليه. ولا شك أن ارتفاع مكانته نسبياً في نهاية القرن التاسع الميلادي، يعكس لنا علو شأنه في ذلك الوقت عما قبل.

وكان دُمستق الاكسكوبيتر يرتبط بحزب الخضر[٩]، حيث كــان ديموقراطــاً لهــم Democrate، ويقود ديم بيرا Pera الخضر[١٠]. وتمدنا كثير من المصادر البيزنطية بأسماء شخصيات تولت قيادة تاجما الاكسكوبيتر[١١]. وكان يتبع دُمستق الاكسكوبيتر تسع فئات مــن الموظفين، الذين يشكلون هيئته، ويختلفون إلى حد ما عن هيئة دُمستق الاسكلاريه، وهم :

---

(١) *Taktikon Usp.*, 49.

(٢) *Taktikon Usp.*, 51.

(٣) *Taktikon Usp.*, 47.

(٤) *Taktikon Usp.*, 49.

(٥) *Traité Phil.*, 101.

(٦) *Traité Phil.*, 105.

(٧) *Traité Phil.*, 139.

(٨) *Traité Phil.*, 142.

(٩) Guilland, *Le domestique des Scholes*, 18.

(١٠) Guilland, *Le domestique des Scholes*, 16; Guilland, *Chartulaire*, 411-412.

(١١) من هذه الشخصيات نيقتاس Nicetas، عام ٦١٢م، انظر، Kaegi, op. cit., 324.

أنستاسيوس Anastasios قومس الاكسكوبيتر، عام ٦٨٠، انظر، J. D. Mansi, *Sacrorum Conciliorum Nova Etamplisema Collectio*, 11 (Graze 1980), 210.

السباثاريوس استراتيجيوس Strategios قائد الاكسكوبيتر، عام ٧٦٥م، انظر، *Theophanes*, 126.

قسطنطين Constantine، السباثاريوس دُمستق الاكسكوبيتر، عام ٧٨٠م، انظر، *Theophanes*, 140.

ميخائيل الثاني العمورى، الذى عينه ليو الخامس بطريقا ودُمستقا لتاجما الاكسكوبيتر، انظر،

**الأولى** : التوبوتريتس[١]، الذي يظهر في المصادر البيزنطية منذ عام ٦٨٠م. وقد حمل لقب اسباثاروكانديدات، عند فيلوثيوس، وبهذا صنف[٢] ضمن أعضاء هذه الطبقة؛ الذي كان يلي طرامخة الثيمات الشرقية مباشرة[٣]. ومن المحتمل أن مهامه كانت مماثلة لتلك التي لتوبوتريتس الاسكلاريه.



**الثانية** : الكارتولاريوس[٤]، الذي لم يأت بصورة مستقلة، كنظيره العامل في تاجما الاسكلاريه، بل مشمولاً ضمن كارتولاريات التاجماتا، في تكتيكون أوسبنسكى[٥]. وقد جاء في الترتيب الثاني ضمن هيئة موظفي دُمستق الاكسكوبيتر، في قائمة فيلوتيوس[٦]. وهو مصنف ضمن أفراد طبقة الاسباثيرات، حيث كان يحمل لقب سباثاريوس[٧]. وبالطبع كانت مهامه تتمثل مع نظيره السابق.

**الثالثة** : الاسكريبونات[٨]، كانوا ضباطاً يتبعون دُمستق الاكسكوبيتر[٩]. وقد سبقت الإشارة إلى أنهم كانوا يرأسون وحدات الأكسكوبيتر[١٠]. وهو مذكورون في المصادر البيزنطية منذ القرن السادس الميلادي. ونعرف بعض الشخصيات التي عملت في

---

Genesius, J., *Regna*, ed. Caroli Lachmanni, *CSHB* (Bonn 1834), 12.

ليو، دُمستق الاكسكوبيتر، عام ٨٦٩م، انظر، *Mansi*, tome 16, 310.

(١) *Traité Phil.*, 111; *Taktikon Usp.*, 57. Cf. Bury, *The Imperial Administrative System*, 58; Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 330.

(٢) *Mansi*, tome II, 209.

(٣) *Traité Phil.*, 151.

(٤) *Traité Phil.*, 111. Cf. Bury, *The Imperial Administrative System*, 57; Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 330; Guilland, *Chartulaire*, 409.

(٥) *Traité Phil.*, 61.

(٦) *Traité Phil.*, 111.

(٧) *Traité Phil.*, 153. Cf. Guilland, *Chartulaire*, 409.

(٨) *Traité Phil.*, 113. Cf. Bury, *The Imperial Administrative System*, 58; Bréhier, *Institutions*, 354; Heath, *Byz. Armies*, 12-13; Guillou, *La civilization byzantine*, 124.

(٩) Const. Porph., *Le liver des céré.*, I, 115.

(١٠) Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 115.

انظر أيضاً طارق منصور، الجيش، ص ٨٦، هـ٣.

هذه القيادة منذ القرن السادس فصاعداً، مما يشير إلى أن نظام الاسكريبونات ارتبط بتاجما الاكسكوبيتر، التي أمدها بالضباط[١].

ويبدو أن الاسكريبونات، مثلهم مثل الكانديدات، كانوا مخصصين لخدمة الإمبراطور[٢]؛ حيث كانوا تحت تصرفه للقيام بمهام سرية[٣]. كما كان الاسكريبونات يرافقون الفرق في الثيمات على نحو منتظم كأطباء Deputati ليبحثوا عن الجرحى وينتشلوهم من ميدان المعركة[٤]. وقد صنفهم فيلوثيوس ضمن الطبقة الرابعة، طبقة الاستراتورات[٥]. وكان الرسم الخاص بتعيين الاسكريبونات يتم في بهو الاكسكوبيتر[٦]. وجدير بالذكر أن تكتيكون أوسبنسكى أغفلت ذكرهم.

**الرابعة :** بروتوماندانور[٧]، وهو يتشابه مع البروكسيموس في تاجما الاسكلارية[٨]. وقد صنفه فيلوثيوس في الطبقة الرابعة والأخيرة أيضاً[٩]. أما تكتيكون أوسبنسكى فقد أغفلت ذكره أيضاً.

**الخامسة :** دراقوناريوي δρακουνάριοι[١٠]، يبدو أنهم يتطابقون مع دُمستقات الاسكلاريه[١١]. لكن فيما يخص المرتبة فقد صنفهم فيلوثيوس في الطبقة الرابعة

---

(١) Bury, *The Imperial Administrative System*, 58-59.

(٢) Bury, *The Imperial Administrative System*, 59.

(٣) Bréhier, *Institutions*, 354.

(٤) Bury, *The Imperial Administrative System*, 59; Heath, *Byz. Armies*, 12-13.

(٥) *Traité Phil.*, 155.

(٦) Constantine Porph., *De Ceremoniis*, II, 130. Cf. Bury, *The Imperial Administrative System*, 59.

(٧) *Traité Phil.*, 113. Cf. Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 115; Guillou, *La civilization byzantine*, 124 .

(٨) Bury, *The Imperial Administrative System*, 59.

(٩) *Traité Phil.*, 159.

(١٠) *Traité Phil.*, 113. Cf. Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 331.

(١١) Bury, *The Imperial Administrative System*, 59.

**الأولى** : التوبوتريتس[١]، الذي يظهر في المصادر البيزنطية منذ عام ٦٨٠م. وقد حمل لقب اسباثاروكانديدات، عند فيلوثيوس، وبهذا صنف[٢] ضمن أعضاء هذه الطبقة؛ الذي كان يلي طرامخة الثيمات الشرقية مباشرة[٣]. ومن المحتمل أن مهامه كانت مماثلة لتلك التي لتوبوتريتس الاسكلاريه.

**الثانية** : الكارتولاريوس[٤]، الذي لم يأت بصورة مستقلة، كنظيره العامل في تاجما الاسكلاريه، بل مشمولاً ضمن كارتولاريات التاجماتا، في تكتيكون أوسبنسكى[٥]. وقد جاء في الترتيب الثاني ضمن هيئة موظفي دُمستق الاكسكوبيتر، في قائمة فيلوتيوس[٦]. وهو مصنف ضمن أفراد طبقة الاسباثيرات، حيث كان يحمل لقب سباثاريوس[٧]. وبالطبع كانت مهامه تتمثل مع نظيره السابق.

**الثالثة** : الاسكريبونات[٨]، كانوا ضباطاً يتبعون دُمستق الاكسكوبيتر[٩]. وقد سبقت الإشارة إلى أنهم كانوا يرأسون وحدات الأكسكوبيتر[١٠]. وهو مذكورون في المصادر البيزنطية منذ القرن السادس الميلادي. ونعرف بعض الشخصيات التي عملت في

---

Genesius, J., *Regna*, ed. Caroli Lachmanni, *CSHB* (Bonn 1834), 12.

ليو، دُمستق الاكسكوبيتر، عام ٨٦٩م، انظر، *Mansi*, tome 16, 310.

(١) *Traité Phil.*, 111; *Taktikon Usp.*, 57. Cf. Bury, *The Imperial Administrative System*, 58; Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 330.

(٢) *Mansi*, tome II, 209.

(٣) *Traité Phil.*, 151.

(٤) *Traité Phil.*, 111. Cf. Bury, *The Imperial Administrative System*, 57; Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 330; Guilland, *Chartulaire*, 409.

(٥) *Traité Phil.*, 61.

(٦) *Traité Phil.*, 111.

(٧) *Traité Phil.*, 153. Cf. Guilland, *Chartulaire*, 409.

(٨) *Traité Phil.*, 113. Cf. Bury, *The Imperial Administrative System*, 58; Bréhier, *Institutions*, 354; Heath, *Byz. Armies*, 12-13; Guillou, *La civilization byzantine*, 124.

(٩) Const. Porph., *Le liver des céré.*, I, 115.

(١٠) Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 115.

انظر أيضاً طارق منصور، الجيش، ص ٨٦، هـ٣.

هذه القيادة منذ القرن السادس فصاعداً، مما يشير إلى أن نظام الاسكريبونات ارتبط بتاجما الاكسكوبيتر، التي أمدها بالضباط[١].

ويبدو أن الاسكريبونات، مثلهم مثل الكانديدات، كانوا مخصصين لخدمة الإمبراطور[٢]؛ حيث كانوا تحت تصرفه للقيام بمهام سرية[٣]. كما كان الاسكريبونات يرافقون الفرق في الثيمات على نحو منتظم كأطباء Deputati ليبحثوا عن الجرحى وينتشلوهم من ميدان المعركة[٤]. وقد صنفهم فيلوثيوس ضمن الطبقة الرابعة، طبقة الاستراتورات[٥]. وكان الرسم الخاص بتعيين الاسكريبونات يتم في بهو الاكسكوبيتر[٦]. وجدير بالذكر أن تكتيكون أوسبنسكى أغفلت ذكرهم.

**الرابعة :** بروتومانداتور[٧]، وهو يتشابه مع البروكسيموس في تاجما الاسكلارية[٨]. وقد صنفه فيلوثيوس في الطبقة الرابعة والأخيرة أيضاً[٩]. أما تكتيكون أوسبنسكى فقد أغفلت ذكره أيضاً.

**الخامسة :** دراقوناريوي δρακουνάριοι[١٠]، يبدو أنهم يتطابقون مع دُمستقات الاسكلاريه[١١]. لكن فيما يخص المرتبة فقد صنفهم فيلوثيوس في الطبقة الرابعة

---

(١) Bury, *The Imperial Administrative System*, 58-59.

(٢) Bury, *The Imperial Administrative System*, 59.

(٣) Bréhier, *Institutions*, 354.

(٤) Bury, *The Imperial Administrative System*, 59; Heath, *Byz. Armies*, 12-13.

(٥) *Traité Phil.*, 155.

(٦) Constantine Porph., *De Ceremoniis*, II, 130. Cf. Bury, *The Imperial Administrative System*, 59.

(٧) *Traité Phil.*, 113. Cf. Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 115; **Guillou,** *La civilization byzantine*, 124 .

(٨) Bury, *The Imperial Administrative System*, 59.

(٩) *Traité Phil.*, 159.

(١٠) *Traité Phil.*, 113. Cf. Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 331.

(١١) Bury, *The Imperial Administrative System*, 59.

والأخيرة، بعد بروتكتورات الاسكلاريه بدرجتين[١]؛ الذين يبدو أنهم مشابهون لهم أيضاً، كحاملين للشارات[٢].

**السادسة** : سكيوفوروي σκευοφόροι[٣]، وهم يمثلون التيخيوفوروى في فرقة الاسكلاريه[٤]. حيث يصنفهم فيلوثيوس بعد الأخيرين مباشرة، في الطبقة الرابعة والأخيرة أيضاً[٥].

**السابعة** : سيجنوفوروي σιγνοφόροι[٦]، وهم يماثلون الاسكبتروفوروى في تاجما الاسكلاريه[٧]. حيث يصفنهم فيلوثيوس بعد الأخيرين مباشرة، في الطبقة الرابعة والأخيرة أيضاً[٨].

**الثامنة** : سِناتورات σενάτωρες[٩]، وهم يماثلون الاكسيوماتيكوى في تاجما الاسكلاريه[١٠]. حيث يصنفهم فيلوثيوس بعد الأخيرين مباشرة، في الطبقة الرابعة والأخيرة أيضاً[١١]؛ بينما يعتبرهم المؤرخ أويكونوميدس ضباط صف[١٢].

**التاسعة** : مانداتورات[١٣]، وقد صنفهم فيلوثيوس في الطبقة الرابعة والأخيرة أيضاً، مضيفاً لهم ليجاتاريوى، على الرغم من أنهم ليسوا مذكورين ضمن الفئات العاملة تحت قيادة دُمستق الاكسكوبيتر[١٤].

---

(١) *Traité Phil.*, 159.

(٢) Bury, *The Imperial Administrative System*, 59.

(٣) *Traité Phil.*, 113. Cf. Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 331.

(٤) Bury, *The Imperial Administrative System*, 59-60.

(٥) *Traité Phil.*, 159.

(٦) *Traité Phil.*, 113. Cf. Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 331.

(٧) Bury, *The Imperial Administrative System*, 59-60.

(٨) *Traité Phil.*, 159.

(٩) *Traité Phil.*, 113. Cf. Guillou, *La civilization byzantine*, 124.

(١٠) Bury, *The Imperial Administrative System*, 160.

(١١) *Traité Phil.*, 159.

(١٢) Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 331.

(١٣) *Traité Phil.*, 113. Cf. Bury, *The Imperial Administrative System*, 60.

(١٤) *Traité Phil.*, 159.

هكذا، كانت هناك فئات عديدة من الموظفين تعمل تحت إمرة دُمستق الاكسكوبيتر. ونلاحظ أنه بدءاً من موظفي الفئة الثالثة، تبدأ مراتب هؤلاء الموظفين في التدني، حيث صنفهم فيلوثيوس ضمن أفراد الطبقة الرابعة والأخيرة في قائمته. كما نلاحظ أن أغلب هؤلاء الموظفين، بدءاً من الفئة الثالثة، يتبعون نظرائهم في تاجما الاسكلاريه، في تلك الطبقة.

**ثالثاً : فرقة الأريثموس** : كانت الفرقة الثالثة من فرق الحرس الإمبراطوري البيزنطي (التاجماتا)، التي عملت إلى جانب الفرقتين السابقتين، هي تاجما الأريثموس[١]. وكانت تحمل اسمين هما الأريثموس، والفيجلا Vigla، والأخير كان الأكثر شيوعاً[٢].

ويعتقد بيوري أن هذه الفرقة سابقة على تنظيم التاجماتا، وأن أصلها ربما ارتبط بالقمامسة الأركاديين، الذين كونهم أركاديوس (٣٩٥-٤٠٨م)، وكانوا يعملون في خدمة القصر؛ وقد سايره في هذا الاعتقاد برييه[٣]. ثم يعود بيوري ويذكر أنه من واجبات هذه الفرقة، ومن الاسم المزدوج لها، ومن لقب قائدها، ربما دل كل هذا على أن الفيجلا القائمة من قبل التاجماتا أعيد تنظيمها حسب خطة متناسقة[٤]. ويرى هيث أنها قد أسست على الأقل في عام ٥٥٩م، وربما أقدم من ذلك أيضاً[٥]. أخيراً يذكر أويكونوميدس أن قائد هذه الفرقة ظهر في عام ٧٩١م[٦]. فهل يعنى هذا أن هذه الفرقة لم تكن قيادة مستقلة إلا في ذلك الوقت ؟ لقد أشرنا فيما سبق إلى أنه كانت هناك إعادة تنظيم لفرق الحرس الإمبراطوري، في عهد الأسرة الأيسورية، فهل هذا ما يعنيه أويكونوميدس، إذا كان هذا هو القصد، فإن بيوري يذكر أنه كان ينبغي أن يلقب قائد هذه الفرقة باسم دُمستق كنظرائه السابقين[٧]. إننا نعرف أن كلمة أريثموس

---

(١) Heath, *Byz. Armies*, 13; Bury, *The Imperial Administrative System*, 48, 60; Guillou, *La civilization byzantine*, 124; Bréhier, *Institutions*, 354; Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 331; Ensslin, *The Emperor*, 39; Ahrweiler, *Recherches*, 25; Ostrogorsky, *Byz. State*, 222; Bury, *E.R.E.*, 227.

(٢) Heath, *Byz. Armies*, 13; Bury, *The Imperial Administrative System*, 60.

(٣) Bury, *The Imperial Administrative System*, 61; Bréhier, *Institutions*, 354.

(٤) Bury, *The Imperial Administrative System*, 60.

(٥) Heath, *Byz. Armies*, 13.

(٦) Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 331.

(٧) Bury, *The Imperial Administrative System*, 60.

والأخيرة، بعد بروتكتورات الاسكلاريه بدرجتين[١]؛ الذين يبدو أنهم مشابهون لهم أيضاً، كحاملين للشارات[٢].

**السادسة** : سكيوفوروي σκευοφόροι[٣]، وهم يمثلون التيخيوفوروى في فرقة الاسكلاريه[٤]. حيث يصنفهم فيلوثيوس بعد الأخيرين مباشرة، في الطبقة الرابعة والأخيرة أيضاً[٥].

**السابعة** : سيجنوفوروي σιγνοφόροι[٦]، وهم يماثلون الاسكبتروفوروى في تاجما الاسكلاريه[٧]. حيث يصنفهم فيلوثيوس بعد الأخيرين مباشرة، في الطبقة الرابعة والأخيرة أيضاً[٨].

**الثامنة** : سِناتورات σενάτωρες[٩]، وهم يماثلون الاكسيوماتيكوى في تاجما الاسكلاريه[١٠]. حيث يصنفهم فيلوثيوس بعد الأخيرين مباشرة، في الطبقة الرابعة والأخيرة أيضاً[١١]؛ بينما يعتبرهم المؤرخ أويكونوميدس ضباط صف[١٢].

**التاسعة** : مانداتورات[١٣]، وقد صنفهم فيلوثيوس في الطبقة الرابعة والأخيرة أيضاً، مضيفاً لهم ليجاتاريوى، على الرغم من أنهم ليسوا مذكورين ضمن الفئات العاملة تحت قيادة دُمستق الاكسكوبيتر[١٤].

---

(١) *Traité Phil.*, 159.

(٢) Bury, *The Imperial Administrative System*, 59.

(٣) *Traité Phil.*, 113. Cf. Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 331.

(٤) Bury, *The Imperial Administrative System*, 59-60.

(٥) *Traité Phil.*, 159.

(٦) *Traité Phil.*, 113. Cf. Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 331.

(٧) Bury, *The Imperial Administrative System*, 59-60.

(٨) *Traité Phil.*, 159.

(٩) *Traité Phil.*, 113. Cf. Guillou, *La civilization byzantine*, 124.

(١٠) Bury, *The Imperial Administrative System*, 160.

(١١) *Traité Phil.*, 159.

(١٢) Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 331.

(١٣) *Traité Phil.*, 113. Cf. Bury, *The Imperial Administrative System*, 60.

(١٤) *Traité Phil.*, 159.

هكذا، كانت هناك فئات عديدة من الموظفين تعمل تحت إمرة دُمستق الاكسكوبيتر. ونلاحظ أنه بدءاً من موظفي الفئة الثالثة، تبدأ مراتب هؤلاء الموظفين في التدني، حيث صنفهم فيلوثيوس ضمن أفراد الطبقة الرابعة والأخيرة في قائمته. كما نلاحظ أن أغلب هؤلاء الموظفين، بدءاً من الفئة الثالثة، يتبعون نظرائهم في تاجما الاسكلاريه، في تلك الطبقة.

**ثالثاً : فرقة الأريثموس** : كانت الفرقة الثالثة من فرق الحرس الإمبراطوري البيزنطي (التاجماتا)، التي عملت إلى جانب الفرقتين السابقتين، هي تاجما الأريثموس[1]. وكانت تحمل اسمين هما الأريثموس، والفيجلا Vigla، والأخير كان الأكثر شيوعاً[2].

ويعتقد بيوري أن هذه الفرقة سابقة على تنظيم التاجماتا، وأن أصلها ربما ارتبط بالقمامسة الأركاديين، الذين كونهم أركاديوس (٣٩٥-٤٠٨م)، وكانوا يعملون في خدمة القصر؛ وقد سايره في هذا الاعتقاد بربييه[3]. ثم يعود بيوري ويذكر أنه من واجبات هذه الفرقة، ومن الاسم المزدوج لها، ومن لقب قائدها، ربما دل كل هذا على أن الفيجلا القائمة من قبل التاجماتا أعيد تنظيمها حسب خطة متناسقة[4]. ويرى هيث أنها قد أسست على الأقل في عام ٥٥٩م، وربما أقدم من ذلك أيضاً[5]. أخيراً يذكر أويكونوميدس أن قائد هذه الفرقة ظهر في عام ٧٩١م[6]. فهل يعنى هذا أن هذه الفرقة لم تكن قيادة مستقلة إلا في ذلك الوقت ؟ لقد أشرنا فيما سبق إلى أنه كانت هناك إعادة تنظيم لفرق الحرس الإمبراطوري، في عهد الأسرة الأيسورية، فهل هذا ما يعنيه أويكونوميدس، إذا كان هذا هو القصد، فإن بيوري يذكر أنه كان ينبغي أن يلقب قائد هذه الفرقة باسم دُمستق كنظرائه السابقين[7]. إننا نعرف أن كلمة أريثموس

---

(1) Heath, *Byz. Armies*, 13; Bury, *The Imperial Administrative System*, 48, 60; Guillou, *La civilization byzantine*, 124; Bréhier, *Institutions*, 354; Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 331; Ensslin, *The Emperor*, 39; Ahrweiler, *Recherches*, 25; Ostrogorsky, *Byz. State*, 222; Bury, *E.R.E.*, 227.

(2) Heath, *Byz. Armies*, 13; Bury, *The Imperial Administrative System*, 60.

(3) Bury, *The Imperial Administrative System*, 61; Bréhier, *Institutions*, 354.

(4) Bury, *The Imperial Administrative System*, 60.

(5) Heath, *Byz. Armies*, 13.

(6) Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 331.

(7) Bury, *The Imperial Administrative System*, 60.

تعبير قديم جداً يحمل معنى تكتيكي[1]. ومن ثم فإن هذه الفرقة قديمة النشأة، مما يجعلنا نفترض أنها ربما ظهرت كفرقة حراسة مستقلة في فترة ما من النصف الثاني من القرن السادس الميلادي، ربما عام ٥٥٩م، وإن حملت الاسم التكتيكي القديم أريثموس؛ وربما أعيد تنظيمها فيما بعد، على أثر التقلبات الداخلية التي عصفت بالمجتمع البيزنطي في عهد الأسرة الأيسورية، وإن كنا لا نملك دليلاً تاريخياً على هذا.

جدير بالذكر، أنه سبقت الإشارة إلى أن هذه الفرقة ربما شغلت إحدى الاسكلات السبع، السابق ذكرها[2]. وكانت قوات هذه الفرقة من الفرسان[3]. وكان يقود تاجما الأريثموس درونجاريوساً وليس دُمستقاً[4].

وتذكر تكتيكون أوسبنسكى درونجاريوس الأريثموس في موضعين، الأول منهما يحمل فيه لقب بطريق، والثاني بدون لقب بطريق؛ حيث يأتي في الموضع الأول عقب البطريق لغثيت الاستراتيوتيكون، في المرتبة التاسعة والثلاثين؛ وفى الموضع الثاني يأتي عقب لغثيت الاستراتيوتيكون أيضاً، في المرتبة الخامسة والستين[5].

أما فيلوثيوس فإنه يضعه في المرتبة السادسة والثلاثين، بين ترتيب موظفي الدولة، عقب لغثيت الاستراتيوتيكون[6]. ثم عاد وصنفه ضمن طبقة الدُمستقات، بعد دُمستق الاكسكوبيتر، مشيراً إليه بلقب دُمستق[7]. وهنا تبرز لنا ملاحظة أن فيلوثيوس استخدم لقب درونجاريوس في المرة الأولى للإشارة إلى قائد الأريثموس، ثم استخدم لقب دُمستق في المرة الثانية للإشارة إليه أيضاً؛ ولابد لنا أن نتساءل لماذا هذه التعددية، علماً بأن فيلوثيوس كان موظفاً في البلاط الإمبراطوري؛ إن هذا يوحى إلى بافتراضين، الأول أنه كان يشار إلى قائد

---

(١) انظر طارق منصور، الجيش، ص ٧٣.

(٢) انظر طارق منصور، الجيش، ص ٢٧٧.

(٣) قدامه، نبذ من كتاب الخراج، ص ٢٥٦؛ Const. Porph., *Le liver des céré.*, I, 44-45; انظر أيضاً، Heath, *Byz. Armies*, 10; Bury, *E.R.E.*, 227; Ensslin, *The Emperor*, 39.

(٤) *Taktikon Usp.*, 51; *Traité Phil.*, 103; *Theophanes*, 171; Const. Porph., *Le liver des céré.*, I, 44. Cf. Heath, *Byz. Armies*, 13; Hanton, *Lexique*, 79; Bury, *The Imperial Administrative System*, 61
على سبيل المثال كان الكسيوس موزيلى درونجير الأريثموس في عهد ايرين. انظر، *Theophanes*, 149.

(٥) *Taktikon Usp.*, 51.

(٦) *Traité Phil.*, 103.

(٧) *Traité Phil.*, 105.

الأريثموس إما بدرونجاريوس أو دُمستق حسب مراسم معينة؛ الثاني أنه كان يشار إليه بلقب دُمستق، بين طبقة الدُمستقات، كنوع من التكريم أضفاه الكتاب على درونجاريوس الأريثموس. ومما يؤكد الافتراض الثاني أننا نقابل قائد الأريثموس في مواضع عديدة من كتاب المراسم وهو يحمل لقب درونجاريوس[١].

على أية حال، كان درونجاريوس الأريثموس موظفاً كبيراً، وإن كان أدنى من كثير من القادة العسكريين الآخرين، الذين كانوا يسبقونه في ترتيب الأسبقية[٢]. وكان بالإضافة إلى لقب بطريق يحمل لقب انثيباطوس[٣]، كما كان يحمل لقب بروتوسباثاريوس[٤]. ويذكر هانتو Hanton أنه كان ضابطاً ذا مرتبة ثانوية، في الطبقة الرابعة من مراتب النبلاء، وذلك في القرن التاسع الميلادي[٥]؛ ولكن يبدو أن رأيه هذا فيه شيء من الخطأ. لأننا نقابل درونجاريوس الأريثموس مصنف عند فيلوثيوس في المرتبة السادسة والثلاثين من بين ستين موظفاً كبيراً أدرجهم في قائمته[٦]. كما أنه يحمل ألقاباً عالية ورد ذكرها، تضعه في طبقات أعلى من الطبقة الرابعة، التي لم نعثر له على أثر فيها، والتي حوت صغار موظفي الإمبراطورية البيزنطية.

على أية حال، كان على فرقة الأريثموس القيام بتأمين الإمبراطور وحماية القصر بصفة خاصة[٧]، من الخارج؛ وعمل دوريات المساء في حالات السلم، التي كانت الشغل الشاغل لأفرادها[٨]. كذلك كان عليها حراسة موقع الهيبودروم، ومقر المحاكم، وذلك في القرن التاسع الميلادي[٩]. وفى حالة الحملات العسكرية التي يقودها الإمبراطور شخصياً، كان على الدرونجاريوس وفرقته أن يصطحبوا الإمبراطور أينما يذهب، وعليهم ألا يبتعدوا مطلقاً عن

---

(١) Constantine Porph., *De Ceremoniis*, II, 599, 605, 614.

(٢) انظر، *Taktiton Usp.*, 47, 49; *Traité Phil.*, 101.

(٣) *Traité Phil.*, 139.

(٤) *Traité Phil.*, 145.

(٥) Hanton, *Lexique*, 79.

(٦) *Traité Phil.*, 103.

(٧) Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 331; Guillou, *La civilization byzantine*, 124.

(٨) Const. Porph., *Le liver des céré.*, I, 45.

(٩) Const. Porph., *Le liver des céré.*, I, 45; Guillou, *La civilization byzantine*, 124.

معسكره[١]. حيث كان درونجاريوس الأريثموس مسئولاً عن حراسة هذا المعسكر، لاسيما الخيمة الإمبراطورية[٢]؛ بالإضافة إلى قيامه بنقل أوامر الإمبراطور إلى القادة[٣].

وفى الواقع، كان درونجاريوس الفيجلا لا يلحق بالجيش إلا إذا كان الإمبراطور يقود الحملة بنفسه، كما سبق القول؛ ولكن على العكس، إذا لم يقد الإمبراطور الحملة فإنه يظل في القسطنطينية مع وحدة من تاجمته ومعه الأكولوثوس التابع له، وفى هذه الحالة تنتقل قيادة تاجمته إلى دُمستق الاسكلاريه في الميدان[٤]. كما كانت لدرونجاريوس الأريثموس مهام تتصل بأسرى الحرب[٥]. لقد كان درونجاريوس الأريثموس، بدون شك، ذا مكانة كبيرة؛ ومما يعكس هذه المكانة تلك المراسم التي كانت تجرى في الهيبودروم، والتي يؤدى فيها قادة التجماتا التحية عند دخولهم إليه إلى درونجاريوس الأريثموس، الذي يقوم بدوره برد التحية قائلاً لهم "يوماً سعيداً لكم يا أراخنه"[٦].

جدير بالذكر، أن فرقة الأريثموس وقيادتها وردا عند قدامة بن جعفر، حيث قال "والصنف الثالث أوموس، وهم للحرس، وصاحبهم طرنجار"، وقدرهم بأربعة آلاف فارس[٧]. وهذه التسمية المشوهة التي أوردها قدامه، "أوموس"، أثارت كثيراً من المؤرخين. فقد اعتبرها كل من ديجويه وديبور D. Boor تاجما الاكسكوبيتر. ثم يعود ديجويه ويقترح أن تكون

---

(١) Const. Porph., *Le liver des céré.*, I, 45.

(٢) كانت هناك خيمة للإمبراطور بصفة خاصة، كما كان للاستراتيجوس أيضاً، وعلى سبيل المثال الخيمة الإمبراطورية لميخائيل الثالث، انظر، G. Monachus, *Vitae Recentiorum Imperatorum*, in: Theophanes Cont., ed. I. Bekker, *CSHB* (Bonn 1838), 830; *Symeon Magister ac Logothetae Chronographia*, ed. I. Bekker, *CSHB* (Bonn 1838), 678.
وعندما كان يقود الإمبراطور حملة عسكرية فإن قمامسة الخيام في الثيمات المختلفة كانوا ينتظرونه لنصبوا له خيمته، وبرفقتهم الكورتيناريه Cortinarii، الذين يعملون تحت قيادة القمامسة؛ ويرافقون درونجاريوس الأريثموس في طوافه الليلي حول المعسكر. كما كان عليهم تجهيز جياد البريد لدرونجاريوس الأريثموس، لأجل المهام الإمبراطورية. وربما كانوا يبعثون أيضاً في مهام خاصة. انظر، Bury, *The Imperial Administrative System*, 43 ff.

(٣) Bury, *E.R.E.*, 228; Heath, *Byz. Armies*, 13; Bréhier, *Institutions*, 354.

(٤) Guilland, *Les Noumera*, 414.

(٥) Constantine Porph., *De Ceremoniis*, II, 614. Cf. Heath, *Byz. Armies*, 13.

(٦) Constantine Porph., *De Ceremoniis*, II, 598-599.

(٧) نبذ من كتاب الخراج، ص ٢٥٦.

أويكياكوس οικιακος وأن النص ينبغي أن يصحح لأريثموس[1]، برغم أن ديجويه لم يقدم دوافعه لهذا الافتراض. ثم نقل هالدون افتراض جلتزر بأنها الهيكانتيه، برغم أن الأخير يسلم بأن هذا الأمر مشكوك فيه[2].

وفى الواقع، فإن الكلمة التي أوردها قدامه يمكن أن تقرأ أما أوفوس أو أوقوس؛ والتى أضاف لها هالدون قراءة ثالثة، يقترح أن تكون هي الأقرب، وهى أرفوس Arfws، معتبراً إياها الأريثموس ar(i)f(th)(m)os [3]. ومع هذا أجد نفسي مختلفاً مع هالدون في تعديله للكلمة. فاوموس قدامه، نفترض أنها نتجت إما عن خطأ في المصدر الذي نقل عنه قدامه، أو عن تشوه ما أصاب نفس المصدر، هذا من ناحية. ومن الناحية الأخرى، فإن التعديل الأقرب في اللغة العربية لهذه الكلمة هو أرموس وليس أرفوس هالدون، وبإمكاننا أن نمضى أكثر من هذا ونعدل الكلمة إلى أرثموس؛ وهو الأمر الذي ذكره من قبل روزن دون توضيح لأسباب ذلك. على كل حال، فقد ذكر قدامة أن مهام هذه الفرقة هي الحراسة، وأن قائدها درونجاريوس (طرنجار)، مما يؤكد أن "أوموس" هي الأريثموس. هذا، وقد كان يتبع درونجاريوس الأريثموس عشر فئات من الموظفين، الذين يعملون تحت قيادته، مشكلين هيئته، وهم :

**الأولى :** توبوتريتس[4]، الذي حمل لقب اسباثاروكانديدات عند فيلوثيوس[5].

**الثانية :** كارتولاريوس[6]، الذي صنفه فيلوثيوس في الطبقة الرابعة والأخيرة[7]، وبهذا يكون أدنى مرتبة من نظرائه السابقين.

**الثالثة :** أكولوثوس ακόλουθος[1]، وهو يماثل البروكسيموس في تاجما الاسكلاريه، والبروتوماندناتور في تاجما الاكسكوبيتر[2]، وقد صنفه فيلوثيوس في الطبقة الرابعة والأخيرة[3].

---

(1) قدامه، نبذ من كتاب الخراج، حاشية رقمg

(2) Haldon, *Kudama Ibn Djafar*, 81.

(3) Haldon, *Kudama Ibn Djafar*, 81 – 82.

(4) *Traité Phil.*, 115; *Taktikon Usp.*, 57. Cf. Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 331; Bury, *The Imperial Administrative System*, 62; Guillou, *La civilization byzantine*, 124.

(5) *Traité Phil.*, 151.

(6) Ibid., 115; *Taktikon Usp.*, 63. Cf. Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 331; Guilland, *Chartulaire*, 409; Bury, *The Imperial Administrative System*, 62.

(7) *Traité Phil.*, 157.

الرابعة : قمامسة[٤]، وهم كنظـرائهم في تاجمـا الاسكـلاريه، والاسكـريبونات فـي تاجمـا الاكسكـوبيتر[٥]. وهم كانـوا رؤسـاءً لوحـدات أو بنـدات الأريثـموس[٦]؛ وقد صنفهم فيلوثيوس في الطبقة الرابعة والأخيرة أيضاً[٧].

الخامسة : قنطارخات[٨]، وهم كانوا ضباطاً تحت إمرة القمامسة[٩]، وقد صنفهم فيلوثيوس في الطبقة الرابعة والأخيرة[١٠].

السادسة – الثامنـة : بانـدوفوروى βανδοφόροι، لابوريـسيوى λαβουρήσιοι، سـيميوفوروى σημειοφόροι[١١] : وهـم يمـاثلون الـدراقوناريوى، والسكيوفوروى والسيجنوفوروى في تاجمـا الاكـسكوبيتر علـى التـوالي[١٢]. وجميعهم صنفهم فيلوثيوس ضمن أفراد الطبقة الرابعة والأخيرة أيضاً[١٣].

التاسعة : دوقينياتورات δουκονιάτωρες[١٤] وهم يماثلون الـسيناتورات فـي تاجمـا الاكسكوبيتر[١٥]. ويعتبرهم أويكونوميدس ضباط صف[١٦]. وهم مـصنفين فـي الطبقة الرابعة والأخيرة أيضاً عند فيلوثيوس[١٧].

---

(١) *Traité Phil.*, 115. Cf. Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 331.

(٢) Bury, *The Imperial Administrative System*, 62.

(٣) *Traité Phil.*, 159.

(٤) *Traité Phil.*, 115; *Taktikon Usp.*, 63. Cf. Guillou, *La civilization byzantine*, 124.

(٥) Bury, *The Imperial Administrative System*, 62.

(٦) Bury, *The Imperial Administrative System*, 62; Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 331.

(٧) *Traité Phil.*, 157.

(٨) *Traité Phil.*, 115. Cf. Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 331.

(٩) Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 331.

(١٠) *Traité Phil.*, 157.

(١١) *Traité Phil.*, 115.

(١٢) Bury, *The Imperial Administrative System*, 62.

(١٣) *Traité Phil.*, 159.

(١٤) *Traité Phil.*, 115.

(١٥) Bury, *The Imperial Administrative System*, 62.

(١٦) Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 331; Guillou, *La civilization byzantine*, 124.

(١٧) *Traité Phil.*, 159.

**العاشرة :** ماندانورات[١]، وهم الذين صنفهم فيلوثيوس في الطبقة الرابعة والأخيرة، بعد ماندانورات الاكسكوبيتر[٢]. وكان يوجد أيضاً بالإضافة إلى الموظفين السابقين ليجاتاريوى، وسكوتاريوى (حملة تروس الاسكوتا)، مرافقين للأريثموس[٣].

**رابعاً : فرقة الهيكانتية :** كانت الفرقة الرابعة من فرق الحراسة الإمبراطورية هي تاجما الهيكانتيه[٤]، وهى أصغرهم جميعاً[٥]؛ وقد أجمع كثير من المؤرخين المحدثين على أنها من إنشاء الإمبراطور نقفور الأول (٨٠٢-٨١١م)[٦]، وبالتحديد في عام ٨٠٩م[٧]. وهذه الفرقة لا يرد ذكرها في المصادر التاريخية قبل القرن التاسع الميلادي. ويبدو أن كثيراً من هؤلاء المؤرخين السابقين اعتمدوا على فقرة واردة في سيرة القديس اجناتيوس تشير إلى أن نقفور الأول عين حفيده نيقتاس قائداً لهذه التاجما، مما يدل على أن هذه التاجما من إنشاء ذلك الإمبراطور[٨]. وهذا النوع من الحرس تكون في البداية من أبناء الأسر النبيلة، كنوع من الحرس الخاص لأبنائه بصفة خاصة[٩]؛ وهو الذي أعمل فيه البلغار السيف في عام ٨١١م[١٠].

---

(١) *Traité Phil.*, 115. Cf. Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 331; Bury, *The Imperial Administrative System*, 62.

(٢) *Traité Phil.*, 159.

(٣) Bury, *The Imperial Administrative System*, 62.

(٤) Ibid., 48, 63; Bréhier, *Institutions*, 354; Guillou, *La civilization byzantine*, 124; Bury, *E.R.E.*, 227; Ensslin, *The Emperor*, 39; Ahrweiler, *Recherches*, 25; Heath, *Byz. Armies*, 10, 13; Diehl et Marçais, *Moyen âge*, 494; Ostrogorsky, *Byz. State*, 222.

(٥) Heath, *Byz. Armies*, 13.

(٦) Bury, *The Imperial Administrative System*, 63; idem, *E.R.E.*, 227; Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 332; Bréhier, *Institutions*, 354; Ostrogorsky, *Byz. State*, 222.

(٧) Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 332; Guillou., *La civilization byzantine*, 124.

(٨) *Mansi*, tome 16, 227. Cf. also Bury, *The Imperial Administrative System*, 63.
كان نيقتاس آنذاك طفلا يبلغ من العمر عقدا واحدا، عندما عينه نقفور قائداً لهذه الفرقة، انظر،
Bréhier, *Institutions*, 354; Bury, *E.R.E.*, 227.

(٩) Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 332; Guillou, *La civilization byzantine*, 124.

(١٠) Idem.

وقد سبقت الإشارة إلى أن هذه الفرقة ربما شغلت إحدى الاسكلات السبع، السابق ذكرها[١]. وكانت هذه الفرقة من الفران أيضاً[٢]، ويقودها دُمستقاً[٣]؛ حيث يقابلنا البروتوسباثاريوس أوريستس Orestes دُمستق الهيكانتية في عام ٨٦٩م[٤].

ويأتي دُمستق الهيكانتية، في تكتيكون أوسبنسكى، في المرتبة الثانية والستين بعد لغثيت الجياد والدواب[٥]، وهو بذلك أدنى من نظرائه السابقين بالطبع. أما في قائمة فيلوثيوس فإنه يأتي في المرتبة الواحدة والأربعين، بين موظفي الدولة البيزنطية، بعد لغثيت الجياد والدواب أيضاً[٦]. وكان يأتي عقب درونجاريوس الأريثموس في ترتيب الدُمستقات، قادة التاجماتا[٧]. أما عن الألقاب الشرفية التي كان يحملها، فإنه كان يحمل لقب انثيباطوس بالإضافة إلى لقب بطريق[٨]، كما كان يحمل لقب بروتوسباثاريوس أيضاً[٩].

ويمكننا ملاحظة أن دُمستق الهيكانتيه بالرغم من أنه حمل نفس الألقاب التي حملها نظراؤه، إلا أنه لم يكن ذو مرتبة عالية مثلهم. فعلى سبيل المثال، كان بينه وبين دُمستق الاسكلاريه، في ترتيب الأسبقية بين موظفي الدولة البيزنطية، ستة وثلاثين درجة؛ وبينه وبين دُمستق الاكسكوبيتر أربع وعشرون درجة؛ بل حتى بينه وبين درونجاريوس الأريثموس خمس درجات. وهذا الأمر إما أنه يدل على انخفاض مكانة هذه التاجما بين التاجمات الأخرى، السابق ذكرها؛ أو يوحى بأنها كانت تقوم بأعمال الحراسة على مواقع ليست على درجة من الحيوية كنظرائها.

جدير بالذكر أن هذه الفرقة، تاجما الهيكانتيه، ليس لها ذكر البتة في مصنف قدامة، على الرغم من أنها أنشئت عام ٨٠٩م، كما سبق القول[١٠]. وليس معنى هذا أن قدامة اقتصر

---

(١) انظر طارق منصور، الجيش، ص ٢٧٦.

(٢) Bury, *The Imperial Administrative System*, 63; Ensslin, *The Emperor*, 39; Haldon, *Kudama Ibn Djafar*, 80.

(٣) *Taktikon Usp.*, 53; *Traité Phil.*, 103, 105; *Mansi*, tome 16, 310.

(٤) *Mansi*, tome 16, 310.

(٥) *Taktikon Usp.*, 53.

(٦) *Traité Phil.*, 103.

(٧) *Traité Phil.*, 105.

(٨) *Traité Phil.*, 139.

(٩) *Traité Phil.*, 145.

(١٠) Haldon, *Kudama Ibn Djafar*, 83; Heath, *Byz. Armies*, 13.

فقط على ذكر التاجماتا الثلاث السابقة الذكر، لكنه ذكر تاجما رابعة أيضاً من الفرسان وأطلق عليها اسم "مندراطسن"[١] وهى التسمية أثارت جدلاً كبيراً بين المؤرخين. ولكن قبل أن نخوض في تفاصيل هذا الأمر لابد وأن نصلح أولاً ذلك الاسم الذي ذكره قدامة. فقد ذكر روزن أن "تدراطسن" قدامة تعنى الفويدراتي[٢]، بينما ترجم ديجويه الاسم إلى الاسكوتاريوى[٣]. أما بيوري فقد ذكر أنه لابد وأن قدامة كان يقصد أن يقول فويدراتى[٤]. أخيراً يتفق هالدون مع بيوري فيما ذهب إليه[٥].

على أية حال، لكي نرجح أي من الآراء السابقة، ينبغى علينا العودة إلى المصادر البيزنطية لحل هذه الإشكالية. نعرف من المصادر البيزنطية أن الفويدراتي القدامى (المعاهدون) كانت لا تزال بقاياهم تشكل فرقة عاملة في القسطنطينية، حتى أوائل القرن التاسع الميلادي. ودليلنا على ذلك ما قام به الإمبراطور نقفور الأول من تعيين ليو الأرميني قائداً لفرقة الفويدراتي[٦]، وبعد ذلك قام ليو الأرميني، بعد أن أصبح إمبراطوراً في عام ٨١٣م، بتعيين توماس Thomas السلافي قائداً لنفس الفرقة[٧]. ليس هذا فحسب، بل إننا نجد ذكر لقائد هذه الفرقة، طورماخ الفويدراتي، في تكتيكون أوسبنسكى، المكتوبة في أواسط القرن التاسع الميلادي؛ موضوعاً فيها في المرتبة الثامنة والتسعين بعد كايزورارخ سلوقية (سوزوبوليس)[٨]. إذن هذه الفرقة كانت قائمة على الأقل في الربع الأول من القرن التاسع الميلادي.

بناء على ذلك، يمكننا أن نقول أن "مندراطسن" قدامة، ينبغي أن تعدل إلى فيدراطيين التي ربما تعادل فويدراتى، وهم المعاهدون الذين أشرنا إليهم فيما سبق[٩]. وإذا كان الأمر كذلك فهل هم الهيكانتيه؟ لابد أن نشير بداية إلى أن قدامة قد أخذ مادته عن مصادر قديمة،

---

[١] قدامه، نبذ من كتاب الخراج، ص ٢٥٧.

[٢] أي المعاهدون الذين أشرنا إليهم من قبل، انظر، طارق منصور، الجيش، ص ٤٦-٤٩.

[٣] قدامه، نبذ من كتاب الخراج، ص ٢٥٦، حاشية رقم i.

[٤] Bury, *The Imperial Administrative System*, 63-64.

[٥] Haldon, *Kudama Ibn Djafar*, 82.

[٦] *Genesius*, 10; *Cedrenus*, II, 53-54.

[٧] *Genesius*, 12. Cf. Kaegi, *The Byzantine Armies and Iconoclasm*, 66, Bury, *E.R.E.*, 46.

[٨] *Taktikon Usp.*, 55.

[٩] انظر، طارق منصور، الجيش، ص ٤٦ – ٤٩.

يعود بعضها إلى القرن الثامن الميلادي[1]؛ مثله مثل ابن خرداذبة، الذي اعتمد في مواضع كثيرة من حديثه عن النظم البيزنطية على رواية مسلم ابن أبى مسلم الجرمي، هذا من ناحية. ومن الناحية الأخرى، يجب أن نتذكر أن تاجما الهيكانتيه أنشئت عام ٨٠٩م ، وهو الأمر الذي ذكرناه من قبل. هذا، بالإضافة إلى أن الفويدراتي يعملون في الجيش البيزنطي منذ السنوات الباكرة من التاريخ البيزنطي. إذن بمقدورنا القول أن فويدراتى قدامة ليسوا هم بالتأكيد الهيكانتيه.

ونستطيع أن نؤكد هذا، بأن هيئة موظفي دُمستق الهيكانتية لا تشمل بين موظفيها طورماخاً، بينما ذكرت المصادر السابقة طورماخاً للفويدراتى. أما هالدون فقد اقترح أن نضيف عبارة تصلح للتوكيد وهى الملاحظة التي يضيفها قدامة في روايته عن الفويدراتي[2] : "والصنف الرابع فيدراطيين، وهم يخرجون مع الملك إذا خرج في سفر، وعددهم أربعة آلاف"[3].

ويفترض هالدون أن قدامة خلط بين واجباتهم وواجبات فرقة الأريثموس[4]. بينما يطابقهم بيوري مع فئة من فئات الحرس تسمى الهيتارية[5]. أما هيث فيعتقد أن أسمهم قد تحول من الفيدراتى إلى الهيتارية في منتصف القرن التاسع الميلادي[6]. على أية حال، كل ما يعنينا الآن هو أن فيودراتى قدامة ليسوا بالتأكيد الهيكانتية. كما لا نستطيع أن نجزم بأي من الآراء السابقة ونقول يماثلون أي من التاجماتا الإمبراطورية، لأن الصفات التي ذكرها قدامة يمكن أن تنطبق على أكثر من فرقة[7]. وإن كان الباحث يميل إلى أنها تنطبق على الهيتارية، فهم أجانب تماماً كالفويدراتي.

جدير بالذكر، أن دُمستق الهيكانتيه كان يتبعه تسع فئات من الموظفين الذين يعملون تحت قيادته مشكلين هيئته، وهم :

---

(١) Haldon, *Kudama Ibn Djafar*, 84.

(٢) Haldon, *Kudama Ibn Djafar*, 84.

(٣) قدامه، نبذ من كتاب الخراج، ص ٢٥٦.

(٤) Haldon, *Kudama Ibn Djafar*, 84.

(٥) Bury, *The Imperial Administrative System*, 64.

(٦) Heath, *Byz. Armies*, 14.

(٧) Haldon, *Kudama Ibn Djafar*, 84.

**الأولى :** توبوتريتس[١] وكان يحمل لقب اسباثاروكانديدات[٢].

**الثانية :** كارتولاريوس[٣]، الذي صنفه فيلوثيوس ضمن الطبقة الرابعة والأخيرة، طبقة الاستراتورات، بعد قمامسة الهيكانتيه[٤].

**الثالثة :** قمامسة[٥]، الذين صنفهم فيلوثيوس ضمن الطبقة الرابعة والأخيرة.

**الرابعة :** بروتوماندانور[٦]، وهو مصنف عقب بروتوماندانور الاكسكوبيتر، ضمن الطبقة الرابعة والأخيرة، في قائمة فيلوثيوس[٧]. وهو يماثل الاوكولوثوس في تاجما الاريثموس، باستثناء أنه يأتي هنا بعد القمامسة[٨].

**الخامسة :** قنطارخات[٩]، وهم يأتون عقب قنطارخات الأريثموس، ضمن الطبقة الرابعة والأخيرة، في قائمة فيلوثيوس[١٠].

**السادسة – التاسعة :** باندوفوروى، دوقينياتورات، سيميوفوروى، مانداتورات[١١]. وهم جميعاً يأتون ضمن الطبقة الرابعة أيضاً في قائمة فيلوثيوس ما عدا المانداتورات، الذين لا نجد لهم ذكراً بين مراتب الأسبقية[١٢].

ومما هو جدير بالملاحظة أن التنظيم السابق لموظفي دُمستق الهيكانتية مشابه إلى حد كبير لذلك الخاص بتاجما الأريثموس، مع استثناءات بسيطة[١٣]. كما أن هؤلاء الموظفين صاروا بعيدين في التدرج الهرمي لمراتب الأسبقية[١].

---

(١) *Traité Phil.*, 119; *Taktikon Usp.*, 57. Cf. Bury, *The Imperial Administrative System*, 66; Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 332.

(٢) *Traité Phil.*, 151.

(٣) *Traité Phil.*, 119. Cf. Guilland, *Les Noumera*, 409.

(٤) *Traité Phil.*, 151.

(٥) *Traité Phil.*, 119.

(٦) *Idem*.

(٧) *Traité Phil.*, 159.

(٨) Bury, *The Imperial Administrative System*, 64.

(٩) *Traité Phil.*, 119.

(١٠) *Traité Phil.*, 157.

(١١) *Traité Phil.*, 119.

(١٢) *Traité Phil.*, 159.

(١٣) Bury, *The Imperial Administrative System*, 64; Guillou, *La civilization byzantine*, 124.

وهكذا شكلت فرق الفرسان الأربع، الاسكلارية، الاكسكوبيتر، الأريثموس الهيكانتية، مجتمعة فرق الحراسة الإمبراطورية؛ برغم أن هذا التعبير كان يطلق ليشمل في بعض الأحيان النوميرا، والهيتارية، والوحدات الأخرى المتمركزة في العاصمة[٢]. وكان تعبير اسكلاريه يظهر في بعض الأحيان في بعض المصادر كوصف عام لجنود التاجماتا الأربعة[٣]. ولم تكن التاجماتا قوات استعراض فحسب، بل كانت تشكل أقوى أجزاء الجيش الإمبراطوري وتلعب دوراً في الحملات العسكرية، وإن كان ذلك يتم تحت قيادة قائد آخر غير الإمبراطور[٤].

وإلى جانب التاجماتا الإمبراطورية كانت هناك فرقاً عسكرية أخرى تعمل في العاصمة، والتي كان لابد من وجودها للقيام بالخدمات التي إما يسمى عليها فرسان التاجماتا أو لا تناسب طبيعتهم الحربية. وهذه الفرق هي:

**فرقة النوميرا** : وكانت هذه الفرقة مختلفة تماماً عن الفرق العسكرية السابقة فهي من قوات المشاة[٥]. والذكر الأول لهذه الفرقة، وربما الأقدم، نجده عند قدامة ابن جعفر، حيث يقول "وينقسم الرجالة قسمين، فالأول منها يسمون ابلمسا، وعدتهم أربعة آلاف راجل؛ والباقي يسمون مويره، وعدتهم أربعة آلاف"[٦].

والمويرة هنا بوضوح هي النوميرا، السابقة الذكر[٧]. أما الأبلمسا، فيعتقد روزوين وهالدون أنهم الأوبتيماطى[٨]. لكننا نعرف أن الأوبتيماطى شكلوا ثيماً مستقلاً، حيث انفصلوا عن ثيم الأوبسيق، منذ عهد قسطنطين الخامس[٩]. ولكنهم كانوا قبل هذا قسماً هاماً في جيش الأوبسيق، ومن المحتمل أنهم كانوا متحدين مع القوط المتأغرقين. ومن المحتمل أيضاً أنهم

---

[] Bréhier, *Institutions*, 354.

[] Heath, *Byz. Armies*, 10.

[] Heath, *Byz. Armies*, 12.

[] Bréhier, *Institutions*, 354.

[٥] قدامه، نبذ من كتاب للخراج، ص ٢٥٦، انظر أيضاً، Bréhier, *Institutions*, 354.

[٦] قدامه، نبذ من كتاب للخراج، ص ٢٥٦، انظر أيضاً، Heath, *Byz. Armies*, 13.

[] قدامه، نبذ من كتاب الخراج، ص ٢٥٦، حاشية رقم n انظر أيضا، Haldon, *Kudama Ibn Djafar*, 82.

[] قدامه، نبذ من كتاب الخراج، ص ٢٥٦، حاشية رقم m، انظر أيضا، Haldon, *Kudama Ibn Djafar*, 82.

[٩] انظر، طارق منصور، الجيش، ص ٢٤٦.

كانوا من حين لآخر يتمركزون في القسطنطينية، منذ أن كانوا واحداً من الأقسام المختارة في جيش الإمبراطور الميداني، أي جيش الأوبسيق. وهكذا يبدو أن هذا الجزء من معلومات قدامة عن هذه الفرقة (الأبلمسا) يعود إلى تاريخ مبكر عن عام ٧١٨م[١]. وهو ما يؤكده قدامة نفسه بطريقة غير مقصودة عندما يورد ذكراً للأوبتيماطى على أنهم يشكلون ثيماً من جملة الثيمات البيزنطية[٢].

على أية حال، فإن فرقة النوميرا كانت من الفرق القائمة بالعاصمة باستمرار. لكن يبدو أن تاريخ نشأتها كان أقدم من تاريخ ذكر قدامة لها. ولا يعرف بالضبط إلى أي تاريخ يرجع تكوين هذه الفرقة، فمن الصعب معرفة العصر الذي ترجع إليه. ويؤكد جيان على أنها لم تكن موجودة في غضون القرن التاسع الميلادي ويعتقد أنها ربما تكونت في القرن الثامن الميلادي، بالرغم من صمت التاريخ في هذا الصدد[٣].

وهناك ختم يعود تاريخه إلى القرن السابع أو الثامن الميلادي يشير إلى درونجاريوس النوميرا. مما حدا ببيوري إلى الافتراض بأن هذه الفرقة كان يقودها في بداية الأمر درونجاريوساً، والذي سرعان ما تغير لقبه فيما بعد كما سنرى[٤].

واسم نوميرا هو مسمى قديم ذو معنى تكتيكي، حملته وحدات المشاة قبل القرن السابع الميلادي[٥]، وليس معنى هذا أن نوميرا القرن التاسع فصاعداً يعود تاريخها إلى ما قبل القرن السابع الميلادي، فالبون شاسع بينهما، عدا أن قواتهما من المشاة فقط. فكانت النوميرا ضمن القوات المدافعة عن أسوار العاصمة في عام ٥٥٨م، ضد إحدى الهجمات البربرية[٦]، فهل هذا يدفعنا إلى القول بأن هذه الفرقة قديمة النشأة.

على أية حال، تغير مفهوم النوميرا، شأنه شأن التاجما، عبر التاريخ البيزنطي، فكان يعني في تاريخها الباكر الوحدات المشكلة لفيالق المشاة في الجيش البيزنطي. وفيما بعد، دون أن يمكننا تحديد تاريخ هذا، أصبح الاسم يعني أفراد فرقة المشاة، النوميرا، الرابضة في القسطنطينية فقط. وهناك دليل يشير إلى قدم تاريخ هذه الفرقة، وهو الأسماء القديمة التي كان

---

(١) Haldon, *Kudama Ibn Djafar*, 86.

(٢) قدامة، نبذ من كتاب الخراج، ص ٢٥٧.

(٣) Guilland, *Les Noumera*, 412.

(٤) Bury, *The Imperial Administrative System*, 65.

(٥) انظر، طارق منصور، الجيش، ص ٧٣.

(٦) انظر، طارق منصور، الجيش، ص ٥١.

لا يزال بعض موظفي هذه الفرقة يحملونها، مثل التريبونات، الذين حلوا محل القمامسة في قيادة هذه الفرقة، وكذلك الفيكارات[١].

على كل حال، لا نستطيع أن نجذم بأنه ليست هناك صلة تربط بين النوميرا وبين نوميرا قدامة القائمة في القسطنطينية، بل على العكس يمكننا أن نفترض، بناءً على ما تقدم، أن نوميرا قدامة انحدرت عن النوميرا القائمة قبل القرن السابع الميلادي. وبدءاً من القرن التاسع الميلادي فصاعداً تكثر الإشارة في المصادر البيزنطية إلى فرقة النوميرا وقيادتها، وبالتحديد منذ عهد ميخائيل الثالث (٨٤٢-٨٦٧م) [٢].

فيذكر سيميون الماجستير في حوليته دُمستق النوميرا ليو لالاكون Leon Lalakon[٣]، الذي عرف بقسوته خاصة حيال البطريرك اجناتيوس[٤]؛ وثيوفيليتزيس Theophilitzes، الذي كان يجمع بين وظيفتي قومس النوميرا والأسوار معاً[٥].

وكانت قوات هذه الفرقة تقيم في مكان يسمى النوميرا قرب الشالكيه، على يمين القصر عند الخروج منه حيث انحدر منه اسمها. والنوميرا تستخدم كسجن ملحق بالقصر أيضاً[٦]. وتضطلع الوحدات التي تتكون منها هذه الفرقة بمهمة حماية القسطنطينية وسكانها، وفي حالة الحرب لا تبارح النوميرا مكانها في العاصمة[٧].

وكان يقود هذه الفرقة في بداية الأمر قومساً[٨]، ولكنه في منتصف القرن التاسع الميلادي أصبح قائدها دُمستقاً كما جاء في تكتيكون أوسبنسكي[٩]؛ وكان يطلق

---

(١) *Traité Phil.*, 119. Cf. Bury, *The Imperial Administrative System*, 65; Heath, *Byz. Armies*, 13.

(٢) *Symeon Magister*, 655, 668; *Taktikon Usp.*, 53, 55; *Traité Phil.*, 103, 105; Const. Porph., *Le liver des céré.*, I, 18-19.

(٣) *Symeon Magister*, 668.

(٤) Guilland, *Les Noumera*, 412.

(٥) *Symeon Magister*, 655. Cf. Guilland, *Les Noumera*, 412.

(٦) كان الاسم القديم لهذا السجن هو البرانديار، وذلك قبل إقامة النوميرا به، انظر، Guilland, *Les Noumera*, 412-413.

(٧) Const. Porph., *Le liver des céré.*, I, 19.

(٨) Guilland, *Les Noumera*, 413.

(٩) *Taktikon Usp.*, 53. Cf. Ensslin, *The Emperor*, 39; Diehl et Marçais, *Moyen âge*, 464.

عليه في بعض الأحيان اسم النوميروس كنوع من الاختصار[1]. ونجد ذكر لدُمستق النوميرا في تكتيكون أوسبنسكى في المرتبة الثالثة والسبعين[2]. أما فيلوثيوس فقد وضعه في المرتبة الثانية والأربعين بعد دُمستق الهيكانتية، بين ترتيب موظفي الدولة[3]؛ كما صنفه بين أفراد طبقة الدُمستقات، بعد دُمستق الهيكانتيه أيضاً[4]. وكان يحمل بالإضافة إلى لقب بطريق لقب أنثيباطوس[5]؛ وكذلك لقب بروتوسباثاريوس[6]؛ وقد يرتقى دُمستق النوميرا إلى أعلى الوظائف بالبلاط[7].

ويبدو أن مهام قادة النوميرا والأسوار كانت متشابهة، حيث كان دُمستق النوميرا في بعض المناسبات يحل محل دُمستق الاسكلارية، ودُمستق الأسوار يحل في المناسبات ذاتها محل دُمستق الاكسكوبيتر، وذلك عند غياب قادتهما. وكان دُمستقا النوميرا والأسوار يحضران نفس المآدب في البلاط مع أتباعهما من الموظفين[8]. وكان أعضاء الهيئة الوظيفية لكل منهما يدعون معاً إلى حفل الاستقبال الدومينيكالى La reception dominicale في تريكلينوس جستنيان الثاني[9]. ويبدو أن دُمستق النوميرا الذي كان يعلو دُمستق الأسوار في المرتبة[10]، كان يحصل على درجة الدُمستق قبل زميله. ويمكن القول بأن وظيفتي قومس الأسوار وقومس النوميرا، قبل تغير اللقب، قد جرى إنشاؤهما في وقت واحد أثناء القرن الثامن الميلادي[11].

---

(1) *Theophanes Cont.*, 175. Cf. Guilland, *Les Noumera*, 413; Bury, *The Imperial Administrative System*, 65.

(2) *Taktikon Usp.*, 53.

(3) *Traité Phil.*, 103.

(4) *Traité Phil.*, 105.

(5) *Traité Phil.*, 141.

(6) *Traité Phil.*, 145.

(7) Guilland, *Les Noumera*, 413.

(8) Guilland, *Les Noumera*, 414; R. Guilland, "Etudes sur l'histoire administrative de l'empire byzantine: le comte des murs," *Byz* 34(1964), 20.

(9) تريكلينوس جستنيان الثاني، أنشأه ذلك الإمبراطور بالقصر في عام ٦٩٤م، وهو عبارة عن صالة استقبال. انظر، *Theophanes*, 65.

(10) *Traité Phil.*, 103, 105.

(11) Guilland, *Le comte des murs*, 20.

وكان يتعهد كل من دُمستق النوميرا ودُمستق الأسوار بأن يقدما مخصصات عسكرية من الجياد في حالة الحرب؛ وعلاوة على ذلك كان بعض ضباط هاتين الفرقتين ملزمين بتقديم مساعدات لتعبئة الجيش[1].

ولما كان الجمع بين الوظائف أمراً شائعاً في الإمبراطورية البيزنطية، فقد كان يمكن لموظف واحد أن يكون في آن واحد قومساً للنوميرا والأسوار معاً. وكان هذا هو حال ثيوفيليتزس، السابق ذكره، في عهد ميخائيل الثالث[2]. ولعل هذا هو ما جعل جيان يعتقد أن وظيفة قومس النوميرا لم تنشأ إلا في القرن التاسع، وأن هذا الموظف قد ورث إلى حد ما اختصاصات قومس الأسوار[3]؛ معتمداً على أن هيئة موظفي دُمستق النوميرا هي نفسها في الواقع هيئة موظفي دُمستق الأسوار[4].

على أية حال، كان لدُمستق النوميرا أهمية كبرى، فهو يساهم في حراسة القصر الكبير والدفاع عنه. وكان مقره العام يوجد في النوميرا، ومن ثم كان عليه حراسة أروقة القصر الكبير من ناحية الهيبودروم، بين النوميرا والكاثيزما، وبين منطقة المحكمة وجناح التسعة عشر سريراً xix lits. وكانت جنوده على أهبة الاستعداد في الأروقة المتاخمة للجناح والهيبودروم، ومهمتهم بدون شك هي حماية المنافذ المؤدية إلى باب الكاريا Karea[5].

وفيما عدا خدمته بالقصر الكبير، كان دُمستق النوميرا له حق إدارة سجن النوميرا، وبالمثل كان دُمستق الأسوار له حق إدارة سجن الشالكيه. وذلك ما تشير إليه القصة الطريفة للأميرة التي رافقها الوالي، وقومس الأسوار، ودُمستق النوميرا (حرفياً : النوميروس) في زيارة لسجناء الشالكيه، والبريتوار، والنوميرا[6]؛ حيث كان سجن البريتوار يتبع والى المدينة، وسجن النوميرا يتبع دُمستق النوميرا، وسجن الشالكيه يتبع قومس الأسوار[7]. وتضاف

---

(١) Guilland, *Les Noumera*, 415.

(٢) *Symeon Magister*, 55.

(٣) Guilland, *Le comte des murs*, 20.

(٤) *Traité Phil.*, 119, 121.

(٥) Guilland, *Les Noumera*, 415. Cf. also Bréhier, *Institutions*, 354.

(٦) *Theophanes Cont.*, 175.

(٧) Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 330; Guilland, *Les Noumera*, 416; idem, *Le comte des murs*, 21-22.

لدُمستق النوميرا مهمة أخرى تتعلق بالشرطة، كما تدل على ذلك حالة ليو لالاكون، السابقة الذكر، في ظل حكم ميخائيل الثالث، الذي قام بإلقاء القبض على البطريرك اجناتيوس[١].

جدير بالذكر، كان تحت إمرة دُمستق النوميرا هيئة من الموظفين مكونة من ست فئات، وهم:

**الأولى :** توبوتريتس[٢]، وكان يحمل لقب اسباثاروكانديدات[٣].

**الثانية :** كارتولاريوس[٤]، وهو مصنف في الطبقة الرابعة، بعد تريبونات النوميرا[٥]؛ بينما ترتيبه هنا الثاني بين أعضاء هيئة دُمستق النوميرا.

**الثالثة – السادسة :** تريبونات، بروتومانداتور، فيكاريوى βικαριοι، ماندداتورات[٦]؛ وجميعهم مصنفون في الطبقة الرابعة والأخيرة عند فيلوثيوس، وفى مواضع متباينة[٧]. وقد يضاف إليهم فئة سابعة من الموظفين يسمون بورتاريوى πορταριοι، وهؤلاء لا يمثلون في هيئة الأركان كبار قادة عسكريين، ويبدو أنهم كانوا حراس سجون[٨].

لقد كانت النوميرا هى فرقة المشاة العاملة في القسطنطينية إلى جانب فرق الحرس من الفرسان المعروفة باسم التاجماتا. لكن لم يقف الأمر عند هذا الحد، فتطالعنا المصادر البيزنطية بموظف كبير، بالتأكيد ضابط عسكري ، يحمل اسم قومس الأسوار ὁ κομης τῶν τειχέων [٩]؛ مما يشير إلى قيادته لفرقة عسكرية تعنى بحراسة أسوار العاصمة.

**فرقة حرس الأسوار :** عندما مد الإمبراطور ثيودسيوس (٤٠٨-٤٥٠ م) في مستهل القرن الرابع الميلادي حدود القسطنطينية وبنى الأسوار المتصلة من شواطئ بحر مرمرة إلى قمة القرن الذهبي، أصبحت القسطنطينية قلعة حربية عظيمة وحصناً منيعاً[١٠].

---

(١) Guilland, *Les Noumera*, 416.

(٢) *Traité Phil.*, 119.

(٣) *Traité Phil.*, 151.

(٤) *Traité Phil.*, 119. Cf. Guilland, *Chartulaire*, 409.

(٥) *Traité Phil.*, 157.

(٦) *Traité Phil.*, 119.

(٧) *Traité Phil.*, 157, 159, 161.

(٨) Guilland, *Les Noumera*, 413.

(٩) *Symeon Magister*, 655; *Taktikon Usp.*, 53; *Traité Phil.*, 103, 107.

(١٠) Ch. Diehl, *Byzantium: Greatness and Decline* (New Brunswick 1957), 95-96.

لم يكتف أولو الأمر في بيزنطة بهذا القدر من الأسوار، وإنما استمروا فـي بنـاء المزيد منها. ففي عام ٤١٣م شيد الوالي البرايتوري أنثيموس Anthemius سوراً آخر غرب العاصمة على مسافة ميل إلى ميل ونصف غرب سور قسطنطين العظيم(١). وفي عام ٤٤٧م أمر الوالي البرايتوري قسطنطين بتشييد سور آخر أمام سور أنثيموس، وجعل أمامه خنـدقاً مائياً عميقاً يصعب عبوره، بلغ عرضه ما يزيد عن ستين قدماً(٢). وفي عهـد الإمبراطـور أنستاسيوس (٤٩١-٥١٨ م) أعيد بناء السور المسمى سور أنستاسيوس الطويل الـذي يـشق شبه جزيرة البلقان من سليمبريا على بحر مرمره إلى البحر الأسود، ويقع على مسافة أربعين ميلاً غرب القسطنطينية(٣).

ولم يتوقف الأباطرة البيزنطيون عند هذا الحد، بل شيد الإمبراطور هرقـل سـوراً حول البلاشيرن في عام ٦٢٧م؛ كما أقام الإمبراطور ليو الأرميني سوراً آخر على بعد سبعة وسبعين قدماً غرب سور هرقل في عام ٨١٣م، وموازياً له بطول مائتين وستين قدماً، لتقوية دفاعات الإمبراطورية في مواجهة البلغار(٤). هذا فضلاً عن أسوار أخرى تمتد علـى طـول سواحل القسطنطينية لتطل على البحر مباشرة، وكانت تعج بـالأبراج والحـصون الـشاهقة أيضاً(٥).

---

(١) A. Van Millingen, *Byzantine Constantinople, the Walls of the City and Adjoining Historical Sites* (London 1899); G. Baker, *The Walls of Constantinople* (New York n.d.), 45.

لمزيد من التفاصيل عن هذا السور، انظـر، Van Millingen, *Byzantine Constantinople*, 51-53; G. Baker, *The Walls of Constantinople* (New York n.d.), 187.

(٢) Van Millingen, *Byzantine Constantinople*, 45.

(٣) Van Millingen, *Byzantine Constantinople*, 55.

(٤) لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع، انظر، Van Millingen, *Byzantine Constantinople*, 164-173; L. Stratos, *Byzantium in the Seventh Century* (Amsterdam 1968), 196; Diehl, *Byzantium*, 96.

(٥) عن هذا الموضوع، انظـر، Millingen, Van Millingen, *Byzantine Constantinople*, 180-182; Baker, *The Walls of Constantinople*, 117-123; Diehl, *Byzantium*, 97.

جدير بالذكر، أن الجغرافيين العرب وصفوا لنا هذه الأسوار بدقة، وكذلك البوابات التي كانت تتخللها، على سبيل المثال، انظر، ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ١٠٤-١٠٥، الزهري، كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حجاج صادق (القاهرة د.ت.)، ص ٧٣-٧٤؛ ابن رستة، الأعلاق النفيسة، جـ٧ (ليدن ١٩٦٧)، ص ١٣٠. وقد أطلقوا على سور أنستاسيوس الطويل اسم مقرون تيخوس، وتفسيره السور الطويل. انظر، ابـن خرداذبـة، المـسالك

على هذا النحو، غدت القسطنطينية مدينة شديدة المناعة، وأصبح من الضروري أن يخصص لها فرقة لحراسة هذه الأسوار. ولسوء الحظ لا تمدنا المصادر سوى ببيانات ضئيلة عنها، لاسيما عن قائدها وهيئة موظفيه. ويعود تاريخ هذا القائد الرفيع المقام إلى ما قبل القرن السابع الميلادي. فقد كانت المنطقة الواقعة بين الأسوار الطويلة ومدينة القسطنطينية تشكل دائرة إدارية وعسكرية خاصة، يحكمها اثنان من فيكارات السور الطويل، يتبع أحدهما الوالي البرايتورى للشرق، والآخر يتبع قائد الحرس الوطني في تراقية، في تلك الفرقة من الجيش الذي كان يجند منها قواته(١).

وفى عام ٥٣٥م جمع جستنيان الأول وظائف فيكارات السور الطويل الاثنين في وظيفة واحدة، ومنح شاغلها لقب برايتور جستنيان في تراقية(٢). وفى القرن الثامن الميلادي يذكر ثيوفانس قائد الأسوار نيقتاس انثراكس Niketas Anthrax، في عهد ليو الأيسورى(٣).

ومن المحتمل إلى حد بعيد أن يكون هذا الأخير هو خليفة برايتور جستنيان(٤). ونجد ذكر لقومس الأسوار في بداية القرن التاسع الميلادي، في عهد ميخائيل الأول(٥)؛ حيث كانت الأسوار الطويلة لا تزال تشكل دائرة خاصة، يبدو أنها كانت تحت قيادة قومس الأسوار(٦).

جدير بالذكر، أن الجغرافيين العرب قد أشاروا إلى هذه المنطقة باسم طافلا، عند ابن خرداذبة؛ طلايا، عند الهمذانى؛ طايلا، عند قدامة؛ طابلا، عند المسعودي، وأشاروا إليها جميعاً على أنها إقليم (ثيم) من الأقاليم البيزنطية. واتفقوا جميعاً على أنها المنطقة التي تقع بها

---

والممالك، ص ١٠٥؛ قدامه، نبذ من كتاب الخراج، ص ٢٥٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٣، (بيروت ١٩٨٤)، ص ٩٨؛ المسعودي، التنبيه والإشراف (بيروت ١٩٨٥)، ص ١٦٩.

(١) Guilland, *Le comte des murs*, 17.

(٢) Guilland, *Le comte des murs*, 17; Bury, *The Imperial Administrative System*, 68.

(٣) *Theophanes*, 92. Cf. Guilland, *Le comte des murs*, 17; Bury, *The Imperial Administrative System*, 67.

(٤) Bury, *The Imperial Administrative System*, 68.

(٥) *Genesius*, 5. Cf. Bury, *The Imperial Administrative System*, 67.

(٦) Guilland, *Le comte des murs*, 17-18; Bury, *E.R.E.*, 224.

يذكر بيوري أن المنطقة الواقعة بين السور الطويل والقسطنطينية كانت من ناحية الإدارة العسكرية والمدنية تتبع والى المدينة، حتى عهد الإمبراطور ليو السادس، انظر، Bury, *The Imperial Administrative System*, 68.

القسطنطينية وحدودها كالتالي : من الشرق خليج القسطنطينية، ومن الغرب السور الطويل، ومن الشمال بحر الخزر، ومن الجنوب بحر الشام[١].

ومن الملاحظ أنه لم يكن هناك ثيم على الإطلاق يحمل أي من الأسماء التي ذكرها الجغرافيون العرب، سابقة الذكر. ومن ثم لم يحالفهم الصواب في تصوير تلك المنطقة على أنها ثيم من الثيمات البيزنطية، لكنهم على صواب في جعلها منطقة خاصة تشمل القسطنطينية وما حولها حتى سور أنستاسيوس الطويل غرباً. ومنذ القرن السابع، على ما يبدو، وكما يظهر من فقرة في أعمال القديس ديمتريوس[٢]، أصبحت عبارة مقرون تيخوس تشير لا إلى السور الطويل فحسب بل إلى الدائرة التي كانت تمتد بين ذلك السور والقسطنطينية نفسها[٣].

لقد كان قوس الأسوار، ذلك الضابط الرفيع المقام، يضطلع بمهمة الدفاع عن أسوار أنستاسيوس الطويلة[٤]. ومن المحتمل أنه كان مكلفاً بالاهتمام بتحصينات العاصمة نفسها[٥]. وكان يقود الجنود المكلفين بأمر الدفاع عنها، الذين كان يطلق عليهم اسم التيخيوتاى οι τειχειῶται[٦]. وقد كانت فرقته منظمة على نمط فرقة النوميرا مع وجود بعض الفوارق بينهما[٧]، كما كانت قواتها مشكلة من المشاة أيضاً[٨].

وتشير المصادر البيزنطية إلى قومس الأسوار بأسماء مختلفة، فهو : قومس التيخيون[٩]، ودُمستق التيخيون[١٠]، أو التيخيوتس[١١]. وربما كانت التسمية الأولى هي الأقدم، بينما يبدو أن التسمية الثانية قد حلت محلها قبل القرن العاشر الميلادي[١].

---

(١) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ١٠٥؛ ياقوت، معجم البلدان، جـ٣، ص ٩٨؛ قدامة، نبذ من كتاب الخراج، ص ٢٥٧؛ المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ١٦٨-١٦٩.

(٢) *De S. Demetrio Martyre Acta*, Col. 1361.

(٣) Guilland, *Le comte des murs*, 18.

(٤) Guilland, *Le comte des murs*, 18; Vogt, *Le liver des cérémonis*, 19; Bury, *The Imperial Administrative System*, 67.

(٥) Van Millingen, *Byzantine Constantinople*, 95; Guilland, *Le comte des murs*, 18.

(٦) Guilland, *Le comte des murs*, 18.

(٧) Vogt, *Le liver des ceremonies*, 19.

(٨) Haldon, *Kudama Ibn Djafar*, 80.

(٩) *Taktikon Usp.*, 53; *Symeon Magister*, 655.

(١٠) *Traité Phil.*, 107.

(١١) *Theophanes Cont.*, 175. Cf. Bury, *The Imperial Administrative System*, 67.

وتذكر تكتيكون أوسبنسكى قومس الأسوار في المرتبة الخامسة والسبعين، بعد دُمستق الأوبتيماطى[٢]. أما في قائمة فيلوثيوس فإنه يحتل المرتبة الرابعة والأربعين بعد دُمستق الأوبتيماطى أيضاً، بين موظفي الدولة[٣]؛ كما كان يحتل المرتبة الأخيرة في طبقة الدُمستقات، حيث كان يلقب هنا بدُمستق وليس قومس[٤]. أما عن الألقاب الشرفية التي كان يحملها فقد كان يحمل لقب انثيباطوس بالإضافة إلى لقب بطريق، كما كان يحمل لقب بروتوسباثاريوس[٥].

كان دُمستق الأسوار يحاط علماً بالمواكب التي سيشارك فيها الإمبراطور حتى يتخذ الإجراءات اللازمة لحاميته[٦]. كما كان يظهر مع دُمستق الاكسكوبيتر وديمارخ الخضر في حفلات الرقص التي تقام في البلاط[٧]. ورغم أن دُمستق الأسوار كان موظفاً مستقلاً فقد كان يرتبط ارتباطاً وثيقاً بدُمستق الاكسكوبيتر، وحزب الخضر الذي كان دُمستق الاكسكوبيتر رئيساً عسكرياً له، بصفته ديمقراطاً للخضر. وكان دُمستق الأسوار يشغل في الواقع مع دُمستق الاكسكوبيتر مقر إقامة أفراد الأخير، بغية السهر على أمن القصر الكبير، ومن المحتمل أنه كان يتولى القيادة في حالة غياب دُمستق الاكسكوبيتر. والواقع أن الفرق قاطبة قد تعاونت في مناسبات عديدة في الدفاع عن الأسوار[٨].

ويذكر كتاب المراسم دائماً دُمستق الأسوار في نفس الوقت الذي يذكر فيه زميله دُمستق النوميرا. فأثناء الاستقبال الدومينيكالى الذي كان يقام في تريكلينوس جستنيان الثاني، كان يجرى تقديم ضباط الأسوار والنوميرا في حالة عدم وجود فرق الحرس الإمبراطوري الأربع في القسطنطينية[٩].

---

(١) Guilland, *Le comte des murs*, 18.

(٢) *Taktikon Usp.*, 53.

(٣) *Traité Phil.*, 103.

(٤) *Traité Phil.*, 107.

(٥) *Traité Phil.*, 145.

(٦) Guilland, *Le comte des murs*, 19.

(٧) Const. Porph., *Le liver des céré.*, II, 104.

(٨) Guilland, *Le comte des murs*, 19.

(٩) Constantine Porph., *De Ceremoniis*, II, 524-525.

ويبدو أن قومس الأسوار كان مسؤولاً عن سجن الشالكيه، كما سبق الذكر[١]. وقد كان يتشابه كل من دُمستق النوميرا ودمستق الأسوار في تخصصاتهما، فكل منهما له هيئة أركان، وكل منهما يساهم في الدفاع عن القصر الكبير، وكل منهما مديراً لسجن من سجون العاصمة[٢]. ومن ثم فالوظيفتان قد تسندا إلى شخص واحد، مثل ثيوفيليترس، السابق ذكره[٣]؛ لكن بالطبع الوظيفتان مختلفتان إلى حد كبير.

جدير بالذكر أن قومس الأسوار كان تحت إمرته هيئة من الموظفين، مكونة من ست فئات، وهم على النحو التالي :

**الأولى** : توبوتريتس[٤]، الذي كان يحمل لقب اسباثاروكانديدات[٥]. ويذكر بيوري أن عددهم ستة أو سبعة[٦]، وكانوا يعتبرون مساعدو قمامسة الأسوار[٧].

**الثانية** : كارتولاريوس[٨]، وهو مصنف في الطبقة الرابعة، بعد تريبونات الأسوار[٩]؛ بينما ترتيبه هنا الثاني بين أعضاء هيئة قومس الأسوار.

**الثالثة** : تريبونات[١٠]، وقد صنفهم فيلوثيوس في الطبقة الرابعة، قبل كارتولاريوس الأسوار[١١]. ويبدو أنهم كانوا يقابلون قمامسة التاجماتا الأخرى[١٢].

**الرابعة** : بروتومانداتور[١٣]، الذي صنفه فيلوثيوس في الطبقة الرابعة، بعد بروتوماندا‌تور النوميرا[١٤].

---

(١) انظر، طارق منصور، الجيش، ص ٣١٢.

(٢) Guilland, *Les Noumera*, 416.

(٣) *Symeon Magister*, 655. Cf. Vogt, *Le liver des ceremonies*, 19.

(٤) *Traité Phil.*, 119.

(٥) *Traité Phil.*, 151.

(٦) Bury, *The Imperial Administrative System*, 66, n. 1.

(٧) Guilland, *Le comte des murs*, 21.

(٨) *Traité Phil.*, 119. Cf. Guilland, *Chartulaire*, 409.

(٩) *Traité Phil.*, 157.

(١٠) *Traité Phil.*, 119.

(١١) *Traité Phil.*, 157.

(١٢) Guilland, *Le comte des murs*, 21; Bury, *The Imperial Administrative System*, 66.

(١٣) *Traité Phil.*, 119.

(١٤) *Traité Phil.*, 159.

**الخامسة :** فيكارات[١]، وقد صنفهم فيلوثيوس في الطبقة الرابعة، بعد فيكارات النـوميرا[٢]. ويبدو أنه يقابلون القنطارخات[٣].

**السادسة :** مانداتورات[٤]، وقد صنفهم فيلوثيوس في الطبقة الرابعة، بعد مانداتورات النوميرا أيضاً[٥]. وقد يضاف إليهم فئة سابعة من الموظفين يسمون بورتاريوى[٦]، الذين يبدو أنهم كان يعهد إليهم بحراسة أبواب المدينة. وعلى أي حال، فإذا لم يكن كل ضباط قـومس الأسـوار يتمتعون بلقب صغير من ألقاب النبلاء، فقد كانت لهم على الأقل رتبتهم المتميزة فـي الهـرم الوظيفي؛ وفضلاً عن ذلك فقد كانوا يدفعون رسماً معيناً عند تعيينهم[٧].

**فرقة الهيتارية :** تطالعنا المصادر البيزنطية، في القرن التاسع الميلادي، باسم فرقة عسكرية كانت تسمى الهيتارية Hetairia[٨]؛ ويرجع نشأتها إلى عهد ميخائيل الثالث[٩].

وهذه الفرقة، التي ارتبطت بالتاجماتا[١٠]، ليس لها ذكر في تكتيكـون أوسبنـسكى، بينما يرد ذكر قائدها، بدءاً من منتصف القرن التاسع الميلادي تقريباً في المصادر البيزنطية، كما سبق القول.

وكانت الهيتارية[١١] تمثل الحرس الشخصي للإمبراطـور[١٢]، وبـصورة واقعيـة حاشيته[١]؛ الذين يبدو أن وحداتهم كانت ترافقه في كل الأوقات عندما كان يغادر المدينة، إما في حملة عسكرية أو في رحلات الصيد[٢]؛ وهم الذين كانوا يشكلون حامية القصر[٣].

---

(١) *Traité Phil.*, 119.

(٢) *Traité Phil.*, 159.

(٣) Guilland, *Le comte des murs*, 21; Bury, *The Imperial Administrative System*, 66.

(٤) *Traité Phil.*, 121.

(٥) *Traité Phil.*, 161.

(٦) *Traité Phil.*, 121.

(٧) Guilland, *Le comte des murs*, 21.

(٨) *Traité Phil.*, 107; *Theophanes Cont.*, 361, 470; *Monachus*, 817, 838, 847; Leo Grammaticus, *Chronographia*, ed. I. Bekker, *CSHB* (Bonn 1842), 230, 252, 267; Constantine Porph., *De Ceremoniis*, I, 116, 122.

(٩) Bury, *The Imperial Administrative System*, 107.

(١٠) Heath, *Byz. Armies*, 14.

(١١) هذا الاسم يونانى الأصل، ويعنى رفاق أو أتباع. ويمكن ترجمة الاسم كاملاً برفقاء الإمبراطور في السلاح، أو حاشية الإمبراطور". انظر، Heath, *Byz. Armies*, 14.

(١٢) Bréhier, *Institutions*, 354; Ensslin, *The Emperor*, 299.

وقد تشكلت هيتارية الإمبراطور بدرجة رئيسية من الأجانب، أو بتعبير آخر من المرتزقة[٤]، بالإضافة إلى مقدونيين[٥]، ويونانيين وطنيين[٦]. وكان يقود هذه الفرقة الهيتريارخ Hetairiarchos[٧]، الذي لا نجد له ذكراً عند فيلوثيوس إلا بين أعضاء طبقة الاستراركات[٨].



ويذكر جورج موناخوس G. Monachus بعضاً ممن تولوا قيادة فرقة الهيتارية في عهد ميخائيل الثالث، وباسيل الأول[٩]. كما يذكر المكمل لحولية ثيوفانيس قائداً لها في عهد ليو السادس[١٠]. وإذا كان الهيتريارخ معني بقيادة فرقة الهيتارية، فإنه كانت له واحدة من المهام الأكثر أهمية وهى حماية الإمبراطور من المؤامرات[١١]. لذلك فإننا نجده يرافق البابياس Papias، عندما كان يذهب الأخير لفتح أبواب القصر كل صباح، بالإضافة إلى ذلك، كان هو وفرقته يظهرون في المراسم الإمبراطورية[١٢].

---

(١) Heath, *Byz. Armies*, 14; Bury, *The Imperial Administrative System*, 106.

(٢) Heath, *Byz. Armies*, 14.

(٣) Bury, *E.R.E.*, 228; Guillou, *La civilization byzantine*, 123.

(٤) Bury, *The Imperial Administrative System*, 106; Heath, *Byz. Armies*, 14; Diehl, *Byzantium*, 42; Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 327.

(٥) Bury, *The Imperial Administrative System*, 107.

(٦) Heath, *Byz. Armies*, 14.

(٧) Bury, *The Imperial Administrative System*, 106; Guillou, *La civilization byzantine*, 123.

(٨) *Traité Phil.*, 107.

(٩) أندرياسAndreas، في عام ٨٦٧م، انظر، *Monachus*, 817; *Symeon Magister*, 655; *Leo Gram.*, 230. Cf. Guilland, *Les Noumera*, 25; Bury, *The Imperial Administrative System*, 106.

ارتفازدوس Artavasdos، في عام ٨٦٧م، انظر *Monachus*, 838; *Leo Gram.*, 252.

زوتزا ستليانوس Z.Stylianos، في عهد بازل الأول، انظر، *Monachus*, 846.

ميخائيل Michael، في عهد بازل الأول، انظر، *Monachus*, 847.

ونيقولا بارداس Nicolas Bardas، في عهد ليو السادس.

(١٠) *Theophanes Cont.*, 361.

(١١) Bury, *The Imperial Administrative System*, 107; Bréhier, *Institutions*, 355.

(١٢) انظر، Constantine Porph., *De Ceremoniis*, I, 116, 122.

جدير بالذكر أن هذه الفرقة ضمنت في البداية ثلاثة أقسام، الهيتاريـــة الكبـــرى[١]، والهيتارية الوسطى، والهيتارية الصغرى[٢]، وكل منها تحت قيادة الهيترياركخ الخاص بهـــا[٣]. ولكن يبدو أنه لم يتبق من هذه الأقسام الثلاثة سوى الهيتارية الكبرى والوسطى[٤]؛ حيث لـــم يرد ذكراً عن الهيتارية الصغرى في المصادر البيزنطية بعد عهد بازل الأول، مما يعنى أنها ألغيت إما أثناء عهده أو بعده مباشرة[٥]؛ بينما تذكر قائمة فيلوثيوس الهيترياركخ الكبير[٦]، الذي كـــان يحمـــل بالإضـــافة إلـــى لقـــب بطريـــق لقـــب أنثيـــباطوس[٧]، وكـــذلك لقـــب بروتوســـباثاريوس[٨].

وبالإضافة إلى هاتين الفئتين من الهيتارية، انضمت إليهما مجموعتان مختلفتان مـــن المرتزقة الأجانب، وبصفة خاصة من الخزر *Khazaroi* والفرغانيين *Pharganoi*[٩]، اللذان يبدو أنهما انضما إلى الهيتارية الوسطى[١٠]، وهاتان الأخيرتان صاحبتا باسيل الأول في رحلة الصـــيد التي لقي فيها حتـــفه في عام ٨٨٦م[١١].

---

(١) حيث كان ميخائيل، السابق ذكره، يشغل وظيفة الهيترياركخ الكبير،انظر، *Monachus*, 846.

(٢) كان زوتزا ستليانوس، السابق ذكره، يشغل وظيفة الهيترياركخ الصغير،انظر، *Monachus*, 846.

(٣) Heath, *Byz. Armies*, 14; Bury, *The Imperial Administrative System*, 107.

(٤) Constantine Porph., *De Ceremoniis*, II, 576, 692, 697. Cf. Bury, *The Imperial Administrative System*, 107.

(٥) Heath, *Byz. Armies*, 14.

(٦) *Traité Phil.*, 107.

(٧) *Traité Phil.*, 139.

(٨) *Traité Phil.*, 145.

(٩) *Leo Gram.*, 267; *Theophanes Cont.*, 358. Cf. Haldon, *Kudama Ibn Djafar*, 80; Bury, *E.R.E.*, 228, n. 5; Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 327. هاتان المجموعتان من أصل تركي، أو من القبائل التي استقرت في القوقاز. وينتمي الفرغـــانيون إلـــى منطقـــة فرغانة، التي جاء منها اسمهم، حيث عاش أتـــراك آســـيا الوســـطى. انظـــر، Heath, *Byz. Armies*, 107; Bréhier, *Institutions*, 369, n. 9 .

(١٠) Vogt, *Le liver des cérémonis*, 33-34.

(١١) Bury, *The Imperial Administrative System*, 108.

كما كانت هناك مجموعة أخرى من الحرس ارتبطت بالهيتارية(١) تسمى المنجلابيتاي *Manglabitai*، الذين ظهروا في القرن الثامن الميلادي(٢)، واصطحبوا الإمبراطور مع الهيتارية(٣) وهؤلاء ربما كانوا تحت قيادة الهيترياخ(٤). وكانت مشكلة من الفرسان، وربما كانوا مرتزقة من مسلمي المغرب الإسلامي. بينما كانت قوات الهيتارية من الفرسان والمشاة(٥). وجدير بالذكر أن التدرج كفارس في أي من وحدات الهيتارية كان مطلوباً كثيراً، والعضوية فيها كان يدفع عنها رسماً مالياً. فقد كان الالتحاق بالهيتارية الكبرى يتكلف ستة عشر جنيهاً ذهبياً، وفى الوسطى عشرة جنيهات ذهبية؛ وسبعة جنيهات للخزر والفرغانيين كحد أدنى(٦). وينبغي أن يكون واضحاً أن هؤلاء الجند كانوا يشاركون أيضاً في الغنائم(٧).

وتنبغي الإشارة إلى أن فرقة الهيتارية أصبحت تستقبل فيما بعد شتى العناصر الأجنبية مثل الأتراك، المجيار، العرب، الروس، الفارانجيين، الإنجليز، بالإضافة إلى العناصر السابق ذكرها من قبل(٨). وبهذا يمكن اعتبار الهيتارية امتداد للفويدراتى القدامى، ولكن تحت مسمى جديد(٩).

وهكذا، شكلت التاجماتا الإمبراطورية بفرقها الكبيرة المكونة من الفرسان والمشاة قسماً حيوياً في الجيش البيزنطي، والتي كانت مهمتها الأساسية الذود عن القسطنطينية، وحماية القصر نفسه بمن فيه، ومرافقة وحماية الإمبراطور أينما ذهب. ولا شك أن المكانة

---

(١) Heath, *Byz. Armies*, 14.

(٢) Oikonomidès, *Les listes des préséance*, 328.

(٣) Vogt, *Le liver des cérémonis*, 32.

(٤) Bury, *The Imperial Administrative System*, 107.

(٥) Heath, *Byz. Armies*, 14.

(٦) Idem; Bury, *The Imperial Administrative System*, 107.

(٧) W. Ensslin, "The Government and Administration of the Byzantine Empire", in: *CMH*, Vol. IV, pt. I (Cambridge 1968), 40.

(٨) عن هذا الأمر، انظر، Vogt, *Le liver des cérémonis*, 34; Bréhier, *Institutions*, 354-355.

(٩) Lot, *L'art militaire*, 69.

ليس هناك ذكر في المصادر البيزنطية لموظفين يعملون تحت إمرة الهيترياخ سوى برتومانداتورات في تكتيكون اوسبنسكى فقط انظر، *Taktikon Usp.*, 63.

الكبيرة التي احتلها قادة هذه الفرق جعلتهم يلعبون دوراً خطيراً في مجريات الأحداث، إن لـــم يكن في الإمبراطورية البيزنطية فعلى الأقل داخل القصر الإمبراطوري.

# الفصل الخامس



# النــــار الإغـــريقيـــة

## قراءة جديدة في ضوء المصادر البيزنطية والإسلامية*

يشير تاريخ المواد المتفجرة في العالم إلى أن المعلومات التي كانت متاحة للعلماء- على الأقل منذ القرن التاسع عشر الميلادي وحتى بدايات القرن العشرين- حول قوة المواد المتفجرة كانت شحيحة للغاية، مما جعل العلماء يؤمنون بوجود مادة متفجرة فعالة ضاع سرها في الماضي، وأنها كانت تفوق قوة المادة المعروفة لديهم. وهذا أدى بدوره إلى أن يسود انطباع عام بين الكثيرين أن النار الإغريقية كانت ابتكاراً خارقاً للطبيعة غير عادي، ظل لقرون عدة السر العسكري الأعظم للإمبراطورية البيزنطية؛ والذي اعتقدوا أيضا أنه مات بزوال هذه الإمبراطورية من الوجود.[١] ومنذ أن ظهر إلى النور كتاب الأستاذ بارتنجتون Partington عن النار الإغريقية وأسلحة البارود،[٢] أصبحت هناك مجموعة من النصوص والآراء التاريخية، يضمها كتاب واحد حول الأسلحة النارية، لاسيما التي تعمل بالبارود. الأمر الذي دفع بعض المؤرخين الحديثين مثل الياس دافيدسون E. Davidson،[٣] وجون هالدون J. Haldon،[٤] وغيرهما إلى كتابة دراسات جادة تعالج إشكاليات تاريخية حول النار الإغريقية بصفة خاصة،[٥] دون التعرض إلى المركبات الكيميائية التي ابتكرها المسلمون

---

* أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى ا.د. فاسيليوس خرستيدس، الأستاذ بالجامعة الأمريكية بأثينا، علــى تــشجيع سيادته وعلى تفضله بإحالتي إلى بعض الدراسات المتعلقة بموضوع الدراســة. ولا يفــوتني أن أشــكر ا.د. حسين عطية على تحمله عناء مراجعة البحث وإبداء ملاحظات قيمة عليه. كما أشكر أساتذتي وزملائي الذين أثروا البحث بملاحظاتهم السديدة عند إلقاءه في الموسم الثقافي لسمنار التاريخ الإسلامي والوســيط، بجامعــة عين شمس، لعام ٢٠٠٥.

(١) C. Zenghelis, "Le feu grégeois et les armes à feu des byzantins," *Byz* 7(1932), 265-266.

(٢) J. Partington, *A History of Greek Fire and Gunpowder* (Cambridge 1960).

(٣) H. R. E.Davidson, "The Secret Weapon of Byzantium", *BZ* 66(1973), 61-74.

(٤) J. F. Haldon and M. Byrne, "A Possible Solution to the Problem of Greek Fire," *BZ* 70(1977), 91-99.

(٥) انظر الدراسة المهمة التي قدمها زنغليس، والتي قدم خلالها حصراً مهماً لأراء من سبقوه عن طبيعة وتكوين النار الإغريقية، Zenghelis, *Le feu grégeois*, 265-286.

انظر أيضاً ، V. Christides, sv. Naft, *EI*[2] (London 1992);

في العصور الوسطى، كنظير فتاك للنار الإغريقية البيزنطية؛ ولعل عجز هؤلاء المؤرخين عن قراءة النصوص العربية، جعلهم ينظرون إلى هذين المركبين الكيماويين من زاوية النصوص البيزنطية، فجاءت دراساتهم تطرح نظريات تاريخية وافتراضات، كما سنعرضها في إيجاز بعد ذلك، ولم تَحِل بعض الإشكاليات التاريخية بل زادتها غموضا على عثرتها في بعض الأحيان.

بيد أنه مع نشر وتحقيق الكثير من المخطوطات العربية في العقدين الأخيرين من القرن العشرين، ظهرت نصوص مهمة تلقى مزيداً من الضوء على موضوع البحث، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تثبت هذه النصوص العربية أن المسلمين طوروا، ما أطلق عليه المؤرخون الصليبيون اسم النار الإغريقية،[٦]وابتكروا مركبات كيماوية فتاكة، أدت إلى ظهور ما يعرف باسم الكيمياء العسكرية، لاسيما في العصرين الأيوبي والمملوكي، وكان عمادهم في ذلك التطور توافر النفط، وهو المادة الرئيسية في تركيب تلك المركبات.

وإذا كان المسلمون قد عرفوا النار الإغريقية للمرة الأولى،عند حصارهم للقسطنطينية في حملتهم الثانية ٦٧٣/٦٧٤م – ٥٤/٥٥هـ، إلا أنهم بالاستيلاء على بعض السفن البيزنطية، المجهزة بآلات قذف هذه النار عام ٨٢٧م/٢١٢هـ، صارت لديهم معرفة كاملة بميكانيكية دفع هذا المركب الكيماوي من على ظهر السفن؛ أما عن طبيعة المركب ذاته فلا يمكن الجزم، كما ذهب بعض المؤرخين، أن المسلمين عرفوا مكوناته نقلاً عن البيزنطيين، بل ابتكروا مركبات مشابهة يعجب الإنسان لها، تؤدى نفس الغرض منها؛ وهنا

---

وكذلك مقالة أ.د. وسام عبد العزيز فرج، التي تبنى فيها نظرية جون هالدون ومايكل بيرن حول طبيعة النار الإغريقية وكيفية قذفها، وهى بعنوان "النار الإغريقية طبيعة تركيبها وأثرها في نشاط المسلمين البحري"، ندوة الحضارة الإسلامية وعالم البحار، ٦–٨ نوفمبر ١٩٩٣ (القاهرة ١٩٩٤)، ص ٢٨٧ – ٣٠٥؛ أعيد طبعها في: وسام عبد العزيز فرج، بيزنطة قراءة في التاريخ السياسي والإداري (القاهرة ٢٠٠٤)، ص ١٤٣–١٥٦.

[٦] تقابل مصطلح النار الإغريقية عند روبرت كلاري، حيث يـذكر أن الـصليبيين اخـذوا يرمـون أسـوار القسطنطينية بالنار الإغريقية عام ١٢٠٤م. وفي موضع آخر يذكر أن البيزنطيين بدأوا في إلقاء القار المغلـي والنار الإغريقية عليهم. انظر، روبرت كلاري، فتح القسطنطينية على أيدي الصليبيين، ترجمة حسن حبـشي (القاهرة ١٩٦٤)، ص ١١٤، ١١٧؛ كما نقابله عند جونتر الباريسي أيـضا. انظـر: Gunther of Pairis, *The Capture of Constantinople, The Hystoria Constantinopolitana*, ed. and trans. A. J. Andrea (Philadelphia 1997), 104.

ينبغي أن نرد الفضل إلى أصحابه من علماء المسلمين، الذين طوروا الكيمياء العسكرية في العصور الوسطى.[١]

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن الكثير من المؤرخين الحديثين لازالوا غير قادرين على فهم أن المسلمين بدءاً من القرن العاشر الميلادي فصاعداً، استخدموا مركب النار الإغريقية بنفس الكفاءة التي كان يستخدمها بها البيزنطيون، وخير دليل على الجهل بالمصادر العربية المتعلقة بهذا الشأن موجود في المقالة التي كتبها جون هالدون ومايكل بيرن[٢] وفيها رفضا القول، سواء عن قصد أو غير قصد، باستخدام المسلمين الفعال لها. لقد ناقشا قول المصادر البيزنطية أن البيزنطيين هم الذين استخدموها فقط بنجاح؛ في الوقت الذي أسهبت فيه المصادر الإسلامية، بدءاً من القرن العاشر الميلادي، الحديث عن نجاح المسلمين في استخدامها.[٣]

على كل حال يحاول الباحث في هذه الدراسة كشف النقاب عن ماهية النار الإغريقية من واقع النصوص البيزنطية والإسلامية، وإلقاء مزيد من الضوء عليها، مع إعادة قراءة لعدد من الدراسات الحديثة المتعلقة بهذا الأمر؛ كذلك محاولة الإجابة عن عدد من التساؤلات المهمة المتعلقة بها والتي لم يطرحها المؤرخون الحديثون الذين كتبوا عنها.

---

[١] نعالج موضوع "النفط: استخدامه وتطوره عند المسلمين" في كتاب مستقل بالاشتراك مع الدكتورة محاسن الوقاد، أستاذ التاريخ الإسلامي. وتجدر الإشارة إلى أن أ.د. ديفيد أيالون قدم عدداً من الدراسات الرائدة حول البارود والأسلحة النارية في الدولة الإسلامية، لاسيما العصر المملوكي، انظر: D. Ayalon, *Gunpowder and Firearms in the Mamluk Kingdom a challenge to a Medieval Society* (London 1956). repr. in 1978; idem, "A Replay to Professor J.R. Partington," *Arabica*, 10 (1963), 64-73; idem, "The Mamluks and Naval Power: A Phase of the Struggle between Islam and Christian Europe," *Princeton Near East Papers* 20(1965); idem, "The Impact of Firearms on the Muslim World," *Princeton Near East Paper*, no. 20 (Princeton 1975).

[٢] انظر: Haldon & Byrne, *A Possible Solution*, 91-99.

[٣] V. Christides, "Two Parallel Naval Guides of the Tenth Century: Qudama's Document and Leo VI's Naumachica: A Study on Byzantine and Moslem Naval Preparedness," *GrA* 1(1982), 92.

يخبرنا الراهب البيزنطي ثيوفانيس Theophanes في حوليته، عند حديثه عن حملة معاوية بن أبي سفيان الثانية على القسطنطينية[1] عام ٦٧٣/٦٧٤م – ٥٤/٥٥هـ، ما يلي:

---

[1] يرى المؤرخ الأشهر أرنولد توينبي أن هذه هي الحملة الأولى للمسلمين على القسطنطينية ووضعها في الفترة من ٦٧٤-٦٧٨م . انظر، A. Toynbee, *Constantine Porphyrogenitus and his World*, (London 1973), 330.

ويأخذ أ.د. وسام فرج بهذا الرأي أيضا، إلا أنه يضعها في عام ٦٧٨م/٥٩هـ، وأن الحصار الثاني تم في سنة ٧١٧-٧١٨م/٩٩هـ. انظر، وسام عبد العزيز فرج، النار الإغريقية، ص ٢٨٨-٢٨٩. إلا أن المؤرخين وعلى رأسهم ثيوفانيس، يشيرون إلى أن الحملة الأولى التي أرسلها معاوية ضد القسطنطينية كانت في عام ٦٦٨م/٤٨هـ، بقيادة فضالة بن عبيد الأنصاري، وكانت حملة استكشافية، ولم يذكر المؤرخون أن البيزنطيين استخدموا فيها النار الإغريقية. انظر، *The Chronicle of Theophanes Confessor*, ed. and Eng. trans. R. Scott and C. Mango (Oxford 1997), 492.

انظر أيضاً إبراهيم العدوى، الأمويون والبيزنطيون (القاهرة ١٩٦٣)، ص ١٦٢ – ١٦٥؛ صلاح العاوور، "المحاولات العربية لفتح القسطنطينية في العصر الأموي"، مجلة المؤرخ العربي، عدد ٨(٢٠٠٠)، ص ٣٨١؛ طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، جـ١، البيزنطيون والعالم الإسلامي (القاهرة ٢٠٠٣)، ص ٨٨-٨٩.

أما الحملة الثانية، فهي التي أشرنا إليها في المتن، وفيها استخدم البيزنطيون قاذفات النار الإغريقية ضد السفن الإسلامية، والواردة عند ثيوفانيس ونقفور. انظر، *Theophanes*, 493 – 495; Nikephoros Patriarch of Constantinople, *Short History*, ed. and Eng. trans. C. Mango, *CFHB*, 13(Washington D.C. 1990), 85-87. Cf also M. Canard, "Les expéditions des arabes contre Constantinople," *JA* 208(1926), 77-80.

إبراهيم العدوى، الأمويون والبيزنطيون، ص ١٧٢-١٧٨؛ صلاح العاوور، المحاولات العربية لفتح القسطنطينية، ص ٣٨٠-٣٨٥؛ طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ص ٩٠-٩٤؛ أحمد رمضان أحمد، تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط، العصر الوسيط (القاهرة د.ت.)، ص ١٦؛ إبراهيم العدوى، الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط (القاهرة ١٩٥٧)، ص٤٨-٥٥. أخيراً فإن الحملة الثالثة هي الحملة التي قام بها مسلمة بن عبد الملك عام ٧١٧م/٩٩هـ، والتي سنشير إليها فيما بعد. عن هذه الحملة انظر، *Theophanes*, 545-550; *Nikephoros*, 117ff; ابن كثير البداية والنهاية، تحقيق محمد عبد العزيز النجار، جـ٥ (القاهرة ١٩٩١)، ص ٢٢٣ – ٢٢٩؛ الذهبي، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، (القاهرة ١٣٦٧هـ) ، جـ٢، ص ٣٣١ – ٣٣٢؛ كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق (بغداد د. ت.)، ٢٤-٣٣. انظر أيضاً، Canard, *Les expéditions*, 94 ff; R.Guilland, "L'expédition de Maslama Contre Constantinople", *Al-Mashreq* (Bierut 1955), 89-112.

انظر أيضاً، وسام عبد العزيز فرج، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادي (الإسكندرية ١٩٨١)، ص ١٢١ – ١٧٥؛ ليلى عبد الجواد، "دور البلغار في مواجهة حملة مسلمة بن عبد الملك على القسطنطينية"، مجلة المؤرخ العربي، عدد ٦(١٩٩١)، ص ٨٣-١١٤؛ طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ص ١٠٥ – ١١٤؛ صلاح العاوور، المحاولات العربية لفتح القسطنطينية، ص ٣٨٦ – ٣٨٩.

"عندما علم الإمبراطور بأمر هذه الحملة شيد في التو سفناً ذات صفين من المجاديف،[1] تحمل خزانات النار، وسفناً حربية مزودة بالسيفونات،[2] وأمرها جميعاً بالتجمع في ميناء



---

[1] المقصود بهذه السفن هنا "الدرومونة" البيزنطية، وهي سفينة حربية طويلة تشتمل على صفين من المجاديف، بالإضافة إلى خمسين مقعداً خشبياً طويلاً يسمح الواحد منها بجلوس اثنين من المجدفين انظر، Leo VI, *Tactica*, ed. J. P. Migne, *PG*, tome 107 (Tournholti 1978), cols. 988, 992-993.

وكانت تحوى عدداً من الرجال بين ما قد يزيد قليلاً على مائتى رجل إلى ثلاثمائة. انظر، رنسمان، س.، الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد (القاهرة ١٩٦٢)، ص ١٨٠. انظر أيضاً، درويش النخيلى، السفن الإسلامية على حروف المعجم (الإسكندرية ١٩٧٩)، ص ٤٦ – ٤٤٨؛ إبراهيم حسن سعيد، البحرية في عصر سلاطين المماليك (القاهرة ١٩٨٣)، ص ١٠٩ – ١١٠. ويضيف ليو السادس أن هذه السفينة ينبغي ألا تكون غليظة كي لا تمشى بطيئة السرعة، ولا خفيفة أكثر ما ينبغي كي لا تكون ضعيفة وسريعة التحطم عند اصطدامها بسفن العدو؛ أى أنه يجب أن تكون معتدلة لتكون خفيفة وسريعة ومتينة وثابتة عند تصديها للعدو Leo VI, *Tactica*, col. 992.

انظر أيضاً ابن منكلى، الأحكام المملوكية والضوابط الناموسية في فن القتال في البحر، تحقيق عبد العزيز عبد الدايم، (رسالة دكتوراه لم تنشر بعد، جامعة القاهرة ١٩٧٤)، ص ٢٠-٢٢، ١٢٢.

[2] السيفونات *siphons*، هي الأنابيب التي كانت تزود بها السفن البيزنطية لقذف النار الإغريقية على سفن الأعداء. ويقول عنها ليو السادس: "جهز في المقدمة كالعادة قناة لا يدخلها الهواء لقذف العدو بالنار". انظر Leo VI, *Tactica*, col. 992, § 6 وكان هناك رجل في آخر المجموعة المقيمة في مقدمة السفينة مسئول عن توجيه هذه السيفونات نحو سفن العدو . انظر، Leo VI, *Tactica*, col. 993, § 8, Toynbee, *Constantine Porphyrogenitus*, 331.

انظر أيضاً، ابن منكلى، الأدلة الرسمية في التعابى الحربية، تحقيق محمود شيت خطاب (بغداد ١٩٨٨)، ص ٢٤١ – ٢٤٢. وكانت هذه السيفونات تصنع من البرونز وتوضع في مقدمة السفينة. انظر Toynbee, *Constantine Porphyrogenitus*, 331. ويشير الشاعر العربي ابن حمديس إلى أنها كانت تصنع من النحاس أيضاً. انظر ديوان ابن حمديس، تحقيق إحسان عباس (بيروت ١٩٦٠)، ص ٢٣٩. أما آنا كومنينا فتشير إلى أنها كانت تصنع أيضاً من الحديد إلى جانب البرونز، وكانت تزين في بعض الأحيان برؤوس السباع والحيوانات البرية الأخرى، وكانت تغطى بطبقة رقيقة من الذهب، التي تجعل مشهدها مرعباً للغاية. وكانت هذه الأنابيب تمر عبر أفواه هذه الرؤوس الحيوانية المصورة، لتنطلق النيران من أفواهها نحو سفن العدو. انظر:

*The Alexiade of Anna Comnena*, Eng. trans. E. R. Sewter (Penguin books 1982), 360; Partington, *Greek Fire*, 18-19.

ويبدو أن هذه الأنابيب كانت تركب فيما بعد في جهات السفن البيزنطية المختلفة وليس في المقدمة فحسب، كما كان زمن ليو السادس، وهذا ما يمكن أن نستنتجه من روايتها حول دور النار الإغريقية في تشتيت سفن البيازنة عام ١١٠٣م بالقرب من جزيرة رودس، كما أنها كانت متحركة. انظر،

Anna Comnena, *Alexiad*, 361 – 362.

بروكليانوس في قيصرية ..." [١] ثم يعاود القول أنه "في هذا الوقت أخذ البيزنطيون معهم المهندس السوري كالينيكوس Kallinikos ، حيث أعد قطعاً بحرية مزودة بقاذفات النار، أضرمت النار بواسطتها في سفن العرب، وأحرقتها بطاقمها. وبهذه الوسيلة كسب البيزنطيون الجولة، وعادوا منتصرين ومعهم الأسطول المزود بقاذفات النار". [٢]

وفي هذه المناسبة يقول أغابيوس المنبجى، "ألقى النار في سفن، فاحترقت كلها، وفازت الروم بالظفر والغلبة في هذه السنة، وهم أول من أخرج النار، وصارت لهم عادة". [٣]

وهكذا، يشير المؤرخون، لاسيما ثيوفانيس، وللمرة الأولى في المصادر البيزنطية إلى استخدام النيران في الفتك بسفن العدو، وذلك عن طريق دفعها عبر أنابيب مثبتة في مقدمة الدرمونات، نحو سفن العدو. وبهذا تكون هذه هي المرة الأولى التي يستخدم فيها البيزنطيون هذا السلاح على متن سفنهم، وهى المرة الأولى أيضاً التي يتعرف فيها المسلمون عليه.

ثم يعود ثيوفانيس إلى موضوع هذه النار ثانية في موضع آخر، عند حديثه عن الحصار الذي قام به مسلمة بن عبد الملك عام ٧١٧م/٩٩هـ لمدينة القسطنطينية، حيث يقول : "... وعندما هبت رياح خفيفة عند المضايق دفعتهم إلى الخلف. وعلى الفور قام الإمبراطور بإرسال السفن المزودة بالنار على أثرهم من أكروبوليس، وبعون الرب، أشعلوا النيران فيها ، ودمرت أعداداً كبيرة منها محترقة قبالة الأسوار البحرية، وغرقت أخرى نحو القاع بكل طاقمها، وأخرى دمرها اللهب ..." [٤] ويعاود الحديث في موضع آخر بقوله:

---

انظر أيضاً، وسام فرج، النار الإغريقية، ص ٢٨٩-٢٩٠. جدير بالذكر أن بعض الدرومونات البيزنطية في القرن العاشر الميلادي كانت تحمل ثلاث سيفونات على متنها لقذف النار الإغريقية. انظر، Constantine Porphyrogenitus, *De Ceremoniis Aulae Byzantinae*, ed I. Reiskii, *CSHB* (Bonn 1829), II, 672.

وتجدر الإشارة إلى أن الكتاب المسلمين استخدموا كلمة "زراقة" للإشارة إلى الأنبوب والنفط المندفع منه النار الإغريقية معاً. انظر، T. Makrizi, *Histoire des sultans mamlouks de l'Égypte*, trad. français M. Quatremére, tom II (Paris 1845), 148-149, n. 14.

ويشير ابن منظور إلى أن هذه الأنابيب أو أدوات رمى النار الإغريقية عند المسلمين كانت تصنع من النحاس. انظر، ابن منظور، لسان العرب، جـ٧ (بيروت د.ت.)، ص ٤١٦، وكان يرمى فيها بالنفط والنار.

(١) *Theophanes*, 493.

(٢) *Theophanes*, 494.

(٣) أغابيوس المنبجي، كتاب العنوان، نشره أ. فازيليف، *P.O.* ، جـ٨ (باريس ١٩١١)، ص ٤٩٢.

(٤) *Theophanes*, 545.

"وعندما علم الإمبراطور بأمر الأساطيل المختبأة في الخليج، أمر بمهاجمتها وإطلاق النار الرومية عليها من فوق ظهر السفن الحربية ووجهها ضد الأسطول العربي ..." [١]

وهنا ثمة ملاحظة تاريخية مهمة تشير إلى أن المسلمين لم يقفوا مكتوفي الأيدي حيال هذه النيران، بل أنهم منذ تجرعوا مرارتها في الحصار الأموي الثاني للقسطنطينية، عملوا على استخدام سلاح مضاد للنار الإغريقية، فاستخدموا النفط في حملتهم الثالثة على القسطنطينية، لقذف سفن الأعداء به.[٢] وفي هذا المقام ينبغي أن نسجل ما ذكره أ.د. عبد المنعم ماجد، في هذا الشأن، حيث يقول: "كان الأسطول الإسلامي يستعمل النار الإغريقية منذ العصر الأموي، ويستخدم نوعاً من النفط يسير على الماء دون أن ينطفئ؛ فكان هذا النفط يحرق مراكب العدو. وكانت مراكب المسلمين تحتمي من نار العدو بتغطية هيكلها بدرع من الخارج يسمى لبوس، عليه غطاء لبود، من جلود البقر الطرية أو من البسط؛ أما الرجال فيحتمون من الحريق بدهن أجسامهم بالبلسان،[٣] وهو نوع من النبات".[٤] ويبدو أن أ.د. عبد المنعم ماجد، كان يقصد استخدام المسلمين للنفط[٥] في حملتهم الثالثة على القسطنطينية، بقيادة

---

(١) *Theophanes*, 546.

انظر أيضاً: لويس، أرشيبالد، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، (القاهرة ١٩٦٠)، ص ١٠٤.

(٢) كتاب العيون والحدائق، ص ٢٤؛ انظر أيضاً، Christides, *Naft*, 885; أحمد رمضان، تاريخ فن القتال البحري، ص ١٧؛ طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ص ١١١؛ إبراهيم العدوى، الأساطيل العربية، ص ٦٣.

(٣) البلسان: شجر لا يعرف نباته اليوم بغير مصر، خاصة بالموضع المعروف بعين شمس. انظر، ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، جـ١ (القاهرة د.ت.)، ص ١٠٧.

(٤) عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى (القاهرة ١٩٧٢)، ص ٨٠ -٨١ .

(٥) النفط: قيل الفتح أجود وقيل الكسر أجود، وهو اختيار ابن السكيت قال في باب ما هو مكسور الأول مما فتحته العامة وهو النفط والجص ومتى يفتح ذلك. انظر، الفيومي، كتاب المصباح المنير، جزءان، تصحيح الشيخ حمزة فتح الله (القاهرة ١٩٢١)، ص ٨٤٩. أما ابن منظور فيقول عن النفط: "النفط دهن والكسر أفصح ويقال ابن سيدة النفط والنفط الذي تطلى به الإبل للجرب والدبر والقردان وهو دون الكحيل . وروى أبو حنيفة أن النفط والنفط هو الكحيل. قال أبو عبيدة النفط عامة هو القطران . ورد عليه ذلك أبو حنيفة قال وقول أبي عبيدة فاسد. قال والنفط حلابة جبل في قعر بئر توقد به النار والكسر أفصح". ابن منظور، لسان العرب، ص ٤١٦. وهكذا يفهم أن النفط عبارة عن مركب كيماوي كان يستخدم في الإشعال أو في الحروب. انظر، R. Dozy, *Supplément aux dictionaires arabes*, tome II, Leiden & (Paris 1927), 704.

مسلمة بن عبد الملك، لكنه أحال عليه صفات النار الإغريقية التي كانت السفن البيزنطية مزودة بها، والتي أجهزت على السفن الإسلامية، وتسببت في هزيمتها، وهو الأمر الثابت تاريخياً بلا جدال؛ وسوف نرى بعد ذلك أن النفط كان أحد مكونات النار الإغريقية، سواء على الصعيدين البيزنطي أو الإسلامي، مع إمكانية استخدامه منفرداً، كسلاح حارق، ولكن ليست له خصائص النار الإغريقية. أما عن الوسائل المضادة للنار الإغريقية، فلم نسمع عنها، حسب المصادر الإسلامية، إلا في العصر الأيوبي.

والآن، ما قصة هذه النار التي أجهزت على الأسطول الإسلامي مرتين في عهد الدولة الأموية، وضمنت البقاء لبيزنطة مرفوعة الهامة طوال قرون عدة فيما بعد؟

أطلق الكتاب البيزنطيون على النيران المنطلقة من السيفونات، السابق الإشارة إليها، مصطلح النار السائلة ὑγρὸν πῦρ، النار البحرية θαλάσσιον πῦρ ، النار المركبة أو المعدة سريعة الالتصاق τὸ σκευαστὸν καὶ κολλυτικόν πῦρ.[١] أما مصطلح النار الإغريقية، الذي شاع بعد ذلك، فقد أطلقه الصليبيون عليها Le feu grégeois بينما لم يستخدمه البيزنطيون البتة، لا في كتاباتهم ولا في حياتهم العملية[٢]؛

---

والنفاطة أيضاً الموضع الذي يستخرج منه النفط والجمع نفاطات وهى أيضاً مرماة النفط، أي الآلة التي يقذف بها النفط. الفيومي، المصباح المنير، ص ٨٤٩؛ Dozy, *Supplément*, II, 704 ويقول ابن منظور، لسان العرب، جـ٢٧، ص ٤١٦. أن النفاطات أدوات تعمل من النحاس يرمى فيها بالنفط والنار.

(١) انظر: Constantine Porphyrogenitus, *De Admenstrando Imperio*, ed. G. Moravcsik, Eng. trans. R. J. Jenkins, vol. I (Budapest 1949), ch. 13, 69-70; idem, vol II, *Commentary* by F. Dvornik, R. Jenkins, B. Lewis, G. Moravcsik, D. Obolensky & S. Runciman, ed. R. Jenkins (London 1962), 66; Leo VI, *Tactica*, col. 1008, §56-57; Nicephoros Phocas, *Praecepta Militaria,* Eng. trans. E. McGeer, *Sowing the Dragon's Teeth: Byzantine Warfare in the Tenth Century* (Washington D.C. 1995), 20-21, 97; *Nicephori Urani Tacticae*, ed. A. Dain in *Naumachica* (Paris 1943), 84, 60.

انظر أيضاً: ابن منكلي، الأحكام المملوكية، ص ١٢٤؛
Toynbee, *Constantine Porphyrogenitus*, 327; Christides, *Two Parallel Naval Guides*, 63; Partington, *Greek Fire*, 12, 17ff.

(٢) Partington, *Greek Fire*, 10-11; Davidson, *The Secret Weapon*, 61.

تجدر الإشارة إلى أن صفة "الإغريقية" كان يطلقها الصليبيون والألمان على الإمبراطورية البيزنطية، خاصة عندما بدأ النزاع يدب بين الإمبراطورية البيزنطية والإمبراطورية الرومانية المقدسة، حول الممتلكات في جنوب إيطاليا، حيث نظر الأباطرة الألمان للإمبراطور البيزنطي نظرة إقليمية وليست عالمية، فخاطبه الإمبراطور الألماني ذات مرة بـ rex graecorum وليس imperator romanorum ،

ففي مذكرات جوانفيل أن هذه النار "كانت أشبه ما تكون ببرميل كبير من القار، ذات ذنب يقارب الرمح طولاً، وكان يصحبها صوت هائل كدوي الرعد، وكأنها طائر في الجو يشع بنور كبير يكاد معه من بداخل المعسكر يرى كل شيء كأنه في وضح النهار".[١]

ويشير الإمبراطور قسطنطين بورفيروجنيتوس إلى أنه في عهد الإمبراطور قسطنطين الرابع بوجاناتوس (٦٦٨ – ٦٨٥م) هرب شخص يدعى كالينيكوس من مدينة هليوبوليس[٢]، ولجأ إلى الروم، وصنع النار السائلة (هيجرون بور) التي تطلق من السيفونات، وهى النار التي مكنت الروم عندما استخدموها من تدمير أسطول العرب في

---

والأخيرة بالطبع كانت تضفي عليه ما يمكن أن نسميه "العالمية الرومانية"، التي ورثها عن أجداده منذ ضياع النصف الغربي من الإمبراطورية الرومانية على أيدي الجرمان. وقد ساعد البابا على ترسيخ هذه النظرة الدونية للإمبراطور البيزنطي بدءاً من حادثة تتويج شارلمان ٧٩٩–٨٠٠م ومنحه اللقب الإمبراطوري الروماني له. ومع هذا فقد ظل البيزنطيون يعتبرون أنفسهم روماناً ῥωμαῖοι، وهى التسمية التي صحفها العرب إلى "الروم"، بإسقاط نهاية الاسم اليوناني. وهذا الموروث التاريخي لمسمى "الرومان" أو "الروم" إنما يعنى في قرارة النفس البيزنطية العظمة والسمو وسيادة العالم، عندما قهر قياصرة روما العالم القديم؛ وهذا ما تعكسه قواعد الدبلوماسية البيزنطية، لاسيما بين ثنايا كتاب قسطنطين السابع عن إدارة الإمبراطورية البيزنطية.

[١] انظر، مذكرات جوانفيل، القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام، ترجمة حسن حبشي (القاهرة ١٩٦٨)، ص ١١٠؛ محسن محمد حسين، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين (بيروت ١٩٨٦)، ص ٢٩٤؛ روبرت كلاري، فتح القسطنطينية، ص ١١٤، ١١٧.

[٢] يعتبر بعض المؤرخين أن مدينة هليوبوليس هي مدينة بعلبك ببلاد الشام . انظر، وسام فرج، النار الإغريقية، ص ٢٨٨؛ جرجى زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، جـ١ (القاهرة د.ت.)، ص ٢٠٠؛ عبد الرحمن زكى، السلاح في الإسلام (القاهرة ١٩٥١)، ص ٥٩؛ محسن محمد، الجيش الأيوبي، ص ٢٩١؛ Partington, *Greek Fire*, 12ff; Toynbee, *Constantine Porphyrogenitus*, 330; Davidson, *The Secret Weapon*, 62.

بينما تتبنى أ.د. سعاد ماهر نظرية جيبون الخاطئة أن كالينيكوس كان مهندساً من مدينة عين شمس المصرية. انظر، سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية (القاهرة ١٩٦٧)، ص ٢٣١؛ وكلاهما في هذا الرأي يعتمد على رواية كدرينوس المتأخرة (القرن الحادي عشر الميلادي) الذي قال أن كالينيكوس جاء من هليوبوليس في مصر وليس بلاد الشام . انظر،

Cedrenus, G., *Compendium Historiarum*, ed. I. Bekker, tome I, *CSHB* (Bonn 1838), 765. Cf. also Partington, *Greek Fire*, 14.

واستناداً إلى رواية ثيوفانيس *Theophanes*, 494 فإن كالينيكوس كان مهندساً من بلاد الشام، وبالتحديد من مدينة هليوبوليس، التي يقابلها المؤرخون الحديثون ببعلبك.

كيزيكوس وانتصروا عليهم[1]. هكذا، نعلم أن المهندس السوري كالينيكوس هرب من بلاد الشام ولجأ إلى بيزنطة قبل حملة المسلمين الثانية على القسطنطينية زمن معاوية بن أبى سفيان، وأنه كان صاحب الفضل في تزويد الأسطول البيزنطي بالنار الإغريقية التي مكنته من دحر المسلمين مراراً. والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هل اخترع كالينيكوس النار الإغريقية أم طورها أم أعدها ؟

وقبل الإجابة على هذا التساؤل، هناك سؤال آخر يطرح نفسه، ربما نفيد منه في الرد على التساؤل الأول، هل اقتصر البيزنطيون على استخدام النار الإغريقية من خلال سيفونات السفن؟

على الرغم من أن الإمبراطور ليو السادس يأمر قادة الأسطول، في كتابه التكتيكا، أن يضعوا سفنهم صفاً واحداً على الاستقامة، حتى إذا ما سنحت الفرصة ، ينقضون على سفن العدو، وهم يطلقون عليهم النار من السيفونات لإحراق سفنهم[2]، فإنه يأمرهم أيضاً بإعداد قوارير ممتلئة بالنار المعدة، لتقذف على سفن العدو، وتنال منه[3]، وهذه القوارير كانت تسد فوهاتها بسدادات من القطن المشبع بالنفط، وكانت تملأ بالنفط ، في الوقت الذي تشعل فيه وتقذف على سفن العدو؛ وهى بهذا تعمل عمل القنابل اليدوية.[4] وقد كانت هناك منجنيقات على متن السفن البيزنطية أيضاً لقذف سفن العدو بهذه القوارير، أو الأحجار، أو المواد الأخرى.[5] ويشير ابن منكلي، الذي نقل كثيراً عن تكتيكا ليو السادس[6]، إلى ضرورة صناعة

---

(1) Constantine Porphyrogenitus, *DAI*, I., ch. 48, 227.

انظر أيضاً، قسطنطين السابع، إدارة الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة محمود سعيد عمران (بيروت ١٩٨٢)، ص ١٨٢. وتجدر الإشارة إلى أن انتصار البيزنطيين وتدميرهم للأسطول الإسلامي هنا يعنى انتصارهم على حملة مسلمة بن عبد الملك عام ٧١٧م/٩٩هـ .

(2) Leo VI, *Tactica*, col. 1006, § 45;

ابن منكلى، الأحكام المملوكية، ص ١٢٣ – ١٢٤؛ ابن منكلى، الأدلة الرسمية، ص ٢٤٧ .

(3) Leo VI, *Tactica*, col. 1008, 56; *Naumachica*, 84; Christides, *Two Parallel Naval Guides*, 63;

ابن منكلى، الأحكام المملوكية، ص ١٢٤.

(4) Christides, *Two Parallel Naval Guides*, 64.

(5) Leo, *Tactica*, col. 1010, § 60.

(6) عن البراهين التاريخية الدالة على نقل ابن منكلي الكثير من المعلومات العسكرية عن ليو السادس، انظر، T. Muhammad, "Ibn Manglī between the Arab and Byzantine Worlds: New Evidence," *JMIH* 3(2003), 25 – 43.

هذه القوارير من الخزف؛ كما يشير إلى معلومة مهمة إلى أنها كانت تملأ بالنار المعدة بواسطة الزراقين.[١]

وبالإضافة إلى قوارير النار الإغريقية، كانت هناك السهام المزودة بالنار المركبة، والتي كانت تطلق على العدو،[٢]والتي يمكن أن نسميها السهام الحارقة؛ أخيراً يشير ليو السادس إلى نوع من "السيفونات اليدوية" المسماة "خيروسيفونا"، التي كان يحملها الجند خلف دروعهم، وهي مزودة بالنار المعدة، وكانت تطلق صوب وجوه الأعداء، عند لقائهم بهم[٣]؛ ويطلق ابن منكلي على هذه "السيفونات اليدوية" اسم "جرسعنة"[٤]، والذي لا ندرى ماذا يعنى لغوياً؛ أما أرنبغا الزردكاش فيطلق عليها اسم "صندوق المخاسفة".[٥] ويبدو أن هذه السيفونات اليدوية قد اخترعت زمن ليو السادس.[٦] أما نقفور فوقاس فإنه يشير في أكثر من موضع إلى هذه الآلة، التي تتكون من عدة أجزاء هي المضخة اليدوية المسماة "خيروسيفونا"، والتي تدفع نوعاً من النار الإغريقية، وأنبوب دوار يسمى "ستربتون"، الذي يزرق من خلاله النار السائلة المعدة.[٧]ويؤكد نقفور فوقاس على ضرورة أن يكون لدى قائد الجيش آلة تسمى "خيرومانجانا" صغيرة، وثلاث "إلاكتيا" أيضاً[٨]، حتى تكون له اليد العليا على العدو ويدمره بواسطة هذه الأسلحة النارية.[٩] ولعل "السيفونات اليدوية" أو "الخيروسيفونا" هي التي كانت

---

(١) ابن منكلي، الأحكام الملوكية، ص ١٢٤.

(٢) Toynbee, *Constantine Porphyrogenitus*, 331.

(٣) Leo VI, *Tactica*, col. 1008, §57; Davidson, *The Secret Weapon*, 63-64.

(٤) ابن منكلي، الأحكام الملوكية، ص ١٢٤.

(٥) أرنبغا الزردكاش، الأنيق في المنجانيق، تحقيق نبيل عبد العزيز (القاهرة ١٩٨١)، ص ١٢٣-١٢٤. يذكر أرنبغا الزردكاش نوعين من هذه الآلة نوع منها متعدد الأنابيب، والآخر فردي وتطلق هذه الآلة شهاب نار بطول رمح فتحرق الخصم، وأن المركب الرئيسي في تشغيل هذه الآلة هو النفط فقط. انظر أيضاً شكل رقم (٥).

(٦) Nicephor Phocas, *Praecepta*, 65, n. 150; Toynbee, *Constantine Porphyrogenitus*, 331; Davidson, *The Secret Weapon*, 63.

(٧) Nicephor Phocas, *Praecepta*, 20-21, 97

انظر أيضا الشكل رقم (٧).

(٨) الخيرومانجانا هي آلة قذف السهام المحمولة، أما الإكتيا فإنها تشير إلى قنوات أو أنابيب تطلق من خلالها السهام. انظر، Nicephor Phocas, *Praecepta*, 65, n. 150.

(٩) Nicephor Phocas, *Praecepta*, 20-21, 97.

تقصدها الأميرة آنا كومنينا عند حديثها عن القتال بين القوات البيزنطية والنورمان بقيادة بوهيمند عند دورازو عام ١١٠٨م، عندما قالت "... هاجم المدافعون بالنيران، وشوا وجوه الأعداء ولحاهم بها عدة مرات. وهكذا أمكن رؤيتهم وهم يهربون بلا نظام من جحرهم، كسرب نحل جذبه الرحيق".[١]

ويشير ابن الأثير عند حديثه عن أحداث عام ٣١٥هـ/٩٢٧م أنه عندما غزا الدمستق مدينة دوين الأرمينية – الإسلامية كان معه دبابات ومناجيق ومعه أيضاً مزراق تزرق بالنار عدة أثنى عشر رجلاً ، فلا يقوم بين يديه أحد من شدة ناره واتصاله فكان من أشد شيء على المسلمين.[٢] وكلام ابن الأثير هذا إن لم يكن يشير إلى "الخيروسيفونا" فإنه يشير إلى آلة حربية برية تزرق النار الإغريقية في المعارك البرية.[٣]

كانت هذه هي الأشكال المختلفة للنار الإغريقية، التي استخدمها البيزنطيون سواء براً أو بحراً، حسب النصوص التي أتيحت للباحث. ويبقى السؤال هل كالينيكوس هو مخترع هذه النار أم أنها كانت في الأصل موجودة وقام هو بتطويرها أو إعدادها لتلاءم البحر؟

للإجابة على هذا السؤال ينبغي على الباحث أن يتتبع الإشارات والنصوص التاريخية الواردة في المدونات البيزنطية وغير البيزنطية التي تشير إلى مكونات النار الإغريقية، والتي جعلتها لا تنطفئ بالماء، بل تظل مشتعلة حتى تأتى على السفن المعادية. إن هذه النصوص ليست كثيرة، بل مختلة ومتفرقة في بعض الأحيان.[٤] وربما كان هذا راجع إلى حرص الإدارة البيزنطية على جعل النار الإغريقية سراً لا ينبغي إفشاؤه بأي حال من الأحوال، وهذا ما تعكسه كلمات قسطنطين بورفيروجنتيوس التالية: "يجب عليك يا بنى أيضاً أن توجه اهتمامك وتفكيرك إلى موضوع النار السائلة، التي توضع داخل الأنابيب، فإذا ما

---

(١) Anna Comnena, *Alexiad*, 402.

يذكر ناشر النص E. Sewter أن النيران المستخدمة في هذه المعركة كانت تتكون من الراتنج، الذي كان يجمع من خشب الصنوبر وأغصان الأشجار الخضراء المشابهة، وهو مادة سريعة الاحتراق، وكان يسحق الراتنج مع الكبريت، ويزرق بالنفخ من خلال أنابيب مفرغة، صوب وجوه الأعداء ليحرقها. انظر،
Anna Comnena, *Alexiad*, 402, n. 12.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق أبى الفداء عبد الله القاضي (بيروت ١٩٩٥)، جـ٧، ص ٣٦،

(٣) لعلها صندوق المخاسفة المذكور عند أرنبغا الزردكاش حسب المسمى الإسلامي لها، أو الخيروسيفونا حسب التعبير البيزنطي.انظر أيضا شكل رقم (٥).

(٤) وسام فرج، النار الإغريقية، ص ٢٩١.

طلبها منك أحد، كما تطلب منا الآن مراراً فعليك الرفض والرد عليه بمثل هذه الكلمات "إن النار السائلة تعلمها واكتشفها قسطنطين العظيم المقدس، أول إمبراطور مسيحي، من الرب عن طريق ملاك؛ وقد أخذ الله منه عهداً عن طريق هذا الملاك. هذا حسبما أكد لنا آباؤنا وأجدادنا الذين نثق بهم. وهذه النار لا تصنع إلا بواسطة المسيحيين فقط وفي المدينة التي يحكمونها، ويجب ألا ترسل أو تعرف طريقها إلى أية أمة أخرى أياً كانت". وقد حدد قسطنطين بورفيروجنيتوس عدداً من العقوبات للذين لن يلتزموا بهذا العهد وهى كالتالي:

١- تحل اللعنات على كل من يتجرأ ويعطى هذه النار لأمة من الأمم الأخرى.

٢- الطرد من الكنيسة، وخلع صفة المسيحية عنه .

٣- لن يكون جديراً بأية وظيفة أو مرتبة، وإذا كان يشغل وظيفة بالفعل يجب طرده منها ، ويوصم باللعنة.

٤- ينبذ هذا الشخص حتى الموت، ليكون عبرة دائمة لمن تسول له نفسه أن يفعل ذلك، سواء كان إمبراطوراً أو بطريقاً أو أياً كان حاكماً أو محكوماً، متى عمل على مخالفة التعليمات الإمبراطورية.[١]

ولعل قسطنطين السابع هنا يسير على نفس نهج أبيه ليو السادس، الذي حرم على البيزنطيين في أحد قوانينه تسليم أية معدات حربية إلى الأمم الأخرى، وشرع عقوبات لذلك[٢]؛ وبالطبع كانت النار الإغريقية واحدة من أهم هذه المعدات العسكرية، لأنها كانت السلاح الأكثر تأثيراً في الترسانة البيزنطية التقليدية[٣]؛ وهذا ما جعل ثيوفانيس يأسى في مدونته لأن البلغار، الذين استولوا على ميزمبريا Mesembria،[٤] وديفلتوس[٥] Dheveltos عام٨١٢م استولوا على ستة وثلاثين أنبوباً برونزياً وكميات هائلة من النار السائلة، التي لم

---

(١) Constantine Porphyrogenitus, *DAI*, I, 69-70.

(٢) *Les novelles de Leon VI<sup></sup> le sage*, trad. fran. A. Dain (Paris 1944), Nov. 63, 230-233; Toynbee, *Constantine Porphyrogenitus*, 330.

(٣) Lartusis, M.C., *The Late Byzantine Army*, (Philadelphia 1992), 340.

(٤٨) هي مدينة نيزيبور Nesebur البلغارية الآن، وكانت تقع ساحل البحر الأسود البلغاري، ٣٥كم شمال شرق مدينة بورجاس. لمزيد من التفاصيل عنها انظر، *ODB*, Vol. II (New York, Oxford 1991), sv. *MESEMBRIA*.

(٤٩) مدينة ديفلتوس أو ديولتوم، كانت قلعة ومدينة في بلغاريا تقع على بعد نحو ٢٠ كم جنوب غرب بورجاس، وتتحكم في الطريق الساحلي الرابط بين الشمال والجنوب. لمزيد من التفاصيل عنها انظر، *ODB*, Vol. I (New York, Oxford 1991), sv. *DEVELTOS*.

يستفدوا منها بأية حال.[1] ويبدو أن الأسلحة السرية لا يمكن كتمان سرها إلى الأبد على حد قول توينبي،[2] حيث تعكس لنا كلمات قسطنطين السابع أنه ذات مرة قام أحد القادة البيزنطيين بتسليم كميات من النار الإغريقية إلى أحد أعداء بيزنطة، مقابل رشوة مالية حصل عليها منهم.[3] ولعل قسطنطين السابع يقصد بكلماته هذه القائد البيزنطي المتمرد ايفثيميوس Efthymius، الذي التجأ إلى الأغالبة عام ٨٢٧م / ٢١٢هـ، وكان يعمل آنذاك درونجاريوس لأسطول ثيم صقلية، وقدم إليهم كميات من النار السائلة.[4] ووإذا كان الأمر كذلك فلابد أن يكون مسلمو القرن التاسع الميلادي قد قاموا، على عكس البلغار، بالاستفادة من هذا الوضع وقاموا بتحليل المركب البيزنطي أو بعبارة أخرى قاموا بتحليل عناصر النار الإغريقية.[5] وقد بلغ من شدة حرص الإدارة البيزنطية على سر النار الإغريقية، أنها كانت تحتكر صنعة هذه السلاح حتى عام ٧٢٦م، حيث كانت تزود به الأسطول الإمبراطوري المركزي؛ وبعد هذا التاريخ اضطرت إلى تزويد الأساطيل الإقليمية به لمواجهة خطر

---

(1) *Theophanes*, 683; Toynbee, *Constantine Porphyrogenitus*, 330; Davidson, *The Secret Weapon*, 66.

انظر أيضاً، رنسمان، الحضارة البيزنطية، ص ١٨٢؛ هانيء عبد الهادي البشير، بيزنطة وبلغاريا ٦٨١-١٠١٨م (القاهرة ٢٠٠١)، ص ٩٦.

(2) Toynbee, *Constantine Porphyrogenitus*, 330.

(3) Constantine Porphyrogenitus, *DAI*, I, 70.

يشير قسطنطين السابع في نفس الموضع إلى هلاك هذا القائد بصاعقة من السماء ، فكان عبرة لغيره. ومن ذلك الحين دب الخوف والذعر في قلوب كل الرجال، ومنذئذ لم يحاول أحد بعد ذلك سواء كان إمبراطوراً أم بطريقاً أم مواطناً، أو قائداً عسكرياً، أو أي إنسان من أي نوع أن يغامر بالتفكير في هذا الأمر.

(4) تجدر الإشارة إلى أنه بدءاً من عام ٨٣٥م تحديداً يمكن القول أن المسلمين أصبحت لهم دراية بماهية المادة الحارقة التي كانت تقذفها السفن البيزنطية، بل وبميكانيكية القذف نفسها، حيث كانت هذه السفن مزودة بأجهزة قذف خاصة بالنار الإغريقية، وذلك عندما استولى المسلمون على عدة سفن بيزنطية قاذفة للنار الإغريقية عند فتحهم لجزيرة صقلية. لمزيد من التفاصيل انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ٦، ص ٣٣٨؛ السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، العصر الإسلامي (القاهرة ١٩٦٦)، ص ٣٩٠ ؛ فازيليف، ا.، العرب والروم، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، مراجعة فؤاد حسنين علي (القاهرة د.ت) ، ص ١٢٠.

(5) Toynbee, *Constantine Porphyrogenitus*, 330.

انظر أيضاً، عبد المنعم ماجد، العصر العباسي الأول، جـ١ (القاهرة ١٩٨٤)، ص ٣٨٢.

المسلمين، ولكن بكميات محدودة حتى تضمن الإدارة عدم تمردها واستخدام هذا السلاح ضد الإمبراطور مثلما فعل توماس الصقلبى عند محاولته الاستيلاء على القسطنطينية.(١)

وهكذا، على الرغم من المحاولات التي قامت بها بيزنطة للاحتفاظ بسر تركيب النار الإغريقية، إلا أن الظروف التاريخية للصراع بينها وبين الأمم الأخرى جعلت الأخيرين يسعون لإيجاد نظائر لها أو محاولة الحصول عليها، ومن ثم فقد عرفت طريقها إلى الأمم الأخرى من غير المسلمين أيضاً؛ ومنهم عرفنا الكثير عن مكونات النار الإغريقية أكثر مما قدمه الكتاب البيزنطيون. ويكاد يتفق المؤرخون الحديثون على أن العناصر الأساسية للنار الإغريقية كانت تتكون من النفط، الراتنج،(٢) الكبريت، والقار،(٣) وبعض المواد الأخرى.(٤)

وتجدر الإشارة إلى أن المصادر الأساسية لوصف عناصر النار الإغريقية ليست المصادر البيزنطية فحسب، باستثناء ماركوس البيزنطي الذي يقدم تركيبة لها بصورة مبهمة

---

(١) Toynbee, *Constantine Porphyrogenitus*, 327 & n. 6.
انظر أيضا، هانيء عبد الهادي البشير، "تطور البحرية البيزنطية ونشاطها العسكري خلال القرنين الثامن والعاشر للميلاد"، مجلة التاريخ والمستقبل، (عدد يوليو ٢٠٠٣)، ص ١٧٩. وعن ثورة توماس الصقلبي انظر، محمد عثمان عبد الجليل، ثورة توماس الصقلبي في الإمبراطورية البيزنطية ٨٢١-٨٢٣م/٢٠٥-٢٠٧هـ، (رسالة ماجستير لم تنشر بعد، كلية الآداب، جامعة طنطا، ١٩٩٢).

(٢) الراتنج: هو مادة صمغية مستخرجة من أشجار الصنوبر، ويقال له راتيلج أيضاً. انظر، أرنبغا الزردكاش، الأنيق في المناجيق، ص١٢٢ هـ ١٠٤. كما كان يستخرج من بعض الأشجار المشابهة مثل البطم والأرزية والمصطكى. انظر، الخوارزمي، مفاتيح العلوم (القاهرة ١٣٤٢هـ)، ص ١٤٩.

(٣) القار أو الزفت هو أحد مشتقات النفط. انظر،
Christides, *Two Parallel Naval Guides*, 56, n. 1513.
وكلمة قار مشتقة من الكلمة اليونانية *Keros* أى شمع ؛ إلا أنها استخدمت في الأدب العربي لتعنى الزفت أو الأسفلت أو البيتومين. انظر، R. Forbes, *Studies in Early Petroleum History* (Leiden 1958), 150 ff.

(٤) Lartusis, *Byzantine Army*, 340; Christides, *Naft*, 885.
عبد الرحمن زكى، السلاح في الإسلام، ص ١٦٠؛ أحمد عبد الرازق، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى (القاهرة ١٩٩٠)، ص ٢٠٢؛ أحمد عبد الرازق، الجيش المصري في العصر المملوكي (القاهرة د.ت.)، ص ١٤٣؛ وسام فرج، النار الإغريقية، ص ٢٩٢؛ جرجى زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، جـ١، ص ٢٠٠ - ٢٠١؛ محسن محمد، الجيش الأيوبي، ص ٢٩١.

إلى حد ما، ويلوح أن العرب تعلموا صنعها قبل الحروب الصليبية[١]، بل كتابات المسلمين، التي تقدم لنا بدءاً من العصر الأيوبي طرقاً مختلفة لإعدادها؛ فها هو الطرسوسي يقدم لنا طريقة لإعداد النار البحرية (الإغريقية) يعنونها بـــ "عمل نفط يمشى على الماء يصلح لحرق المراكب" ويتكون من: "قطران جزء، كبريت معدني وهو النفط، جزء راتينج، جزء سندروس[٢]، جزء شحم دلفين ، مُسلى مروق، جزء شحم، كُلى ماعز مثله، كبريت أصفر جزء، تسحق ما يجب سحقه ويرفع القطران على النار إلى الدست شيء، فإذا إلى القطران يضاف إليه السندروس، ويضرب به إلى أن يختلط ثم يلقى عليه بعد الفراغ الكبريت المعدني الذي كله الزيت القديم ، وترفع . فإذا احتجت إليه بأخذه وتغليه إلى أن تعلم أنه قد أخذ الحد فتشعل فيه ناراً وترسله على الماء إلى ما أردت من المراكب ، فإنه تحرق إحراقاً عظيماً ويمشي على الماء ولا ينطفئ".[٣]هكذا، طبقاً للطرسوسي، فإن النار البحرية (الإغريقية) كانت تتكون من النفط، الأصماغ سواء الراتنج أو السندرس، الكبريت وبعض الدهون.

أما ابن منجلي، وهو من كتاب العصر المملوكي، فيقدم لنا طريقة قريبة من الطرسوسي لإعداد النار البحرية (الإغريقية)، ويطلق عليها اسم "في صفة عمل النار التي تشتعل فوق الماء ما شئت لم تنطفئ"، ويفصلها على النحو التالي[٤]: "يؤخذ شحم كلى البقر، وشحم كلى الماعز، فتصير في قدر، ويلقى عليهما زفت ويوقد تحته حتى ينحل الجميع ويصير شيئاً واحداً، فإذا صار كذلك فتصب عليه بماء، ثم صب هذا الدهن فوقه، ثم زد عليه كبريتاً وراتينج، وهو صمغ الصنوبر، مسحوقين، ثم أشعل النار فإنها تتقد فيه، فلا تزال كذلك يومها وليلتها". وفي مؤلف آخر له يصف ابن منجلي طريقة أخرى لإعداد النار البحرية (الإغريقية)، ويطلق عليها اسم "عمل النار التي تقد على الماء"، ويصفها على النحو

---

[١] رنسمان، الحضارة البيزنطية، ص ١٨٢ – ١٨٣.

[٢] السندروس، يقال أن السندروس صمغ شجر، وقيل أنه معدن يتولد في طباق الأرض، ويجلب من نواحى أرمينية، وهو ثلاثة أنواع : أصفر وأزرق وأسود، وأجوده الأول. انظر، أرنبغا الزردكاش، الأنيق في المنجانيق، ص ١٢٣، هـــ ١٠٧ .

[٣] الطرسوسي، تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء، حققه وترجمه إلى الفرنسية كلود كاهن في B.E.O. (بيروت ١٩٤٨)، ص ٢١.

[٤] ابن منكلى، الأحكام الملوكية، ص ٥٤ .

التالـــي:[1] "تطبــخ الزفــت والشــحم[2] جميعــاً، فإذا ذاب فصب عليها نفطاً أبيض،[3] ثم صب عليها ما شئت من الماء، فإنه يستوقد عليه. وإن أردت أن تصفو ناره، فذد عليه الكبريت والقلفونية[4] مدقوقين. وكذلك إن تصحنه على الماء؛ فإنه يقد عليه، يدخل دهن البلسم[5] في النفط؛ فإنه لا يحرق لبود الروم إلا هو؛ لأنهم يستترون باللبود".

وهكذا، يتضح أن المكونات الرئيسية للنار الإغريقية تقريباً متشابهة في عناصرها الأساسية. بيد أن ابن منجلي يشير إلى معلومة غاية في الأهمية تثبت أن النار الإغريقية، أو أحد نظائرها، كانت معروفة للعالم القديم قبل عصر كالينيكوس، حيث يذكر: "أن ملوك الفرس كانوا يختارون مزيجاً معيناً من النفط، عجيب في صنعته لا يؤتى على شيء إلا أكله وأحرقه، وهو يجرى على الماء ويسير على الأرض، إذا كانت ريح لينة، وهذه النار تشرب الماء

---

[1] ابن منكلى، الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب، تحقيق نبيل عبد العزيز (القاهرة ٢٠٠٠)، ص ١٣٠، انظر أيضاً ص ١٨٠-١٨١.

[2] الشحم: يقول ابن البيطار أن شحم الخنزير هو أرطب الشحوم كلها ولذلك صار فعله قريباً من فعل الزيت، إلا أنه يلين وينضج أكثر منه؛ وكان يستخدم هو وشحم الماعز في الأغراض الطبية ؛ وهناك أيضاً نوع يسمى شحم الديوك، وشحم الثور، وشحم الكباش، وشحم الأسد، وهو أشد حرارة من سابقيه، وهناك أيضاً شحوم الأفاعى، التي تستخدم في إزالة الشعر تماماً من البدن؛ ونقلاً عن ديسقوريدوس يقول هناك شحم الأوز وشحم الدجاج وشحم النمر وغير ذلك من الأنواع التي تدخل في تركيب العقاقير. انظر، ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، جـ٣، ص ٥٥ – ٥٩.

[3] النفط الأبيض: يطلق عليه أيضاً اسم النفط الطيار. انظر، أرنبغا الزردكاش، الأنيق في المنجانيق، ص ١١٣. وقد استخرج المسلمون النفط من ساحل بحر القلزم، حيث كان يسيل من أحد الجبال هناك، فتأتى العرب وتحمله إلى خزائن السلاح السلطانية. انظر، القلقشندى، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق يوسف على طويل، جـ٣ (دمشق ١٩٨٧)، ص ٣١٣. وكانت هناك عدة أنواع من النفوط منها الأبيض، والأزرق، وملح النفط، وتيار النفط. انظر نظير حسان سعداوى، التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين الأيوبي (القاهرة ١٩٥٧)؛ ص ٢٣٣، هـ١. ويشير ابن منكلي إلى كيفية اختبار جودة النفط الأبيض، وذلك بأخذ ورقة كرات طرية، وتغمس في النفط ثم تمرر على النار، فإن علقت بها النار فالنفط جيد، وإن لم تعلق فلا. انظر، ابن منكلى، الحيل في الحروب، ص ١١٩.

[4] القلفونية: هي نوع من الراتنج أو الأصماغ.

[5] البلسم: جنس شجر من القرنيات الفراشية، يسيل من فروعها أو سيقانها إذا جرحت مادة راتنجية. انظر، ابن منكلى، الحيل في الحروب، ص ١٥٧ ، هـ ٧.

ويسمع لها دوياً وقعقعة".[1] ويشير المؤرخ أرشيبالد لويس إلى أن التركيب الكيماوي السري للنار الإغريقية يحتمل أن يكون قد استخدم منذ عام ٥١٦م في بيزنطة، ثم اكتشفه من جديد أو أدخل عليه التحسين المهندس السوري كالينيكوس؛[2] بينما يعتقد المؤرخ وسام فرج أن الإضافة التي قدمها كالينيكوس في القرن السابع الميلادي كانت عبارة عن تقنية أولية جديدة لتكرير النفط؛ ومن المحتمل أن هذه التقنية تضمنت إضافة مادة راتنجية صمغية إلى النفط لزيادة خاصية اللزوجة به، وربما لزيادة سرعة لهيبه أيضاً.[3] ويرى المؤرخ فاسيليوس خرستيدس أن التركيبة المكونة من القار أو النفط والكبريت والراتنج المختلط مع المشاق كانت موجودة منذ أواخر العصر الروماني، بل أن المواد الإشتعالية الحربية موجودة في كتب العصر الهللينستى، ويضرب أمثلة عديدة على علماء هذا الفن في العصرين اليوناني والروماني. ويشير أيضاً إلى أنه في القرن الرابع الميلادي ابتكرت "الرماح الحارقة" التي يثبت على رأسها مزيج من الكبريت والراتنج والقار ويخلط الجميع بالزيت الخام.[4] بالإضافة إلى ذلك فإن البيزنطيين استخدموا مركباً نفطياً قابلاً للاشتعال المتصل ابتكره شخص أثيني يدعى بروكلوس Proclus زمن الإمبراطور أنستاسيوس الأول ٤٩١-٥١٨م للدفاع عن القسطنطينية ضد الأعداء، لا نعرف على وجه الدقة مكوناته، التي من المحتمل أن عنصرها الرئيسي كان النفط القادم من بلاد القوقاز.[5] وفي القرن السادس الميلادي كان البيزنطيون على دراية بالنفط، الذي بلغ أهمية الحديد عندهم، وكان أثمن عندهم من الذهب أو الفضة.[6]

وعلى هذا يمكن القول أن عناصر النار الإغريقية المنسوبة إلى كالينيكوس كانت موجودة في بيزنطة، مثلما كانت في فارس، قبل عصر كالينيكوس بزمان؛ وهذا يعنى أنها لم

---

(1) ابن منكلى، الحيل في الحروب، ص ١٤٩. يشير فوربس أيضاً إلى أن الفرس كانوا يستخدمون النفط المستخرج من باكو في سبيل إشعال النار دائماً بصورة متصلة من أجل العبادة، حيث كانوا من عبدة النار آنذاك . انظر، Forbes, *Petroleum History*, 152.

بل إن الشعراء والمؤرخين الفرس يسجلون استخدام الناس للنفط في حياتهم اليومية. انظر، Forbes, *Petroleum History*, 153.

(2) لويس، القوى البحرية، ص ٩٧. يأخذ د. هانيء البشير بهذا الرأي، انظر، تطور البحرية البيزنطية، ص ١٧٦.

(3) وسام فرج، النار الإغريقية، ص ٢٩٣.

(4) Christides, *Naft*, 885.

(5) هانيء عبد الهادي، تطور البحرية البيزنطية، ص ١٧٦.

(6) Davidson, *The Secret Weapon*, 68-70.

تكن من اختراعه، خلافا لما يذهب إليه توينبى.[1] وبناء على ذلك فإن تركيبة النار الإغريقية لم تكن سراً كما شاع في المفهوم البيزنطي والغربي،[2] ولكن استخدمت في بيزنطة تركيبات متنوعة حسب طبيعة كل عمل حربي كانت تخوضه.[3]

بيد أن هذه الحقائق تتعارض مع ما ذكره ثيوفانيس والذين نقلوا عنه كقسطنطين السابع[4] وكدرينوس،[5] اللذان نسبا النار الإغريقية إلى كالينيكوس. لكن قبل البت في هذه الإشكالية التاريخية علينا أن نضع في الحسبان أن بيزنطة ورثت التراث العلمي اليوناني، الذي طالما جد المسلمون في طلبه، وكان البيزنطيون لهم حذق في العلوم اليونانية على حد قول بنيامين التطيلى،[6] هذا من ناحية. ومن الناحية الأخرى كانت القسطنطينية تعج بالكيميائيين والعلماء والمخترعين. فقد أعد على سبيل المثال ليو الفيلسوف التسالونيكى شجرة ذهبية للإمبراطور ثيوفيل ٨٢٩ - ٨٢٤م، كانت أغصانها تحمل طيوراً صناعية ترفرف بجناحيها مغردة، ونموذجاً لأسد كان يتحرك ويزأر؛ وسيدة مرصعة بالجواهر كانت تسير بطريقة منتظمة. لقد كانت هذه الابتكارات استمراراً لما هو مسجل في رسالة هيرون السكندري Heron of Alexandria (١٢٥م تقريباً)، والتي كانت معروفة جيداً للبيزنطيين،[7] لقد كان العصرين اليوناني والروماني يعجان بالرسائل أو الكتب المهمة المعنية بشئون القتال والآلات الحربية، فمن مؤلفي هذه الفترة كتسيبيوس السكندري Ktesibius of

---

(1) Toynbee, *Constantine Porphyrogenitus*, 330.

بالإضافة إلى توينبى يرى بعض المؤرخين أن كالينيكوس هو الذي اخترع النار الإغريقية. انظر، عبد الرحمن زكى، السلاح في الإسلام، ص ٥٩؛ عبد المنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، جـ١ (القاهرة د.ت.)، ص ١٧١؛ عبد المنعم ماجد، الحضارة الإسلامية، ص ٦٨. أما أ.د. سعاد ماهر، البحرية الإسلامية، ص ٢٣١، فتوافق هذه الجمهرة من المؤرخين في الرأي، وتزيد أن النار الإغريقية هي البارود؛ وبطبيعة الحال هناك فارق كبير بين الاثنين.

(2) Haldon & Byrne, *A Possible Solution*, 91.

(3) Christides, *Naft*, 885.

(4) *Theophanes*, 494.

(5) *Cedrenus*, 765.

(6) بنيامين التطيلي، رحلة ابن يونة الأندلسي إلى بلاد الشرق الإسلامي، ترجمة عزرا حداد، مراجعة رحاب خضر عكاوي (بيروت ١٩٩٦)، ص ٨.

(7) انظر، Constantine Porphyrogenitus, *De Ceremoniis*, I, 569; II, 642. Cf. also Partington, *Greek Fire*, 13.

(ق٣ ق.م)، فيلون البيزنطي Philo of Byzantium (٢٥ ق.م)، Alexandria وديونيسيوس السكندري (ق ٢م)، الذي اخترع منجنيقاً سريعاً قاذفاً للنيران، وكذلك سلاحاً حربياً أتوماتيكياً يسمى بولى بولوس Polybolos.(١)

وبناء على ذلك، يمكن القول أن التراث اليوناني- الروماني، خاصة التراث السكندري، لعب دوراً كبيراً في العلوم البيزنطية وتقدمها، ومنها العلوم والتكنولوجيا العسكرية بالمصطلح الحديث، هذا من ناحية. ومن الناحية الثانية كانت عناصر النار الإغريقية، وأهمها النفط، معروفة للعالم القديم. بالإضافة إلى ذلك علينا قبول افتراض بارتنجتون القائل بأن كالينيكوس لو كان قد جلب معه النار الإغريقية إلى القسطنطينية، لكان من المفترض أن تكون معروفة للعرب في بلاد الشام؛ بل يبدو أنها من اختراع الكيميائيين البيزنطيين في القسطنطينية، الذين ورثوا تراث مدرسة الإسكندرية الكيميائية، والتي كانت مؤلفات علمائها معروفة لهم جيداً.(٢)

بيد أن هذه النتائج تدفعنا إلى التساؤل: إذن ما الجديد الذي قدمه كالينيكوس لبيزنطة؟ يبدو للباحث أنه لابد من إعادة فحص روايات كل من ثيوفانيس وقسطنطين السابع بصفة خاصة. يقول ثيوفانيس: "أن الروم أخذوا معهم المهندس السوري كالينيكوس، حيث أعد قطعاً بحرية مزودة بقاذفات النار..." (٣) وهكذا، يفهم من هذه الرواية أن كالينيكوس لم يكن كيميائياً، بل بحكم صنعته مهندسا تولى عملية تزويد السفن البيزنطية بقاذفات النار، أي أجهزة الدفع المنتهية بالسيفونات. أما قسطنطين السابع فيقول: "في عهد قسطنطين بن قسطنطين الملقب ببوجوناتوس هرب شخص يدعى كالينيكوس من مدينة هليوبوليس، ولجأ إلى الروم وأعد النار السائلة التي ترمى من الأنابيب ..."(٤) وهكذا، يشير قسطنطين السابع إلى فترة لجوء كالينيكوس إلى بيزنطة وهى الفترة الواقعة بين تولى قسطنطين بوجوناتوس الحكم ٦٦٨م والحملة الإسلامية الثانية على القسطنطينية ٦٧٣/٦٧٤م؛ كما يشير إلى قيام كالينيكوس بإعداد النار الإغريقية وليس اختراعها.

---

(١) Christides, *Naft*, 884.

(٢) Partington, *Greek Fire*, 13 – 14.

(٣) *Theophanes*, 494.

(٤) Constantine Porphyrogenitus, *DAI*, I, ch. 48, 227.

وبناء على ذلك، لكي نوفق بين هذين المصدرين البيزنطيين، ونخرج بنتيجة ربما تكون أقرب إلى واقع القرن السابع الميلادي، علينا أن نطرح سؤالاً: هل أشارت المدونات البيزنطية والرسائل العسكرية، على الأقل بدءاً من عصر بروكوبيوس القيصري، إلى الدرمونات المزودة بالسيفونات؟ لقد كان المنجنيق يستخدم أثناء العصرين اليوناني والروماني في العمليات الحربية البحرية؛ وقد نال شهرة وأهمية كبيرة في الحروب البحرية في العصر الروماني المتأخر، أي خلال العصر البيزنطي الباكر، لاسيما زمن بروكوبيوس فقد كانت تستخدم هذه المنجنيقات في رمي شتى القذائف كالأحجار والقوارير الفخارية الممتلئة بالنفط أو النار، والتي تثبتها استراتيجيكون موريس.[١] وبعد مرور قرن على معركة ذات الصواري، التي وقعت بين البيزنطيين والمسلمين ٦٥٥/٦٥٦م- ٣٤هـ، فقد المنجنيق أهميته ولم يعد مستخدماً بنفس الدرجة كما كان من قبل.[٢] هذا في الوقت الذي لم نقرأ في المصادر البيزنطية الباكرة عن السيفونات. ويبدو لنا أن عدم الإشارة إلى السيفونات في ذلك العصر من ناحية؛ وظهور السيفونات في القرن السابع الميلادي حسب رواية ثيوفانيس، تدفعنا للقول أن التقنية الأساسية-السرية- التي ابتكرها كالينيكوس إنما تكمن في المقام الأول في "آلية وكيفية قذف النار الإغريقية البحرية لمسافات طويلة عبر السيفونات"، التي تصمت المصادر البيزنطية عن ذكرها، وكأنها سراً من أسرار الحروب آنذاك.[٣] ومع هذا، لا نستبعد، بحكم إشراف كالينيكوس على إعداد النار السائلة، طبقاً لرواية قسطنطين السابع، قيامه بإضافة بعض العناصر للمكونات الرئيسية التي كانت معروفة آنذاك، لاسيما المواد الصمغية مثل الراتنج، التي تتحكم في درجة لزوجتها ومدى التصاقها بالسفن المعادية.

والآن، من أين كانت تستقى بيزنطة المواد الرئيسية التي تدخل في تكوين النار الإغريقية؟ إن المادة الرئيسية والأثمن من كل المواد الأخرى كان النفط أو كما يسميه البعض البترول،[٤] أو الزيت السائل الخام.[٥]

---

(١) Christides, *Naft*, 886.

(٢) Christides, *Naft*, 885.

(٣) يرى زنغليس أن قذف النار السائلة عن طريق السيفونات يعتبر سرا ثانيا لا يقل عن سر تركيبة النار ذاتها. وهنا يمكن أن نأخذ بتصور هالدون وبيرن حول آلية القذف، مع بعض التحفظات.
Zenghelis, *Le feu grégeois*, 279.

(٤) Toynbee, *Constantine Porphyrogenitus*, 329.

(٥) Forbes, *Petroleum History*, 149.

يقدم قسطنطين بورفيروجنيتوس في فصله الأخير من كتاب الإدارة الإمبراطورية مسرداً جغرافياً لمنابع الزيت التي كانت متاحة للدولة البيزنطية. كان الكثير منها يقع خارج نطاق تاماطرخا Tamatarcha، الواقعة على الشاطئ الشرقي لمضايق كيرخ Kerch، وهي المنطقة التي كانت تحت سيادة الخزر زمن قسطنطين السابع.[١] فقد ذكر أحد عشر نبعاً عند طرف الشمال الغربي، لمنطقة القوقاز في زيخيا Zichia، حيث كانت تسعة منها قريبة من الموضع المسمى باجي Pagi، الذي يقع في منطقة باباجيا Papagia المأهولة بالزيخيين. وكانت هذه الآبار تنتج نفطا من أنواع مختلفة منها الأسمر، والأحمر، والأصفر. وكان من هذه الآبار التسعة بئر يقع في زيخيا، في الموضع المسمى باباجيا، بالقرب من قرية ساباكسيSapaxi؛ وبئر يقع في القرية المسماة خاموُخ Chamouch. وكان هناك بئران يقعان تحت السيادة البيزنطية، أولهما في ولاية درزين Derzene، بالقرب من قريتي سابيكيون Sapikion وإبيسكوبيونEpiskopion؛ وثانيهما يقع في ولاية تزيليابرت Tziliapert ، جنوب قرية سرخياباراكسSrechiabarax[٢]. جدير بالذكر أن إمدادات النفط الواردة لبيزنطة من تلك المناطق جعل بعض المؤلفين البيزنطيين يطلقون على النار الإغريقية اسم "نار ميديا "Median fire نسبة إلى منطقة ميديا الفارسية، أي شمال شرق فارس؛ والتي انتقلت السيادة عليها بعد الفتح الإسلامي لها إلى العرب.[٣]

ومن الجدير بالذكر أن "آلية وكيفية قذف النار الإغريقية" ظلت إشكالية كبيرة بين المؤرخين، نظراً لقلة الإشارات إليها في المصادر البيزنطية، إلى أن وضع المؤرخ الإنجليزي جون هالدون وزميله مايكل بيرن تصوراً مقبولاً من الناحية النظرية، تحوطه بعض الاعتراضات من الناحية العملية. فقد وضعا تصورا لجهاز مكون من ثلاثة أجزاء رئيسية لقذف النار الإغريقية:[٤] الجزء الأول يتكون من سيفون برونزي أو مضخة، يمكن الحصول بواسطتها على الضغط اللازم لدفع الزيت. الجزء الثاني يتكون من أنبوب برونزي مثبت على قاعدة متحركة، تتيح للرامي توجيه الزيت في أي اتجاه ضد العدو. وأخيراً يتكون الجزء

---

(١) Toynbee, *Constantine Porphyrogenitus*, 329.

(٢) Constantine Porphyrogenitus, *DAI*, I, ch. 53, 285-287. Cf. also Toynbee, *Constantine Porphyrogenitus*, 329-330; Haldon & Byrne, *A Possible Solution*, 92, n. 4.

(٣) Forbes, *Petroleum History*, 154ff.

(٤) انظر شكل رقم (١) .

الثالث من مجمرة أو موقد يستخدم لتسخين الزيت في خزانة محكمة قبل وأثناء القتال؛[١] وهذه المجمرة أو الموقد لم تكن النيران بها ناتجة عن جذوع خشبية مشتعلة وهي مكشوفة – الأمر الذي يشكل خطراً على سفينة مبنية من الخشب – بل نتيجة ألياف كتانية تشتعل ببطء، ومتى توهجت يمكن زيادة حرارتها بسرعة وذلك باستخدام منفاخ، وبهذا تزداد درجة حرارة الزيت.[٢] وقد كان النفط يسخن على نار هادئة، ثم تصبح شديدة حين تظهر الحاجة لقذف النار، وبتسخين الزيت يرتفع الضغط داخل الوعاء المحكم، ومع استخدام المنفاخ يزداد ارتفاعه، وما أن يصبح مرتفعاً بالقدر الكافي حتى يتم فتح صمام واقع عند طرف الوعاء، للسماح للزيت بالاندفاع عبر الأنبوب المتحرك. وكان يتم إشعال الزيت عند فوهة الأنبوب المتحرك وتوجيهه ضد العدو. وهذا الزيت المندفع كان يظل طافياً ومشتعلاً على سطح الماء، حتى يأتي على سفن العدو.[٣]

بيد أنه يوجد عدد من المشاكل الفنية المتعلقة بميكانيكية عمل ذلك الجهاز المفترض، يقر بها هالدون وبيرن، ونزيد عليها من واقع النصوص التاريخية؛ حيث أن زيادة الضغط داخل الوعاء، بدون وجود مقياس له، سوف يؤدى إلى حدوث انفجار. والشهادات التاريخية المتاحة لا تساعد على وضع حل لهذه المشكلة ؛ لكن يبدو أن رماة النار الإغريقية أو الزراقين كانوا متمرسين بحكم الخبرة على قياس الضغط داخل الوعاء والتحكم في درجة الحرارة اللازمة لذلك، وكم من الفتحات يستلزم عمل المضخة للوصول إلى ضغط محدد.[٤]

أما المشكلة الثانية التي يقر بها هالدون وبيرن تتعلق بمسألة معالجة النفط (الزيت)؛ أي هل كان يتم تقطير الزيت قبل استخدامه؟ إن المعلومات المتاحة عن عملية التقطير في بيزنطة قبل القرن الثاني عشر قليلة وهو ما يوحي بأن تقنيات التقطير تطورت فقط بعد ذلك التاريخ. ويستنتج من لغة وتعبيرات المصادر البيزنطية أن النفط كان يعالج بطريقة أو بأخرى. ويشير الباحثان إلى نص عربي من القرن الثاني عشر يقر أن البيزنطيين كانوا

---

(١) Haldon & Byrne, *A Possible Solution*, 93.

(٢) Haldon & Byrne, *A Possible Solution*, 94.

(٣) وسام فرج، النار الإغريقية، ص ٢٩٥؛ Haldon & Byrne, *A Possible Solution*, 94-95.

(٤) Haldon & Byrne, *A Possible Solution*, 96.

خبراء في النفط "المطبوخ". لكن يبدو أن المصادر تشير إلى إضافة مادة راتنجية إلى النفط لتزيد من جودة لزوجته وربما درجة لهيبه أيضاً.[1]

كانت هاتان هما المشكلتان اللتان أقر بهما هالدون وبيرن، ووضعا تصوراً لحلهما. وإذا كنا نسلم بطرحهما حول المشكلة الأولى، إلا أن طرحهما حول المشكلة الثانية يحتاج إلى أن نقلب بين ثنايا المصادر البيزنطية والإسلامية، لاسيما مؤلفات ابن منجلي الذي يمكن أن نعتبره مبدعاً في تركيبات النار الإغريقية مع الوضع في الاعتبار سعة علمه وقراءاته واقتباسه من كتب السابقين، لاسيما ليو السادس.

وتنبغي الإشارة إلى بعض التعبيرات الواردة في المصادر العسكرية مثل تعبير "النار السائلة المعدة" σκευαστον πῦρ[2]؛ "أعد النار السائلة التي تزرق من خلال الأنابيب[3]

"τὸ διὰ τῶν σιφώνων ἐκφερόμενον πῦρ ὑγρὸν κατεσκεύασεν"؛ "النار المعدة سريعة الالتصاق τὸ σκευαστὸν καὶ κολλυτικόν πῦρ"؛[4] وهى مملؤة بنار مصنوعة"؛[5] "تأمر بإعداد القوارير المملؤة بالنار المعدة"؛[6] "قدور مملؤة من نار مصنوع يعمله الزراقين".[7]

وهكذا، تشير كل هذه التعبيرات إلى نوع من المعالجة كانت تتم للنفط إما بالتقطير أو إضافة مواد أخرى إليه، كالتي أشرنا إليها فيما سبق، كالراتينج أو السندروس أو القار أو الشحم أو الكبريت. لكن هناك سؤال يلوح في الأفق وهو: هل كان يتم إعداد أو طبخ النار الإغريقية على ظهر السفن أم في الترسانات البحرية؟ للإجابة على هذا التساؤل علينا البحث في عتاد السفن الحربية البيزنطية؛ حيث نقرأ عند ليو الحكيم من بين العتاد المذكور الأوتاد، الأخشاب، الشمع، القار بشتى أنواعه، أعواد الخشب، الزفت اليابس، والنفط السائل.[8] وفي

---

(1) Haldon & Byrne, *A Possible Solution*, 97.

(2) Niceplore Phocas, *Praecepta Militaria*, 21.

(3) Constantine Porphyrogenitus, *DAI*, I, ch. 48, 226.

(4) Toynbee, *Constantine Porphyrogenitus*, 327.

(5) ابن منكلى، الأحكام الملوكية، ص ١٢٤.

(6) *Naumachica*, 84, § 60.

(7) ابن منكلى، الأحكام الملوكية، ص ١٢٤.

(8) Leo VI, *Tactica*, cols. 992, § 5, 1010, § 60.

نفس الوقت نعلم أنه كانت هناك مصانع إمبراطورية لتصنيع هذا السلاح وسط إجراءات أمن مشددة، من المحتمل داخل نطاق أسوار القسطنطينية.[١]وعلى هذا يبدو أن النار الإغريقية كمركب كان يتم خلط عناصرها وإعدادها براً، ثم تشحن في السفن وتزود بها الخزانات؛ مع وضع المواد الأساسية لها كاحتياطي إستراتيجي على ظهر السفن، حتى إذا ما دعت الحاجة لاستخدامه قام الزراقون بإعدادها في التو. ولعل ما يؤكد طرحنا هذا، ما أشار إليه ثيوفانيس من وقوع ستة وثلاثين أنبوباً وكميات هائلة من النار السائلة في أيدي كروم، خان البلغار، عام ٨١٢م عند استيلاءه على ميزمبريا وديفلتوس، كانت مخزنة بهما.[٢]



أما المشكلة الثالثة والتي لم يتعرض لها هالدون وبيرن هي كم كان يحتاج ذلك الجهاز المفترض لقذف النار الإغريقية من الزراقين، وأين كان يتم وضعه، مع ملاحظة الكر والفر والهرج والمرج فوق سطح السفن عند الحرب؟ في الوقت الذي ذكر فيه ليو السادس أنه ينبغي أن يكون هناك رجلاً في المقدمة مسئول عن توجيه السيفون في أي اتجاه يريده ضد العدو،[٣] كان يسمي سيفوناريوس،[٤] نجد ابن منكلي يشير إلى طاقم الزراقين بقوله أنه ينبغي أن يكون هناك "رجل وجماعة منتخبة لتزريق النار". لكنه لم يشر إلى عدد هذه الجماعة.[٥] ويؤكد ابن منكلي كلام الأميرة آنا كومنينا[٦]عن التطور الذي حدث للسفن البيزنطية، حيث كان يتم تزويد بعضها بعدد من السيفونات وأجهزة القذف في المقدمة والمؤخرة والأجناب، حيث يضيف قائلاً: "ويكون في المقدم والمؤخر رماة، وكذلك في الجانبين".[٧] أما بخصوص موضع أجهزة القذف والسيفونات على السفينة فإنه من الثابت، من

---

[١] Toynbee, *Constantine Porphyrogenitus*, 327, n. 6.

[٢] انظر ما سبق في البحث.

[٣] LeoVI, *Tactica*, col. 994, § 8.

[٤] هانيء عبد الهادي، تطور البحرية البيزنطية، ص ١٧١.

[٥] ابن منكلى، الأدلة الرسمية، ص ٢٤٣.

[٦] أشارت آنا كومينا عند حديثها عن قتال الأسطول البيزنطي سنة ١١٠٣م، فيما بين بترا وروDس، للبيازنة الذين لم يكونوا معتادين على سلاح النار الإغريقية، أن الأخيرة كانت تقذف إلى أعلى وإلى أسفل في أي اتجاه يريده الروم، ومن الجوانب، وأن يديروها يميناً ويساراً. انظـــــر،
Anna Comnena, *Alexiad*, 361. Cf also Partington, *Greek Fire*, 19.

[٧] ابن منكلى، الأحكام الملوكية ، ص ١٢٤ ، انظر أيضاً رواية ليتوبراند الكريمونى الذي كان مبعوثاً إلى القسطنطينية عام ٩٤٩م، وأشار إلى ذلك التطور، حيث يقول: "...لم يجد اليونانيون صعوبة تذكر في زرق نيرانهم. وبينما كان العدو يحيط بهم، بدأ اليونانيون في دفع نيرانهم في كل مكان؛ عندئذ ألقى الروس

خلال منمنمة من مخطوطة يوحنا سكيلتزس المحفوظة في مكتبة الاسكوريال بمدريد، أن السيفونات كانت توضع على سطح السفن وفوهاتها متجهة نحو البحر، لزرق النار على العدو، ونرى بجلاء الشخص المسئول عن توجيه النيران ضد العدو وهو ممسك بالسيفون في يده.[1] إلا أن ليو السادس وابن منجلي يذكران الآتي: ينبغي أن يكون فوق الأنابيب المذكورة ألواح من الخشب، محاطة بسياج من الألواح الخشبية، يقف عليها رجال متأهبين للقتال، يهاجمون العدو من المقدمة، أو يطلقون على سفنه السهام أو غير ذلك لمقاتلته".[2] يبدو أن هذه الرواية تشير إلى الإجراءات التي كانت تتخذ لحماية خطوط أنابيب النار الإغريقية من الإصابة من قبل العدو، لأنها إذا تركت مكشوفة فهذا يجعلها عرضة للمقذوفات التي يلقى بها العدو، كالأحجار أو قوارير النفط وغير ذلك من المقذوفات. وعلى الرغم من أهمية هذه المعلومة إلا أنها تفرض سؤالاً: ألا ينبغي أن تحمى أيضاً أجهزة قذف النار الإغريقية، إذا سلمنا بنموذج هالدون وبيرن، من مقذوفات العدو، حتى لا تتسبب في الانفجار واشتعال السفينة البيزنطية ؟

في الواقع لا توجد شهادات تاريخية تساعدنا على الإجابة عن هذا التساؤل، لكن بما أن الدرمونة البيزنطية كانت تتكون من أكثر من طابق،[3] فإنه من المحتمل طبقاً لليو السادس وابن منجلي أنه كانت هناك غرف للزراقين تقع على سطح السفينة، وفيها أجهزة القذف وخزانات النفط، والاحتياطي الإستراتيجي لها؛ وهذا يعنى أن أجهزة القذف والسيفونات ستكون مسقفة بألواح من الخشب، ومسورة بسياج منها أيضاً،[4] خاصة وأن السيفوناريوس كانت له غرفة صغيرة يقف بداخلها ويوجه من خلالها السيفون حسب الاتجاه الذي يريده.[5]

---

بأنفسهم من السفن بسرعة وهم يشهدون ألسنة اللهب، مفضلين الغرق في الماء على الموت حرقا وهم على قيد الحياة. وقد غاص بعضهم إلى القاع بسبب ثقل دروعهم وخوذاتهم، التي لم يروها ثانية البتة؛ والبعض الآخر أصابته النيران حتى وهو يسبح بين الأمواج العاتية". انظر:

*The Works of Liudprand of Cremona*, Eng. trans. F.A. Wright (London 1930), 186. Cf also Davidson, *The Secret Weapon*, 62-63.

[1] انظر شكل رقم (٣) .

[2] ابن منكلي، الأدلة الرسمية، ص ٢٤٢ Leo VI, *Tactica*, col. 992, § 6;

[3] انظر شكل رقم (٢).

[4] انظر شكل رقم (٤).

[5] هانيء عبد الهادي، تطور البحرية البيزنطية، ص ١٧١.

أما المشكلة الأخيرة فتكمن في أن ليو السادس وابن منجلي يذكر في أكثر من موضع أن قذف النار الإغريقية على العدو ينبغي أن يكون مصحوباً بإرعاد ودخان.[1] وقد فسر هالدون وبيرن هذه العبارة بأن الإرعاد ناتج عن استخدام المنفاخ بشدة، أما الدخان فناتج عن احتراق ألياف الكتان في الموقد.[2] ولكن يبدو لنا أن هذا التفسير يشوبه القصور، بل وبعيد عن الحقيقة، لأن الهدف من إحداث الانفجار أو الإرعاد كان إرهاب العدو وليس الزراقين، أما الدخان فكان الهدف منه تشتيت مُعامل الرؤية عند العدو، وليس كتم أنفاس الزراقين البيزنطيين؛ ودعونا نستقى البراهين على ذلك من عبارات ليو السادس نفسه وابن منكلي، واستبيان ماهية هذه العملية. يقول ليو السادس: "... منها النار المصحوبة بالانفجار والدخان"،[3] أما ابن منجلي فيقول: "... وليكن رميك النفط على أعدائك بإرعاد ودخان"،[4] إن هذه العبارات إنما تشير إلى ضرورة أن يصاحب قذف النار الإغريقية إحداث إرعاد ودخان؛ وهنا علينا أن نبحث عن الكيفية، وليس تفسير نتيجة كما فعل هالدون وبيرن. ويفسر ابن منجلي كيفية إحداث الدخان، الذي يتم بعملية أخرى مصاحبة لقذف النيران من على السفن، حيث كان يتم قذف العدو بقدور مملوءة بالجير الحي، ينجم عنها دخاناً وتضر رائحة الجير، المتصاعد من تفاعل الجير الحي مع الماء، في نفس الوقت بأبصارهم على حد قوله. أما الإرعاد فله عدة احتمالات تاريخية:

١- من المحتمل أنه ينجم عن تفاعل الجير الحي الملقى على سفن العدو، الذي ما أن يلامس الماء حتى يتفاعل معه وترتفع درجة حرارته، وكذا يتفاعل مع عناصر الهواء ومع مكونات النار الإغريقية السائرة على سطح الماء؛ ومن ثم ترتفع الأدخنة المشبعة برائحة الجير وتحدث القعقعة التي أشار إليها ابن منجلي أو الإرعاد الذي أكد عليه ليو السادس.[5]

---

(١) Leo VI, *Tactica*, col. 1008, § 51.

(٢) Haldon & Byrne, *A Possible Solution*, 94;

وسام فرج، النار الإغريقية، ٣٠٢، هـ ٢٤.

(٣) Leo VI, *Tactica*, col. 1008, § 51.

(٤) ابن منكلى، الأحكام الملوكية، ص ١٢٤.

(٥) Zenghelis, *Le feu grégeois*, 269.

٢- أو أنه ينجم عن قذف العدو أيضاً بقوارير النفط لترتطم بسفينة العدو، سواء أكانت من الخزف أو الفخار، والتي كانت بمثابة قنابل يدوية، ما أن تسقط على سطح يابس حتى تحدث انفجاراً.[١]

٣-أو أنه ينجم عن استخدام ملح البارود، الذي يتسم بخاصية الفرقعة، والذي كان معروفا منذ القدم في بلاد اليونان، وبيزنطة أيضاً. وهو ما يؤكده ماركوس اليوناني، الذي ترك عملاً كيميائياً يعنى بالتركيبات النارية البيزنطية ويعود إلى القرن الثالث عشر الميلادي، ويشير فيه إلى وجود واستخدام ملح البارود في بيزنطة.[٢]

وبناء على الشواهد السابقة التي قدمها المؤرخون القدامى والمحدثون يمكننا أن نلخص كل الافتراضات السابقة في آلية العمل التالية: تقوم السفن البيزنطية بالمناوشة مع سفن العدو وذلك بالاقتراب منها وإلقاء قوارير النفط عليها، وبينما تقترب منها يبدأ الزراقون في زرق النار السائلة من خلال السيفونات على سفن العدو، لتبدأ في إشعالها وإحراقها، في الوقت الذي يستمر فيه المقاتلون الواقفون في أبراج السفينة أو العاملون على المنجنيقات البحرية بإلقاء قدور الجير وقوارير النفط، فيتفاعل هذا المركب الأخير مع المياه وعناصر الهواء، ويتصاعد الدخان المشبع برائحة الجير ليضر بأبصار العدو. ومن المحتمل استخدام البيزنطيين لملح البارود بطريقة أو بأخرى في هذه العمليات دون أن نستطيع التحقق من الكيفية لقلة الإشارات التاريخية، اللهم إشارة ماركوس اليوناني، حتى يحدث الإرعاد المطلوب.

وهكذا كانت تتم عمليتان في آن واحد "زرق النار مع إلقاء قدور الجير وقوارير النفط" لتتم بذلك إستراتيجية النار والدخان والإرعاد وتلتصق النيران بسفن العدو في آن واحد. ولعل ما يدعم وجهة نظر الباحث هذه أن ليو السادس يأمر بأن تتزود السفن البيزنطية ببعض الروافع لرفع الأثقال، وبعض المنجنيقات لإطلاق القذائف على العدو.[٣] إن إستراتيجية النار والدخان والإرعاد في الحرب البحرية كانت من الحيل العسكرية، وهذا ما يؤكده ليو السادس،

---

[١] ابن منكلي، الأحكام الملوكية، ص ١٢٤؛ Leo VI, *Tactica*, col. 1008, § 54, § 56.

[٢] انظر: Zenghelis, *Le feu grégeois*, 272-274.

لا يعني معرفة البيزنطيين بملح البارود أنهم استخدموه في ابتكار وتطوير أسلحة نارية كالبنادق والمدفعية وغيرها من الأسلحة التي عرفها الغرب الأوربي والعثمانيون والمماليك قبل البيزنطيين، بل استخدموه كمادة كيميائية تساعدهم فيما عندهم من أسلحة كالنار الإغريقية.

[٣] Leo VI, *Tactica*, col. 1010, § 60.

وندعم به طرحنا، حيث يقول: "كثيرة هي الحيل التي ابتكرها سواء القدماء أم المحدثون، من خبراء الحروب ضد السفن أو البحارة أنفسهم، ومنها النار الملتهبة، المصحوبة بالإرعاد والدخان، والمنطلقة عبر قناة لإحراق السفن".[١] وجدير بالذكر أنه لكي تؤتي "إستراتيجية النار الدخان والإرعاد" ثمارها، كان يشترط أن تكون أمواج البحار هادئة والرياح خفيفة، حتى يتجنب البحارة البيزنطيون المخاطر التي قد تنجم إذا لم تتوافر هذه الشروط.[٢]

على أية حال، لا شك أن النار الإغريقية المصحوبة بالإرعاد والدخان لعبت دوراً في تقنية القتال البحري،[٣] وهذا ما جعل دافيدسون يشبهها بالقنبلة الذرية،[٤] وتوينبي يشبهها بالنابالم.[٥] لقد بدت هذه التقنية عجيبة للجاهلين بها، وكأنها شيء خارق، فنجد الروس عندما تلظوا بنارها عام ٩٤١م اعتقدوا أن "الروم لديهم برق من السماء، نزل عليهم ناراً حامية"، وأنهم بسبب هذه المعجزة الغريبة التي وقعت، لم ينتصروا عليهم.[٦] أما الصليبيون فقد ذكر عن لسانهم جوانفيل أن هذه النار "كانت أشبه ما تكون ببرميل كبير من القار، ذات ذنب يقارب الرمح طولاً، وكان يصحبها صوت هائل كدوي الرعد، وكأنها طائر في الجو يشع بنور كبير يكاد معه من بداخل المعسكر يرى كل شيء كأنه في وضح النهار".[٧]

وبالرغم من وجود هذه الشعوب الجاهلة بتقنية النار الإغريقية، كانت هناك شعوب أخرى تستخدم النار الإغريقية في حروبها بخلاف البيزنطيين والمسلمين، فعلى سبيل المثال هناك دليل على أن كل من السلاجقة والمغول استخدموا النار الإغريقية في القرن الثالث عشر الميلادي. فقد كتب المبعوث البابوي الأخ يوحنا من بيان كاربينو أن المغول: "كانوا يقذفون بالنار الإغريقية وشحوم البشر الذين قتلوهم، ويلقون هذا السائل نفسه على المنازل، ومتى

---

(١) Leo VI, *Tactica*, col. 1008, § 51.

(٢) Haldon & Byrne, *A Possible Solution*, 96, n. 15.

(٣) V. Christides, "Naval History and Technology in Medieval Times, the Need for Interdisciplinary Studies," *Byz* 58(1988), 321.

(٤) Davidson, *The Secret Weapon*, 61.

(٥) Toynbee, *Constantine Porphyrogenitus*, 327, 330.

(٦) *The Russian Primary Chronicle*, Laurantian text, Eng. trans. S. Ross and O. Sherbawitz – Wetzor (Cambridge, Mass. 1953), 72.

(٧) مذكرات جوانفيل، القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام، ص ١١٠؛ محسن محمد، الجيش الأيوبي، ص ٢٩٤.

وقعت النار عليها فإنها تحترق ولا سبيل لإخمادها؛[1] كما أن الصينيين استخدموا أنواعاً مختلفة من السفن، التي كانت تقوم بعضها بزرق النار السائلة، وأنهم استخدموا أيضاً أنواعاً متباينة من النار الإغريقية.[2] كذلك ثبت من خلال بعض روايات الساغا الاسكنديناڤية أن الفيكنج كانت عندهم نظائر للنار الإغريقية، ولكن ليس بنفس التقنية البيزنطية.[3] وأخيراً فإن الروايات المتعلقة بسقوط القسطنطينية عام ١٤٥٣م في أيدي العثمانيين تشير إلى أن النار السائلة كانت لا تزال قيد الاستخدام.[4] إن شاهد العيان الوحيد على استخدام المدافعين عن المدينة النار الإغريقية هو الضابط العثماني طورسون بك.[5] وبالإضافة إلى ذلك يشير نيقولو باربارو إلى أنه كانت هناك سفينة محملة "بالقار، والأغصان المقطعة والبارود" في محاولة من البيزنطيين لإحراق السفن التركية.[6]

على أية حال، يبدو أنه مع غياب شمس العصور الوسطى لم تكن النار الإغريقية سراً، كما أشاع الغرب اللاتيني عنها، بل استخدمتها شعوب العالم الوسيط ، وإن اختلفت درجة تقنيتها من شعب لآخر، فالثابت بالشهادات التاريخية أن البيزنطيين والمسلمين هم الذين تفوقوا في تقنية النار الإغريقية. وهذه التقنية ضمنت التفوق البحري للبيزنطيين في عدد من المعارك البحرية التي خاضوها فعلى سبيل المثال، تمكن الأسطول البيزنطي من تشتيت القوات الروسية المغيرة بحراً عام ٩٤١م، بقيادة البطريق ثيوفانيس، الذي انقض بسفنه الحارقة على الروس مفككاً صفوفهم وأحرق مراكبهم بالنار الإغريقية، وما تبقى منها لاذ بالفرار؛[7] كما تمكن الأسطول البيزنطي بنيرانه الإغريقية من تشتيت الروس ثانية في حملتهم

---

(١) Lartusis, *Byzantine Army*, 340.

(٢) V. Christides, "How Chinese Naval Technology Passed to the Mediterranean Via the Arabs: Once Again the Single Rudder", *Τροπις*, 5(1999), 96.
انظر أيضاً شكل رقم (٦)

(٣) عن هذا الموضوع انظر ، Davidson, *The Secret Weapon*, pp. 72-73; Haldon & Byrne, *A Possible Solution*, 93, n. 8.

(٤) Davidson, *The Secret Weapon*, 65-66.

(٥) Lartusis, *Byzantine Army*, 341.

(٦) نيقولو باربارو، الفتح العثماني للقسطنطينية، ترجمة وتعليق حاتم الطحاوى (القاهرة ٢٠٠٢)، ص ١٣٨.

(٧) *Cedrenus*, 316-317; S. Rumciman, *Romanus Lecapenus and his Reign* (Cambridge 1963), 112-113.

عن تفاصيل هذا الهجوم وما نجم عنه انظر، *R.P.C*, 72; *Symeon Magister ac Logothetae Chronographia*, ed. I. Bekker, *CSHB* (Bonn 1838), 746-747; *The Works of Liudprand*

عام ١٠٤٣م على القسطنطينية، حيث أمطرهم بوابل من الأحجار، وقذف سفنهم بالنار الإغريقية، مما أدى إلى هزيمتهم في نهاية المطاف.[1] أما آخر الأمثلة التي نضربها فقد سبق الإشارة إليه، وهو الدور الفعال للأسطول البيزنطي في مواجهة البيازنة عام ١١٠٣م، وهزيمته لهم بفضل استخدام النار الإغريقية، زمن الإمبراطور الكسيوس كومنينوس.[2]

وبالرغم من هذا، يتبقى القول أن البيزنطيين، باستثناء النار الإغريقية، التي لم تعد تناسب تكنولوجيا النيران في العصور الوسطى المتأخرة، فشلوا في استخدام الأسلحة النارية الأخرى كالمدفعية والبارود؛ وهذا مرده بالدرجة الأولى إلى العوامل الاقتصادية إلى حد كبير. فقد كان على المرء إما أن يشترى سلاحه الناري أو يصنعه بنفسه؛ والحالة الأخيرة بالطبع كانت تحتاج إلى المواد الأساسية وإلى المعرفة التقنية اللازمة لذلك، وكل من الأمرين كان يحتاج إلى المال، بينما كانت بيزنطة بمستهل القرن الخامس عشر الميلادي، أو على أدنى تقدير منذ أواسط القرن الرابع عشر، تعيش في فقر مدقع؛ بينما كان جيرانها على النقيض، لاسيما الصرب، والبوسنة، والبنادقة، والمدن الأدرياتية، حيث أقبلوا على تطوير هذه التكنولوجيا منذ تاريخ باكر، وصارت المدفعية سلاحاً لهم.[3]

وفي الختام يمكن القول أن ظهور الأسلحة النارية التي تعمل بالبارود، كالبنادق والمدفعية، أدى إلى نسيان النار السائلة أو الإغريقية؛ وبدأت تحاك حولها الأساطير بعد أن

---

*of Cremona*, 185-186; H. Grégoire et P. Orgeles, "La guerre russo-byzantine de 941," *Byz* 24(1955), 155-156; H. Ahrweiler, *Byzance et l mer* (Paris 1966), 106 ; Davidson, *The Secret Weapon*, 62-63.;

يحيى بن سعيد الأنطاكي، تاريخ يحيى الأنطاكي، نشرة أ. فازيليف و.ج كراتشكوفسكي، *PO*، ١٨ (١٩٢٤)، ص ٧٢٧؛ طارق منصور، الروس والمجتمع الدولي ٩٤٥-١٠٥٤م (القاهرة ٢٠٠١)، ص ٨-٩.

(١) انظر، M. Attaleiates, *Historia*, ed. I. Bekker, *CSHB* (Bonn 1853), 20-21; M. Psellus, *Chronographia*, Eng. trans. E. R. Sewter (Penguin books 1966), 201-202; *Cedrenus*, I, 553. Cf. also J. Shepard, "Why did the Russians attack Byzantium in 1043?," *BNJbb* 22(1979), 147-212; A. Poppe, "La derniere expédition russe contre Constantinople," *BSL* 32(1971), 1-29, 233-268.

ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ٨، ص ٢٦٥؛ ابن العبري، تاريخ الزمان، ترجمة اسحق رميلة، (بيروت ١٩٩١)، ص ٩٤؛ العظيمى، تاريخ العظيمى، نشرة على سويم (أنقرة ١٩٨٨)، ص ١٤؛ طارق منصور، الروس والمجتمع الدولي، ص ١٢٧ - ١٣٦.

(٢) Anna Comnena, *Alexiad*, 360-361; Davidson, *The Secret Weapon*, 64.

(٣) Lartusis, *Byzantine Army*, 341.

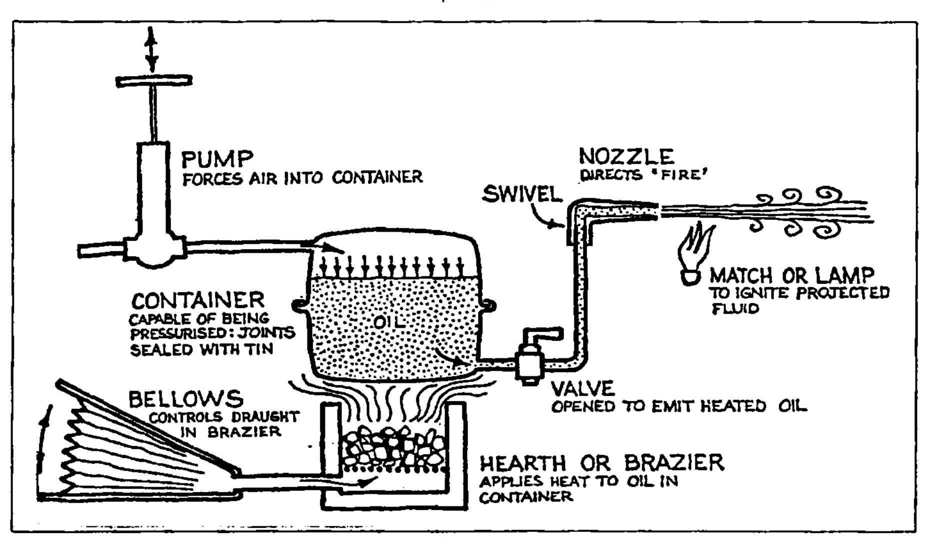
ظهرت الحاجة في العصور الحديثة لمعرفة قوة أكثر تدميراً من قوة البارود؛ حين ذاك بدأ العلماء يُقَلِبُون بين ثنايا النصوص التاريخية علهم يجدون ضالتهم.[١]

---

(١) Zenghelis, *Le feu grégeois*, 266.

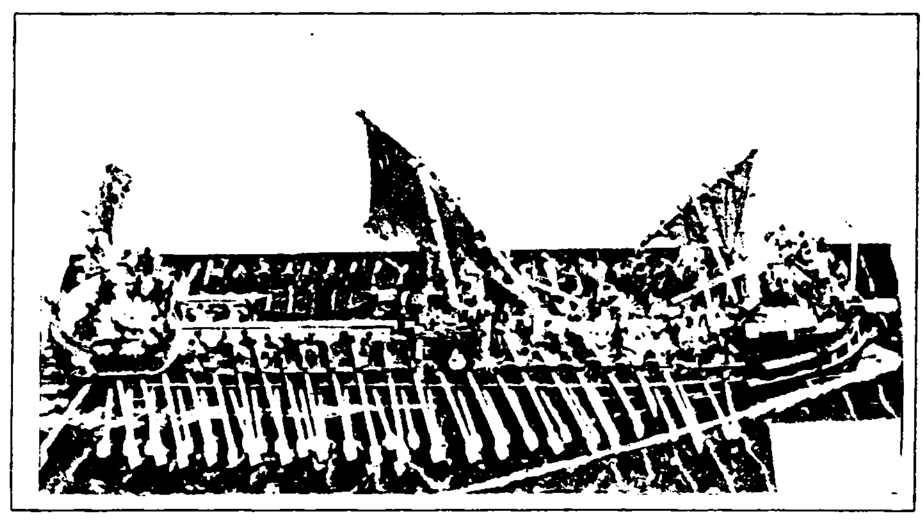
# الأشـــكال

شكل رقم (١)




جهاز قذف النار الإغريقية من على متن السفن البيزنطية طبقا لافتراض جون هالدون ومايكل بيرن.انظر، Haldon and Byrne, *A Possible Solution*, 95.

شكل رقم (٢)



نموذج درمونة بيزنطية. نقلا عن:

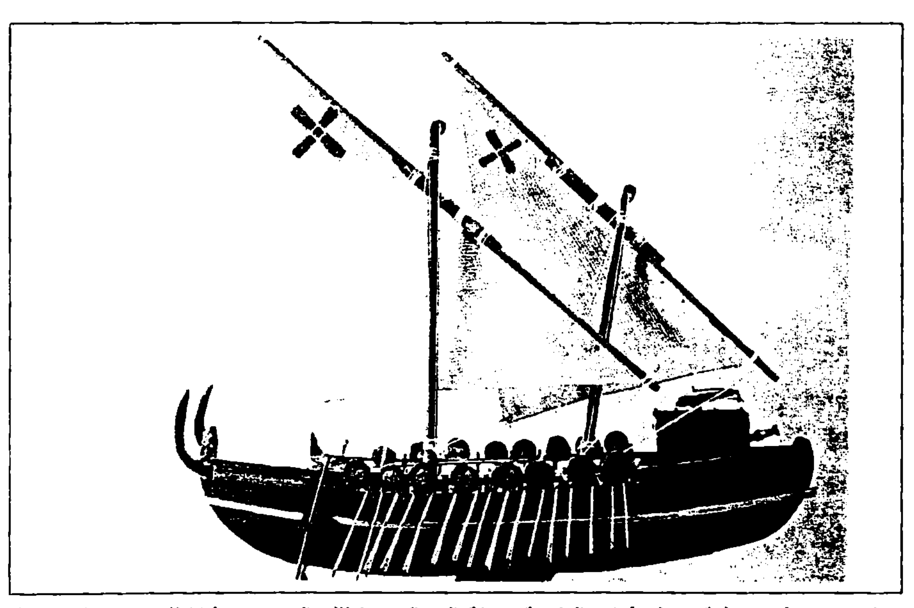
Christides, *Two Parallel Naval Guides*, 69, fig. 9.

شكل رقم (٣)



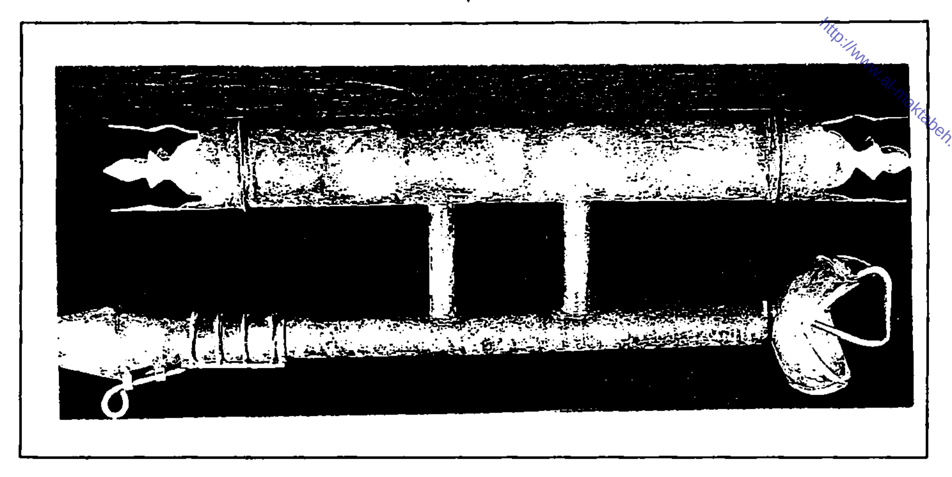
مركب بيزنطية تهاجم مركبا إسلاميا بالنار الإغريقية، ويظهر في اللوحة الرامي والسيفون بيده. نقلا عن مخطوطة سكيلتزس، ق ١٢م، مكتبة الاسكوريال بمدريد. انظر،
M. Kaplan, *Tout l'or de Byzance* (Paris 1991), 20.

شكل رقم (٤)



نموذج درمونة بيزنطية ويلاحظ في المقدمة غرفة الزراقين وكذلك السيفون، طبقا للمصادر البيزنطية والعربية. نقلا عن V. Christides, " Arab-Byzantine Struggle in the Sea: Naval Tactics (7th – 11th ): Theory and Practice", in *Aspects of Arab Seafaring*, ed. V. Christide and Y. Yousef (Athens 2002), pl. 8a.

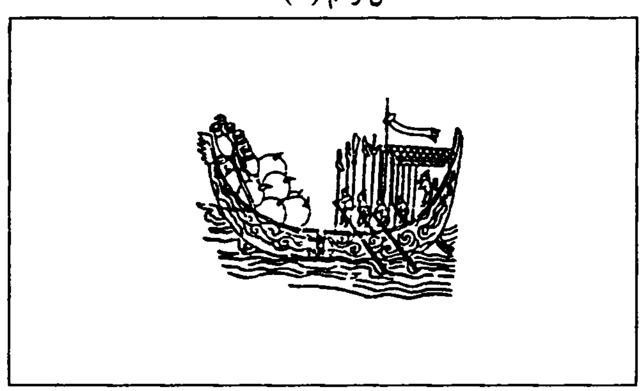
شكل رقم (٥)



نموذج للزراقة اليدوية التي تزرق بالنار الإغريقية طبقا للمصادر الإسلامية. نقلا عن:

V.Christides, " Arab-Byzantine Struggle in the Sea: Naval Tactics (7th – 11th ): Theory and Practice", in *Aspects of Arab Seafaring*, ed. V. Christides and Y. Yousef, (Athens 2002), 102, 297, pl. 9b.

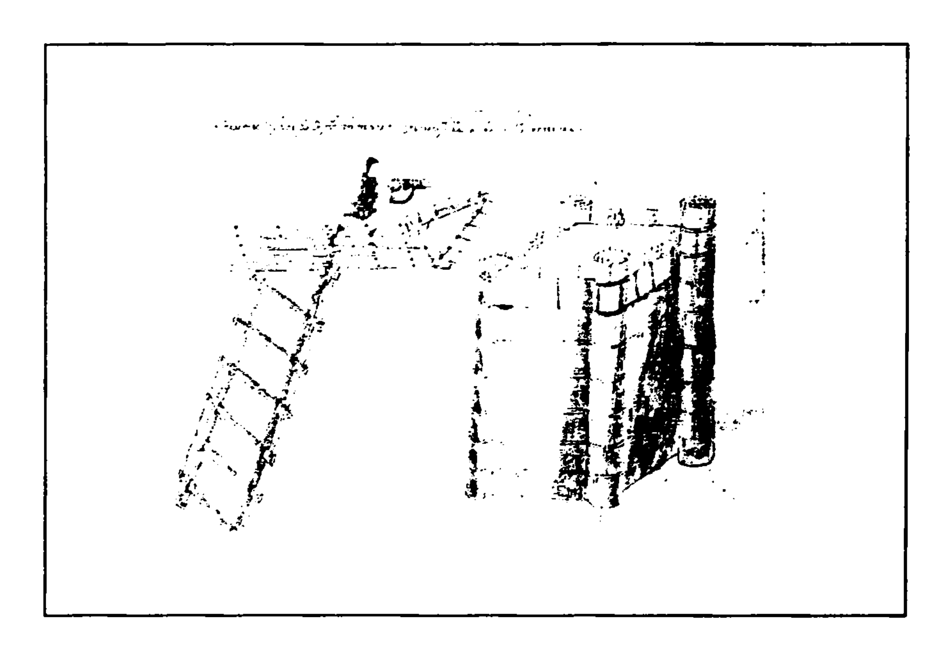
شكل رقم (٦)



سفينة حربية صينية من القرن ١٤م محملة بقوارير النار الإغريقية أو النفط. نقلا عن:

V. Christides, "Naval History and Naval Technology in the Medieval Times, the Need for Interdisciplinary Studies, *Byz* 58(1988), 328, fig. 13.

## شكل رقم (٧)



لوحة بيزنطية تمثل مقاتلا ممسكا بالآلة البيزنطية المسماة الخيروسيفونا. نقلا عن:
M. Kaplan, *Tout l'or de Byzance* (Paris 1991), 45.

# الفصل السادس

# معاهدتا ٩٠٧ و ٩١١ م بين البيزنطيين والروس: إثنتان أم واحدة؟ *

يخبرنا الراهب الروسي نسطور[١] أنه في عام ٩٠٧م/٦٤١٥م الخليقة هاجم الأمير الروسي أولج Oleg [٢] اليونانيين (أي البيزنطيين)، بعد أن ترك إيجور[٣] في كييف Kiev.[٤] وقد أخذ معه جيشاً مكوناً من الفارانجيين Varangians [٥] والسلاف والتشود

---

* ألقي هذا البحث في الموسم الثقافى لسمنار التاريخ الإسلامى والوسيط، كلية الأداب، جامعة عين شمس، في شهر أبريل من عام ٢٠٠٠م . أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى أ.د. رأفت عبد الحميد و أ.د. علية الجنزوري و أ.د. ليلى عبد الجواد -رحمهم الله جميعا- لتفضلهما بمراجعة هذا البحث وتنقيحه وإبداء ملاحظات قيمة عليه.

(١) ولد نسطور نحو عام ١٠٥٠م وتوفي في مستهل القرن الثاني عشر الميلادي. وكان راهباً في دير الكهوف Caves في مدينة كييف منذ بداية الربع الأخير من القرن الحادي عشر تقريباً وحتى مستهل القرن الثاني عشر الميلادي. ترك لنا كتباً عديدة منها سيرة القديسين بوريس Boris وجلب Gleb ولدا فلاديمير الأول Vladimir ؛ بالإضافة إلى هذه الحولية التي كانت تعرف باسم "وقائع الأيام الخالية" وقد رسم نسطور من خلال كتبه صورة أدبية عن المواطنين الروس الأوائل باستخدامه تقنيات الكتابة البيزنطية التقليدية لسير القديسين. لمزيد من التفاصيل عنه أنظر S.Franklin, & P.Hallingsworth, "Nestor", *ODB*, 2 (1991), 1459; *The Russian Primary Chronicle*, Laurentian text, Eng. trans. S. H. Cross and O. P. -Sherbowitz Wetzor, (Cambridge, Mass. 1953), 6-12;

طارق منصور، الروس والمجتمع الدولي ٩٤٥-١٠٥٤، (رسالة دكتوراه لم تنشر بعد، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٩٩)، ص غ - ب ب .

(٢) أولج Olg، كان أميراً لبلاد الروس من عام ٨٨٢ – ٩١٣م، اصطحب جيشاً واستولى على كييف عنوة في عام ٨٨٢م وقتل دير وأسكولد أميرا كييف آنذاك. انظر،

*R.P.C.*, 60-61.

(٣) ايجور Igor، كان أميراً لبلاد الروس من عام ٩١٣ – ٩٤٥، وكانت حياته مليئة بالحروب العسكرية أشهرها ضد بيزنطة، حيث قاد حملتين عليها في أعوام ٩٤١،٩٤٤م. لمزيد من التفاصيل عنه انظر، *R.P.C.*, 71-79; H. Grégoire, "La légende d' Oleg et l'expédition d' Igor," *BACBelg* 23(1937), 80 – 94.

(٤) كانت كييف تحت السيادة الخزرية إلى أن استولى عليها دير واسكولد من أيدى الخزر.

(٥) الفارانجيون: هم العناصر الاسكندنافية الأولى التي خرجت من شبه جزيرة اسكنديناوة وزحفت بقيادة روريك Rurik شرقاً، وأسسوا مدينة لادوجا Ladoga على بحيرة لادوجا. وقد أطلقت المصادر الإسلامية عليهم اسم الورنك، وهي تعنى عضو في اتحاد التجار، وهى كلمة مشتقة من الكلمة الاسكندنافية فار Var أى العهد أو

Chuds والكريفتشـــيين Krivichians والميـــريين Merians والبـــوليين Polyanians والســـيفيريين Severians والـــدريفليين Derevlians والرادمتشـــيين Radimichians والكروات Croats والدوليبيين Dulebians والتفيرســـيين Tivercians .[1] وبهـــذه القـــوة المحتشدة أبحر أولج بجيادة وسفنه نحو الإمبراطورية البيزنطيـــة، وكـــان مجموعهـــا ألفـــي سفينة.[2]

لقد وصل الأمير الروسي أولج أمام القسطنطينية، التي كانوا يطلقون عليهـــا اســـم تسارجراد Tsar'grad، إلاّ أن البيزنطيين حصنوا الطريق إليها وأوصدوا الأبواب. ونـــزل أولج بقواته على الشاطئ، وأمر قواته أن يحضروا السفن إلى الشاطئ. وأخذ الروس يشنون الحرب حول القسطنطينية، ويعملون السيف في رقاب البيزنطيين ؛ وقاموا بتدمير قصور عدة وأحرقوا الكنائس. وقد ضربوا أعناق بعض الأسرى البيزنطيين، كما قاموا بتشويه الـــبعض الآخر منهم، وأطلقوا السهام على بعضهم وقذفوا بالبعض الآخر إلى البحر ؛ وبهـــذا أنـــزل الروس كوارث جمة بالبيزنطيين. ويشير نسطور إلى تكتيك حربي قام به الروس أثناء القتال حول القسطنطينية، حيث أمر أولج محاربيه بعمل عجلات ألصقوها بالسفن ؛ وعندما واتـــتهم الرياح، فردوا الأشرعة وشقوا طريقهم نحو المدينة. وعندما شاهد البيزنطيون هذا المنظـــر، تملكهم الخوف، وأرسلوا رسلهم إلى أولج، وناشدوه ألا يدمر المدينة وعرضوا عليه دفعهـــم للجزية حسبما يرى ؛ وبهذا، أوقف أولج قواته وقدم البيزنطيون له ولقواته الميرة، والخمر إلاّ أنه رفض قبولها لاعتقاده أنها مخلوطة بالسم. وقد طلب أولج من البيزنطيـــين دفـــع جزيـــة قدرها أثنتا عشرة جريفنا grivny [3] لكل رجل من رجاله، مع ما يوازى جزية أربعين رجلاً عن كل سفينة من سفنه الألفين، حتى يرفع يده عن القسطنطينية ويرحل عنها.

---

العقد، وتشير كلمة الورنك الواردة في المصادر العربية إلى المغامرين النورمان الذين ارتبطوا بعهد أو تضامن. انظر، ليلى عبد الجواد، تاريخ الروس من خلال المصادر العربية (القاهرة ١٩٩٠)، ص٨ .

[1] التشود، الكريفتشيون، الميريون، البوليون، السيفيريون، الدريفليون، الرادمتشيون، الكـــروات، الـــدوليبيون، التفيرسيون، جميعهم قبائل سلافية كانت تعيش في المناطق الواقعة فيما بين الفولجا شرقاً والبحر البلطي غرباً، والبحر الأسود جنوباً. وقد حملت هذه القبائل إما أسماء الزعماء الذين حكموهم أو أسماء المناطق الجغرافية التى عاشوا بها. وقد تمكن الروس من فرض سيطرتهم عليهم، وأخضعوهم لنفوذ أمراء كييف الروس.عنهم انظر، *R.P.C.*, 52-60.

[2] *R.P.C.*, 64.

[3] grivny: يبدو أن هذه الكلمة مشتقة من الألمانية funt والتي تعني جنيهاً، وعلى هذا فالجريفنا، وهى عمله روسية قديمة، تساوى جنيهاً فضياً تقريباً. وقد كان الوزن الرئيسى هو ذلك المسمى الجنية الكوفي (العراقي) –

وانصاع البيزنطيون لهذه الشروط، ومن ثم عقد أولج سلاماً مع الإمبراطورين البيزنطيين ليو والإسكندر، وأرسل خمسة سفراء [1] إلى القسطنطينية لمقابلتهما حتى يتسلموا الجزية. وقد وعد البيزنطيون أولج بأن يوفوا له طلباته، حيث طلب منهم ضرورة دفع اثنتا عشرة جريفنا عن كل مقعد من مقاعد سفنه الألفين للقوات الموجودة عليها، بالإضافة إلى المبالغ التى طلبها للمدن الروسية المختلفة، وهى مرتبة على النحو التالى : أولاً، كييف Kiev ثم تشرينجوف Chernigov، ثم بيرياسلاف 'Pereyslavl، ثم بولوتسك Polotsk ثم روستوف Rostov ثم لوبيتش Lyubech، وبعد ذلك المدن الأخرى ؛ وهي المدن التي يعيش فيها الأمراء التابعين لأولج.[2]

وقد اقترح الروس، على حد ذكر الحولية الروسية الأولى، عدداً من الشروط على البيزنطيين وهي على النحو التالي: " ينبغي أن يتلقى الروس الذين يفدون إلى القسطنطينية كل ما يحتاجونه من القمح. وكل من يأتي من التجار الروس إليها يتلقى مؤنة ستة أشهر من الخبز والخمر واللحم والسمك والفاكهة ؛ ولتكن الحمامات جاهزة لهم مهما كان حجمهم. وعندما يعتزم الروس العودة إلى ديارهم على الإمبراطور البيزنطي أن يزودهم بالطعام، ومراسي السفن، والحبال والأشرعة وكل ما يلزمهم لرحلة العودة ". وقد قبل البيزنطيون هذه الشروط التي اقترحها الروس للإنصراف عن القسطنطينية والعودة إلى بلادهم.[3]

---

(٤٠٨ جرام)، إلاَّ أن وزن الجريفنا كان يتناقص حسب سعر المعدن. وكانت الجريفنا قابلة للقسمة إلى عشرين نوجاتي nogaty، ٢٦ كونى Kuny أو ٥٠ ريزاني Rezany ؛ وتشير هذه الكلمات ذاتها إلى الفراء المتنوع الذى كان مستخدماً كوسائل للتعاملات المالية، فالجريفنا كون grivna kun كانت الفراء المساوي لجريفنا فضية. وأثناء القرن الحادي عشر الميلادى، كانت الكونا kuna مساوية للقيراط البيزنطي ويساوي ما يقرب من ١٧ سنتاً ؛ وكانت الجريفنا الفضية تساوي ما يقرب من ٤.٢٥ دولاراً (بسعر خمسينات القرن ٢٠). انظر، *R.P.C*, 234, n. 25.

جدير بالذكر أن القيراط البيزنطي كان الوحدة التي تنقسم إليها النوميزما البيزنطية (ت٢٤ قيراطاً) ؛ وهو يساوي سدس جرام من الذهب. انظر، P. Pestman, *The New Papyrological Primers* (Leiden 1995), 48.

[1] هؤلاء السفراء هم كارل Karl، وفارْلوف farulf، وفيرموند Vermund، وهرولاف Hrollaf، وستينفث Steinvith. انظر، *R.P.C.*, 46; A. Soloviev, "L'organisation de l' état russe au X^e siècle," dans: *L' Europe aux IX^e - XI^e siècles aux origines des états nationaux* (Varsovie 1968), 250. repr. in: *Byzance et l'information de l'état russe* (London 1979).

[2] *R.P.C.*, 64.

[3] *R.P.C.*, 64-65.

ويبدو أن البيزنطيين لم يريدوا أن يخرجوا من هذه المفاوضات مـــع الـــروس دون فائدة، فمتى استجابوا لشروط الروس، التي يتضح تماماً أن الغرض منها هو حصولهم علـــى المؤنة اللازمة لرحلة عودة تجارهم من القسطنطينية إلى كييف مجاناً طلبوا من الروس مـــا يلي :

"إذا جاء الروس إلى القسطنطينية بلا بضائع، فلن يتلقوا أية مؤنة. وألاّ يقوم الروس القادمون إلى هنا بارتكاب العنف ضد المدن البيزنطية أو في أرجاء بلادنا، وهو الأمر الذي ســـيتولى الأمير الروسي تطبيقه بصورة شخصية على رعاياه الروس. ومتى يصل الروس إلـــى هنـــا سوف يتم تسكينهم في حي سان ماماس St.Mamas [1] وسوف ترسل حكومتنـــا موظفينـــا لتسجيل أسمائهم، وهؤلاء سوف يتلقون مخصصهم بصورة شهرية على النحـــو التـــالي، أولاً مواطنو مدينة كييف ثم مواطنى مدينة تشرينجوف، وبيرياسلاف ثم المدن الأخرى. وهـــؤلاء يدخلوا المدينة عزلاً من خلال بوابة واحدة في مجموعات قوام كل منها خمسون رجلاً فـــي

---

[1] لم يكن حي سان ماماس ضاحية نائية، بل كان على قدر من الأهمية بالنسبة للقسطنطينية فيخبرنا كودينوس، في كتابه عن المنشآت، أنه كان به قصر إمبراطوري ومضمار خـــاص بالأبـــاطرة. *Georgii Codini De Aedificiis*, in: *Opera Omnia*, ed. J. P. Migne, *PG*, tome 157 (Paris 1970), col. 598.
وفى هذا العصر كان يعيش الإمبراطور قسطنطين الخامس في كثير من فترات حكمه . كـــذلك أقامـــت بـــه الإمبراطور ايرين وابنها قسطنطين السادس، عندما وقع زلزال بالقسطنطينية في ٢/٩/٧٩٠م. وفى نفس هـــذا القصر الذي شهد الاحتفال بزواج قسطنطين السادس، شهد أيضاً حادثة حرمانه من البصر. كما أقام به ميخائيل الثالث مراراً، بل إن اغتياله على أيدي باسيل المقدونى Basil I كان في هذا القصر أيضاً . ومما يجدر ذكره أن كروم Crum، خان البلغار، لجتاح حي سان ماماس سنة ٨١٣م، وأضرم النيران في القصر الإمبراطوري، وحطم التماثيل بعد أن حمل معه ما هو ثمين على عربات إلى عاصمته. وبالرغم من هول الكارثة، لم تلبث سان ماماس أن تصبح ثانية مقراً إمبراطورياً، وأصبح بناؤها لا يقل أهمية عن ذى قبل. وكان يوجد بهذا الحي أيضاً سجن البروستيون Prosteion، الذى شهد الكثير من الاعتقالات السياسية، لاسيما إبان الحركة الأيقونية. وكان حي سان ماماس يستقبل الحجاج السلاف عند مرورهم بها، وهم في طريقهم إلى القدس .انظر R. Porgoire, "Saint Mamas le quartier des russes à Constantionple," *EO* 11(1908), 206-209.
انظر أيضاً، طارق منصور، الروس والمجتمع الدولى، ص ١٧-١٨، هـــ ٢٩. وقد كان هذا الحي يقع خارج أسوار القسطنطينية على خليج القرن الذهبي بالقرب من بلدة ايفان سيراي كابى .Eivan – Serai Kapyo؛ ويرتبط بالمدينة عن طريق البوابة المعروفة باسم اكسيلوبورتا Xyloporta، انظر، *R.P.C.*, 236, n. 34.

المرة الواحدة وبصحبة نائباً للإمبراطور.[١] وعليهم مباشرة أعمالهم التجارية حسب احتياجاتهم دون دفع أية ضرائب *.[٢]

هكذا، رأينا أن الروس اقترحوا بعض الشروط التي لا تشكل أية أهمية بالنسبة للبيزنطيين، الذين لن يضيرهم تقديم المؤنة والحبال والأشرعة ومراسي السفن للروس عند عودتهم، وذلك لفض الاشتباك بين الطرفين والانصراف عن مدينة القسطنطينية والعودة إلى بلادهم. إلاّ أن الدبلوماسية البيزنطية لم تكن من السهولة أن تترك هؤلاء البرابرة يعودوا إلى بلادهم دون الاستفادة منهم طالما أنها استجابت لشروطهم. وإذا ما دققنا النظر في مطالب البيزنطيين من الروس سنجد أن البيزنطيين كانوا حريصين كل الحرص على البضائع التي ترد من الشمال عن طريق الروس، الذين لن يقدموا لهم أية مؤنة إذا وفدوا على القسطنطينية بدونها. فقد كان الروس يحملون في تجارتهم الفراء بشتى أنواعه[٣] والشمع، الذي كان يمثل ضرورة ملحة للبيزنطيين لإنارة الكنائس التي كانت تنتشر في أرجاء الإمبراطورية البيزنطية، والعسل والأرقاء، الذين كانوا يستخدمون للخدمة في المنازل والأراضي الزراعية والمصانع البيزنطية .[٤]

وكانت الحكومة البيزنطية حريصة كل الحرص على ألا تحدث اشتباكات بين التجار الروس في القسطنطينية وبين البيزنطيين[٥]، فحددت لهم مكاناً يقع خارج أسوار العاصمة،

---

[١] هذا الموظف الذي كان ينوب عن الإمبراطور في اصطحاب التجار الروس إلى داخل المدينة كان عليه ضمان سلامة سكان العاصمة من هؤلاء الروس، وضمان عدم حصولهم على بضائع بيزنطية أكثر ما هو مقرر لهم، أو حصولهم على بضائع ممنوعة. كما كان عليه إرشادهم إلى القوانين التجارية المعمول بها داخل القسطنطينية حتى لا يقعوا تحت طائلة القانون البيزنطي. وقد كان يطلق عليه اسم ليجاتاريوس λέγαταριος . انظر، ليو السادس، كتاب والى المدينة، ترجمة السيد الباز العريني، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج ١٩، ج١ (١٩٥٧)، ص ١٧٤؛ I. Sorlin, "Les traités de Byzance avec la russie au X^e siècle ," *CMR*, Vol. II–3(1961), 349-350.

[٢] *R.P.C.*, 65.

[٣] كان لدى الروس العديد من أنواع الفراء منها فراء السمور، وفراء السنجاب، والثعالب، والوشق وشتى أنواع الوبر. انظر، طارق منصور، الروس والمجتمع الدولي، ص٢٤٤.

[٤] R Browning, *Bulgaria and Byzantium, a comparative study across the early medieval frontier* (London 1975), 109.

* يمكن أن نطلق على التاجر الروسي أسم "التاجر المقاتل"، لأن التجار الروس كانوا دائماً يسافرون وهم مدججون بالسلاح، بهدف الدفاع عن النفس، كما في حالة مرورهم بإقليم البشناق وهم في طريقهم إلى

نحو الشمال منها، وهو حي سان ماماس؛ كما حظرت عليهم دخولها إلاّ برفقة أحد ضباط الإمبراطور، ومن خلال بوابة واحدة فقط في مجموعات قوام كل منها خمسون رجلاً في المرة الواحدة. أما الامتياز الوحيد الذي منح للتجار الروس آنذاك فهو إعفاؤهم من الضرائب، وهو الأمر الذي يشير إلى وجود نوع من المكوس فرض على التجار الأجانب، نظير اشتغالهم بالتجارة في القسطنطينية. ويخبرنا الجغرافي العربي ابن خردانبة، الذي ولد في عام ٢٠١هـ/ ٨٢٧ م وتوفى عن عمر يناهز الخامسة والثمانين في عام ٩١٢ [1]، أن التجار الروس كانوا يدفعون العشر للإمبراطور البيزنطي، كضريبة عن تجارتهم في الأراضي البيزنطية.[2]

هكذا، تم الاتفاق بين الطرفين، وبالشروط السابقة، على فض الاشتباك وانصراف الروس عن القسطنطينية والعودة إلى ديارهم أو على حد تعبير نسطور تم عقد السلام بين الإمبراطورين ليو والاسكندر وبين أولج. وقد ألزم الطرفان أنفسهم بالقسم على تنفيذ ما اتفق عليه، فقد قبل الإمبراطورين ليو السادس والاسكندر الصليب، ودعوا أولج ورجاله ليؤدوا القسم بالمثل. ولما كان الروس حتى ذلك الوقت وثنيين[3]، فطبقاً لعقيدتهم أقسموا بأسلحتهم وبإلههم بيرون Perun، وفولوس Volos، رب الأنعام، على أن يحفظوا السلام مع البيزنطيين. وعلى هذا، فقد رفع الروس حصارهم لمدينة القسطنطينية وولوا ظهورهم، بعد

---

القسطنطينية. انظر، Constantine Porphyrogenitus, *De Administrando Imperio*, ed. G. Moravcsik, Eng. trans. R. J. H. Jenkins (Budapest 1949), 56-63.

وكان من المحتمل أن يتحول هذا التاجر في لحظة إلى مقاتل شرس ضارباً بالتجارة عرض الحائط إذا ما تعرض لمضايقات من البيزنطيين. انظر، طارق منصور، الروس والمجتمع الدولي، ص ٢٦-٢٧.

[1] Soloviev, *L'état russe*, 260.

[2] ابن خردانبة، المسالك والممالك (القاهرة د.ت)، ص ١٥٤. من المحتمل أن هذا الإعفاء كان بدافع من البيزنطيين لرغبتهم الشديدة في الاستحواذ على نشاط الروس التجارى. وقد كان الروس يدفعون ضريبة العشور هذه للبيزنطيين في خرسون. انظر، S. Franklin and J. Shepard, *The Emergence of Rus 750-1200* (London, New York 1996), 108.

[3] تعتبر المصادر العربية هي الوحيدة التى أشارت إلى ديانة الروس قبل اعتناقهم المسيحية في عام ٩٨٧م، فقد فصل الوزير العباسى ابن فضلان الحديث عن مراسم الروس الدينية وكيفية تقربهم إلى الآلهة. عن هذا انظر، ابن فضلان، رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والروس والصقالبة، تحقيق سامي الدهان (دمشق ١٩٧٨)، ص ١٧٨-٨٠ . انظر أيضاً، ليلى عبد الجواد، تاريخ الروس، ص ٥٢-٥٤.

أن علقوا دروعهم على أبوابها دليلاً على النصر.[١]

وفي عام ٩١١م أرسل الأمير الروسي أولج أتباعه إلى القسطنطينية لإقامة سلام مع البيزنطيين وعقد معاهدة بينهم وبين الروس. لكن قبل أن نتحول إلى الحديث عن هذه المعاهدة وذكر تفاصيلها ينبغي أن نقف قليلاً عند الهجوم السابق الذي قام به الروس في عـــام ٩٠٧م، تحت قيادة أميرهم أولج، على القسطنطينية وأن نضعه في محكمة التاريخ.

لقد انفرد الراهب الروسي نسطور بذكر تفاصيل هذه الحملة، وأشار صراحة إلـــى انصياع البيزنطيين للجزية، التي قدموها للروس حتى يكفوا عن عدوانهم علـــى الأراضـــي البيزنطية، وحتى يرفعوا الحصار عن القسطنطينية، وهذا الأمر جعل العديد من المـــؤرخين المحدثين ينكرون وقوع مثل هذه الحملة على القسطنطينية، مستندين فـــي ذلـــك إلـــى أن المصادر البيزنطية لم تنبذ ببنـــت شفـــة عنـــها ؛ ومن ثم ليـــس هنـــاك مـــن النصـــــوص التاريخيـــة غير الروســـية ما يعضـــد روايـــة نسطـــور فـــي الحوليـــة الروسية الأولى. ويأتـــى علـــى رأس هؤلاء المـــــؤرخين المـــؤرخ البلجيـــكى الأشهـــر هنـــرى جريجـــوار H. Grégoire [٢]، والمؤرخ الإنجليـــزى ســـتفن رنســـمان S. Runciman[٣] والمؤرخة الفرنسية جيرمين داكوستا لوييه G. da Costa-Louillet[٤]، والمؤرخ ر. دوللي R. Dolly[٥] وعلى الرغم من هذه المعارضة الشديدة من قبل المؤرخين السابقين لمثل هـــذه الحملة إلاً أنه يكاد يجمع غالبية المؤرخين المحدثين على وقوعها. وعلى حد تعبير فازيلييف A. Vasiliev فإن الغالبية العظمى من المؤرخين الروس يجمعون على أن هذه الحملة حقيقة تاريخيـــة لا مراء فيهـــا[٦] ؛ ومن هؤلاء المؤرخين كارامزين Karamsin [٧] وفيرنادســـكي Vernadsky[١]، كما أيد الكثير من المؤرخين الأوروبيين الغربيين هـــــذه الحملـــة ومـــنهم

---

١ *R.P.C.*, 65.

٢ H. Grégoire, "La légende d' Oleg et l' expédition d' Igor," *BACBelg* 23(1937), 80-94; idem., "Miscllanea epica etymologica, I. la légende d' Oleg," *Byz* 11(1936), 601-607.

٣ S. Runciman, *The Emperor Romanus Lecapenus and his Reign* (Cambridge 1963), 110.

٤ G. Da Costa-Louillet, "Y eut – il des invasions russes dans l'empire byzantin avant 860?," *Byz* 15(1940-1941), 231-248 .

٥ R. Dolly, "Oleg's Mythical Campaign against Constantinople," *BLSMPARS* 40(1949), 106-130.

٦ A.Vasiliev, "The Second Russian Attack on Constantinopl," *DOP* 6(1951), 195.

٧ انظر، M. Karamsin, *Histoire de l'empire de russie*, trad. fran. S. Thomas et Jauffet, (Paris 1819), tome 1.

المـــؤرخ جورج لوكليرك Le Clerec [٢]، و أ. كورت A.Court[٣]، و ن. شـــادويك N. Chadwick[٤] والمؤرخ الفرنسي لوى بريبه L. Bréhier[٥] وتعتبر الدراستان اللتان قامـــا بهما المؤرخ جورج اوستروجورسكى G.. Ostrogorsky[٦] والمؤرخ روميلي جنكيـــز R. Jenkins[٧] غاية في الأهمية للرد على من ينكرون حملة الروس فـــي عـــام ٩٠٧م علـــى القسطنطينية.

ويبطل المؤرخ اوستروجورسكى نظرية من سبقوه بعدم تاريخية الأمير أولج، ويقـــر بأنه شخصية حقيقية فهو الذي ذكر في معاهدة ٩١١م، التي ابرمت بين البيزنطيين والروس[٨] ويعتمد اوستروجورسكى بصورة رئيسية على فقرة واردة في حوليـــة ســـيميون الماجســـتير واللغثيط، والتي يصف فيها الروس، فـــي عهـــد ليـــو الســـادس، علـــى أنهـــم دروميتـــاى Δρομῖται.[٩] ونظراً لأهمية هذه الفقرة الواردة عنـــد ســـيميون الماجســـتير واللغثـــيط،

---

١ G. Vernadsky, *Kieven Russia* (New Haven 1948), 26-27.

٢ Le Clerc, *Histoire physique, morale, civile et politique de la russie ancienne* (Paris 1783), 102-116.

٣ انظر، A. Court, "La russie à Constantinople," *RQH* 19(1876), 3, 84-90

٤ N. Chadwick, *The Beginnings of the Russian History* (Cambridge1966), 25.

٥ L. Bréhier, *Vie et mort de Byzance* (Paris 1947), 150-151.

٦ G. Ostrogorsky, "L'expédition du prince Oleg contre Constantinople en 907," *AIK* 11(1940), 47 – 62.

٧ R. Jenkins, "The Supposed Russian Attack on Constantinople in 907," *Speculum* 24(1949), 403-406.

٨ Ostrogorsky, *Prince Oleg*, 48.

٩ *Symeon Magister ac Loghethetae Chronographia*, ed. I. Bekker, in: Theophanes Cont., *CSHB* (Bonn 1838), 707.
"Ρῶς δέ,οἱ καὶ Δρομῖται, φερώνυμοι ἀπὸ Ρῶς τινος σφοδροῦ δια δραμόντες ἀπηχήματα τῶν χρεσαμένων ἐξ ὑποθηκής ἢ θεοκλυτίαςτινὸς καὶ ὑπερσχόντων αὐτούς, ἐπικέκληηται. Δρομῖται δὲ ἀπὸ τοῦ ὀξέως τρέχειν αὐτοῖς προσεγέντο. ἐκ γενους δὲ τῶν Φράγγων καθίστανται".
لعل تسمية دروميتاى اليونانية التي أطلقت على الروس كانت مشتقة من المراكب التي كانت تستخدم آنذاك والتي تسمى درومونه، وتعني العداءه، لسرعتها الكبيرة في الإبحار. انظر، درويش النخيلي، السفن الإسلامية علـــى حروف المعجم (الإسكندرية ١٩٧٤ )، ص ٤٦-٤٨ ؛ رنسمان، س.، الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد (القاهرة ١٩٦١)، ص ١٨٠ إلاّ أن جنكينز يذكر أنهم سموا بهذا الاسم لأنهم يســـتطيعون العـــدو سريعاً. انظر، Jenkins, *Russian Attack*, 405.
وهذه التسمية مشتقة من الكلمة اليونانية ὁ δρόμος وتعنى سباق أو عداء، أية حركة سريعة . انظـــر، H. Liddell, and R. Scott, *Greek – English Lexicon* (Oxford 1961), 405

والمتعلقة بالروس، فقد عكف العديد من العلماء المحدثين على دراستها، لأنها الأثر الوحيد الذي يشير إلى الروس في عهد الإمبراطور ليو السادس[1]؛على الرغم من أنها لا تتحدث عن حملة أولج على القسطنطينية في عام ٩٠٧م.

كما يؤكد أوستروجورسكى على أنه لا غضاضة من أن ترد رواية في مصدر غير بيزنطي، كالحولية الروسية في حالتنا هذه، تتحدث عن حدث يتعلق بالإمبراطورية البيزنطية ذاتها، وفى نفس الوقت لا يوجد ذكر له في المصادر البيزنطية. فكم من الأحداث التي وقعت في الإمبراطورية البيزنطية عرفها المؤرخون من خلال مصادر غير بيزنطية، سواء كانت لاتينية أو إسلامية أو فارسية أو غير ذلك. وليس أدل على ذلك من أن الهجوم البيزنطي الذي وقع على مدينة دمياط في عام ٨٥٣م [2] لم يرد له ذكر في المصادر البيزنطية، ولم نعرفه إلاّ من خلال المصادر الإسلامية .[3]

هنا تجدر الإشارة إلى نقطة هامة في هذا الشأن وهى صيغ بعض الفقرات التي وردت في الحولية، وبالتحديد في سياق ديباجة معاهدة ٩١١م بين البيزنطيين والروس، والتى تؤكد نشوب قتال من قبل بين الطرفين قبل توقيع هذه المعاهدة. فيقول المؤلف أن الأمير أولج أرسل رسله لعقد سلام وتوقيع معاهدة مع البيزنطيين.[4] وفي موضع آخر من الحولية نقرأ هذه العبارة " في البداية فإننا سنتوصل إلى عقد سلام مع البيزنطيين، وسيحب كل منا الآخر بكل قلبنا وإرادتنا، وبكل ما نملك من طاقة سنمنع رعايا أمرائنا (الروس) من ارتكاب أية جريمة

---

جدير بالذكر أن البيزنطيين أطلقوا على الروس عدة مسميات أخرى منها التاوروسكيذيون ταυροσκύθοι والروس Ρῶς. انظر، *Leonis Diaconi Caloensis Historiae Libri Decem et liber de vilitatione Bellica Nicephori Augusti*, ed. C. B. Hase, *CSHB* (Bonn 1828), 63 ff.
ولمزيد من التفاصيل حول اصل المسميات التى أطلقت على الروس، انظر، Soloviev, *L'état russe*, 257-266; Sorlin, *les traités*, 316 ; Ahrweiler, H. ."Les relations entre les russes et les byzantines dans IX^e siècle," *Bulletin d'information et de coordination de l'Association international des études byzantines*, 5(1971), 44-46.

[1] عن ترجمات المؤرخين القدماء والمحدثين لهذه الفقرة انظر، Vasiliev, *Russian Attack*, 187-189.

[2] عن تفاصيل هذا الهجوم انظر، عليه عبد السميع الجنزورى، هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية في العصور الوسطى (القاهرة ١٩٨٥)، ص ٥٤-٦٢.

[3] Ostrogorsky, *Prince Oleg*, 51-52.

[4] *R.P.C.*, 65.

أو عمل شرير (ضد البيزنطيين)".[١]

هكذا، يشير كاتب الحولية الروسية الأولى إلى أن معاهدة ٩١١م كان يسبقها محادثات بين الطرفين واتفاقيات تمهيدية، وهى بطبيعة الحال ما تم عقب حصار الروس للقسطنطينية في عام ٩٠٧م بقيادة الأمير الروسي أولج ؛ وهذا التوافق والترتيب الزمني سجله نسطور بصورة تامة وبدقة في التعبيرات السابقة.[٢] وعلينا أن نضيف نقطة أخيرة حول طبيعة مؤرخي الدولة البيزنطية في العصور الوسطى، فقد جبل هؤلاء المؤرخون على تسجيل الانتصارات التي تحرزها الدولة البيزنطية على جيرانها من الأعداء ؛ فإذا ما وقعوا في غرام أحد الأباطرة جعلوا منه قديساً محارباً، يضاهى سان ديمتريوس في دفاعه عن تسالونيك ؛ وإذا كانوا لأحد من الأباطرة تباروا في تسجيل النكبات التي تحل بالإمبراطورية في عهده، لإظهار غضب الرب عليه وأنه السبب فيما يحل بهم من كوارث ونكبات.[٣] لكن على الرغم مما يذكره أوستروجورسكى من أدلة وافتراضات تاريخية، أو بالرغم مما يسوقه الباحث، تأتى دراسة العالم الإنجليزي جنكيز لتؤكد وجهة نظر اوستروجورسكى حول حقيقة وقوع حملة ٩٠٧م على القسطنطينية.

لقد استخدم جنكينز بعض الروايات الواردة في حولية سيمون الماجستير والتي ترتبط بهجوم ليو الطرابلسى Leo of Tripoli على تسالونيك في عام ٩٠٤م، وقارنها بقائمة جغرافية لبعض البقاع الواردة في نفس المصنف أيضاً ؛ وتمكن من أن يخرج بخط سير حقيقي لحملة جاءت من الشمال نحو القسطنطينية في عام ٩٠٧م، أي حملة الأمير الروسي أولج. وكان وصفه لخط سير هذه الحملة، بعد مقارنة الأماكن الجغرافية الواردة عند سيميون الماجستير، على النحو التالي : "جاء الروس أو الدروميتاي بقيادة رؤسائهم الممنوحين الحكمة

---

١ *R.P.C.*, 66.

٢ Ostrogorsky, *Prince Oleg*, 54.

٣ من أوضح الأمثلة على ذلك موقف كل من ثيوفانيس Theophanes والبطريرك نقفور Nicephoros من الإمبراطور ليو الثالث الايسورى Leo III وابنه قسطنطين الخامس Constantine V عند تأريخهم لفترة الصراع اللأيقوني الذي بدأه الإمبراطور ليو الثالث. انظر، Theophanes, *Chronicle*, Eng. trans. H. Turtlledove (New Jersey 1982), 85-155.

تعتبر الترجمة التى قام بها المؤرخ الإنجليزي C. Mango لحولية ثيوفانيس من أفضل ترجمات هذا المصدر الهام. انظر، *The Chronicle of Theophanes Confessor*, Eng. trans. C. Mango and R. Scott. (Oxford 1997), 542-619; Nicephoros, Patriarch of Constantinople, *Short History*, Eng. trans. C. Mango, *CFHB*, Vol. 13(Washington D.C. 1990), 125-163.

أو الوحي الإلهي، بحراً ؛ وداروا حول رأس هيموس Cape Haemus، وعبـروا الحـدود الإمبراطورية إلى مسيمبريا. وجاءت قوة عبر بلغاريا أو نزلت إلى الشاطئ عند مسيمبريا أو ميديا Midia. واندفعت هذه القوة عبر تراقيا حتى وصلت إلى بحر مرمره عنـد سـيلبيريا Selybria.وهناك دارت السفن إلى داخل الاستنون Stenon عند فـاروس Pharos حيـث هزمت الأسطول البيزنطي في هيرون Hieron، وأحرزت موطئ قدم لها على ساحل بثينيا، قرب جبل تريكفالوس Trikephalos، والواقع في ثيم الأوبسيق غرب آسيا الصغرى. وقـد هوجمت القسطنطينية بحراً وبراً من ميديا إلى سيليبريا. وكان يقود الأسطول البيزنطي المدافع آنذاك يوحنا رادينوس John Rhadenos " .[١]

على هذا النحو، يمكننا القول أن حملة ٩٠٧م، التى قام بها الروس تحت قيادة أميرهم أولج على القسطنطينية كانت حقيقة لا مراء فيها، وليس هناك ثمة ما يدعو لإنكارها أو إثبات عدم وقوعها. والآن على الباحث أن يمضي سريعاً نحو المعاهدة التى تم التوقيع عليها في عام ٩١١م بين البيزنطيين والروس، لنستكمل ما بدأناه في الحديث عنها قبل أن نتحول لمناقشـة تاريخية حملة ٩٠٧م. وقد يكون من الملاءم أن نذكر بنود هذه المعاهـدة كاملـة ثـم نقـوم بمناقشتها وتحليلها ومقارنتها بما تم الاتفاق عليه في عام ٩٠٧م بين الطـرفين، كمـا سـبق وذكرنا. وذلك نظراً لأن هذه هى المرة الأولى التي يصل إلينا فيها بروتوكول كامل لمعاهدة بيزنطية – أجنبية.

## " نص معاهدة ٩١١م بين البيزنطيين والروس "

" هذه هي نسخة من المعاهدة التي تم التوصل إليها في ظل حكم الإمبراطورين ليـو والاسكندر. نحن أبناء أمة الروس: كارل Karl، وانجيالـد Ingjald ، وفـارولف Farulf، وفيرموند Vermund ، وهرولاف Hrollaf، وجنّار Gunnar، وهارولد Harold، وكارني Karni، وفريثليـف Frethleif، وحـروأر Hroarr، وانجـانتير Angantyr، وثروأنـد Throand، وليثولف Leithulf، وفاست Fast، وستينفيث Steinvith، أرسلنا أولج، أميـر الروس العظيم، وكل الأمراء العظام الأجلاء والنبلاء العظام boyars الخاضـعين لسـلطانه

---

١ Jenkins, *Russian Attack*, 405.

انظر أيضاً، علية عبد السميع الجنزورى، العلاقات الروسية البيزنطية في عهد الأسـرة المقدونيـة (القـاهرة ١٩٨٩)، ص ٦٣-٦٤.

إليكم، أنتم ليو والإسكندر وقسطنطين أباطرة البيزنطيين، الحكام العظام بأمر الله، لمد أواصر الصداقة والحفاظ عليها التي تربط البيزنطيين والروس، بناءً علـــى إرادة أمرائنـــا العظـــام وبأمرهم، ونيابة عن كل أولئك الروس الذين يخضعون لأميرنا ".

" إن الصفاء الذي يسود بيننا من إقامة أواصر الصداقة والحفـــاظ عليهـــا بعـــون الله والقائمة بالفعل الآن بين المسيحيين(أي البيزنطيين)# والروس، قد يكون مناسباً أن ننشر ونؤكد هذه الصداقة ليس فقط بالكلمات بل أيضاً بكتابتها وفي ظل قسم غليظ علـــى أســـلحتنا طبقـــاً لعقيدتنا وشرعنا. وقد وافقنا على نحو بين باسم الصداقة والسلام الإلهي على ما أسفر عنه هذا الاجتماع من مواد على النحو التالي :

" بداية نظراً لأننا سوف نعقد سلاماً مع (مواطنيكم) البيزنطيين وسيحب كل منا الآخر بكل قلبه وإرادته، نمنع بكل ما نملك من طاقة أياً من رعايا أميرنا المبجل من ارتكاب أية جريمـــة أو عمل شرير. وبلا ريب سوف نلزم أنفسنا بقدر المستطاع أن نبقى من الآن فصاعداً وإلى الأبد على الصداقة الثابتة السرمدية التى أعلنت باتفاقنا مع (مواطنيكم) البيزنطيين وتم التصـــديق عليها بالتوقيع والقسم. وبإمكان (مواطنيكم) البيزنطيين أن يحافظوا من الآن فصاعداً وللأبـــد علي نفس هذه الصداقة الثابتة السرمدية نحو أمير الروس المبجل ونحو كل رعايـــا أميرنـــا المبجل.

" وفيما يخص الشروط المتعلقة بما ينجم عنه خسائر فإننا نقر التدبيرات التالية:

**البند الأول :** " إذا وجدت أدلة دامغة على وقوع ضرر فسيكون هناك إقرار حقيـــقي بمثل هذه الأدلة. لكن لو أن هذا الإقرار متعارض، فإن الحزب المعارض سوف يـــؤدي قسماً على حقيقة هذا، وبعدما يأخذ القسم طبقاً لشريعته، سوف تفرض عقوبـــة بالنسبة للإثم المرتكب الظاهر.

**البند الثاني :** " مهما يكن إذا قتل روسي مسيحياً، أو قتل مسيحي روسياً، فإنه ســـوف يلقـــى الموت جزاء ما اقترف من جريمة. وإذا هرب رجل عقب ارتكاب جريمتـــه، فإن أقرب أقارب الضحية في هذه الحالة سوف يتلقى تعويضـــاً قانونيـــاً مـــن ممتلكات المتهم، في الوقت الذي ستتلقى فيه زوجة القتيل مبلغاً مماثلاً، وهـــو حقها القانوني. وفي حالة ما إذا كان المدعى عليه فقيراً وهرب، فإنـــه ســـيتم الحجز على ما يملك حتى يعود، ويتم العفو عنه.

---

# تجدر الإشارة إلى أن العبارات الواردة بين الأقواس في سياق المعاهدة من وضع الباحث لتقويم النص.

**البند الثالث :** " إذا ضرب أي رجل آخر بسيف أو اعتدى عليه بأي نوع من السلاح، فإنه طبقاً للقانون الروسي، سوف يدفع خمسة جنيهات من الفضة لكل ضربة أو اعتداء. وإذا ما كان المدعى عليه فقيراً، فانه سوف يدفع مقدار ما يستطيع، وسيجرد من كل ما يرتديه من ملابس أيضاً، وسيقر بالقسم أيضاً بأنه ليس له أحد يمده بالعون ولن تستمر هذه الحالة بعد ذلك ضده.

**البند الرابع :** " إذا ما سرق روسي مسيحياً أو العكس وألقى القبض على السارق متلبساً بواسطة المجني عليه، وقتل أثناء مقاومته القبض عليه، لن تفرض عقوبة على موته لا بواسطة البيزنطيين ولا بواسطة الروس. وسوف يسترد المجني عليه ما سرق منه. وإذا استسلم السارق فإنه سيؤخذ ويوثق بواسطة المجني عليه، وسيعود المتهم بعد ذلك بعد أن يتحمل تعويضاً في نفس الوقت قدره ثلاثة أضعاف ما سرق جزاء جرأته على فعل ذلك.

**البند الخامس :** " إذا ما ارتكب أي شخص، سواء كان يونانياً أم روسياً، عنفاً ضد الآخر أو تعامل معه بتعسف واستولى على بعض ما يملكه بالقوة، فإنه سوف يدفع ثلاثة أضعاف قيمته .

**البند السادس :** " إذا جنحت سفينة بفعل الأمواج العاتية على شاطىء أجنبي، وكان واحداً من رعايانا الروس قريباً منها، فعليه مسئولية تزويدها ثانية بالمؤن وإرسالها بحمولتها إلى إقليم مسيحي ( أي بيزنطي). وسوف نتولى قيادتها خلال الممرات المحفوفة بالمخاطر إلى أن تصل إلى مكان آمن. لكن إذا ما احتجزت أية سفينة بفعل عاصفة أو عائق أرضي ملاحي ما يحول دون الوصول إليها، فإننا نحن الروس سنمد يد المساعدة لطاقم السفينة، وسنتولى أمرهم وأمر تجارتهم بكل أمان؛ هذا إذا ما وقع هذا الحدث بالقرب من الأراضي البيزنطية. لكن إذا ما وقع مثل هذا الحادث بالقرب من الساحل الروسي، فإن حمولة السفينة سوف تفرغ منها، وسنقوم، نحن الروس، بانتزاع ما يمكن أن يكون نافع لصالح ملاكها. وعندئذ، عندما نتجه إلى بيزنطة (حرفياً بلاد اليونان) للتجارة، أو في سفارة إلى الإمبراطور، فإننا سوف نسلمكم -بكل شرف- ثمن حمولة السفينة. لكن إذا ما قتل أي شخص على متن السفينة أو أُسيء معاملته بواسطة رعايانا الروس، أو إذا سرق

أى شئ منها، فإن من ارتكبوا مثل هذه الأفعال عندئذ سوف يخضعون للعقوبة المتخذة من قبل".

**البند السابع :** " ومنذ هذه اللحظة فصاعداً، إذا وقع أسير في الحبس سواء من الروس أو البيزنطيين وبيع حينئذ إلى دولة أخرى، فإن أى روسى أو بيزنطى يعيش في تلك المنطقة عليه شراء الأسير، وأن يرد الشخص الذى اشتراه إلى بلاده الأصلية. وسوف يعوض المشترى عن المبلغ الذى أنفقه في سبيله، أو أن تحتسب بطريقة أخرى قيمة عمل الأسير اليومية من مبلغ الشراء. ولو أُخذ أي روسي بواسطة البيزنطيين، فإنه سيرد بالمثل إلى بلاده الأصلية، وسيُدفع ثانية ثمن شراءه، كما أُشترط، طبقاً لقيمته ".

**البند الثامن :** " متى تجدون أن الحرب ضرورة ملحة، أو عندما تقودون حملة، وتودون التزود بالروس الذين يرغبون في شرف العمل مع إمبراطوركم ويأتون في أي وقت ويريدون البقاء في خدمته، فإنه يسمح لهم بالعمل في هذا المجال طبقاً لرغبتهم".

**البند التاسع :** " إذا بيع أى أسير روسى من أى منطقة بين المسيحيين، أو إذا بيع أى أسير بيزنطى بين الروس، فإنه سيحرر بعشرين بيزنط ويعاد إلى بلاده الأصلية".

**البند العاشر :** " وفى حالة إذا ما سرق أحد الأرقاء الروس أو هرب أو بيع بالإكراه، وأقام سيده الروسي دعوى و أثبتها فإن الرقيق سيعاد إلى الروس. وإذا فقد تاجر رقيقاً ورفع شكاية (إلى الإمبراطور البيزنطي)، فعلية أن يبحث عنه إلى أن يجده ؛ لكن إذا رفض أحد ما السماح للشاكي القيام بالبحث، فإن الموظف المحلي سوف يصادر حقه في المنحة ".

**البند الحادى عشر :** " فيما يتعلق بالروس الذين يقاتلون بإحتراف في بيزنطة تحت أوامر الإمبراطور المسيحى، إذا مات أحدهم دون أن يوصى بتركته لأحد وليس له أقارب هناك، فإن ممتلكاته ستعاد لأقربائه البعيدين في بلاد الروس. لكن إذا اتخذ الروسي المتوفى ترتيب ما بشأن بضائعه، فإن الشخص الذي اختاره كتابياً كوريث له سيتسلم الأملاك التي أوصى بها. ومثل هذا الإجراء الواجب للميراث سيطبق في حالة الروس المشتغلين بالتجارة، والرحالة الروس في بيزنطة، وأولئك الذين لهم ديوناً قائمة هناك".

**البند الثاني عشر :** " إذا اتخذ مجرم من بيزنطة ملجأ، سوف يرفع الروس شكاية إلى الإمبراطور المسيحي (أي البيزنطي)، وسيُلقى القبض على مثل هذا المجرم ويعاد إلى بلاد الروس، بغض النظر عن احتجاجاته. وسوف يؤدى الروس نفس الخدمة للبيزنطيين وقتما تحسن المناسبة".

**الخاتمة :** " وكتقليد وارتباط وثيق يربط رعاياكم اليونانيين ورعايانا الروس على حد سواء فقد أعددنا المعاهدة الحالية لتُسجل في نص قرمزى على الرق من نسختين. وقد أكد إمبراطوركم هذه المعاهدة، باسم الصليب المقدس والثالوث المقدس الذي لا يتجزأ، بتوقيعه عليها وتسليمها لرسلنا. وطبقاً لعقيدتنا الخاصة وعرف بلادنا، فقد أقسمنا لإمبراطوركم، الذي يتولى حكمكم بفضل من الله بأننا لن ندنس أنفسنا، ولن نسمح لأي من رعايانا أن ينتهك السلام والصداقة التى تم توكيدها بواسطة البنود التي تم التوصل إليها فيما بيننا. وقد أرسلنا هذه الوثيقة لتصديق جلالتكم عليها لكي نؤكد ونعلن رسمياً مثل هذه المعاهدة التي تم التوصل إليها فيما بيننا، في ٢ سبتمبر من عام ٦٤٢٠ من الخليفة (=٩١١م)، الدورة الضريبية الخامسة عشر". [١]

على هذا النحو تنتهى بنود معاهدة ٩١١م التى تم توقيعها بين الروس والبيزنطيين، وقد عاد رسل الأمير الروسي أولج إلى كييف، بعد أن أغدق عليهم الإمبراطور ليو السادس الهدايا الثمينة من الذهب، والثياب الفخمة، والطيالس، وبعد أن أمر أتباعه بترتيب جولة لهم بين ربوع القسطنطينية وآثارها وقصورها. وعندما وصل الرسل الروس إلى كييف قصوا على أميرهم كيف نجحوا في إقامة السلام بين البيزنطيين والروس وأكدوه بالقسم.[٢]

وإذا ما انتقلنا إلى تحليل هذه المعاهدة فسنجد أن أسلوب صياغتها يعكس خبرة كاتبها بأسلوب عقد المعاهدات بين الدولة البيزنطية والدول الأخرى. فالمعاهدة عبارة عن مقدمة يشرح فيها كاتبها الهدف من عقدها بين الطرفين ويشير إلى الأشخاص الذين قاموا بمهمة إنها إجراءات عقدها مع الإمبراطور البيزنطي، وعددهم خمسة عشر مندوباً روسياً. وتشير هذه المقدمة، بل والمعاهدة كلها، إلى بروتوكول بيزنطى بحت في أسلوب كتابة المعاهدات، فالدولة البيزنطية هي صاحبة الباع الأطول في الدبلوماسية الدولية وليس الروس. [٣] وعلى هذا قد

---

١ *R.P.C.*, 65-68.
٢ *R.P.C.*, 58-69.
٣ Vernadsky, *Kievan Russia*, 27.

يكون من المتحمل أن الفريق البيزنطي الذي اشترك في المباحثات مع الـروس مـن أجـل التوصل إلى هذه المعاهدة بين الروس والبيزنطيين هو الذي صاغ بروتوكول المعاهدة. ومـع هذا، لن نطلق العنان لهذا الافتراض الآن إلاَّ بعد الإنتهاء من تحليل المعاهدة .

وتوجد العديد من الملاحظات الهامة على مقدمة المعاهدة، فهى كما سبق القول، تشير إلى عدد السفراء الروس الذين ذهبوا إلى القسطنطينية من أجـل الحصـول علـى توقيـع الإمبراطور البيزنطي على المعاهدة، وعددهم خمسة عشر مندوباً روسياً. وهذا العدد يشـير بدوره إلى التنظيم السياسى الذى كان يشكل المجتمع الروسي آنذاك. فمن هؤلاء الخمسة عشر مندوباً واحداً ينوب عن الأمير الروسي أولج، والأربعة عشر مندوباً الآخرين يشيرون إلـى الأمراء الروس الآخرين الذين يدينون بالطاعة لأولج، والذين جاءوا منـدوبين عـنهم إلـى القسطنطينية. ويشير هذا الرقم أيضاً إلى اتساع دائرة نفوذ الأمير الروسي أولج في عام ٩١١م عنه في عام ٩٠٧م، حيث تظهر لنا أسماء خمسة رسل روس ذهبوا إلى القسطنطينية من أجل عقد اتفاق ٩٠٧م بين الروس والبيزنطيين، وهم كارل، وفارولف، وفيرمونـد، وهـرولاف، وسيتنفث. وهؤلاء السفراء الخمسة اشتركوا أيضاً في معاهدة ٩١١م، ومن المحتمل أنهم الذين قادوا دفة المحادثات مع البيزنطيين بحكم خبرتهم السابقة في عام ٩٠٧م.

وتشير الكلمات الأولى من المقدمة أيضاً إلى أن هذه المعاهدة بدأت مباحثاتها في عهد الإمبراطور ليو السادس وأخوه الاسكندر، وهما اللذان تم في عهدهما عقد اتفاق ٩٠٧م. هـذا على عكس الخاتمة التي تشير صراحة إلى أن توقيع المعاهدة قد تم في عهد الإمبراطور ليو السادس وأخوه الاسكندر وابنه قسطنطين، الذى توج إمبراطوراً مشاركاً في عام ٩٠٨م.

والملاحظة الأخيرة التى تشير إليها مقدمة المعاهدة هي محاولة كل مـن الطـرفين الإلتزام بقدر الإمكان بالمحافظة على هذه المعاهدة وإقامة أواصر الصداقة بين الشعبين.

وينتقل كاتب المعاهدة بعد ذلك إلى الحديث عن البنود التى تم الاتفاق عليهـا بـين الروس والبيزنطيين، وهى إثنا عشر بنداً. وتعالج هذه البنود بطبيعة الحال أموراً قائمة بـين البلدين، كجرائم السرقة التى قد يتعرض لها التجار الـروس أو البيـزنطيين (البنـود الأول، والرابع، والخامس) ؛ وجرائم القتل ( البندين الثانى، والثالث)، الأسـرى (البنـدين السـابع، والتاسع )، الأرقاء (البند العاشر)، تسليم المجرمين (البند الثانى عشر). أما أهم بنـود هـذه المعاهدة فهو البند السادس المتعلق بالإجراءات التى تتخذ حيال السفن البيزنطية التى تتعثر في طريقها البحري لأى سبب كان وتقذف بها الأمواج إلى الشاطئ الروسي. أما البندان الثـامن

والحادي عشر فيتعلقان بالمرتزقة الفارانجيين والروس الذين يعملون في الدولة البيزنطية سواء بطلب من البيزنطيين أم برغبة شخصية منهم؛ سواء بصورة نظامية في الجيش البيزنطي أم بصورة مؤقتة.



وتجدر الإشارة إلى أن العقوبات أو التعويضات الواردة في البنود الأول، والثاني، والثالث، والرابع، والخامس، والسابع، والتاسع تطبق على الروس والبيزنطيين على حد سواء. وهذا يشير بدوره إلى الرغبة المشتركة بين الحكومتين في وضع حد للجرائم المعلقة بين البلدين، والتي لم يمكن تحاشي وقوعها فيما سبق. ومن ثم فهي بنود اتفق الطرفان بتراض منهما على إقرارها في المعاهدة. أما البندان العاشر والثاني عشر منهما من وضع الروس ولصالحهم فقط، ولا يوجد هدف للدولة البيزنطية من وراءهما.

وقد يبدو البند السادس في ظاهرة العام مشترك بين الروس والبيزنطيين، إلاً أن حجم الفائدة التى يغلها الروس من هذا البند أكبر من تلك التى تعود على البيزنطيين بالنفع؛ فالروس يعطون لأنفسهم الحق، في هذا البند، في الاستيلاء على حمولة السفينة البيزنطية التى تقذف بها الأمواج على الشاطىء الروسي، بل وانتزاع كل ما قد يكون نافع منها ويغل قدراً من المال. ويتعهدون برد ثمن هذه الحمولة إلى البيزنطيين عندما يذهبون للتجارة في القسطنطينية في أقرب فرصة أو يذهبون في سفارة الإمبراطور البيزنطي. وهذا يعنى أن الروس أعطوا لأنفسهم امتياز الاتجار بهذه الشحنة والتربح منها إلى أن يحن الوقت المناسب لرد ثمنها للدولة البيزنطية. ويزداد هذا البند أهمية عندما نقرأ العبارة التالية الواردة به"... لكن إذا ما وقع مثل هذا الحادث بالقرب من الساحل الروسي...". حيث تشير هذه العبارة صراحة إلى أن الروس أصبحت لهم أملاكاً على السواحل الشمالية للبحر الأسود (بحر بونتس) في مستهل القرن العاشر الميلادي. وهذا الأمر يشير إلى دخول عنصر جديد ساهم في تشكيل الخريطة السياسية لمنطقة السهوب، مما سيترتب عليه تغييرات عرقية وديمغرافية وسياسية بالمنطقة، كانت الدولة البيزنطية طرفاً فيها. وسنرجئ الحديث عن هذا الأمر قليلاً لحين الإنتهاء من تحليل المعاهدة.

ويمكن اعتبار أن البندين الثامن والحادي عشر، واللذين يتحدثان عن المرتزقة الروس الذين يعملون في الجيش البيزنطي، قد وضعا لصالح الروس أيضاً أكثر منه لصالح البيزنطيين. فقد أعطى الأمير الروسي الحق لنفسه بالسماح لمن يود العمل بالجيش البيزنطي من المرتزقة الروس، وشرط هذا الأمر بحالة الحرب فقط. ويشير البند الحادى عشر إلى

إجراءات الميراث التي ينبغي أن تتخذ في حالة مقتل أحد هؤلاء المرتزقة، أو في حالة مقتل أحد التجار الروس داخل أراضي بيزنطة.

ويختتم الكاتب معاهدة ٩١١م بخاتمة يوضح فيها أن هذه المعاهدة نسخت من نسختين على الرق، إحداهما بطبيعة الحال تحفظ في أرشيف البلاط البيزنطي، والموقع عليها من الأمير الروسي، والثانية تحفظ في كييف، وهي الموقع عليها من الإمبراطور البيزنطي ؛ والتي عاد بها السفراء الروس إلى أميرهم أولج. ويشير الكاتب إلى وجود نوع من القسم ينبغي أن يؤدى من الطرفين لتوكيد المعاهدة، وبطبيعة الحال فقد أقسم الإمبراطور البيزنطي على الصليب المقدس، بينما أقسم الروس باسم آلهتهم بيرون، وفولوس. ولم يفت الكاتب أن يسجل، بدقة شديدة، التاريخ الذى أبرمت فيه المعاهدة، حيث تم التوقيع عليها في الثاني من شهر سبتمبر من عام ٦٤٢٠ من الخليقة، وهو يوازى عام ٩١١م من الميلاد ؛ أى في عهد الإمبراطور ليو السادس وأخوه الاسكندر وابنه قسطنطين[١] .

وأخيراً، بناءاً على التحليل السابق، يمكننا القول أننا أمام معاهدة بيزنطية – روسية متكاملة الأركان فهي واضحة الهدف ومؤرخة بدقة شديدة وتحتوي على مقدمة ثم موضوع ثم خاتمة ؛ وقد تم التوقيع عليها من الأطراف المعنية بالأمر، الإمبراطور البيزنطي ليو السادس، والأمير الروسي أولج؛ وإن كان المحتوى يعكس اتجاه مؤشر الفائدة نحو الجانب الروسي. وهذه المعاهدة بالشكل الذى وردت عليه تعتبر بيزنطية الصياغة، من حيث البروتوكول الذى أعدت بناءاً عليه. فالفضل إذن في الصياغة القانونية يعود للبيزنطيين لا للروس، الذين كانوا حديثو العهد بأسلوب التعامل مع القوى الكبرى كالدولة البيزنطية على سبيل المثال.

والآن، إذا سلمنا بأن ما تم في عام ٩١١م بين البيزنطيين والروس معاهدة تامة فهل يمكن القول أن الإتفاق الذى تم في عام ٩٠٧م بينهما متمم للأولى؟ أي أن الإثنين يكملان بعضهما البعض؟ أم أنهما شيئان مختلفان في الشكل والمضمون؟ وقبل الشروع في الرد على

---

[١] يرى فازيليف أن قسطنطين توج إمبراطوراً مشاركاً في ٩/٦/٩١١م وأن ليو السادس توفى في ١١/٥/٩١٢م. انظر، Vasiliev, *Russian Attack*, 221.

إلا أن الدراسة التى قام بها الأستاذان جريرسون وجنكينز المشتركة صححت هذا التاريخ وأثبتت أن التتويج تم يوم ١٥/٥/٩٠٨م. انظر، وسام عبد العزيز، الزواج الرابع، ص٩٣، هـ٥٦. انظر أيضاً، P. Grierson, and R. Jenkins, "The Date Constantine of VII' s Coronation," *Byz* 32(1962), 133-138.

\وقد يكون التاريخ الذى قدمته الحولية الروسية لمعاهدة ٩١١م صحيح إلى حد كبير. انظر، Vasiliev, *Russian Attack*, 221; Sorlin, *Les traités*, 358.

كل هذه التساؤلات علينا أن نعرض لوجهات نظر بعض المؤرخين المتباينة حول هذا الأمر. فالمؤرخ الروسي ألكسندر فازيليف، في دراسته الهامة عن الهجوم الروسي الثاني على القسطنطينية، يرى أن الحولية الروسية الأولى قد احتوت على وثيقتين رسميتين لمعاهدتين ؛ الأولى شذرة من معاهدة عقدت في عام ٩٠٧م، والأخرى معاهدة أبرمت في عام ٩١١م. وفي رأيه أن النص الأول عبارة عن معاهدة أولية، بينما الثاني عبارة عن النسخة النهائية من نفس المعاهدة[١]. ويعتقد المؤرخ الروسي شخماتوف A. Shakhmatov أن الأمير الروسي أولج لم يعقد سوى معاهدة واحدة فقط مع البيزنطيين، وهي معاهدة ٩١١م ؛ كما أن كاتب الحولية نقل بعض شروطها إلى إتفاق ٩٠٧م [٢]. أما المؤرخ الروسي سولوفيف A. Soloviev فيرى أن ما عقد في عام ٩٠٧م لم يكن سوى إتفاق مبدئي يتناول امتيازات السفراء والتجار الروس في الدولة البيزنطية، وقد تم هذا الإتفاق على أيدى خمس رسل للأمراء الرئيسيين الذين كانوا موجودين بذاتهم عند أسوار القسطنطينية. أما الإتفاقية الثانية التي تمت في عام ٩١١م فهي أكثر وضوحاً، ولا تكرر الأولى على الإطلاق، وقد تمت على أيدي خمسة عشر سفيراً روسياً [٣]. أخيراً ترى المؤرخة الفرنسية ايرين سورلان أن ما تم عقده بين الروس والبيزنطيين في عامى ٩٠٧ و ٩١١م هما معاهدتان منفصلتان، وإن كانت تختلف كل منهما عن الأخرى في الشكل والمضمون[٤].

على هذا النحو اختلف المؤرخون المحدثون حول المسميات التي أطلقت على معاهدتي ٩٠٧ و ٩١١م وعلى مضمونها . وإذا كانت المعاهدة التى تمت بين البيزنطيين والروس في عام ٩٠٧م ضرورة حتمية، حتمتها الظروف العصبية التى كانت تمر بها الدولة البيزنطية، إلاّ أن الشكل القانونى لها لم يكن مكتملاً كمعاهدة ٩١١م ؛ أي أنها لم تحتوى على مقدمة ومضمون وخاتمة وتاريخ دقيق مسجل بها، بالإضافة إلى التوقيعات، وأنها لم تنسخ من نسختين، لتحفظ إحداهما بالقسطنطينية والأخرى بكييف؛ كما أن الشروط التى احتوتها معاهدة ٩٠٧م كانت في معظمها تعهدات بيزنطية حيال التجار الروس الذين يفدون على القسطنطينية، أما الشروط البيزنطية الواردة في هذه المعاهدة فقد تكون إيضاحات بيزنطية لتنظيم التواجد

---

١ Vasiliev, *Russian Attack*, 219.

٢ نقلاً عن، Vasiliev, *Russian Attack*, 219.

٣ Soloviev, *L'état russe*, 249-250.

٤ انظر، Sorlin, *les traités*, 343 ff., 350 ff.

الروسي في القسطنطينية، حتى يكون الروس على علم بما لهم وما عليهم. وقد أقسم الطرفان البيزنطي ممثلاً في الإمبراطور ليو السادس وأخوه الاسكندر، والروسي، ممثلاً في رسل الأمير أولج، على حفظ السلام بينهما.

إذن ما الدوافع التى حدت بالبيزنطيين للتوقيع على مثل هذه المعاهدة ؟ وهل كان الهجوم الروسي الناجح على القسطنطينية في ذلك العام هو السبب المباشر أم كانت هناك أسباب أخرى أدت إلى ذلك ؟

لقد ساعدت الظروف الخارجية والداخلية التى كانت تمر بها الدولة البيزنطية أولج على أن يجعل الدولة البيزنطية تمر بمرحلة حرجة من تاريخها . ففى الشرق كانت معاهدات تبادل الأسرى بين المسلمين والبيزنطيين لا تزال قيد البحث بالإضافة إلى ثورة القائد أندرونيقوس دوقاسAndronicus Ducas الذى هرب ولجأ الى المسلمين في فبراير أو مارس من عام ٩٠٧ م الأمر الذى تبعه قيام مشكلات على الحدود الشرقية.[١] هذا في الوقت الذى كان فيه الأسطول البيزنطي غائباً عن القسطنطينية، حيث كان القائد البيزنطي هيمريوس Himerius يقود الحملة البحرية على قبرص في عام ٩٠٦ م؛أما في الغرب فكانت الأوضاع لا تقل خطورة عن الشرق، فقد هاجم القائد الإسلامي ليو غلام زرافة مدينة تسالونيك، ثاني أهم المدن البيزنطية، ونجح في اجتياح هذه المدينة وتخريبها وأسر العديد من سكانها في عام ٩٠٤ م[٢]، وقد انتهز سيمون Symeon خان البلغار الحالة المتردية في البلقان وتذبذب النفوذ البيزنطي هناك فأغار على مدينة تسالونيك محاولاً ضمها إلى أملاك دولته . واضطر ليو السادس إلى عقد معاهدة مع سيمون البلغارى تنازل له بمقتضاها عن أجزاء من البلقان مقابل رفع يده عن تسالونيك والانسحاب منها . ومنذ هذا الإتفاق خمدت نار الحرب بين البلغار والبيزنطيين في الجبهة الغربية طوال عهد ليو السادس[١]، ومع هذا تبقى الحقيقة أن

---

١ عن ثورة أندرونيقوس دوقاس انظر،

P. Karlin-Hayter, "The Revolt of Andronicus Ducas," *BSL* 27(1966), 23- 25.

٢ عن هذا الهجوم الناجح، انظر، J. Kaminatos, De Expugnatione Thessalonicae, ed. Gertrude Bhlig, *CFHB*, Vol. LV (Berlin 1973); German trans. *Einnahme Thessalonikes durch die Araber in Jahre 904: ubers.*, eingeleitet und erklart, by Gertrud Bhilig.1. (Graze 1975); W. Farag, "Some Remarks on Leo Tripoli's Attack on Thessalonikii," *BZ* 82(1989), 133-139; A. Vasiliev, *The Byzantine Empire* (Madison 1952), 315; H. Grégoire, "La communique arabe sur la prise de Thessalonique 904," *Byz* 22(1952), 373-378.

انظر أيضاً، إسمت غنيم، الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية ( الإسكندرية ١٩٨٣)، ص١٨٨-٢٠٢.

حدود دولة البلغار الأولى في عهد الخان سيمون أصبحت متاخمة لحدود الدولـــة البيزنطيـــة مباشرة في البلقان [٢]؛ وهذا بدوره كان كفيلاً بإشعال فتيل الحرب بينهما متى حانت الفرصة. أما عن الأحوال الداخلية التى تسببت في غليان المجتمع البيزنطي، لاسيما في القسطنطينية، فهي مشكلة الزواج الرابع للإمبراطور ليو السادس وما نجم عنه من مشاكل دينيـــة أضـــحت مضجع بطاركة القسطنطينية . فقد وضعت زوي Zoe محظية الإمبراطور ليو السادس لـــه طفلاً فيما بين مايو- سبتمبر عام ٩٠٥م في الغرفة الأرجوانية بالقصر، عرف فيما بعد باسم قسطنطيين بورفيروجنيتوس[٣]. وفى عام ٩٠٦ م تم تعميد هذا الطفل في كنيسة هاجيا صوفيا، وبعدها بأيام قليلة قام ليو بتتويج زوي بنفسه إمبراطورة، وصارت زوجة له رغم معارضـــة الكنيسة الشديدة ورغم أنف البطريرك نيقولا مستيكوس Nicholas Mysticos[٤]. وفى خضم هذه الأحداث الداخلية والخارجية جاءت حمله الأمير الروسي أولج على القسطنطينية في عام ٩٠٧ م، جعلت البيزنطيين من هول المفاجئة العسكرية وشدتها يسعون للحصول على ســـلام على وجه السرعة مع الروس على حد قول فازيليف[٥].

---

١ R. Browning, *Byzantium and Bulgaria*, 61; J. Fine, *The Early Medieval Balkans*, (Michigan 1993), 140.

لمزيد من التفاصيل عن العلاقات البيزنطية البلغارية في عهد ليو السادس، انظر،

S. Runciman, *A History of the First Bulgarian Empire* (London 1930), 137-155; Fine, *Medieval Balkans*, 137-142; P. Karlin-Hayter, "Clément d'Ochrid, la guerre bulgare de Léon et prise de Thessalonique en 904," *Byz* 38(1965), 606-611.

انظر أيضاً، هانيء عبد الهادى البشير، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية ودولة البلغار الأولى، ٦٨١-١٠١٨م (رسالة دكتوراه لم تنشر بعد، كلية الآداب، جامعة طنطا، ١٩٩٩م)، ص ١٠٦-١١٦.

٢ انظر، هانيء عبد الهادى، دولة البلغار الأولى، ص١١٥.

٣ وسلم عبد العزيز، الزواج الرابع للإمبراطور ليو السادس، (الإسكندرية١٩٩١)، ص٣٩.

٤ Vasiliev, *Russian Attack*, 221.

لمزيد من التفاصيل حول الزواج الرابع للإمبراطور ليو السادس وما نجم عنه من مشاكل، انظر، وسلم عبد العزيز، الزواج الرابع، ص٣٥-١٠٠. انظر أيضاً، R. Jenkins, "Three Documents Concerning the Tetragamy," *DOP* 16(1962), 229-241; P. Karlin–Hayter, "Le synode à Constantinople de 886 à 912 et la rôle de Nicholas le Mystique dans l'affaire de la tétragmie," *JÖB* 19(1970), 59-101; N. Oikonomides, "Leo VI's Legalization of 907 Forbidding Fourth Marriage: an Interpolation in the *Procheiros Nomos* (IV, 25-27)," *DOP* 30(1976), 174-195.

٥ Vasiliev, *Russian Attack*, 221.

إزاء كل هذه الظروف الحرجة التى مرت بها الدولة البيزنطية كان . من المحتم على الإمبراطور ليو السادس أن يقبل السلام مع الروس وكذلك الشروط التجارية التى طلبوها منه، وذلك حتى يتخلص من الخطر الراهن، الذى لم تكن هناك وسيلة للتخلص منه سوى الدبلوماسية، مثلما حدث مع سيمون البلغارى من قبل. وعلى هذا فالمعاهدة التى تمت في عام ٩٠٧ م لم تكن سوى اتفاق سريع بين الطرفين لمواجهة الوضع الراهن، أملى فيه الروس شروطهم على بيزنطة وقبلتها الأخيرة. وكما سبق القول جاءت الشروط البيزنطية كإيضاحات قانونية للروس لتوضح لهم ما لهم وما عليهم عند وفدوهم إلى القسطنطينية والإقامة بها . ولا يوجد ثمة رابط يربط بين هذه المعاهدة وتلك التى عقدت فيما بعد عام ٩١١م، اللهم السفراء الروس الخمسة الذين شهدوا المعاهدتين، وكذلك حكام البلدين، الإمبراطور ليو السادس والأمير أولج .

وجاءت معاهدة ٩١١ م التى أبرمت بين البيزنطيين والروس لتشير صراحة إلى وجود نوع من المباحثات التى دارت بين الطرفين، حيث يذكر نسطور في حوليته، في مستهل حديثه عن المعاهدة، "هذه هى نسخة من المعاهدة التى تم التوصل إليها في ظل حكم الإمبراطور ليو والاسكندر ..." ويشير نفس الكاتب أيضا إلى أن الهدف من عقد هذه المعاهدة هو مد أواصر الصداقة القائمة بالفعل بين البلدين والحفاظ عليها وتوكيدها ليس بالكلمات فقط بل بالمداد أيضاً والقسم الغليظ [1]. ومن المحتمل أن هذه المباحثات قد بدأت عقب انصراف الروس عن القسطنطينية في عام ٩٠٧ م، وأنها استمرت خلال السنوات الأربع التالية، ربما بشكل غير متصل، عن طريق التجار الروس الذين كانوا ينوبون عن الأمراء الروس بما فيهم أولج نفسه ويفدون إلى القسطنطينية . ومتى تم التوصل بينهم وبين البيزنطيين إلى صيغة نهائية مقبولة للطرفين، قام الأمير الروس أولج بإرسال سفرائه رسمياً إلى القسطنطينية في عام ٩١١ م لأخذ توقيع الإمبراطور ليو السادس عليها . ومما يؤكد هذا العبارة الواردة في مقدمة المعاهدة والتى تقول أن السفراء الروس جاءوا بناءاً على إرادة أمرائهم العظام وبأمر منهم، ونيابة عن كل الروس الذين يخضعون للأمير الروسي أولج . هذه هى الملابسات التاريخية التى عقدت على أثرها معاهدة ٩١١ م بين البيزنطيين والروس، وكما سبق القول فإنها من الناحية القانونية تعتبر معاهدة متكاملة الأركان، وتختلف تماماً عن معاهدة ٩٠٧ م . وقد يكون من المحتمل أن كاتب المعاهدة لم يشأ أن يكرر ما اتفق عليه بين الطرفين في عام

---

[1] انظر مقدمة المعاهدة فيما سبق.

٩٠٧ م ثانية في نص معاهدة ٩١١ م . ومن ثم لا نجد ذكر بشأن التجار الروس في معاهدة ٩١١ م. والسؤال الذى يطرح نفسه الآن، إذا كانت الظروف الخارجية والداخلية في الدولة البيزنطية هى التى حتمت عليها التوقيع على معاهدة ٩٠٧ م فما الدوافع التى حدث بها للتوقيع على معاهدة ٩١١ م خاصة أنه لا يوجد تهديد روسى عسكرى مباشر للقسطنطينية كذلك الذى كان قائماً في عام ٩٠٧ م ؟

للإجابة على هذا السؤال ينبغى أن نشير إلى أن الخطر الإسلامي للدولة البيزنطية لم ينته في الشرق، أما في الغرب فإن سيمون البلغاري كان يتحين الفرصة للإنقضاض على الأراضي البيزنطية؛ وقد واتته هذه الفرصة عندما توفي الإمبراطور ليو السادس في عام ٩١٢ م، حيث رفض خليفته الاسكندر أن يدفع الجزية لرسل البلغار بل ووبخهم أيضاً وبهذا جاءت الفرصة الذهبية لسيمون خان البلغار للهجوم على الأراضى البيزنطية، حيث اجتاحت قواته تراقيا في ربيع عام ٩١٣ م، ولم يكن بمقدور الاسكندر ولا أي شخص أن يطفئ لهيب الحرب آنذاك على حد قول المؤرخ فاين Fine .[1] هذه الأحداث إن عكست فإنما تعكس حنكة ليو السادس في كبح جماح خان البلغار سيمون، وأن الأخير كان يتحين الفرصة للهجوم على الأراضي البيزنطية ولم يحول دون تحقيق رغبته سوى الإتفاقيات التي عقدها معه ليو السادس. وفي الوقت نفسه كان الأسطول البيزنطي بقيادة هيمريوس يتبادل الهجمات البحرية مع الأسطول الإسلامي، ففى عام ٩١٠ م أغار الأسطول البيزنطي على سواحل قبرص الشرقية، وكانت غارة ناجحة غانمة، وقد رد الأسطول الإسلامي على هذه الإغارة[2]. وفي العام التالي جهز الإمبراطور ليو السادس، بدافع الانتصارات السابقة، الأسطول بقيادة هيمريوس لغزو جزيرة كريت واستردادها من أيدى المسلمين، وهذا يعني ببساطة شديدة غياب الحماية البحرية عن القسطنطينية عام ٩١١م . الأمر الذى يشكل خطورة كبيرة في مواجهة الغزاة الروس الشماليين إذا ما فكروا في غزو الأراضي البيزنطية.[3]

---

١ Fine, *Medieval Balkans*, 143.

٢ D. Tsougarakis, *Byzantine Crete from the 5th Century to the Venetian Conquest* (Athens 1988), 53-54.

انظر أيضاً، إسمت غنيم، كريت الإسلامية، ص ٢٠٣-٢٠٤.

٣ عن هذه الحملة انظر، Constantine Porphyrogenitus, *De Cerimoniis Aulae Byzantinae*, ed. I. Reiskii, *CSHB*, tome I (Bonn 1829), 651-660; Tsougarakis, *Byzantine Crete*, 54-56; M. Whittow, *The Making of Orthodox Byzantium 600 - 1025* (London 1996), 185.

وقد تكون الظروف السابقة المحيطة بالدولة البيزنطية كفيلة لأن تجعل الإمبراطور ليو السادس يُقبل على توقيع معاهدة ٩١١م مع الروس. بيد أن الخطر الأكبر كان قادماً من الشمال ليس في شكل هجوم مباشر على الحدود الشمالية البيزنطية بل في شكل تحولات عرقية وديمغرافية في منطقة السهوب.

ففى هذا الصدد يذكر قسطنطين بورفيروجنتيوس أنه منذ خمسين عاماً أو خمسة وخمسين عاماً سبقت تأليف كتابه " عن الإدارة الإمبراطورية " حدث أن اتفق الغز والخزر على قتال البشناق Pechenegs وطردهم من أراضيهم . وقد نجح التحالف الغزى – الخزرى في هزيمة البشناق وطردهم من أراضيهم الواقعة شمال بحر الخزر(بحر قزوين) [1]. وعلى أثر هذا حاول البشناق أن يستقروا في خزاريا، ولكن الخزر طردوهم منها ؛ وواصل البشناق هجرتهم صوب الغرب، وعبروا نهر الدون، وغزوا أراضي المجيار Magyars، الذين اضطروا بدورهم إلى مزيد من التراجع نحو الغرب حتى المنطقة الواقعة بين نهري الدنيبر وسيريت[2].

وأياً كانت الأسباب التى أدت إلى نشوب القتال بين البشناق من ناحية، والغز والخزر من ناحية أخرى، فالحقيقة الثابتة أنه مع بدايات القرن العاشر الميلادي كان البشناق يقيمون شمالي البحر الأسود، بالقرب من مدينة خرسون البيزنطية Cherson وكذلك مدينة بسبور.[3] كذلك لا ننسى العبارة الهامة التى وردت في سياق معاهدة ٩١١ م والتي تشير إلى أن الروس صارت لهم سواحل على البحر الأسود أيضاً [4] .

وهكذا، كانت كل هذه التحولات السياسية والإثنية في منطقة السهوب شمالي البحر الأسود تشكل تهديداً مباشراً للممتلكات البيزنطية في شبه جزيرة القرم Crimea. فقد كانت مدينة خرسون البيزنطية مركزاً متقدماً للنفوذ البيزنطي شمال البحر الأسود، ترقب من خلاله الدولة البيزنطية التحولات السياسية التي تمر بالقبائل القاطنة في منطقة السهوب . وإزاء المد

---

انظر أيضاً، إسمت غنيم، كريت الإسلامية، ص ٢٠٥-٢١٠. يرى فرنادسكى أن البحارة الروس الذين اشتركوا في هذه الحملة وفدوا على القسطنطينية بأمر من أولج، الذى أرسلهم استناداً إلى الصداقة القائمة بينه وبين بيزنطة.انظر، Vernadsky, *Kievan Russia*, 27.

[1] Constantine Porphyrogenitus, *DAI*, I, 167.

[2] طارق منصور، الروس والمجتمع الدولى، ص ١٦٢.

[3] طارق منصور، الروس والمجتمع الدولى، ص ١٦٢-١٦٣.

[4] انظر البند السادس من معاهدة ٩١١م.

الروسي نحو البحر الأسود والتهديد العسكري للقسطنطينية، لم يكن أمام البلاط البيزنطي سوى اللجوء إلى الدبلوماسية . فتمكنت من استمالة البشناق بالرشاوى المالية والثيـاب الحريريـة الموشاة بالذهب والأقمشة الأرجوانية والهدايا الأخرى [٦٨]، وعقـدت اتفاقيـات ومعاهـدات الصداقة معهم.[٦٩] وبالمثل لم يكن هناك مناص أمام الدولة البيزنطية سوى قبول المعاهـدات مع الروس أيضاً، خاصة وأنها لا تستطيع القتال في أكثر من جبهة في آن واحد، فما أسـهل عليها أن تروض قبائل الشمال بقليل من الثياب الناعمة البراقة أو بقليل من الذهب. وهكـذا دفعت كل هذه الظروف التي مرت بها الدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور ليو السادس إلى قبوله التوقيع لا على معاهدة ٩٠٧ م فحسب بل على معاهدة ٩١١ م أيضاً. وجاءت المعاهدة الأخيرة نتيجة مفاوضات متبادلة بين الطرفين البيزنطي والروس، وحملت بين ثنايا شروطها تعهدات روسية – بيزنطية مشتركة.

(٦٨) R. Jenkins, *Bzantium the Imperial Centuries 610-1071AD.* (London 1966), 260.

(٦٩) Constantine Porphyrogenitus, *DAI*, I, 48-49.

**الخاتمـــة:**

وفى الختام إذا كانت الدولة البيزنطية قد قبلت التوقيع على هاتين المعاهـــدتين مـــع الروس، فكل منها كانت لها ظروفها السياسية التى حدت بالدولة البيزنطية للتوقيـــع عليهـــا. وعلى هذا، فقد جاءت كل معاهدة من هاتين المعاهدتين مختلفة في الشكل والمضـــمون، ولا تكرر إحداهما الأخرى .

وينبغي أن نشير إلى عدم قبول رأي المؤرخين الذين يذهبون إلى أن معاهدة ٩٠٧م كانت جزءاً من معاهدة ٩١١ م، أو أن بيزنطة لم تعقد سوى معاهدة ٩١١ م فقط مع الروس. فالأحداث والظروف العصيبة التي كانت تمر بها الدولة البيزنطية جعلتها تقبل شروط السلام مع الروس سواء في عام ٩٠٧ م أم في عام ٩١١ م، وبهذا فهناك معاهدتان منفصلتان عقدتا بين البيزنطيين والروس في عام ٩٠٧ و ٩١١ م .

# المصادر والمراجع ومختصراتها

# المصادر والمراجع

## أولا المصادر العربية:


- الكتاب المقدس.
- ابن الأثير، محمد بن محمود بن عبد الواحد، (ت ٦٣٠هـ) الكامل في التاريخ (بيروت ١٩٩٥)، ١٠ أجزاء.
- ابن البيطار، ضياء الدين أبي محمد عبد الله، (ت٦٤٦هـ) الجامع لمفردات الأدوية والأغذية (القاهرة د.ت.)، ٤ أجزاء.
- ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ج٢-٣ (بيروت ١٩٩٢).
- ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سامى الدهان (دمشق، ١٩٥٤)، ج٢؛ ج٢، تحقيق سهيل زكار (دمشق د.ت.).
- ابن الفراء، رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تحقيق صلاح الدين المنجد، ج١ (القاهرة ١٩٤٧).
- ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق هـ.ف. أميدروز (بيروت ١٩٠٨).
- ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرايب (القاهرة ١٨٥٩).
- ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروفة باسم رحلة ابن بطوطة، (بيروت ١٩٦٤).
- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ١-٢ (القاهرة ١٩٦٣).
- ابن حمديس، (ت ٥٢٧هـ) ديوان ابن حمديس، تحقيق إحسان عباس (بيروت ١٩٦٠).
- ابن حوقل، صورة الأرض (بيروت د.ت.).
- ابن خرداذبه، المسالك والممالك، نشر دي جويه (ليدن ١٨٨٩)؛ (بغداد د.ت.).

- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٢، ج٤ (بيروت ١٩٨٤).
- ابن رسته، الأعلاق النفيسة، نشره دي جويه (ليدن ١٨٩٢).
- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة الله، ج ٢ (بيروت ١٩٩٥).
- ابن فقيه الهمذاني، مختصر كتاب البلدان (ليدن ١٣٠٢هـ )، إعادة طبع تحقيق يوسف الهادي (بيروت ١٩٩٦).
- ابن كثير،إسماعيل بن عمر القرشي، (ت ٧٧٤هـ) البداية والنهاية، تحقيق محمد عبد العزيز النجار، (بيروت د.ت.)، ١٤ جزءاً.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (ت ٧١١هـ) لسان العرب (بيروت د.ت.)، ١٥ جزءاً.
- ابن منكلي، محمد الداعي، الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية في فن القتال في البحر، تحقيق عبد العزيز عبد الدايم، رسالة دكتوراه غير منشورة، (جامعة القاهرة، كلية الآثار، ١٩٧٤).
- ابن منكلي، محمد الداعي، الأدلة الرسمية في التعابي الحربية، تحقيق محمود شيت خطاب (بغداد ١٩٨٨).
- ابن منكلي، محمد الداعي، الحيل في الحروب وفتح المدائن والدروب، تحقيق نبيل عبد العزيز (القاهرة ٢٠٠٠).
- أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم الزيبق، ج٣ (بيروت ١٩٩٧).
- أبو شجاع، ذيل كتاب تجارب الأمم (القاهرة ١٩١٦).
- الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (القاهرة د.ت.)، ج٢.
- أرنبغا الزردكاش، الأنيق في المنجانيق، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز (القاهرة ١٩٨١).
- أغابيوس المنبجي، كتاب العنوان، تحقيق ونشر ا. فازيليف، *PO* ، ج ٨ (باريس ١٩١١).

- البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٥ (بغداد د.ت.).
- التنوخي، كتاب الفرج بعد الشدة، تحقيق عبود الشالجي، ج٢ (بيروت ١٩٧٨).
- خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري (بيروت ١٣٩٧هـ).
- الخوارزمي، مفاتيح العلوم، نشر دي جويه (ليدن ١٨٩٥).
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، (ت ٧٤٨هـ) تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام (القاهرة ١٣٦٧هـ)، جزءان.
- الزهري، كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق (القاهرة د.ت.).
- السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج ١ (القاهرة ١٣٧١).
- الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، ج ١٠ (بيروت ١٩٩٧).
- الطرسوسي، مرضي بن علي بن مرضي، (ت٥٨٩هـ) تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء، حققه وترجمه إلى الفرنسية كلود كاهن في B.E.O. (بيروت ١٩٤٨).
- العظيمي، تاريخ العظيمي، نشره على سويم (أنقرة ١٩٨٨).
- ابن فضلان، أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد، رسالة بن فضلان، في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة (٣٠٩هـ/٩٢١م)، تحقيق سامي الدهان (دمشق ١٩٧٨).
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري، كتاب المصباح المنير، جزءان، تحقيق الشيخ حمزة فتح الله، (القاهرة ١٩٢١).
- قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزيدي (بغداد ١٩٨١). وأيضا ملحق على كتاب المسالك والممالك (ط. بغداد د.ت.).
- القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد (بيروت د.ت.).

- القلقشندي، أحمد بن علي، (ت ٨٢١هـ) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق يوسف علي طويل (دمشق ١٩٨٧)، ٨ أجزاء. وأيضا ج٥ ط (القاهرة د.ت.).
- كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق (بغداد د. ت.).
- مؤلف مجهول، تاريخ ملوك القسطنطينية، تحقيق ودراسة طارق منصور (القاهرة ٢٠٠٨).
- مجير الدين العليمي، الأنس الجليل، تحقيق عدنان يونس نباته، ج ١-٢ (عمان ١٩٩٩).
- المسعودي، التنبيه والإشراف، تحقيق عبد الله إسماعيل الصاوي (القاهرة ١٩٣٨).
- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق قاسم الشماعي الرفاعي، ج١ (بيروت ١٩٨٩).
- المقدسى، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، نشره م. ديجويه (ليدن ١٩٠٦)؛ (بيروت د.ت.).
- المقدسي، البدء والتاريخ، ج ٣ (القاهرة د.ت.).
- الهروي، كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق جانين سورديل (دمشق ١٩٥٣).
- الواقدي، فتوح الشام، ج١(بيروت د.ت.).
- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١ – ٣ (بيروت ١٩٨٤).
- يحيى بن سعيد الأنطاكي، تاريخ يحيى الأنطاكي، تحقيق ونشر ا. فازيليف و ج. كراتشكوفسكي، *PO*، ج ١٨ (باريس ١٩٢٤).
- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١ (بيروت د.ت.).

## ثانيا المصادر المعربة:


- ابن العبري، تاريخ الزمان، ترجمة اسحق رميلة (بيروت ١٩٩١).
- بنيامين التطيلي، رحلة ابن يونة الأندلسي إلى بلاد الشرق الإسلامي، ترجمة عزار حداد، مراجعة رحاب خضر عكاوي (بيروت ١٩٨٦).
- روبرت كلاري، فتح القسطنطينية على أيدي الصليبيين، ترجمة وتقديم حسن حبشي (القاهرة ١٩٦٤).
- فلهاردوان، فتح القسطنطينية، ترجمة حسن حبشي (جدة ١٤٠٣هـ).
- فوشيه الشارتري، الاستيطان الصليبي في فلسطين: تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ترجمة ودراسة وتعليق قاسم عبده قاسم (القاهرة ٢٠٠١).
- قسطنطين بورفيروجنيتوس، إدارة الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة وتعليق محمود سعيد عمران (بيروت ١٩٨٠).
- مذكرات جوانفيل، القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام ، ترجمة حسن حبشى (القاهرة ١٩٦٨).
- نيقولو باربارو، الفتح العثماني للقسطنطينية، ترجمة وتعليق حاتم الطحاوي، (القاهرة ٢٠٠٢).
- وليم الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، ج١ (القاهرة ١٩٩١)؛ ج٣ (القاهرة، ١٩٩٤).


## ثالثا المصادر غير العربية:


- Attaleiates, M., *Historia*, ed. I. Bekker, *CSHB*, (Bonn 1853).
- *Caminiatae de Expugnatione Thessalonicae*, ed. G. Bohlig, *CFHB* (Berlin 1973).
- Cedrenus, G., *Compendium Historiarum*, ed. I. Bekker, *CSHB* II (Bonn 1838).
- *CFHB= Corpus Fontium Historiae Byzantinae*, (Washington, D.C. 1967 ff.).
- *Chronicon Paschale*, Eng. trans. Michael Whitby and Mary Whitby, *Translated Texts for Historians*, vol. 7 (Liverpool 1989).

- Cinnamus, I., *Epitome Historiarum*, ed. I. Bekker, *CSHB* II(Bonn 1836)
- Codinus, G., *De Aedificiis*, in: Opera Omnia, ed. J. P. Migne, *PG* tome157 (Turnholti 1970).
- Constantin Porphyrogénète, *Le livre des cérémonies*, trad. fran. et com. Albert Vogt, tome I (Paris 1935); tome II (Paris 1939).
- Constantine Porphyrogenitus, *De Administrando Imperio*, ed. G. Moravcsik, Eng. trans. R. J. Jenkins (Budapest 1949), Vol. I.
- Constantine Porphyrogenitus, *De Administrando Imperio, Vol. II, Commentary*, by F. Dvornik, R. Jenkins, B. Lewis, G. Moravcsik, D. Oblonsky and S. Runciman, ed. R. Jenkins (London 1962).
- Constantine Porphyrogenitus, *De Ceremoniis Aulae Byzantinae*, ed. I. Reiskii, *CSHB* (Bonn 1829), 2 Vols.
- Constantine Porphyrogenitus, *De Thematibus*, ed. I. Bekker, *CSHB* (Bonn 1840).
- Constantine Porphyrogenitus, *Le livre des cérémonies*, trad. fran. et com. Albert Vogt, tome I (Paris 1935); tome II (Paris 1939).
- *Constantinople in the Early Eight Century: The Parastasies Syntomoi Chronikai,* ed. and trans. A. Cameron & J. Herrin in con. with Alan Cameron, R. Cormack and C. Roueché, *Coulombia Studies in the Classical Tradition,* X (Leiden 1984).
- *CSHB*= Corpus Scriptorum Historiae Byzatinae (Bonn 1828-1897).
- Dain, A., *L'extraite tactique tiré de Leon VI le sage* (Paris 1942).
- *Digenes Akrites*, ed. and Eng. trans. Mavrogordato (Oxford 1970).
- *De S. Demetrio Martyre Acta.*
- Fulcher of Chartres, *A History of the Expedition to Jerusalem 1095-1127*, ed. H. S. Fink, Eng. trans. F. R. Ryan (Knoxville 1969).
- Genesius, J., *Regna*, ed. Caroli Lachmanni, *CSHB* (Bonn 1834).
- *Gesta Francorum et aliorum Hierosolimitanorum*, ed. & Eng. trans. R. Hill (London 1962).
- Grēgorios Antiochos, *Éloge du patriarche Basile Kamatèros*, trad. Marína Loukáki (Paris 1996).
- Gunther of Pairis, *The Capture of Constantinople, The Hystoria Constantinopolitana*, ed. and trans. A. J. Andrea (Philadelphia 1997).
- Kaminatos, J., *De Expugnatione Thessalonicae*, ed. Gertrude Bhlig, *CFHB*, Vol. LV (Berlin 1973); German trans. *Einnahme Thessalonikes durch die Araber in Jahre 904: ubers*., eingeleitet und erklart, by Gertrud Bhilig.1. (Graze 1975).

- *Le livre du préfet ou l'édit de l'empereur Léon le sage sur les corporations de Constantinople*, trad franç. du texte grec de Geneve par J. Nicole (Genève 1894).
- Leo Grammaticus, *Chronographia*, ed. I. Bekker, *CSHB* (Bonn 1842).
- Leo the Wise, *Tactica*, ed. J. P. Migne, *PG* 107(Turnholti 1978).
- *Leonis Diaconi Caloensis Historiae Liberi Decem et Liber de Vilitatione Bellica Nicephori Augusti*, ed. C .B. Hase, *CSHB* (Bonn 1828), 3-178.
- *Les novelles de Leon VI le sage*, ed. P. Noailles and A. Dain (Paris 1944).
- *Liber de Re Militari*, ed. R. Vari (Lipsiae 1901).
- Liutprand of Cremona, *The Complete Works of Liutprand of Cremona*, Eng. trans. Paolo Squatriti, *Translated texts in Translation* (Washington D.C. 2007).
- Makrizi, T., *Histoire des Sultans Mamlouks de l'Égypte*, trad. Fran. et com. M. Quatremère, tome I (Paris 1837).
- Mansi, J. D., *Sacrorum Conciliorum Nova Etamplisema Collectio,* 11 (Graze 1980).
- Monachus, G., *Vita Recentiorum Imperatorum*, in Theophanes Cont., ed. I. Bekker, *CSHB* (Bonn 1838).
- *Nicephori Urani Tacticae*, ed. A. Dain in *Naumachica* (Paris 1943).
- Nicephoros Phocas, *Praecepta Militaria*, Eng. trans. E. McGeer, *Sowing the Dragon's Teeth: Byzantine Warfare in the Tenth Century*, (Washington D. C. 1995).
- Nikephoros Patriarch of Constantinople, *Short History*, ed. and Eng. trans. C. Mango, *CFHB,* (Washington D.C. 1990).
- Niketas Choniates, *O the City of Byzantium, Annals of Niketas Choniates*, Eng. trans. H. Magoulias (Detroit 1984).
- Odo of Deuil, *De profectione Ludovici VII in Orientem,* ed. and Eng. trans. V. G. Berry (New York 1948).
- Otto of St. Blasien, *Ad librum VII chronici Ottonis Frisingensis Episcopi continuatae historiae appendix*, XXI, *MGH.*
- *PG*= Patrologiae Cursus Completus, (Paris, Turnholti 1857-1866), 161 vols.
- *PO*= Patrologia Oriantalis (Paris 1904 ff.)
- Psellus, M., *Chronographia*, Eng. trans. E. R. Sewter, (Penguin Books 1966).

- Pseudo-Codinus (Kodinus), *Traité des offices*, ed. et trad. fran. J. Verpeaux (Paris 1966).
- Robert of Clari, *The Conquest of Constantinople*, Eng. trans. E. H. McNeal (Toronto, London 1936), repr. 1996.
- Stephen of Novgorod, *The "Wonderer" of Stephen of Novgorod*, in *Russian Travelers to Constantinople in the Fourteenth and Fifteenth Centuries*, Eng. trans. G. Majeska (Washington D. C. 1984).
- Στρατηγικὴ Ἔκθεσις καὶ Σύνταξις Νικηφόρου Δεσπότου, Eng. trans. E. Mcgeer, in: *Sowing the Drogon's Teeth* (Washington D.C. 1995).
- Symeon Magister ac Logothetae, *Chronographia*, ed. I. Bekker, *CSHB* (Bonn 1838).
- *Taktikon Beneševič*, dans *Les listes des préséance byzantines des IX^e^-X^e^ siècles*, ed. et trad. N. Oikonomides (Paris 1972).
- *Taktikon de l'Escurial*, dans *Les listes des préséance byzantines des IX^e^-X^e^ siècles*, ed. et trad. N. Oikonomides (Paris 1972).
- *Taktikon Uspenskij*, dans *Les listes des préséance byzantines des IX^e^-X^e^ siècles*, ed. et trad. N. Oikonomides (Paris 1972).
- Τακτικά Στρατηγικὰ τοῦ Οὐρανοῦ , Eng. trans. E. Mcgeer, in: *Sowing the Dragon's Teeth* (Washington D.C. 1995).
- *The Alexiad of Anna Comnena*, Eng. trans. E. R. Sewter (Penguin Books 1982).
- *The Chronicle of Theophanes Confessor*, Eng. trans. C. Mango and R. Scott (Oxford 1997).
- *The Russian Primary Chronicle, Laurantian Text*, Eng. trans. S. Ross and O. Sherbowitz-Wetzor, (Cambridge, Mass. 1953).
- *The Works of Luidprand of Cremona*, Eng. trans. F. A. Wright (London 1930).
- *Theophanes Continuates Chronographia*, ed. I. Bekker, *CSHB* (Bonn 1838).
- Theophanes, *Chronographia*, Eng. trans. H. Turtledove (Pennsylvania 1982).
- *Traité de Philothée*, dans: *Les listes des présénce byzantines des IX^e^-X^e^ siècles*, ed. N. Oikonomides (Paris 1972), 65-234
- Villehardouin, *The Conquest of Constantinople*, in: Joinville & Vellehardouin, *Chronicles of the Crusades*, Eng. trans. M. R. B. Shaw (Penguin books n.d.).
- William Archbishop of Tyre, *A History of Deeds Done Beyond the Sea*, Eng. trans. E. W. Babcock and A.C. Krey, II (New York 1943).

- Zepos, J. and Zepos, P., *Jus Graecoromanum* (Athens 1931), 2:371–92.



## رابعا المراجع غير العربية:

- Ahrweiler, H., "Byzantine Concepts of the Foreigner: The Case of the Nomades, " in (eds. H. Ahrweiler and A. Laiou), *Studies in the Internal Diaspora of the Byzantine Empire* (Washington D.C. 1998).
- Ahrweiler, H., "Recherches sur l'administration de l'empire byzantin aux IX[e] - XI[e] siècles," *BCH* 84(1960), 1-109.
- Ahrweiler, H., "Les relations entre les Byzantins et les Russes au IX[e] siècle," dans: *Bulletin d' Information et de Coordination de l'Association International des Etudes Byzantines* 5(Athens, Paris 1971), 44-73.
- Ahrweiler, H., *Byzance et la mer* (Paris 1966).
- Ahrweiler, H., *Études sur les structures administratives et sociales de Byzance*, Variorum Reprints (London 1971).
- *AIK = Archivum Eurasie Medii Aevi.*
- Andrea, A. J. with contributions by B. E. Whalen, *Contemporary Sources for the Fourth Crusade* (Leiden 2000).
- Ayalon, D., "A Replay to Professor J. R. Partington," *Arabica* 10(1963), 64-73.
- Ayalon, D., "The Mamluks and Naval Power: A Phase of the Struggle between Islam and Christian Europe," *Princeton Near East Papers* 20(1965).
- Ayalon, D., *Gunpowder and Firearms in the Mamluk Kingdom, a Challenge to a Medieval Society* (London 1978).
- Ayalon, D., *The Impact of Firearms on the Muslim World*, (Princeton 1975).
- *B* or *Byz.* = Byzantion (Brussels 1924 ff.).
- Babuin, A., "Some Remarks on Arab Ships in Byzantine Iconography," in: *Aspects of Arab Seafaring*, ed. V. Christides and Y. Yousef (Athens 2002), 25-40.
- *BAcBELG* = Bulletin de la classe des lettres de l'académie royal de Belgique.
- Baker, G., *The Walls of Constantinople* (New York n.d.).
- Bassett, S. G, "The Antiquities in the Hippodrome of Constantinople," *DOP* 45(1991), 87-96.
- *BCH* = Bulletin de correspondance hellénique.

- Berger, A., "Streets and Public Spaces in Constantinople", *DOP* 54(2000), 161-172.
- *BLSMPARS* = Bulletin des Lettres et des Sinces Moralles et Politique de l'Académie Royal de Belgique.
- *BNJbb* = Byzantiniche –Neugriechische Jahrbücher.
- Boak, A. E. R. and Dunlap, James E., *Two studies in later Roman and Byzantine administration* (London 1924).
- Boak, A. E. R., (trans.) "The Book of the Perfect," in *Journal of Economic and Business History* 1(1929), 597–619.
- Bréhier, L., "La marine de Byzance du VII^e^ au XI^e^ siècles," *Byz* 19(1949), 1-16.
- Bréhier, L., *Les institutions de l'empire byzantin* (Paris 1943).
- Bréhier, L., *Vie et mort de Byzance* (Paris 1947).
- Brooks, E., "Arabic Lists of the Byzantine Themes," *JHS* 21(1901), 67-77.
- Browning, R., *Byzantium and Bulgaria, a comparative study across the early medieval frontier* (London 1975).
- Brubaker, Leslie and Linardou, Kallirroe, (eds.) *Food and Wine in Byzantium, in Honour of Professor A. M. Bryer* (Hampshire 2007).
- *BsL= Byzantinoslavica* (Prague 1929 ff.).
- Bury, J. B., *A History of the Eastern Roman Empire* (London 1914).
- Bury, J. B., *The Imperial Administrative System in the Ninth Century* (London 1911).
- *Byzantine Constantinople*, ed. Nevra Neclpoğhe (Leiden 2001); C. Mango, *Studies on Constantinople* (Aldershot 1993).
- *BZ= Byzantiniche Zeitschrift* (Leipzig, München 1892 ff.).
- Cameron, A., "Procopius and the Church of St. Sophia", *The Harvard Theological Review* 58(Cambridge, Mass. 1965), 161-163.
- Canard, M., "Les aventures d'un prisonnier arabe et d'un patrice byzantin à l'époque des guerres bulgaro-byzantines," *DOP* 9(1956), 49-72.
- Canard, M., "Les expéditions des arabes contre Constantinople," *JA* 208(1926), 61-121.
- Carrier, M., *L'image du Grec selon les chroniqueurs des croisades: perceptions et reactions face au cérémonial byzantin 1096 à 1204,* Unpublished MA. thesis, University of Sherbrooke (June 2000).
- *CFHB* = Corpus Fontium Historiae Byzantinae, (Washington D.C. 1967 ff.).

- Chadwick, W., *The Beginning of Russian History* (Cambridge 1946, repr. in 1966).
- Charanis, P., *The Armenians in the Byzantine Empire* (Lisboa 1963).
- Christides, V., "Arab-Byzantine Struggle in the Sea: Naval Tactics (7th – 11th): Theory and Practice," in: *Aspects of Arab Seafaring*, ed. V. Christides and Y. Yousef (Athens 2002), 87-103.
- Christides, V., "How Chinese Naval Technology Passed to the Mediterranean via the Arabs: Once Again the Single Rudder", *Τροπις*, 5(1999), 93-100.
- Christides, V., "Naft", *EI²*(London 1992).
- Christides, V., "Naval History and Technology in Medieval Times, the Need for Interdisciplinary Studies," *Byz* 58(1988), 309-332.
- Christides, V., "Once again Cameniates' Capture of Thesslaoniki," *BZ* 74(1981), 7-10.
- Christides, V., "The Names Araves, Sarakenoi etc. and their False Byzantine Etymologies," *BZ* 65(1972), 329-333.
- Christides, V., "Two Parallel Naval Guides of the Tenth Century: Qudama's Document and Leo VI's Naumachica: A Study on Byzantine and Moslem Naval Preparedness," *GrA* 1(1982), 51-103.
- Christides, V., 'The Transmission of Chinese Maritime Technology by the Arabs to Europe; Greek fire (Liquid fire), the Single Stern Rudder, Barrels," *The American Neptune* 52(1992), 38-45.
- Ciggaar, K., "Une description de Constantinople dans le *Tarragonensis* 55," *REB* 53(1995), 117-140.
- Ciggaar, K., "Une description de Constantinople traduite par un pèlerine anglais du XIIe siècle," *REB* 34(1976), 211-267.
- Ciggaar, K., *Western Travelers to Constantinople, the West and Byzantium, 962-1204: Cultural and Political Relations* (Leiden 1996).
- *CMRS* = Cahiers du monde russe et soviétique (Paris).
- Constantelos, D. J., "The Moslem Conquests of the Near East as Revealed in the Greek Sources of the Seventh and Eighth Centuries," *Byz* 42(1972), 325-357.
- Costa - Louillet, G., "Y eut-il des invasions russes dans l'empire byzantine avant 860?," *Byz* 15(1940- 41), 231-248.
- Court, A., "La Russie à Constantinople," *RQH* 1 (1876), 69 -129.
- *CSHB*= Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae
- Dalby, Andrew, *Flavours of Byzantium* (Blackawton, Totnes 2003).

- Davidson, E. H., "The Secret Weapon of Byzantium," *BZ* 66(1973), 61-74.
- Diehl, Ch et Marçais, G., *Histoire du moyen âge* (Paris 1936).
- Diehl, Ch., *Byzantium: Greatness and Decline* (New Brunswick 1957).
- Dolly, R., "Oleg's Mythical Campaign against Constantinople," *BLSMPARS* 40(1949), 106-130.
- *DOP= Dumbarton Oaks Papers*
- Dozy, R., *Supplément aux dictionaries arabes*, Tome II (Paris 1927).
- Ducène, Jean-Charles, "Une deuxième version de la relation d'Hārūn ibn Yahyā sur Constantinople," *Der Islam* 82/2(2005), 241–255.
- Dvornik, F., *Byzantine Missions among the Slavs: SS. Constantine-Cyril and Methodios* (New Jersey 1970).
- *EB* = Études Byzantines.
- Ebersolt, J. et A. Thiers, *Les églises de Constantinople* (Paris 1913)
- Ebersolt, J., *Constantinoiple byzantine et les voyageurs du levant* (Paris 1918)
- Ebersolt, J., *Sainte-Sophie de Constantinople, étude de topographie d'après les cérémonies* (Paris 1910)
- *EI*[2] = Encyclopedia of Islam, 2[nd] edition (London 1992).
- El Cheikh-Saliba, N., *Byzantium Viewed by the Arabs*, (Ph. D. Dissertation, Harvard University 1992).
- Ensslin, W., "The Emperor and the Imperial Administration," in: *Byzantium*, ed. N. Bayns and H.S. Moss (Oxford 1948).
- Ensslin, W., "The Government and Administration of the Byzantine Empire," in *CMH*, vol. IV, pt. I (Cambridge 1968).
- *EO*= Échos d'Orient.
- Farag, W., "Some Remarks on Leo Tripoli's Attack on Thessalonikii," *BZ* 82(1989), 133-139.
- Ferluga, Jadran, *Byzantium on the Balkans: studies on the Byzantine administration and the Southern Slavs from the VII*[th] *to the XII*[th] *centuries* (Amsterdam 1976).
- Fine, J. V., *The Early Medieval Balkans* (Michigan 1993).
- Forbes, R., *Studies in Early Petroleum History*, (Leiden 1958).
- Franklin, S. and Shepard, J., *The Emergence of Rus' 750-1200*, (London, New York 1996).
- Franklin, S., & Hollingsworth, P.," Nestor," *ODB* (1991), 1459.
- Freshfield, E. H., *Roman Law in the Later Roman Empire Byzantine Guilds Professional and Commercial* (Cambridge 1938).

- Geanakoplos, D. J., *Byzantium: Church, Society, and Civilization seeing through Contemporary Eyes* (Chicago, London 1984).
- *GrA*= Graeco-Arabica.
- Grégoire, H., "Un captive arabe à la cour de l'empereur Alexandre," *Byz* 7(1932).
- Grégoire, H., "La communique arabe sur la prise de Thessalonique 904," *Byz* 22(1952), 373-378.
- Grégoire, H., "La legende d'Oleg et l'expédition d'Igor," *BAcBelg* 23(1937), 80-94.
- Grégoire, H., "Miscellanea Epica et Etymological, I: la légende d'Oleg, II: l'expédition d' Igor," *Byz* 11(1936), 601-607.
- Grégoire, H., et Orgeles, P., "La guerre russo-byzantine de 941," *Byz* 24(1955), 145-166.
- Grierson, P. and Jenkins, R., "The Date of Constantine VII's Coronation," *Byz* 32(1962), 133-138.
- Grierson, P., *Byzantine Coinage* (Washington D.C. 1999).
- Guilland, R., "Études de titulature et de prosopographie byzantines. Le protostrator," *REB* 7(1949), 156-179.
- Guilland, R., "Études sur l'Hippodrome de Byzance. Le palais du Kathisma, " *BSL* 18(1957), 39-76.
- Guilland, R., "Études sur l'histoire administrative de Byzance. Le doestique des scholes," *REB* 8(1951), 5-63.
- Guilland, R., "Études sur l'histoire administrative de l'empire byzantin. Les functions des eunuques. Le préposite," *BSL* 22(1961), 241-301.
- Guilland, R., "Études sur l'histoire administrative de l"empire byzantin. Le Orphanotrophe," *REB* 23(1965), 205-221.
- Guilland, R., "Études sur l'histoire administrative de l"empire byzantin. Le titre de candidat, candedatus, ὁ κανδίδατος, Polychronion," *Festschrift Fr. Dölger* (Heidelberg 1966), 210-225.
- Guilland, R., "Études sur l'histoire administrative de l"empire byzantin. Le silentiaire, ὁ σιλεντιάριος, Χαριστήριον ἐὶς Ανασταόιον Κ. Ορλάνδον, IV(1967), 33-46.
- Guilland, R., "Études sur le grand palais de Constantinople, les noumera," *REB* 19(1961), 401-418.
- Guilland, R., "Études sur le grand palais de Constantinople. Les XIX lits," *JÖBG* 11-12(1962/63), 85-113.
- Guilland, R., "Etudes sur l'histoire administrative de l'empire byzantine: le comte des murs," *Byz* 34(1964), 17-25.

- Guilland, R., "Le grand domesticat à Byzance," *ÉO* 37(1938), 53-64.
- Guilland, R., "Les eunuques dans l'émpire byzantine" études de titulature et de prospographie byznatines," *ÉB* 1(1943), 197-138.
- Guilland, R., "L'expédition de Maslama contre Constantinople", *Al-Mashreq*, (Beirut 1955), 89-112.
- Guilland, R., *Études de topographie de Constantinople byzantine* (Amsterdam 1969).
- Guilland, R., *Recherches sur les institutions byzantines*, 2 vols. (Berlin- Amsterdam 1967).
- Guilland, R., *Titres et fonctions de l'empire byzantin*, Variorum Reprints (Hampshire 1976).
- Guillou, A., *La civilization byzantine* (Artheud 1974).
- Haldon, J. and Byrne, M., "A Possible Solution to the Problem of Greek Fire," *BZ* 70(1977), 91-99.
- Haldon, J. F., *Byzantine Praetorians: an Administrative, Institutional and Social Survey of the Opsikion and Tagmata, c. 580-900* (Bonn 1984).
- Haldon, J. F., "Kudama Ibn Djafar and the Garrison of Constantinople," *Byz* 48(1978), 78-90.
- Hanton E., "Lexique explicatif du Recueil des inscriptions grecques chrétiennes d'Asie Mineure," *Byz* 4(1927-1928), 53-136.
- Hardon, J., *Modern Catholic Dictionary*, 1999, s.v. *HYPAPANTE.*
- Harris, J., *Byzantium and the Crusades* (London 2003).
- Heath, I., *Byzantine Armies 886-1118AD.* (London 1956)
- *JA*= Journal Asiatique
- Janin, R., *Constantinople byzantine* (Paris 1950).
- Janin, R., *Les églises et les monastères des grands centres byzantins* (Paris 1971).
- *JEBH*= Journal of Economic and Business History.
- Jeffreys, E., "The Image of the Arab in Byzantine Literature", *The 17th International Byzantine Congress, Washington, 1986* (New York 1986). 305-323.
- Jenkins, R. J., "The Flight of Samonas," *Speculum* 23/2(Apr. 1948), 217-235.
- Jenkins, R., "The Supposed Russian Attack on Constantinople in 907," *Speculum* 24(1949), 403-406.
- Jenkins, R., "Three Documents Concerning the Tetragamy," *DOP* 16(1962), 229-241.

- Jenkins, R., *Byzantium the Imperial Centuries 610-1071 AD* (London 1966).
- Jill, J., *Byzantium and the Papcy 1198-1400* (New Jersey 1979).
- *JMIH* = Journal of Medieval and Islamic History (Cairo 2000 ff.)
- *JÖB* = Jahrbuch der Österreichischen Byzantinistik, 18- Wien (Kölen, Graze 1969 ff.).
- Johnson, A., and West, L., *Byzantine Egypt: Economic Studies* (Princeton 1949).
- Kaegi, W. E., "New Evidence on the Early Reign of Heraclius," *BZ* 66(1973), 308-330.
- Kaegi, W. E., "The Byzantine Armies and Iconoclasm," *BSL* 27(1966), 48-70.
- Kaplan, M., *Tout l'or de Byzance* (Paris 1991).
- Karamsin, M., *Histoire de l'empire de Russie*, trad. fran. S. Thomas et Jauffret, tome I (Paris 1819).
- Karlin-Hayter, P., "La prehistoire de la dérniere volonté de Léon VI," *Byz* 33(1963), 251-252.
- Karlin-Hayter, P., "Clément d'Ochrid, la guerre bulgare de Léon et prise de Thessalonique en 904," *Byz* 38(1965), 606-611.
- Karlin-Hayter, P., "Le synode à constantinople de 886 à 912 et le rôle de Nicholas le mystique dans l'affaire de la tétragamie," *JÖB* 19(1970), 59-101.
- Karlin-Hayter, P., "The Revolt of Andronicus Ducas," *BSL* 27(1966), 23-25.
- Kažhdan, A. & Epstein, A., *Change in the Byzantine Culture in the 11th Century* (London 1985).
- Kažhdan, A., "Some questions addressed to the Scholars who believed in the Authenticity of Kameniates'," *BZ* 71(1978), 301-314.
- Kažhdan, A., *Oxford Dictionary of Byzantium* (Oxford 1991), *s.v. Klētorologion of Philotheos*
- Koder, J., (trans.), *Das Eparchenbuch Leons des Weisen* (Vienna 1991).
- Kolia-Dermitzaki, A., "Some Remarks on the Fate of the Prisoners of War in Byzantium (9th – 10th Centuries)," in: *La Librazione dei 'Captivi' tra Cristianità e Islam*, ed. G. Cipollone (Città del Vaticano 2000), 583-620.
- Kolias, T., "The *Taktika* of Leo VI the Wise and the Arabs," *GrA* 3(1984), 129-135.

- Kondakov, N., "Les costumes orientaux à la cour byzantine", *Byz* 1(1924), 7-49.
- Koukoules, Ph. and Guilland, R., "Voleurs et prisons à Byzance," *REGr* 61(1948), 127-136.
- Krey, August C., "William of Tyre," *Speculum* 16(1941), 149-66.
- Langille, E. M., "La Constantinople de Guillaume de Tyr," *Byz* LXIII(1993), 173-197.
- Lartusis, M. C., *The Late Byzantine Army* (Philadelphia 1992).
- Laurent, V., "Le grand domesticat: notes complementaires," *EO* 37(1938), 65-72.
- Le Clerc, *Histoire physique, morale, civile et politique de la russie ancienne*, tome I (Paris 1783).
- Lemerle, P., *Histoire de Byzance* (Paris 1975).
- Liddlle, G., and Scott, R., *Greek-English Lexicon* (Oxford 1986).
- Littlewood, A., "Gardens of the Palaces", in: *Byzantine Court Culture from 829 to 1204,* ed. H. Maguire (Washington D.C. 1997), 13-38.
- Livadas, A., "Some Questions of Medieval Nautical Technology in Kameniates' "Sack of Thessloniki" (904 AD.)," *GrA* 6(1995), 145-151.
- Lot, F., *L'art militaire et les armies* (Paris 1946).
- Loukáki, Marína, "Notes sur l'activité d' Aréthas comme rhéteur de la cour de Léon le sage," in: *Theatron: rhetorische Kultur in Spätantike und Mittelalter*, ed. Michael Grünbart (Berlin 2007).
- Macrides, R., "Constantinople: the Crusaders' Gaze," in: (ed.) R. Macrides, *Travel in the Byzantine World, Papers from the Thirty-fourth Symposium of Byzantine Studies, Birmingham, April 2000* (Aldershot 2002).
- Magdalino, P., "Manuel Komnenos and the Great Palace," *BMGS* 4(1978), 101-114.
- Maguire, H., "Gardens and Parks of Constantinople," *DOP* 54(2000), 251-264.
- Majeska, G., "The Body of St. Theophano the Empress and the Convent of St. Constantine," *BSL* 38(1977), 14-21.
- Malamut, E., *Les iles de l'empire byzantin*, I (Paris 1988).
- Mango, C. and J. Parker, "A Twelfth Century Description of St. Sophia," *DOP* 14(1960), 233-245. repr. in: *Studies on Constantinople* (Aldershot 1993), no. XVII.
- Mango, C., "Constantine's Column," in: *Studies on Constantinople, Variorum* (Aldershot 1993), no. III.

- Mango, C., "Justinian's Equestrian Statue," *The Art Bulletin, XLI* (New York 1959), 1-16. repr. in *Studies on Constantinople,* Variorum (Aldershot 1993), no. XI.
- Mango, C., "The Columns of Justinian and his Successors", in *Studies on Constantinople, Variorum* (Aldershot 1993), no. X.
- Mango, C., "The Triumphal Way of Constantinople and the Golden Gate", *DOP* 54(2000), 173-188.
- Mango, C., *Studies on Constantinople* (Aldershot 1993).
- McGeer, E., *Sowing the Dragon's Teeth: Byzantine Warfare in the Tenth Century* (Washington D.C. 1995).
- Moravcsik, G., *Byzantium and the Magyars* (Amsterdam 1970).
- Muhammad, Tarek M., "Ibn Manglî between the Arab and Byzantine Worlds: New Evidences", *JMIH* 3(2003), 25-43.
- Muhammad, Tarek M., "Can ΠΑΡΑΣΤΑΣΕΙΣ ΣΥΝΤΟΜΟΙ ΧΡΟΝΙΚΑΙ be Considered a Real Guide to the Sculptures of Constantinople during the Isaurian Period?," *BSL* LXIV(2006), 77-98.
- *ODB* = Oxford Dictionary of Byzantium, (New York, Oxford 1991), 3 Vols.
- Ogle, M. B, "Petrus Comestor, Methodius, and Saracens," *Speculum* 21/3(1946), 318-324.
- Oikonomides, N., "Constantine VII Porphyrogénéte et les theme de Cephalonia et de Longobardia," *REB* 21(1963), 118-123.
- Oikonomides, N., "Une list arabe des stratèges byzantins du VII[e] siècle et les origins du thème de Sicile," *Rivista di Studi Bizanini e Neoellenici* 11(1964), 121-130.
- Oikonomides, N., "Leo VI's Legalization of 907 Forbidding Fourth Marriage: an Interpolation in the *Procheiros Nomos* (IV, 25-27)," *DOP* 30(1976), 174-195.
- Oikonomides, N., *Les listes des préséance byzantines des IX[e]-X[e] siècles* (Paris 1972).
- Oinkonomidès, N., "La dérniere volonté de Léon VI au sujet de la tétragamie," *BZ* 56(1963), 46-52
- Ostrogorsky, G., "Sur la date de la composition du le livre des themes," *Byz* 22(1953), 49-50.
- Ostrogorsky, G., "L'expédition du prince Oleg contre Constantinople en 907," *AIK* 11(1940), 47-62.
- Ostrogorsky, G., *History of the Byzantine State*, Eng. trans. J. Hussy (Oxford 1956).
- Pares, B., *A History of Russia* (New York 1947).

- Partington, J., *A History of Greek Fire and Gunpowder* (Cambridge 1960).
- Paspates, A. G. and Metcalfe, William, *The Great Palace of Constantine* (Whitefish 2004).
- Pears, E., *The Fall of Constantinople being the Story of the Fourth Crusade* (New York 1975).
- Pestman, P., *The New Papyrological Primer* (Leiden 1995).
- Poppe, A., "La dernière expédition russe contre Constantinople," *BSL* 32(1971), 1-29, 233-268.
- Porgoire, R., "Saint–Mamas le quartier des russes à Constantinople," *EO* 11(1908), 203-210.
- Quller, D. E. and Madden, T. F., *The Fourth Crusade: the Conquest of Constantinople* (Philadelphia 1997).
- Ramadān, A. M., "The Treatment of the Arab Prisoners of War in Byzantium '9th-10th centuries'," *Annals Islamogiques* 43(2009), 1-39.
- *REB= Revue des études byzantines.*
- Rice, T. T., *Everyday Life in Byzantium* (London, New York 1967).
- Ringrose, K. M., *The Perfect Servant: Eunuchs and the Social Construction of Gender in Byzantium* (Chicago, London 2003).
- *RQH*= Revue des Questions Historiques, (Paris 1876 ff.).
- *RSBN*= Rivista di Studi Bizanini e Neoellenici.
- Runciman, S., "The Visit of Amalric I to Constantinople in 1171", in (eds.) B. Z. Kedar, R. C. Smail, and H. E. Mayer, *Outremer: Studies in the History of the Crusading Kingdom of Jerusalem* (Jerusalem 1982).
- Runciman, S., *A History of the First Bulgarian Empire* (London 1930).
- Runciman, S., *The Emperor Romanus Lecapenus and his Reign* (Cambridge 1963).
- Rydén, L., "The Portrait of the Arab Samonas in the Byzantine Literature," *GrA* 3(1984), 101-108.
- Savvides, A., "Some Notes on the Terms *Agarenoī, Ismaelītai* and *Sarakenoī* in the Byzantine Sources," *Byz* 67(1997), 89-96.
- Sergré, A., "The Annona Civica and Annona Militaris," *Byz* 16(1943), 420-421.
- Shepard, J., "Why did the Russians Attack Byzantium in 1043?," *BNJbb* 22(1979), 147-212.

- Simeonova, L., "In the Depth of tenth-century Byzantine ceremonial: the treatment of the Arab prisoners of war at the imperial banquets," *BMGS* 22(1998), 75-104.
- Soloviev, A., "L'organisation de l'état Russe au X[e] siècle," *L' Europe aux IX[e]-XI[e] siècles* (Varsovie 1968), 249- 268. repr. in: *Byzance et la formation de l'état Russe* (London 1979).
- Sorlin, I., "Les traités de Byzance avec la Russie au X[e] siècle", *CMRS*, vol. II-3 (Paris 1961), 313-360.
- Stratos, L., *Byzantium in the Seventh Century* (Amsterdam 1968).
- Tinnefeld, F., "Ceremonies for Foreign Ambassadors at the Court of Byzantium and their Political Background," *ByzF* 19(1993), 193-214.
- Tougher, S., *The Reign of Leo VI (886-912)* (Leiden, New York, Köln 1997).
- Toynbee, A., *Constantine Porphyrogenitus and his World* (London 1973).
- Tsougarakis, D., *Byzantine Crete from the 5[th] Century to the Ventian Conquest* (Athens 1988).
- Van Millingen, A., *Byzantine Constantinople, the Walls of the City and Adjoining Historical Sites* (London 1899).
- Vasiliev, A., "Harun ibn-Yahya and his Description of Constantinople," *Seminarium Kondakovianum* 5(1932), 149-163.
- Vasiliev, A., "The Second Russian Attack on Constantinople," *DOP* 6(1951), 161-225.
- Vernadsky, G., *Kievan Russia* (New Haven 1948).
- Vogt, A., "L'hippodrome de Constantinople," *Byz* 10(1935), 471-488.
- Whitby, M., "The Long Walls of Constantinople," *Byz* 55(1985), 560-583.
- Wittow, M., *Making of Orthodox Byzantium 600-1025* (London 1996).
- Zenghelis, C., "Le feu grégeois et les armes à feu des byzantins," *Byz* 7(1932), 265-286.

## خامسا: المراجع العربية والمعربة:

- إبراهيم العدوي، الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط، (القاهرة ١٩٥٧).
- إبراهيم العدوي، الأمويون والبيزنطيون، (القاهرة ١٩٦٣).
- إبراهيم حسن سعيد، البحرية في عصر سلاطين المماليك، (القاهرة ١٩٨٣).

- أحمد رمضان أحمد، تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط، (القاهرة د.ت.).
- أحمد عبد الرازق، الجيش المصري في العصر المملوكي، (القاهرة د.ت.).
- أحمد عبد الرازق، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، (القاهرة ١٩٩٠).
- إسمت غنيم، الحملة الصليبية الرابعة ومسئولية انحرافها ضد القسطنطينية، (الإسكندرية ١٩٨٢).
- إسمت غنيم، الدولة البيزنطية وكريت الإسلامية ( الإسكندرية ١٩٨٣).
- أومان، ش.، الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة مصطفى طه بدر (القاهرة ١٩٥٣).
- بالار، ميشيل، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر-القرن الرابع عشر، ترجمة بشير السباعي، (القاهرة ٢٠٠٣).
- جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج١ (القاهرة د.ت.)
- حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ٢ (بيروت ١٩٩٢).
- حامد زيان، الأسرى المسلمون في بلاد الروم (لقاهرة ١٩٨٩).
- حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج ٢-٣ (القاهرة ١٩٦٦).
- حسنين محمد ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية (القاهرة ١٩٨٦).
- دروش النخيلي، السفن الإسلامية على حروف المعجم، (الإسكندرية ١٩٧٩).
- رأفت عبد الحميد، "كنيسة القدس في دائرة الصراع الأسقفي"، منشور في: بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة (القاهرة ١٩٩٧).
- رأفت عبد الحميد، قضايا من تاريخ الحروب الصليبية، (القاهرة ١٩٩٨).
- رأفت عبد الحميد، قواعد الدبلوماسية البيزنطية، المجلة التاريخية المصرية، ٣٣(١٩٨٦).
- رضا السيد حسن، المعارك والأسر بين العرب والروم (بيروت ١٩٨٥).

- رنسمان، س.، الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد (القاهرة ١٩٦١).
- رنسمان، س.، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، ج١ (بيروت ١٩٨١)؛ ج٢ (بيروت ١٩٦٨).
- زبيدة عطا، صورة الفارس الاقطاعي والصراع الإسلامي المسيحي كما وردت في ملاحم القرن الحادي عشر الميلادي البيزنطية واللاتينية"، مجلة التاريخ والمستقبل، مج ٥، عدد ٣(١٩٩١)، ص ٦٧-١١٥.
- زبيدة محمد عطا، الحياة الاقتصادية فى مصر البيزنطية (القاهرة ١٩٩٤).
- سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، (القاهرة ١٩٦٧).
- سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج٢ (القاهرة ١٩٦٣).
- سعيد عاشور، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، (القاهرة ١٩٧٦).
- سليمان الرحيلي، السفارات الإسلامية على الدولة البيزنطية (الرياض ١٤١٤هـ).
- سمالي، بيريل، المؤرخون في العصور الوسطى، ترجمة قاسم عبده قاسم، (القاهرة ١٩٨٤).
- السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية (القاهرة ١٩٦٠).
- السيد الباز العريني، الشرق الأوسط والحروب الصليبية، ج١ (القاهرة ١٩٦٣).
- السيد الباز العريني، كتاب عن الحسبة في بيزنطة، منشور في مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، عدد١٩ (١٩٥٧)، ص ١٣٥-١٨٧.
- السيد الباز العريني، مؤرخو الحروب الصليبية (القاهرة ١٩٦٢).
- السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، العصر الإسلامي (القاهرة ١٩٦٦).
- صلاح العاوور، "المحاولات العربية لفتح القسطنطينية في العصر الأموي"، مجلة المؤرخ العربي، عدد ٨ (٢٠٠٠).

- طارق منصور، "الحرس الإمبراطوري البيزنطي (ق ٧-٩م)،" منشور في كتاب: العصور الوسطى: تاريخ وحضارة، كتاب تكريمي لـ أ.د. زبيدة عطا، تحرير طارق منصور (القاهرة ٢٠١٤). (تحت الطبع).
- طارق منصور، "القسطنطينية في الكتابات الصليبية: دراسة للرؤى الصليبية لمدينة قسطنطين"، المؤرخ العربي، عدد ٢٩(٢٠٠٦)، ص ٢٦١-٣٢٥.
- طارق منصور، الجيش في الإمبراطورية البيزنطية من بداية القرن السابع حتى نهاية القرن التاسع الميلاديين، رسالة ماجستير غير منشورة، (كلية الآداب، جامعة بنها ١٩٩٣).
- طارق منصور، الروس والمجتمع الدولي ٩٤٥-١٠٥٤م (القاهرة ٢٠٠٠). وأيضا (رسالة دكتوراة لم تنشر بعد، كلية الآداب، جامعة عين شمس ١٩٩٩).
- طارق منصور، المسلمون في الفكر المسيحي (القاهرة ٢٠٠٨).
- طارق منصور، الوظائف والألقاب البيزنطية بين المفهوم العربي والواقع البيزنطي، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، إصدار خاص رقم ٢(٢٠١١)، ص ٧-٨٢.
- طارق منصور، بيزنطة والعالم الخارجي، ج١، البيزنطيون والعالم الإسلامي، (القاهرة ٢٠٠٣).
- طارق منصور، دراسة نقدية تحليلية لمصادر تاريخ الدولة البيزنطية في عصرها الأخير، (القاهرة، ٢٠٠٥).
- طارق منصور، قطوف الفكر البيزنطي ج١، الأدب (القاهرة ٢٠٠٢).
- طارق منصور، هارون بن يحيي مصدر من مصادر التاريخ البيزنطي، حولية كلية التربية للبنات بالطائف، عدد ٦(١٤٢٥-١٤٢٦هـ).
- عادل زيتون، العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى (دمشق ١٩٨٠).
- عبد الرحمن زكي، السلاح في الإسلام (القاهرة ١٩٥١).

- عبد العزيز رمضان، "سياسة بيزنطة التنصيرية تجاه العناصر العربية المسلمة: القرون ٧-١١م"، مجلة وقائع تاريخية، عدد ٧ (٢٠٠٧)، ص ١٠٣-١٥٧
- عبد العزيز رمضان، العلاقات البيزنطية اللاتينية في عهد الإمبراطور مانويل الأول كومنينوس ١١٤٣-١١٨٠م، رسالة ماجستير غير منشورة (كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠٠٠).
- عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى (القاهرة ١٩٧٢).
- عبد المنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، ج١ (القاهرة د.ت).
- عزيز حسن، تاريخ صقلية الإسلامية، ترجمة أمين توفيق الطيبي (طرابلس ١٩٨٠).
- علية الجنزوري، الحروب الصليبية (المقدمات السياسية) (القاهرة ١٩٩٩).
- فازيليف، أ.، العرب والروم، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، مراجعة فؤاد حسنين علي (القاهرة د.ت).
- قاسم عبده قاسم، الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية دراسة عن الحملة الأولى ١٠٩٥-١٩٩م (القاهرة ١٩٨٣).
- لويس، أرشيبالد، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى (القاهرة ١٩٦٠).
- ليلي عبد الجواد إسماعيل، تاريخ الروس من خلال المصادر العربية (القاهرة ١٩٩٠).
- ليلى عبد الجواد إسماعيل، "دور البلغار في مواجهة حملة مسلمة بن عبد الملك على القسطنطينية"، مجلة المؤرخ العربي، عدد ٦(١٩٩١).
- ليلى عبد الجواد إسماعيل، الدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور هرقل وعلاقتها بالمسلمين (القاهرة ١٩٨٥).

- ليلى عبد الجواد إسماعيل، القسطنطينية في ضوء كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين، مجلة المؤرخ المصري، عدد ٣-٤ (١٩٨٩)، ص ١٥١-٢٠٢؛ ١٠٩-١٤٥.
- ليلى عبد الجواد، السياسة الخارجية للملكة اللاتينية في القسطنطينية، رسالة ماجستير غير منشورة (كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٨١).
- ماير، هانس، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة وتعليق عماد الدين غانم، منشورات مجمع الفاتح للجامعات (طرابلس ١٩٩٠).
- محسن محمد حسين، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين (بيروت ١٩٨٦).
- محمود سعيد عمران، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل الأول ١١٤٣-١١٨٠م (القاهرة ١٩٨٥).
- منى محمود السيد، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والمسلمين في صقلية وجنوب إيطاليا زمن الأسرة المقدونية، رسالة ماجستير غير منشورة (كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٩٦).
- ميخائيل عواد، مآصر بلاد الروم والإسلام (بغداد ١٩٤٨).
- نجلاء مصطفى شيحة، مدينة القسطنطينية في القرن العاشر الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة (كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٩٩).
- نظير حسان سعداوى، التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين الأيوبي (القاهرة ١٩٥٧).
- هانيء عبد الهادي البشير، "تطور البحرية البيزنطية ونشاطها العسكري خلال القرنين الثامن والعاشر للميلاد"، مجلة التاريخ والمستقبل (يوليو ٢٠٠٣)، ص ١٤٧-٢٠٢.
- هانيء عبد الهادي البشير، بيزنطة وبلغاريا ٦٨١-١٠١٨م (القاهرة ٢٠٠١). وأيضا (رسالة دكتوراة لم تنشر بعد، كلية الآداب، جامعة طنطا ١٩٩٩).

- وسام عبد العزيز فرج، "النار الإغريقية طبيعة تركيبها وأثرها في نشاط المسلمين البحري"، ندوة الحضارة الإسلامية وعالم البحار، ٦-٨ نوفمبر ١٩٩٣ (القاهرة ١٩٩٤).
- وسام عبد العزيز فرج، الألقاب والمناصب الحكومية في بيزنطة بين الاستمرارية والانقطاع، منشور في: بيزنطة قراءة في التاريخ السياسي والإداري (القاهرة ٢٠٠٤)، ص ٣٣-٦٣. وقد نشرت هذه الدراسة للمرة الأولى في الكتاب السنوي الثالث للجمعية المصرية للدراسات اليونانية والرومانية (القاهرة ١٩٩٨م)، ص ٢٩٥- ٣٣٩.
- وسام عبد العزيز فرج، الدولة والتجارة في العصر البيزنطي الأوسط، حوليات كلية الآداب، الحولية التاسعة، الرسالة ٥٣ (الكويت ١٩٨٧-١٩٨٨).
- وسام عبد العزيز فرج، الزواج الرابع للإمبراطور ليو السادس (الإسكندرية ١٩٩١).
- وسام عبد العزيز فرج، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادي (الإسكندرية ١٩٨١).
- وسام عبد العزيز فرج، بيزنطة قراءة في التاريخ السياسي والإداري (القاهرة ٢٠٠٤).
- وسام عبد العزيز فرج، دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، ج١ (الإسكندرية ١٩٨٥).
- يوسف سمير كامل بسخرون، مدينة القسطنطينية ومراسمها في الكتابات اللاتينية القرن الثاني عشر الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة (كلية البنات، جامعة عين شمس ٢٠٠٧).

## سادسا: المواقع الإليكترونية:

- http://en.wikipedia.org/wiki/William_of_Tyre
- http://www.catholicencyclopedia.com/a/abbot
- http://www.catholicireland.net/church-a-bible/church/february-saints/658-2-the-presentation-hypapante

- http://www.pass.ps/vb4/showthread.php?840%C7%E1%C3%DA%ED%C7%CF-%C7%E1%E3%D3%ED%CD%ED%C9%C7%E1%E3%E5%E3%C9
- http://www.persee.fr/web/revues/home/prescript/article/rebyz_0766-5598_1980_num_38_1_2114#
- http://www.referenceglobal.com/doi/abs/10.1515/islm.2005.82.2.241
- http://www.therealpresence.org/cgi-bin/getdefinition.pl
- www.callisto.si.usherb.ca/~croisade/Byzance.htm

Publisher : Dār al-Fikr al-'Arabī
Address: 94 'Abbās El-'Aqqād st., Madīnat Nassr, Cairo, Egypt.
Tel: +20 222 752 984, +20 222 752 794
Fax: +20 222 752 735
Website: http://darelfikrelarabi.com



First Edition 2014

**Egyptian Library Cataloguing in Publication Data**
Prof. Tarek Mansour Muhammad
Byzantium: City of Civilization and Institutions
I- The Byzantine Civilization
II- Byzantine History – Medieval Europe
I. Muhammad, Tarek M.   II. Title
949.5'02-dc 21 ، 940.1
NSBN: 7852
ISBN: -
1st edition 2015



# Byzantium: City of Civilization and Institutions

(*Studies in Byzantine Civilization*)

Tarek M. Muhammad
**Professor Dr. in Byzantine History**
**Faculty of Arts – Ain Shams University**




**2015**